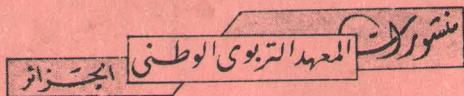


# المختار في الأدب والنحو واصطلاحه والترجمة الأدبية

السنة الثانية الثانوية





رابط بديل  
[lisanerab.com](http://lisanerab.com)

**www.lisanarb.com**

أ. علاء الدين شوقي



twitter

مكتبة لسان العرب



facebook

مكتبة لسان العرب



instagram

مكتبة لسان العرب



مكتبة لسان العرب



الجمهوريّة الجزائريّة

وزارة التربية الوطنية

# المختَاز

## الأَرْبَاثُ وَالْحُصُوصُ وَابْرَاغَةُ وَالرَّاجِمُ الْأَرْبَيْةُ

السنة الثانية الثانوية

**فَالْمُفْتَشِّ لِعَنِ  
عَذَالِ الرَّصْمِ شَانٌ**

تألیف الأستاذ

## پیش از آن ده رابع بُونار





مكتبة لسان العرب

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

[lisanerab.com](http://lisanerab.com)

رابط بديل

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة :

هذا كتاب «الأدب والنصوص والبلاغة» للسنة الثانية الثانوية وفق آخر البرامج المعدلة ، وقد تم إعداده ، ووضعت خطته على النحو الذي التزمنا في كتاب السنة الأولى الثانوية ، حيث مهدنا لنصوص كل عصر بلمحات تاريخية تناولت الحياة السياسية والاجتماعية والفكيرية ، ثم أوردنا بعد دراسة نصوص العصر ، الخصائص الفنية والأدبية العامة .

وتتلخص خطة دراسة النصوص الأدبية في النقاط الآتية وهي : تعريف وتمهيد ، إيضاح وتحليل ، دراسة أدبية ، دراسة بلاغية ، مجمل القول ، مناقشة النص بالأسئلة ، تدريبات تطبيقية : وقد جرى تعديل يسير في بعض الخطوات ، وبخاصة في مناقشة النصوص ، حيث تدرجنا في أسئلة المناقشة من «العام» إلى «الخاص» ، أي بدأنا بالأسئلة التي تتناول فهم معاني النص وأفكاره الأساسية والثانوية ، ثم ثميناً بالأسئلة التي تتناول النقد والتذوق .

كذلك اتبعنا النصوص المقررة بنصوص أخرى مختارة ، للأدباء أنفسهم في أغراض متنوعة لقاء مزيد من الضوء على إنتاج كل أديب ، وبذلك اتحنا الفرصة للأستاذ والتلميذ في مجال الدراسة الأدبية لتكوين فكرة متكاملة عن هذه المرحلة .

وبعد الانتهاء من دراسة العصور الأدبية ترجمنا للشعراء والكتاب الذين قرر البرنامج الترجمة لهم . وقد اعتمدنا في دراستنا للشخصيات المترجم لها على إبراز بعض النماذج الأدبية ، وإبراز أهم اتجاهات هؤلاء الأدباء وخصائص أدبهم .

وفي ختام الكتاب أفردنا قسماً خاصاً بالموضوعات البلاغية المقررة ، جمعنا فيه ما تفرق من أحكامها في اثناء النصوص الأدبية .

ونرجو في ختام هذا التقديم أن يراجع الأساتذة تفاصيل ما أجملناه هنا في تقديم كتاب «السنة الأولى الثانوية» كما نرجو أن يولوا توجيهاتنا التربوية التالية لهذا التقديم عناية واهتمامًا ، وأن يوافونا بما يعن لهم من آراء ولاحظات واقتراحات ببناءة في هذا الميدان .

وعلى الله قصد السبيل «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» .

### توجيهات تربوية :

أولاً : ينبغي أن يراعي الاستاذ في تدريس الادب والنصوص والترجم ما يأتي :

1 - ربط التلميذ بالتراث الادبي ، في عصوره المختلفة المقررة دراستها عليه ، للتزود بما فيها من قيم اخلاقية واجتماعية وفنية تلائم المجتمع الذي يعيش فيه ، وأن تزداد لدى التلميذ قدرته على فهم النصوص وتذوقها وإصدار الحكم عليها ، وأن يكتسب التلميذ من هذه الدراسة معرفة المبادئ الأخلاقية الرفيعة ، وأن يتمثلها ويعمل على نشرها في مجتمعه .

2 - أن تكون دراسة الشخصيات المترجم لها متصلة بدراسة عصرها الادبي ، وفي اطار تناول بيئة الاديب وحياته وصفاته وثقافته وآثاره الادبية ، مع مراعاة أن تكون الاحكام الادبية موضوعية مشفوعة بالشواهد .

3 - أن تكون دراسة الاحكام الادبية لكل عصر عقب الانتهاء من دراسة نصوصه ، وأن تعتمد هذه الدراسة على جمع شتات الاحكام الادبية التي استنبطت من دراسة النصوص ، وأن تتناول الميزات العامة للعصر وفتوحه الادبية المختلفة .

4 - ان تهدف دراسة النقد والبلاغة الى تذوق الادب ، وإدراك ما فيه من جمال ، بتوجيه الاستاذ وإرشاده . ويراعى التدرج في معالجة هذه الموضوعات مع النصوص خلال العام الدراسي . ومن المستحسن تخصيص وقت بين آن وآخر لدراسة : الموضوعات المقررة في النقد والبلاغة .

ثانياً : لتحقيق الأهداف المشار إليها سابقاً ينبغي في عرض الدرس اتباع الخطوات التالية :

- 1 - تكليف التلميذ إعداد النص قبل دراسته ، والإحاطة ببعض لفوياته وافقاره .
- 2 - تمييز موجز ومركز يضع التلميذ في جو الموضوع ، ويربطه بيئته في إيجاز وتركيز ، ويكتفي في ذلك بما يلقي الضوء على الموضوع المتناول .
- 3 - قراءة نموذجية من الاستاذ ، تعقبها قراءات من بعض التلاميذ الذين يحسنون الأداء .
- 4 - مناقشة تناول الفكرة العامة للنص ، ليدرك التلميذ المعنى الإجمالي لموضوع النص
- 5 - شرح تفصيلي للنص ، وحدة وحدة ، وفي كل وحدة تناول مفرداتها اللغوية عند شرح أفكارها الجزئية ، ثم شرح الفكرة العامة لهذه الوحدة على أن يقوم الشرح على أسئلة جزئية متتابعة توصل إلى فهم المعنى العام ، ويتكرر ذلك في كل وحدة حتى نهاية الموضوع .
- 6 - عودة إلى مناقشة الأفكار ، للتأكد من مدى فهم التلاميذ لها بعد الشرح والتحليل ، ويستحسن أن تكون الأسئلة هنا أكثر عمقاً من سابقتها .
- 7 - نقد الموضوع ، وتناول تحليل أفكار الموضوع ، وما تخلله من عاطفة ، وما تضمنه من صور ، وما عرض به من أساليب ، مع مراعاة القصد والتبسيط .
- 8 - استنباط الأحكام العامة ، والميزات التي كشفت عنها الدراسة ، سواء في ذلك ما يتصل بالقائل ، أو ما يتصل بالموضوع وعصره . وهذا كله حسب الخطة التي انتهجها الكتاب .
- 9 - تدريب التلاميذ على موضوع الدرس بالإجابة الشفوية أو التحريرية على بعض الأسئلة ، ومن الأفضل أن يكون هناك موضوع إنشائي يستفيد التلاميذ من النص في التعبير عنه .

ثالثاً : ينبغي أن يرتبط الاستاذ بالخطوط العامة للبرنامج ، وهذا أمر مقرر ؛ ولكنه مع ذلك يجدر به ان يراعي مستوى التلاميذ الذي يتحكم بطبيعة الحال في طريقة معالجة الدرس ؛ فالطريقة التي يعالج بها في الأقسام العربية ، تختلف عنها في الأقسام المزدوجة . وهنا يبرز دور الاستاذ الوعي ، المدرك لروح البرنامج ، الحكيم في عرض مادته بالأسلوب الذي تفهم به و تستوعب عن طريقه ؛ فمثلاً في الأقسام المزدوجة يعمد الى التبسيط والاكتفاء بالقدر الضروري المناسب لمدارك التلاميذ ومستواهم اللغوي ، أما في الأقسام العربية ، فللأستاذ أن ينطلق بتلاميذه في آفاق الدراسة الأدبية واللغوية والنقدية في حدود ما تسمح به قدراتهم ، وتساعد عليه مداركهم .

كذلك ينبغي أن يراعي التوقيت بحسب الشعب ؛ فالاقسام الأدبية بما يتاح لها من سعة في الزمن تنال من الدراسة والتحليل والتذوق ما يتفق وفرص الزمن المتاحة لها ، بينما يقل ذلك نسبياً في الأقسام العلمية لضيق وقتها عن الأقسام الأدبية .

والدرس المستنير يستطيع إدراك ما يتطلبه درسه من إعداد ثقافي وتربيوي ، ثم تقديميه لتلاميذه جرعات مناسبة ملائمة للمستوى كما وكيفاً وزمنا . ولا يغيب عن الذهن أن الدرس الناجح هو ما اشتراك فيه التلاميذ مع استاذهم بفاعلية وإيجابية ، مع مراعاة أن ينال كل تلميذ منهم حظه من درسه فيرتقي بذلك قويمهم ، وينهض ضعيفهم ، وينشط كسلانهم ، وتفمر هم جميعاً الحيوية . وبذلك تتحقق الفائدة المرجوة من الدرس .

والله الموفق والمعين .

المفتش العام  
عبد الرحمن شيبان

## **الباب الأول**

---

**العصر العباسى بطوريه الأول والثانى**

---

**( 1242 - 749 هـ - 656 - 132 م )**

---



## مقدمة تاريخية عن قيام الدولة العباسية

### تمهيد :

قبل الشروع في عرض النماذج الأدبية للشعر والثرف العصر العباسي بطوريه الأول والثاني نتناول في إيجاز أسباب القضاء على دولة بنى أمية ، وقيام دولة بنى العباس ، ثم تبع ذلك بعرض لظاهر الحياة المختلفة السياسية والاجتماعية والفكرية في الدولة العباسية ، وليس المقصود من ذلك هو الدراسة التاريخية في ذاتها ، وإنما تقصد الى إيراز جانب هام هو أن الحياة في كلا العصرتين كانت ذات طابع يميزها في نظمها السياسية والاجتماعية والفكرية مما انعكس آثاره على الأدب شعره ونثره ، وأوحي الى الشعراء والأدباء بالكثير من الاتجاهات .

وعلوم أن الدولة الأموية قامت بعد مقتل الإمام علي - كرم الله وجهه - ( 40 هـ - 660 م ) واستمر حكمها حتى عام 132 هـ ، وفي أثناء هذه الفترة اتسعت رقعة الخلافة الإسلامية وعظم شأنها ، وقوى نفوذ العرب في أرجائها ، وكانت الدولة في أول الأمر قوية السلطان ، ثابتة الأركان ، راسخة البنيان ، ثم بدأت عوامل الضعف والانحلال تتربّب إليها شيئاً فشيئاً بفضل الفتن الداخلية والمنازعات والحروب ، حتى قضى عليها نهائياً ، وانتزع السلطة بنو العباس وأقاموا دولتهم التي عرفت باسم « الدولة العباسية » .

### أسباب القضاء على دولة بنى أمية :

1 - تتابع حملات الإبادة لبني هاشم ( آل البيت ) من طرف بنى أمية ، وقد بدأ هذا الصراع منذ مقتل الإمام علي وأبنائه الحسن والحسين وزيد رضي الله عنهم ، وقد أدى هذا الى سخط الناس وخاصة من كان منهم متشارقاً ( آل البيت ) .

2 - ظهور كثير من الأحزاب السياسية التي تصدعت بسببها وحدة الأمة ، وكان من أقوى هذه الأحزاب وأعظمها خطراً ثلاثة :

أ ) الشيعة الذين تشيعوا لبني هاشم آل البيت ،

ب) الخارجون الذين خرجن على الإمام علي ، ونادواً بأن لا حكم إلا لله ، نم خرجن على الأمويين وحاربواهم ،

ج) أنصار عبد الله بن الزبير الذين لم يعترفوا لبني أمية بالخلافة ، وناصبوهم الماء .

3 - تعصببني أمية الشديد للعرب ، وإيثارهم بالمناصب ، وتفضيلهم على غيرهم من دخلوا في الإسلام من الشعوب الأخرى من فرس وروم ، وقد أثارت هذه التفرقة حقد هذه الشعوب فعملت على بث أمجادها (قومياتها) وانضمت إلى الساخطين علىبني أمية لتحطيم دولتهم .

4 - تعطيلبني أمية لهذا هام من مبادئ الحكم الإسلامي الرشيد ، الا وهو « الشورى » فقد جعل معاوية الخليفة ورائحة وعهد بها لابنه يزيد واستمر الحال كذلك فيما جاءوا بعده .

5 - اشتداد الطمع لدى بعض الخلفاء الأمويين ، وقوه حرصهم على الملك ، مما جعلهم يستدون ولایة العهد إلى اثنين من ابنائهم ، وأدى ذلك إلى بث الشقاق بين الأسرة الأموية الواحدة ، إذ كان لكل ولی عهد أنصار يؤيدهن للقضاء على خصمه ، فإذا تم لهم ما أرادوا انقلباوا إلى تحقيق أطماعهم وما زبدهم ، وهكذا ازدادت عوامل الشقاق ، وكثير الطامعون والمربيضون .

6 - ضعف أمر الخلفاء في نهاية الدولة ، واهتمامهم بشؤونهم الخاصة وإهمالهم لشؤون الرعية ، وغفلتهم عن مكايد عدوهم الذي أخذ يستغل كل الإمكانيات للإطاحة بهم .

7 - اعتماد خصوم الأمويين ومنافسيهم على عناصر قوية من أمثال أبي مسلم الخراساني ، القائد الفارسي الذي امتاز بالذكاء والدهاء ، فرسم خطة محكمة لنصرةبني العباس ، وقاد الجيوش لإسقاط دولةبني أمية ، في وقت تجمعت فيه كل الأسباب الداخلية والخارجية للقضاء عليها . ووُجدت من يذكي نار العداوة والبغضاء ضد الأمويين من أمثال الشاعر سديف بن

ميمون الذي يقول مخاطباً بني العباس السفاح كما جاء في الجزء الرابع من كتاب الأغاني :

يَا بْنَ عَمِّ التَّيِّنِ أَنْتَ ضِيَاءُ  
جَرَدِ السَّيْفِ ، وَأَذْفَعَ الْعَقْوَ حَتَّى  
لَا يَغُرِّكَ مَا تَرَى مِنْ رِجَالٍ  
اَشْتَبَّنَا بِكَ الْيَقِينَ الْجَلِّا  
لَا تَرَى فَوْقَ ظَهِيرَهَا أَمْوَالًا  
إِنَّ تَحْتَ الصُّلُوعَ دَاءٌ دَوِيًّا

### قيام دولة بنى العباس :

1 - قبل أن يقضي على الأمويين ويخلص الحكم للعباسيين كانت الدعوة السرية لنقل الخلافة إلى بني العباس قد مررت بعدة مراحل :

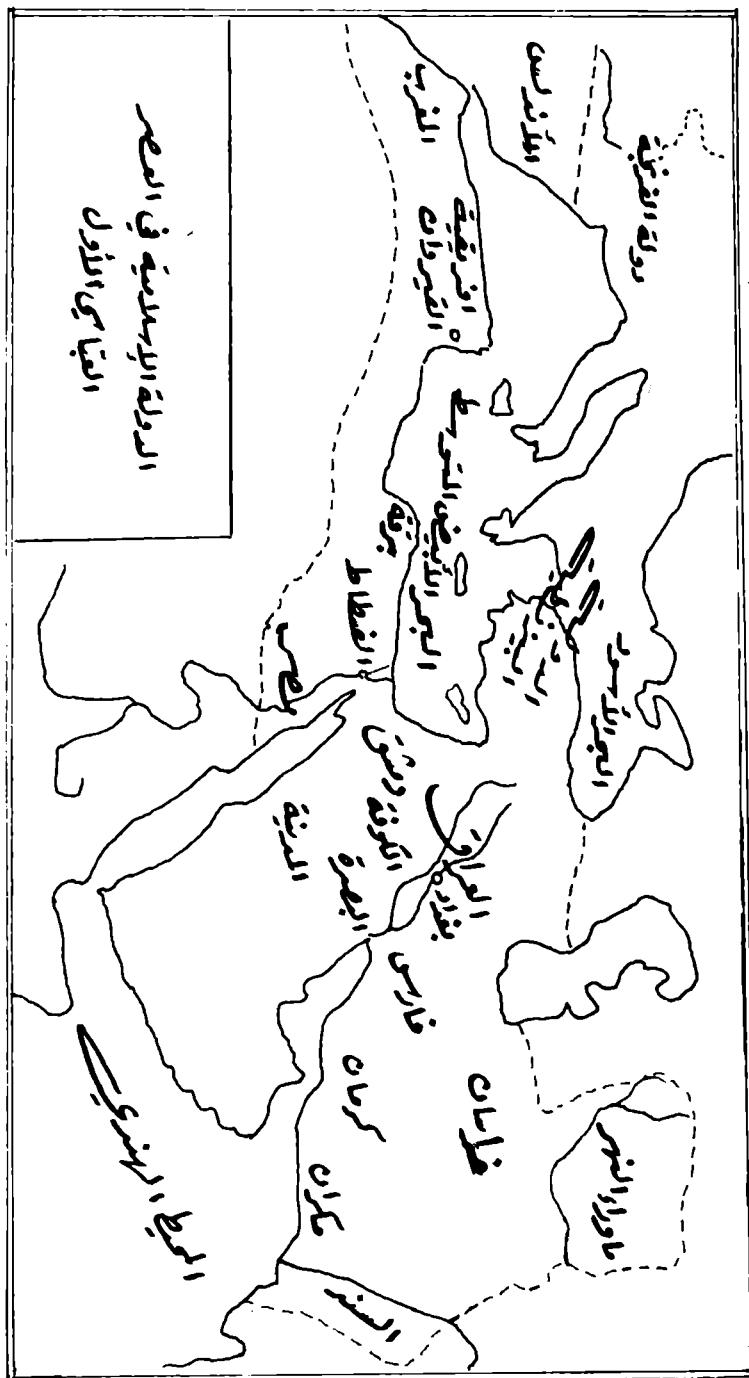
أ) كانت الدعوة في أول الأمر لآل البيت من سلالة الإمام علي - كرم الله وجهه - وقد حمل الشيعة عباء هذه الدعوة فنشروها ، واستجابة الناس لها في كل الأقطاع .

ب) كان الأمويون كلما أحسوا بشيء مما يدبر لهم قاموا بأعمال انتقامية ضد أعدائهم مستخدمين أساليب البطش والإرهاب من سجن وقتل وتشريد .

ج) خلصت الدعوة بعد ذلك - لبني العباس عندما أوصى أحد أئمة العلوين بالخلافة من بعده إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ( أحد آباء النبي صلى الله عليه وسلم ) وحينئذ انفرد العباسيون بأنفسهم وجدوا لتحقيق غايتهم قادة أكفاء من أمثال أبي مسلم الخراساني .

2 - أقيمت أول لبنة في صرح الدولة العباسية عندما استولى أبو مسلم الخراساني على خراسان ( بلاد قديمة في آسيا ، تتقاسمها اليوم إيران وأفغانستان وتركمنستان ) سنة 131 هـ ثم انطلق رجاله من خراسان يستولون على البلاد التي في حوزة الأمويين .

3 - حاول مروان بن محمد - آخر خلفاء الدولة الأموية في المشرق أن يوقف زحف جيوش أبي مسلم ولكنه هزم في واقعة الزاب المشهورة ( الزاب نهر بالعراق ) سنة 132 هـ ، وهام الخليفة مروان على وجهه هارباً حتى لقي مصرعه في قرية « بوصير » المصرية ، وبذلك انتهت دولة بنى أمية في المشرق ، وتم الأمر نهائياً إلى بني العباس الذين حكموا الدولة الإسلامية أكثر من خمسة قرون ، بادات بآبي العباس السفاح ( سنة 132 هـ - 749 م ) وانتهت على يد التتار في عهد المستعصم ( سنة 656 هـ - 1242 م ) .



# **العصر العباسي**

**تمهيد :**

ازدحمت هذه الفترة الطويلة بالتطورات والآحداث السياسية والاجتماعية والعلقية ، وعلى سبيل المثال نجد القرن الأول من تلك الفترة يمثل لونا علميا هو « الترجمة » ، كما انه يمثل لونا في السياسة والأدب امتاز بغلبة العنصر الغارسي ، وبحرية الفكر – الى حد ما – ، وسلطان المعتزلة المتمدنين على العقل والرأي ، وتلوين الأدب من شعر ونشر لونا احتذى على مر العصور ، كما امتاز بتلوين العلوم والفنون المختلفة . وهو في كل هذا يخالف العصور قبله والعصور بعده ، ومن هنا عمد رجال الآداب الى تقسيم العصر العباسي الى فترتين متميزتين :

الأولى من سنة 132 هـ الى سنة 334 هـ والثانية من سنة 334 هـ الى 656 هـ وليس الهدف من تقسيم العصور الأدبية الى جاهلي وإسلامي وأموي وعباسي ... هو أن هناك حدودا فاصلة بين تلك العصور ، وأن صفحة للتاريخ قد ختمت بانتهاء الدولة الأموية مثلا ، وأن صفحة أخرى ، بدأئت بقيام الدولة العباسية ومن ثم فليس هناك كبير علاقة بين الدولة الإسلامية في كلا العصرین ، كلا . إن هذا الفهم أبعد ما يكون عن الصحة ، وخاصة من الناحيتين الاجتماعية والعلقية ، وإن فالهدف من التقسيم لتلك العصور هو تيسير دراستها لا غير كتقسيم العصر العباسي الى فترتين لتيسير فهمه على الدارسين بالإضافة الى عوامل وفروق أخرى .

## **الفترة الأولى**

**( 132 هـ - 334 هـ )**

## **المالة السياسية :**

ارتبط قيام الدولة العباسية بكثير من الظروف والأوضاع السياسية التي كان لها آثارها في الحياة الأدبية والفكرية بصفة عامة ، وكان من أبرزها ما يلي :

١ - اختلاف وجهات النظر حول احقيبة العباسين بالخلافة ، فالعلويون يعتقدون انهم سلبوهم حقا كانوا أولى به منهم ، وما زال بعض العرب مرتبطا بعاطفته مع الدولة القديمة ، وفي الوقت نفسه يتسلح بالحذر تجاه الدولة الجديدة ، أما الفرس فكانوا أقوى المناصر تأييدا ومساندة للدولة الجديدة .

٢ - كان الفرس - كيا قلنا - أهم المناصر تأييدا ومناصرة لقيام الدولة العباسية ، ورأى منهم العباسيون ذلك فقربوهم ورفعوا شأنهم ، وأصبح منهم الوزراء والحجاب والكتاب وقادة الجيوش ، وبذلك شعفت السيادة العربية ، وتقلص ظل الحكم العربي تدريجيا ، مما أثار غضب العرب ، وملا نفوسم سخطا ، كذلك حول العباسيون عاصمة الخلافة من « دمشق » إلى « بغداد » لتقترب من بلاد فارس التي انطلقت الثورة منها وقامت على سواعد ابنائها .

٣ - ومع قوة النفوذ الفارسي ، وغلبة طابعه في السياسة والمجتمع ، نجد أن الخلفاء العباسيين في صدر دولتهم احتفظوا بما لهم من مكانة عالية ، وهيبة سياسية ، بفضل ما امتازوا به من مواهب أهلتهم للقيادة والسيادة .

٤ - وفي القرن الثاني من حياة الدولة العباسية ظهر المنصر التركي ، وذلك حينما استكثر الخليفة المعتصم ( 218 - 227 هـ ) من جلب المالك الأتراك لاستخدامهم حرسا وجنودا ، وللاستعانة بهم ضد نفوذ الفرس ، فقوى نفوذ الترك على المناصر الأخرى ، ولم تظهر آثار ذلك في عهد المعتصم لقوته ، وعندما ولــ الخليفة افراد ضعفاء افترووا في الاستعانة بهم ، فاستشرى فسادهم ، وقتلوا الخلفاء ، ونصبوا من شاؤوا ، وكانوا بذلك من عوامل انهيار الدولة وضعف سلطانها .

٥ - كان من نتائج اضطهاد العباسيين للأمويين فرار أحد هم إلى المغرب من وجه أبي جعفر المنصور ( 136 - 158 هـ ) وكان ذلك الأموي هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذي أقام في الأندلس الدولة الأموية الثانية في عام ( 138 هـ - 757 م ) وقد أظهر مقدرة فائقة وعقرية فذة.

٦ - في أواخر هذه الفترة بدا ظهور الديوبليات المستقلة ، وكان ذلك الاتجاه نتيجة طبيعية بسبب ضعف سلطان الخليفة ، وزوال هيبتها على يد المالك الأتراك ، يضاف إلى ذلك سوء الأحوال والفوضى والتخلف ، مما حدا بكثير من الولايات والأقاليم إلى الاستقلال ، ولم يبق للخلفاء العباسيين

في أواخر هذه الفترة غير السلطان الاسمي ، وكان من الدولات التي استقلت :

- الدولة الساسانية بتركستان ( 316 هـ - 928 م )
- الدولة الحمدانية في الشام ( 317 هـ - 929 م )
- الدولة الأخشيدية بمصر ( 323 هـ - 935 م )

كما استولى البوهيمون على عاصية الخلافة ( بغداد ) سنة 334 هـ - 945 م وبهذا الاستيلاء انتهت الفترة الأولى من العصر العباسي ، وبدأت الفترة الثانية .

### الحالة الاجتماعية :

كثير من الظواهر الاجتماعية وثيق الارتباط بالظروف السياسية والاتجاهات الفكرية . ومن الظواهر الاجتماعية التي تطورت ، وبرزت آثارها في العصر العباسي ما يلي :

1 - اعلن الإسلام المساواة بين البشر ، فدخل الناس فيه أفواجا ، وأمتزج العرب بغيرهم من الشعوب الأخرى عن طريق التزاوج ، كما أقبلت تلك الشعوب على اللغة العربية دراسة وإجاده حتى ظهر نبوغهم فيها ، وقد كان الامتزاج عن طريق التزاوج ضعيفا في العصر الاموي لاعتزال العرب بعروبتهم ، فقل زواج العربي من غير جنده ، وندر زواج العربية من غير جنسها ، وحينما قامت الدولة العباسية ، وأصبح الفرس موضع اعتزاز ، وأصحاب نفوذ اقبل العرب على الزواج من غيرهم من الشعوب الأخرى ، وقوى الامتزاج بين العرب وتلك الشعوب ، وتنبع عن هذا الاختلاط ظهور جيل جديد ، له خصائص وصفات جسمية ونفسية جديدة ، وهو يحمل في دمه صفات الدم العربي وغيره من الاجناس الأخرى ، وقد اطلق على هذا الجيل اسم « المولدين » (\*).

2 - كان للبلاد المفتوحة تاريخ حضاري تأثر العرب بكثير من جوانبه ؛ فأخذوا من حضارة تلك البلاد ، وطرق معيشتها ، وازداد التأثر بالطبع الفارسي والعادات والتقاليد الفارسية لأن الفرس كانت حضارتهم أقوى الحضارات قبل الإسلام ، كما كانوا القوة الحقيقة في قيام الدولة العباسية ؟

(\*) يطلق المولد على المحدث من كل شيء وهو ما قصد في هذا المقام ووصف جيل من الشعراة بذلك لحداثتهم .

فأخذ العباسيون منهم بعض نظم الحكم ، وطرق المعيشة ، وفن العمارة ، والثقافة ، وقلدوهم في المالك والشرب واللبس ، وتشييد القصور ، وتجميل المدن بالحدائق والنافورات ، كما تأثروا بهم في مجالس اللهو والطرب والموسيقى والفناء والوان الزينة ووسائل الترفيه .

3 - منع العباسيون المزيد من الحرية للشعوب غير العربية بعد أن كانت محددة في العصر الاموي ، وقد شملت تلك الحرية كلًا من العقيدة والتفكير والتعبير ما لم تمس تلك الحرية سلطة الحاكم ، ولم يراع بعضهم حدود تلك الحرية مما نشأ عنه الانحلال الخلقي والاجتماعي ، وضعف الوازع الديني ، وقد انتهز أعداء الأمة العربية الفرصة فنشروا سحومهم وجاهروها بشعوبتهم التي تفتخر بالأمجاد القديمة القائمة على المنصرية البفيضة والتي نقلت من شأن العرب ، وكان رد الفعل الطبيعي لوجة الانحلال والشعوبية هو قيام دعوة مضادة تنادي بالزهد والاستعداد لما بعد الموت ، وتعلی من قدر العرب وترفع شأنهم .

### الحالة الفكرية :

تطور العقل العربي في العصر العباسي نتيجة لما مر به من أحداث سياسية واجتماعية ومن أبرز ظواهر هذا التطور ما يلي :

1 - كانت الترجمة في العصر الاموي عملاً فردياً ينصرف اليه بعض الراغبين فيه ، ولما جاء العصر العباسي أصبحت عملاً رسمياً توجهه الدولة ، وبدأت الترجمة بنقل العلوم والأداب والمعارف إلى اللغة العربية ، وقد سبق ذلك إرسال البعث العلمية إلى القسطنطينية وغيرها من بلاد الروم لتعلم اليونانية ، ونقل ما الف بها من كتب هامة ، وقد أعاد ذلك على التقدم العلمي والأدبي بفضل نشاط هؤلاء المبعوثين وغيرهم في ترجمة العلوم والأداب والمعارف من حضارات اليونان والهند والفرس ، وقد تم نقل تلك العلوم إلى العربية عن طريق النقل من السريانية التي ترجم إليها كثير من العلوم والمعارف قبل الإسلام ، وكذلك عن طريق النقل من اللغات الأصلية نفسها ، وكان أبو جعفر المنصور أول خليفة عباسي يولي عناية خاصة بالترجمة ، ثم نشطت في عهد الرشيد (170 هـ - 786 م) وابنه المأمون (198 هـ - 813 م) الذي عرف عهده بازدياد نشاط الترجمة ، ونقل العلوم ، وقد تم نقل ما تميزت به كل أمة فنقلت علوم الحكمة والمنطق والطبيعة والكيمياء والجغرافيا

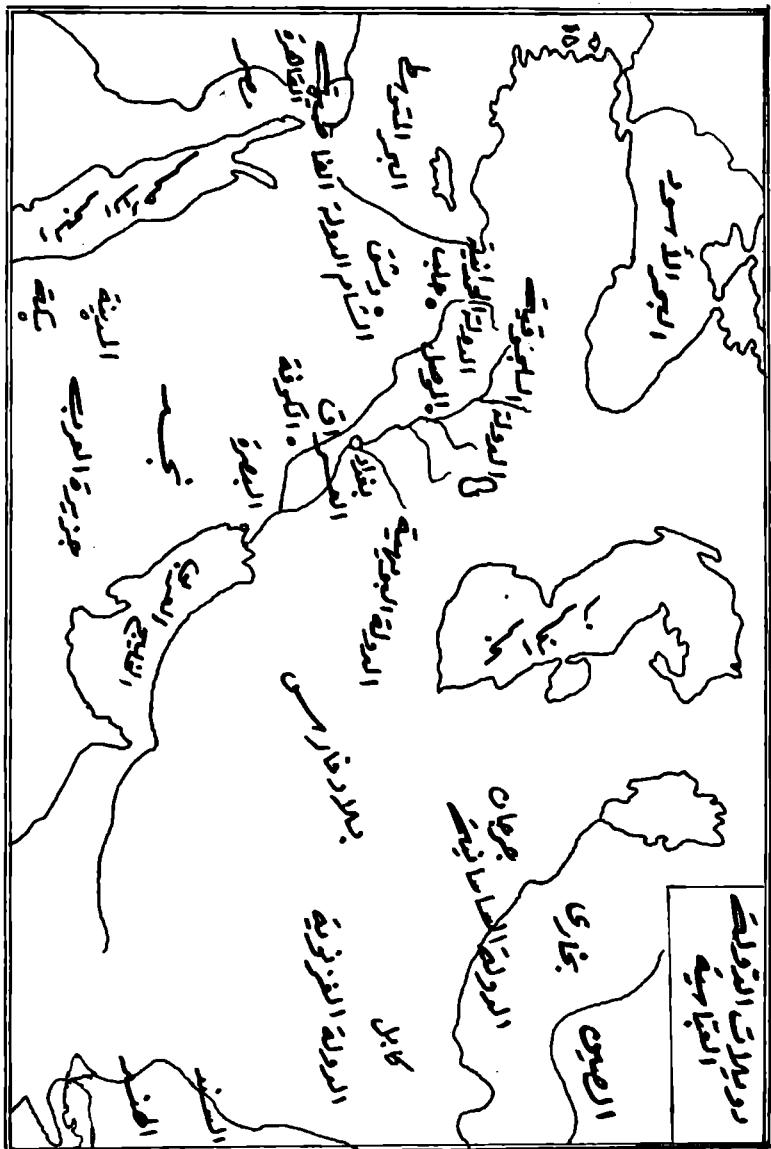
والفلك ، عن اليونان ونقلت الرياضيات والفلك والقصص عن الهند ، ونقلت الحكايات والأمثال والحكم والتاريخ والأداب عن الفرس .

2 - تطورت الحياة الفكرية في هذا العصر ، ولم يمض خمسون عاما على دراسة العرب لثقافات الأمم الأخرى حتى وضعت أسس العلوم والفنون ، وقد قام بذلك علماء العصر العباسي العباقة من العرب وغيرهم ، وكان لغير العرب في تلك النهضة العلمية أثر واضح ، ومن العلوم التي ازدهرت في هذه الفترة علوم التفسير والفقه والنحو والمنطق واللغة والأدب .

3 - وإذا كانت علوم اللغة والمذين قد حظيت بالنصيب الأولي لدى علماء العصر العباسي فإن ذلك لم يحل دون اهتمامهم وعنایتهم بالعلوم الكونية من فلك وطبع وكيمياء وطبيعة وفلسفة ومنطق وتاريخ وغير ذلك .

وقد كان من آثار هذا التطور التفكري السياسي والاجتماعي ازدهار الحياة الأدبية في هذه الفترة ، وكثرة الأدباء الذين امتازوا بالأصالة والإبداع ، في الشعر والنشر مما ستراء في النماذج الأدبية التي تقدم بعد قليل .

---



## الفترة الثانية

( 334 - 656 هـ )

### الحالة السياسية :

تعرضت الدولة العباسية في هذه الفترة لفتن وحروب لم يسبق لها مثيل في حياة الدولة الإسلامية منذ قيامها ، وترجع أسباب ذلك الصراع إلى عاملين :

الأول : « داخلي » ويتمثل في زيادة ضعف الخلفاء العباسيين في هذه الفترة ، وقوة شأن الدوليات المستقلة عن الدولة ، ولم يعد يربط هذه الدوليات بخلافة بغداد غير اعتراف أسمى بها ، وقد اشتد الصراع بين تلك الإمارات ، وحاول أمراؤها إفناء بعضهم بعضاً ، وظهر في هذه الفترة :

الدولة البويمية في فارس وال العراق ( 321 - 447 هـ )

الدولة الفزنوية في الهند وأفغانستان ( 351 - 582 هـ )

الدولة الفاطمية في مصر والشام ( 357 - 567 هـ )

استيلاء السلاجقة على بغداد ( 443 - 567 هـ )

الدولة الأيوبية في مصر والشام ( 567 هـ ) .

وقد حكمت بعد الدولة الفاطمية . واستمر الصراع بين تلك الدوليات ، واشتدت بينها الفتنة والنزعات ، وأمراؤها في غفلة عن أعدائهم المتربيصين بهم حتى أغار التتار على بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، وسقطت في أيديهم عام 656 هـ - 1258 م وبسقوط بغداد انتهى عهد الدولة العباسية .

والثاني : « خارجي » ويتمثل في تلك الحملة الاستعمارية التي قادتها أوربا الصليبية في عام 491 هـ - 1097 م لاحتلال بلاد الشرق العربي ، وقد ألت أوربا بجيوش جرارة عبر البحر المتوسط إلى سواحل فلسطين والشام ، ورفع الاستعماريون الصليب ، وادعوا حماية بيت المقدس ، وتمكنوا من اغتصاب جزء كبير من أرض فلسطين حيث انشأوا أربع إمارات صليبية هي : « الرها - طرابلس - أنطاكية - بيت المقدس » واقاموا فيها الحصون والقلاع الصليبية ، وكانت غفلة المسلمين وانقسامهم وتنازع أمرائهم من أكبر العوامل في نجاح هذا الغزو الاستعماري الصليبي ، وأفاق المسلمون على وجود عدو مفترض بين ظهريائهم ، فحملوا السلاح ، وقاوموا المحتلين قربة قرنين من الزمان ، وعرفت تلك المقاومة في التاريخ باسم « الحروب الصليبية » وتولى قيادة جيش المسلمين قادة أبطال كان منهم في نهاية المطاف البطل صلاح الدين الأيوبي الذي وحد الشام ومصر تحت رايته وتمكن بفضل هذه القوة المتحدة من انتزاع معظم الإمارات ، ومن استعادة بيت

القدس عام 583 هـ ، وأخيراً تم القضاء على الصليبيين ، وطردوا نهائياً من الشام على يد السلطان خليل بن قلاوون سنة 692 هـ - 1292 م وبذلك عادت الأرض إلى أصحابها العرب .

### الحالة الفكرية :

1 - من الناحية العلمية : في النصف الأول من هذه الفترة تقدمت الحركة العلمية حتى بلغت فروع المعرفة العلمية أكثر من ثلاثة فرع ، فوضعت أصول الطبيعيات وارتقت الفلسفة ، وكثُرت كتب التاريخ وتقويم البعلبكي وكذلك معاجم اللغة .

وفي النصف الثاني من هذه الفترة ساءت الحال ، وتخلقت الحياة العلمية في بغداد بعد أن سقطت في يد السلاجقة ، ولكنها استمرت في مصر على يد الأيوبيين حيث الفت الكتب العلمية ، ودوائر المعرف ، ومعاجم اللغة .

2 - من الناحية الأدبية : ومع وجود الانحلال السياسي الذي أصاب الدولة ، وظهور التقويمات فإن الحركة الأدبية ظلت قائمة ، ففي النصف الأول من هذه الفترة سجلت النهضة الأدبية تقدماً رائعاً ، ولكنها ما لبثت أن تلاشت في النصف الثاني ، وكان من أسباب ذلك التقدم ما يلي :

أ) تنافس الدوليات ، ورغبة حكامها وأمرائها في إظهار استقلالهم عن بغداد عن طريق الاهتمام بالعلم والأدب وتشجيعهما .

ب) كان الكثيرون من أمراء هذه الدوليات وساستها على صلة قوية بالعلوم والأداب كالحمدانيين بحلب الذين اشتهر أميرهم سيف الدولة ، وذاع صيته على لسان المتنبي وغيره ، وكالبويهيين بفارس وال العراق الذين كان منهم شعراء ، وكانوا لا يقلدون الناصب الرفيعة إلا أهل الأدب والعلم منهم ، وأما الفاطميون في مصر فقد نافسوا غيرهم بتشييد المعاهد العلمية كالإزهر ودار الحكمة وغيرها .

ج) قوي التنافس بين حكام هذه الولايات ، وتسابقوا في اجتذاب العلماء والأدباء مما دفع بالنهضة العلمية والأدبية إلى التقدم ، وقد تعددت أماكن الأدباء مراكز الثقافة ليفترعوا منها بحلب والقاهرة وقرطبة .

ولكن تلك النهضة ما لبثت أن ضعفت في النصف الثاني من هذه الفترة .

### المقالة الأدبية :

— اكتب مقالاً أدبياً تلخص فيه أسباب قيام الدولة العباسية ، وتوضح الظروف التي وصلت إليها في آخريات أيامها من الناحيتين السياسية والفكرية .

## **الباب الثاني**

---

**النصوص الأدبية في العصر العباسى**

---



## تهديد ونصح

ل بشار بن برد

### تعريف و تمهيد :

بشار بن برد ( 95 - 167 هـ ) شاعر فارسي الاصل ، ولد في البصرة عام 95 هـ ، لأبوين فقيرين ، ونشأ في بني عقيل نشأة عربية ، فاكتسب فصاحة اللسان ، ومتانة الأسلوب ، وتمت له معرفة واسعة باللغة وأسرارها ، كما افاد من البصرة ورجالها علماء اللغة والشعر والكلام . فكانت له من جراء ذلك ثقافة شاملة ساعدته على تحصيلها حدة ذكائه . وقوه ذاكرته .

ولد بشار اعمى ، وعرف ميله الى الشعر في سن مبكرة . إذ قال الشعر وهو ابن عشر ، وكان المجاه أول ما قاله مدفوعا اليه بعامل عديدة منها : قلة صبره على آفة العين ، وحقده على الذين كانوا يتحرشون به ويضايقونه ، وجبه للتكمب عن طريق المجاه . وقد صاحب بشار رجال العلم والكلام بالبصرة ، إلا انهم جفوه لاستهتاره وتهتكه ، وعملوا على نفيه من هذه المدينة ، فنفي الى الكوفة مرة ، وهناك في منفاه اتصل بعاملها من قبل الامويين آنذاك ، وهو « يزيد بن عمرو بن هبيرة » فمدحه ومدح معه الخليفة الاموي « مروان بن محمد » بقصيدة « البائية » المشهورة . ثم اتصل بشار بعد ذلك بالعباسيين ، وكان الخليفة « المهدى » اوفر خلقاءبني العباس حظا من مدائنه ، لكن المهدى اعرض عنه فيما بعد لفسقه ومجونه ، وغزله الإباحي ، وقد سخط عليه اشد السخط حينما هجا المهدى ووزيره « يعقوب ابن داود » بقوله :

بَنِي أَبِيَّةَ هُبُّوا طَالْ نُومَكُمْ  
ضَاعَتْ خَلَافَتَكُمْ يَا قَوْمَ فَالثَّسِّوا  
وَعِنْدَ ذَلِكَ أَمْرَ الْمَهْدَى أَنْ يَقْتَلَ شَرِّ  
ذَلِكَ عَامُ 167 هـ .

إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبَ بْنَ دَادَ  
جَابَفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الرِّيقِ وَالْمُوْدَى

عُرف بشار بسراقه في الهم والجون ، وبشدة تعصبه لقومه الفرس ، ولكنه كان محباً لأهله وندمانه ، وقد ترك ديواناً ضخماً يدل على براعته في فنون الغزل ، والهجاء ، والفخر ، والوصف ، كما يدل على معرفة عميقة باللغة العربية وأسرارها . وكان شعر بشار مرآة لعصره المضطرب ، ولذا لم يأنف أن يمدح الرجل اليوم ويذمه غداً ، وأن يكون اليوم أميناً ، وغداً عبّاسياً ، ويتجلّى هذا التلون في قصيده «الميمية» التي ستمر بك بعد قليل . ويقول أصحاب التاريخ في سبب إنشائها ما يلي :

لما قام «إبراهيم بن عبد الله العلوى الفاطمى» وأخوه «محمد» بشورة على الخليفة العباسي «أبي جعفر المنصور» انشأ بشار قصيدة ميمية في هجاء المنصور ، وفي تحريض الشائر الفاطمى «إبراهيم» على المضى في الثورة وانشده إياها ، لكن هذه الثورة أخفقت ، فخاف بشار من وصول تلك القصيدة إلى المنصور ، وعند ذلك قلبها هجاء «أبا مسلم الغراسى» الذي كان المنصور قد غضب عليه قبل قيام ثورة الفاطمى ، كما جعل مدح الفاطمى مدحاً للمنصور ! وهكذا وضع في البيت الأول عباره «أبا مسلم» بدلاً من «أبا جعفر» وفي البيت الثامن «أبن وشيكه» وهي أم أبي مسلم الغراسى بدلاً من «أبن سلامة» وهي أم أبي جعفر المنصور ، وحلف البيت الحادى عشر كما يقول صاحب الأغاني .

وإليك معظم ما جاء في هذه القصيدة التي ذكرت مناسبتها ، قبل أن يحوالها بشار من صورتها الأولى إلى صورتها الثانية ، والتي قدمها أبو عبيدة على بعض ميميات (\*) جرير والفرزدق .

### النحو :

(١)

1. أبا جعْفَرِ ، مَا طُولُ عِيشِ بِدَائِمٍ
  2. عَلَى الْمَلِكِ الْجَبَارِ يَقْتَحِمُ الرَّدَى
  3. كَانَكَ لَمْ تَسْمَعْ بِقْلَ مُشَوْجٍ
- وَلَا سَالِمٌ عَمَّا قَلِيلٍ بِسَالِمٍ  
وَيَصْرَعُهُ فِي الْمَأْزَقِ الْتَّلَاجِمِ  
عَظِيمٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْ بِقَنْتِكَ الْأَعَاجِمِ

(\*) هي نصاند ، توبيها هو حرف الباء . وهي من النقاوش التي بادلها الشاعران .  
أبا جعفر : منادى ، والتقدير يا أبا جعفر . العبار : الشديد الظلم ، الطاغية .  
يقتحم الردى : يهجم الموت . المازق : المكان الضيق . التلاجم : الشديد الصدق .  
كانك : يخبل إلى . متوج : ملك صاحب ثاج ، ويريد بالتوج كرى ملك الفرس ذكره

4. تَقَسَّمَ كُسْرَى رَهْطُكَهُ بِسُيُوفِهِمْ  
وَأَمْسَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْلَامَ كَائِنِمْ
5. وَمَرْوَانُ قَدْ دَارَتْ عَلَى رَأْسِهِ الرَّأْسِ  
حَىٰ وَكَانَ لِمَا أَجْرَمَتْ نَزَرَ الْجَرَائِمْ

( ف )

6. تَجَرَّدَ لِلإِسْلَامِ تَعْفُو طَرِيقَهُ  
وَتُغْرِي مَطَاهِهِ لِلْيُوتِ الْصَّرَاغِمِ
7. فَمَازَلَتْ .. حَتَّى اسْتَنَصَرَ الدِّينَ أَهْلَهُ عَلَيْكَ، فَعَادُوا بِالسُّيُوفِ الصَّوَادِمِ
8. فَرُومَ وَزَرَا يُنْجِيكَ يَا بْنَ سَلَامَةَ  
فَلَسَتْ بَناجَ مِنْ مَضِيمَهُ وَضَائِمَهُ
9. لَحَا اللَّهُ قَوْمًا رَأَسُوكَ عَلَيْهِمْ  
وَلَازَلَتْ مَرْؤُوسًا خَبِيثَ الْمَطَاعِمِ

( ح )

10. أَقُولُ بِسَامٍ عَلَيْهِ جَلَالَهُ
11. مِنَ الْفَاطِمِينَ الدُّعَاءِ إِلَى الْهُدَى
12. سَرَاجٌ لِعَيْنِ الْمُسْتَضِيءِ، وَتَارَةٌ
13. إِذَا بَلَغَ الرَّأْيِ الشُّورَةَ فَامْسَعِنَ
14. وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً

فِي سِدْرِ الْبَيْتِ الرَّابِعِ . وَهُوَهُ : الرَّهْطُ الْجَمَاعَةُ عَدَدُهُمْ ثَمَّةُ ، وَوِرْهُمْ هُنَّ حَاشِيَتُهُ مِنْ  
غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْمَدْدُ الْمَذَكُورُ . أَبُو الْعَبَّاسُ : كُنْيَةُ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ الْخَلِيفَةِ الْأَمْوَى الَّذِي  
قُتِلَ بِسَبِبِ اسْتِهْنَارِهِ بِالَّذِينَ مِنْهُمْ مِثْلُ أَبْنِ فَاطِمَةِ  
يُكَوِّنُونَ ظَلَاماً لِلْعَدُوِ الْمُزَاحِمِ  
يُرَأَى نَصِيحَهُ ، أَوْ نَصِيحةً حَازِمٍ  
فَإِنَّ الْغَوَافِي قُوَّةً لِلْقَوَادِمِ

فِي سِدْرِ الْبَيْتِ الرَّابِعِ . وَهُوَهُ : الرَّهْطُ الْجَمَاعَةُ عَدَدُهُمْ ثَمَّةُ ، وَوِرْهُمْ هُنَّ حَاشِيَتُهُ مِنْ  
غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْمَدْدُ الْمَذَكُورُ . أَبُو الْعَبَّاسُ : كُنْيَةُ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ الْخَلِيفَةِ الْأَمْوَى الَّذِي  
قُتِلَ بِسَبِبِ اسْتِهْنَارِهِ بِالَّذِينَ مِنْهُمْ مِثْلُ أَبْنِ فَاطِمَةِ  
دَارَتْ عَلَى دَائِسِهِ الرَّهْبَى : اهْلَكَهُ الْحَرْبُ . نَزَدَ الْجَرَائِمُ : قَلْبُ الْجَرَائِمُ . تَجَرَّدَ لِلْإِسْلَامِ :  
نَصَبَتْ نَفْكَ لِحَرْبِ الْإِسْلَامِ . تَلَوَ طَرِيقَهُ : تَمْحُو تَعَالِيهِ . تُغْرِي مَطَاهِهِ : تَجْعَلُ ظَهْرَهُ مَارِيَا .  
الْيُوتِ الْفَرَاجِمُ : الْأَسْوَدُ الْكَاسِرُ . سَلَامَةُ : اسْمُ وَالَّدَّ أَبِي جَعْفَرِ الْمُنْصُورِ كَمَا ذَكَرْنَا ،  
وَقَدْ نَبَّ التَّامِرُ الْخَلِيفَةُ إِلَى أَمَّهُ بَدِيلُ أَبِيهِ أَمَانَاتُ التَّحْقِيرِ وَالْجَاهَ . قَصِيمُ : مَظْلُومُ  
وَهُوَ اسْمُ مَفْعُولِهِ نَسِيمُ . حَاصِمُ : ظَالِمٌ ، وَهُوَ اسْمُ فَاعِلِهِ ضَامُ . لَحَا اللَّهُ : لَئِنْ .  
بِسَامُ : كَثِيرُ الْابْتِسَامِ ، وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ النَّاثِرُ الْفَاطِمِيُّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ . جَلَالَهُ :  
مَهَايَةُ . أَرْبِيعَا : انسَانًا يَرْتَاحُ لِغُلْفِ الْكَرْمِ . حَاشِقُ الْمَكَارِمِ : شَخْنُوفًا بِعِنَالِ الْأَمْوَارِ .  
مِنَ الْفَاطِمِينَ : مِنَ الْمُشَبِّهِنَ إِلَى فَاطِمَةِ الْزَّهْرَاءِ بِنْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
إِذَا أَحْوَجَكَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَشْتَرِي غَيْرَكَ . الشُّورَى : الْأَسْمَمُ : مَدْلَهَةُ .  
مِنَ الْإِسْتَشَارَةِ ، وَمِنْهَا الْإِنْتَفَاعُ بِرأِيِ الْأَخْرَيْنِ فِي الْأَمْوَالِ الْمُهْمَةِ . فَلَصَاصَةُ : مَدْلَهَةُ .  
الْغَوَافِي : الْرَّيْشُ الْسَّفِيرُ فِي جَنَاحِ الطَّائِرِ ، وَالْمَفْرَدُ خَانِيَةُ ، وَمَكْسَبُ الْقَوَادِمِ : دَهِي

- وَمَا خَيْرٌ سَيِّفٌ لَمْ يُؤْتَهُ بِقَائِمٍ ؟
- وَإِنْ كُنْتَ أَدْنَى لَمْ تَفْزُ بِالْعَرَائِمِ
- وَلَا تُشَهِّدُ الشُّورَى امْرًا غَيْرَ كَاتِمٍ
- ثَوْمًا ، فَإِنَّ الْحَزَمَ لِسْ بِنَائِمٍ
- شَبَّا الْعَرَبِ خَيْرٌ مِّنْ قَبْولِ الظَّالِمِ
- وَلَا تَبْلُغُ الْعُلَيْا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ
- أَرِبِّ ، وَلَا جَلَّ الْعَمَى مِثْلُ عَالَمٍ
15. وَمَا خَيْرٌ كَفَوْ أَمْسَكَ الْفُلُّ أَخْتَهَا
16. إِذَا كُنْتَ فَرْدًا هَرَكَ النَّاسُ مُقْبِلًا
17. فَادْنِ ، عَلَى التَّرْبَى ، الْمُقْرَبَ نَفْسَهُ
18. وَخَلِ الْمُوَيْنِي لِلضَّعِيفِ ، وَلَا تَكُنْ
19. وَحَارِبْ إِذَا لَمْ تُعْطِ الْآفَلَامَةَ
20. فَانَّكَ لَا تَسْتَطِرُدُ الْمَسَمَ بِالْمَنَى
21. وَمَا قَرَعَ الْأَقْوَامَ مِثْلُ مُشَيْعٍ

### ايصال وتحليل :

يستهل « بشمار » قصيده السابقة بتهديد « أبي جعفر المنصور » ، وتذكره أمثاله من العجابرة بمصير كل جبار ، فيقول له في الأبيات الخمسة الأولى من الفقرة (ا) : يا أبا جعفر ، لا تفتر بقوتك وسلامتك من الآفات ، فإن العيش ، مهما طال ، لا يدوم ، وإن السلامة سرعان ما تذهب وتحول . ذلك أن الموت لا ينجو منه أحد ، فهو يقتحم على الملك الطافية ببابه وحصنه ، وبملكه في مكان ضيق ، شديد الضيق ، فلا ينفعه في دفع الموت عنه حراس ولا جنود . وإنه ليختيل إلى - يا أبا جعفر - إنك غير جاهل ، لم تعرف شيئاً عن قتل الأعاجم الفرس لملكهم العظيم « كسرى » حين فتكـتـ به حاشيته ،

الريش الكبير ، مقاديم جناح الطائر ، والمفرد قادمة . الفـلـ : القيد . قـالـمـ السـيفـ :  
تـقـيـفـهـ . فـرـداـ : واحداً لا موافـنـ لهـ ولا انصـارـ . هـرـكـ النـاسـ مـقـبـلـاـ : واجهـوكـ بما تـكـرهـ  
وـلـجـراـواـ عـلـيـكـ ، والـأـسـلـ فـيـ هـرـ : نـبـعـ الكلـبـ بصـوتـ منـخـفـضـ . اـدـنـيـ : ضـيـفـ الـهـمـةـ ،  
وـهـوـ اـسـمـ تـفـضـيـلـ مـاخـوذـ مـنـ دـنـيـ يـدـنـيـ دـنـيـةـ : ايـ سـارـ ضـيـفـاـ وـسـاقـطاـ لـهـوـ اـدـنـيـ ، وـهـيـ  
دـنـيـ ، وـالـصـنـفـ الـشـبـهـ دـنـيـ وـدـنـيـةـ . الـقـرـبـ نـفـسـهـ : منـ يـقـرـبـ إـلـيـكـ مـنـ الـأـبـدـ .  
الـهـوـيـشـ : الـضـفـفـ وـالـتـرـدـدـ فـيـ الـأـمـرـ . ثـوـمـاـ : كـثـيرـ النـوـمـ ، وـهـوـ مـبـالـغـةـ نـائـمـ ، وـالـمـرـادـ  
عـالـلاـ عـمـاـ يـرـادـ بـكـ . فـلـلـامـةـ : ظـلـماـ اوـ اـمـتـداءـ عـلـىـ حـقـكـ . شـبـاـ الـعـربـ : شـدـتهاـ ، وـأـسـلـ  
الـشـبـاـ حـدـ السـبـفـ ، اوـ رـاسـ الرـمـعـ ، وـهـوـ جـمـعـ ، مـفـرـدـهـ شـبـاءـ . سـيـطـرـوـدـ : طـرـدـ وـبـمـدـ .  
الـطـلـياـ : الـمـقـاسـ الـمـالـيـ ، وـالـأـسـلـ الـلـيـاءـ ، حـدـفـتـ مـنـهاـ الـهـمـةـ لـلـفـرـوةـ الـشـمـرـيـةـ .  
الـكـارـامـ : الـأـمـالـ الـكـرـبـيـةـ ، وـالـمـفـرـدـ مـكـرـمـةـ . قـرـعـ : غـلـبـ . الـأـلـوـامـ : الـرـجـالـ ، وـالـمـفـرـدـ قـوـمـ .  
مـشـيـعـ : شـجـاعـ . أـرـبـ : ذـكـرـ . جـلـيـ الـعـمـىـ : كـشـفـهـ وـازـالـهـ ، وـالـرـادـ بـالـعـمـىـ الـحـرـةـ .  
وـالـسـلـالـ .

وقطعه اعونه بالسيف إِرْبَأَ إِرْبَأَ ، كما يخلي الي أنك لم تعرف شيئاً عن نهاية الخليفة الاموي « مروان بن محمد » الذي طحنته الحرب طحناً ، مع أن جرائمه إذا قيست بجرائمك بدت هينة يسيرة .

ثم يذكر بشار ، في الآيات الأربع التالية من الفقرة (ب) ، بعض ما ارتكبه « أبو جعفر المنصور » من جرائم ، وبهدده وبهجوه قائلاً : لقد نصب نفسك لحرب الإسلام ، فأخذت تمحو معالمه ، وتميت سننه ، وتعرضه لأعظم المخاطر ، كي يتمكن أعداؤه المتربصون به من الانقضاض عليه في الوقت المناسب ! وما زلت – يا بابا جعفر – تحارب الدين حتى استنجد بأنصاره المخلصين ، من أبناء « علي » و « فاطمة » ، لإنقاذ هذا الدين منك فلجاً أولئك الانصار الحقيقيون إلى الثورة المسلحة بقيادة « إبراهيم بن عبد الله العلوى الفاطمي » ، واعتمدوا في حربك على كل سيف مزحف الحد ، فاطلب ملجاً يحميك ، يا بابا جعفر ، من قبضة الناثرين إن استطعت ، وهيبات أن تجد ذلك الملجاً ما دام الناس جميعاً يطلبونك ، وما داموا جميعاً أحداثين : مظلوم له ثأر عندك ، وظالم مثلك لا ينجو منه أحد ، فكيف تنجو ؟ إلا قبح الله قوماً جعلوك رئيساً عليهم ، فكنت تابعاً ذليلًا تأكل من أختث طعام !

ثم يخلص بعد التهديد والهجاء إلى مدح النائر الفاطمي إبراهيم بن عبد الله فيقول له : أيها النائر الفاطمي ، أيها السيد الكريم ، المهيب الطلعة ، المشغوف بمعالي الأمور ... يا من تنسب إلى أبناء « فاطمة الزهراء » ، دعاء الحق المعروفيين بجرأتهم وشجاعتهم وهدايتهم للناس .. أيها الفاطمي العظيم الذي أنت نور لأنصارك ، وظلام لمنassisك وأعدائك !! إني أوجه إليك النصيحة التالية : إذا كنت في أمر مهم يحوجك إلى استشارة الآخرين فاستعن برأي كل مخلص يمحضك النصح والود ، وبراً كل ذي حزم يضع الأمور في نصابها ، ولا تحسب استشارتك للآخرين – ومن هم دونك في المكانة والرأي – مذلة لك أو عاراً عليك ، فقد يتقوى القوي بالضعف كما تتقوى قوادم جناح الطائر بخوافيه . فاستشر أصحابك المخلصين ، ولا تستبد برأيك لثلا تصبح عاجزاً ضعيفاً شبيهاً باليد التي ربطت اختها بالقييد ، أو شبيهاً بالسيف الذي ليس له مقبض يمسك به الضارب . وإذا كنت مستبداً في أمورك تفرق عنك أعونك وأنصارك ، واستضعفك خصومك وأعداؤك ، وواجهوك بما تكره ، وتجرواً عليك ، لاعتقادهم أنك عاجز ضعيف ليس لك من يحميك ويدافع عنك . وإذا كنت ضعيف الملة ، متواضع الطموح لم تظفر بتحقيق أي عمل جليل ، فأعتمد على أقاربك ،

واعتمد على كل من تأنس منه المودة ، وإن كان من غير أقاربك . ولكن إياك أن تُطلع على أمورك المهمة أولئك الذين تضيق صدورهم بكتمان الأسرار ، وأنهض للمطالبة بحقك في الخلافة ، ذلك الحق الذي اغتصبه أعداؤك العباسيون ، وكن حازماً قويًا ، ولا تكن متربداً ضعيفاً ، وكن يقطا لا غافلاً ، فصاحب الحزم لا يفل عن أمره أبداً . وحارب خصومك العباسيين إذا لم يعطوك حقك في الخلافة ، وإذا كان نصيبك منهم الظلم والاعتداء على هذا الحق ؛ فاحتمال شدائد الحرب وهوالها خير من الرضا بالظلم والهوان ! وأمض لتحقيق أمانيك معتمداً على الأعمال لا على التمني والأقوال ، فالأمانى لا تدرك بالтمني ، والمقاصد الكريمة لا تناول إلا بالأعمال الجليلة . وكن شجاعاً ذكياً كما عرفناك ، فما غلب الرجال إلا كل شجاع ذكي ، يستطيع بعمله وجرائه ، وخبرته وتجاربه ، أن يزيل الشبهات ، ويكشف المغيبات .

### دراسة أدبية :

الفرض العام من هذه القصيدة هو إذكاء نار الحرب التي قام بها الثائر الفاطمي ضد الخليفة العباسي « أبي جعفر المنصور » ، وللوصول إلى هذا الغرض اتبع بشار في نظم قصidته خطة قامت على أربعة أفكار رئيسية هي : تهديد المنصور ، وهجاؤه ، ومدح الفاطمي ، ونصحه .

فالقصيدة تبدأ بحكمة تخفي وراءها الكثير من التهديد : البيتان 1 و 2 ، ثم تذكر مصارع الطفاة أمثال « كسرى » ملك الفرس ، و « الوليد بن يزيد » و « مروان بن محمد » من الخلفاء الأمويين : الآيات 3 و 4 و 5 من الفقرة (أ)

ثم ينتقل بشار إلى سرد بعض جرائم المنصور ، فيذكر محاربته للدين الإسلامي ، وبهدده بالنصر الذي يتنتظره على أيدي الثائرين من أجل الحفاظ على الدين ، ويدعو عليه بالذلة والهوان : الآيات 6 و 7 و 8 و 9 من الفقرة (أ)

ثم يفيض الشاعر في مدح « الفاطمي » وإيراد الصفات التي تجعل منه رجلاً جديراً بإلقاذ المسلمين من ظلم أبي جعفر المنصور : الآيات 10 و 11 و 12 من الفقرة (أ) ويمده بعد ذلك بنصائح ثمينة لا غنى عنها لكل ثائر ، فيوصيه بالاعتماد على الشورى ، وكتمان الأسرار ، وبحثه على الحزم ، وطرح التردد ، وينصحه بالاعتماد على الأعمال دون الأقوال : الآيات من 13 إلى 21 من الفقرة (أ) .

والآفكار التي تضمنتها القصيدة ليست جديدة لأنها موجودة قبل بشار ، ولكن هذه الآفكار جيدة وصحيحة ولا سيما في القسم الآخر من القصيدة ؟ وهي كذلك مناسبة للموضوع وللفرض الذي قيلت فيه : فتمادي المنصور في استبداده وطغيانه يستوجب تذكيره بمصارع المستبددين والطغاة ، والجرائم التي نسبها بشار إلى المنصور من شأنها أن تجر عليه نقمته الناس ، ولا سيما تلك العبرية التكرياء ، جريمة حربه للدين الإسلامي ! أما الصفات التي أسبغها صاحب القصيدة على « الفاطمي » فإنها جديرة بأن تحمل منه رجل الساعة ، الرجل الذي تتطلع إليه آنفار المسلمين لتخليصهم من ظلمبني العباس واستبدادهم ، والنصيحة التي ساقها الشاعر إلى الثائر « الفاطمي » هي خير ما يقدم إليه في هذا الموقف . وتتميز آفكارها أيضاً بالوضوح مع أن الإيجاز غلب على أسلوب القصيدة .

قصيدة بشار تقوم على وحدة البيت لا على وحدة الموضوع ، شأنها شأن كل قصيدة عربية قديمة . ويلاحظ ، في دراسة الآفكار ، أن الشاعر لم يبدأ قصيدته بالغزل جرياً على الطريقة التقليدية المعروفة بعمود الشعر ، ولكنه استهلها بحكمة مناسبة للموضوع أو المقام ، وهذه ظاهرة جديدة برزت في الشعر العباسي كما سيعبر بك في النصوص الأخرى .

وفي القصيدة عواطف متنوعة ، منها الكراهة والاحتقار ، ومنها المودة والإكبار : أما عواطف الكراهة والاحتقار فهي التي املات على الشاعر هجاء الخليفة العباسى « أبي جعفر المنصور » ، وبشار صادق في هذه العواطف لأنه أرضى بها نفسه الناقمة الثائرة ، وأرضى بها أهل العراق من الساخطين على ظلمبني العباس واستبدادهم . وأما عواطف المودة والإكبار فهي التي دفعته إلى مدح الثائر « الفاطمي » ، وتزويده بالتصانيم الكفيلة بإنجاح الثورة . والشاعر في هذا المدح وذلك النصح يعبر عن فرحة وفرح الجماعات المضطهدة التي تطلع إلى يوم الخلاص من جلادتها ، ولذا أفضى الشاعر في مد الفاطمي بالأراء التي تضمن نجاح الثورة وصاغها بإسلوب رائع قوى ، فجرت مجرى الحكم والامتثال ، وتناقلها الناس في بغداد وغير بغداد ، وقدمنا أبو عبيدة على « ميميات » جريراً والفرزدق .

### دراسة بلاغية :

علمت في الماضي أن الكلام خبر وإنشاء ، وحقيقة ومجاز ، وأعلم الآن أن لكل من الحقيقة والمجاز مقاماً وموقعاً : فإذا كانت نفس الأديب ثائرة منفعلة اختارت الأسلوب الإنساني للتعبير عن ثورتها وانفعالاتها بالأمر والنهي

والاستفهام والنداء وغير ذلك من أساليب الإنشاء . وإذا كانت نفس الأديب مطمئنة هادئة اعتمدت أسلوبها خبرياً لا ثورة فيه ولا انفعال . وقد يعمد الأديب في الموضع الواحد إلى تنوع أسلوبه فيلجاً إلى الإنماء تارة ، وإلى الخبر أخرى تبعاً لحالته النفسية . ورغبة منه في التشويق وجذب الاهتمام . وإذا انت نظرت في قصيدة بشار وجدت أسلوبها متنوّعاً بتنوع الواقع والحالات النفسية : فهو إنساني في مواطن التهديد والهجاء ، ويتخذ أسلوب النداء والأمر كما في البيتين الأول والثامن . والأسلوب الخبري في مواطن الرواية التاريخية وحكاية أعمال المنصور كما في الأبيات من 2 إلى 7 . وقد غالب الأسلوب الإنساني على القسم الثالث (ح) من القصيدة حيث اتخذ بشار لنفسه صفة الصديق الناصح الذي يوجه إلى صديقه جملة صالحة من الإرشادات . فاعتمد على أسلوب الأمر في الأبيات 13 و 17 و 18 و 19 ، وعلى النهي في البيت 14 ، وعلى الاستفهام في البيت 15 .

والقصيدة حافلة بالصور البينية التي كان لها أثر قوي في إبراز المعاني الذهنية المجردة . وإظهارها في قالب محسوس شديد الواقع في النفس : فالردى عند بشار فارس مهاجم يقتحم على الملك الجبار بابه أو حصنه ، ويختطفوا إليه حراسه وجنده . والصورة من قبيل الاستعارة المكنية ، ذكر فيها الشبيه . وحذف منها الشبيه به ، ورمز إلى المخلوق بشيء من لوازمه وهو كلمة «**يقتتحم**» ، والمعنى بهذه الاستعارة أبلغ من أسلوب الحقيقة الذي يقال فيه مثلاً : «إن الموت يحل بالملك الجبار» ، لأن الاستعارة تجسم هذا المعنى الذهني المجرد وتبرزه في صورة محسوسة تتملاها بانتظارك . وتلمسها بيديك ، وهكذا يصل المعنى إلى العقل عن طريق الذهن ، وعن طريق الحواس المختلفة ، بخلاف أسلوب الحقيقة الذي يصل فيه المعنى إلى العقل عن طريق واحد ، هو الطريق الذهني المجرد ، ومعلوم أنه كلما تعددت طرق وصول المعاني إلى العقل كان تأثيرها في النفس أشد وأعمق ، ولذلك كان أسلوب المجاز أبلغ من أسلوب الحقيقة في هذه الاستعارة وفي غيرها .

وفي البيت الخامس كناية عن هلاك «**مروان**» بالحرب ، والعبارة التي استخدمها في ذلك هي قوله : «**ومروان قد دارت على رأسه الرحى**» ، وهذه الكناية أبلغ من أسلوب الحقيقة «مات مروان بالحرب أو أهلكته الحرب» لأن الكناية دعوى ومعها برهانها المحسوس ، ودليلها الملموس .

وفي القصيدة كثير من الاستعارات والتشبيهات ، تلقيت نظرك إلى ما جاء منها في الأبيات 4 و 6 و 12 و 18 . وأروع ما نجده من صور التشبيه في

هذه القصيدة تلك الصور الثلاث من صور التشبيه الضمني التي جاءت في البيتين ١٤ و ١٥ حيث يقول بشار : ان القوي يزداد قوة برأي من هو أضعف منه كما تزداد قوادم الطائر قوة بوجود خوافيه ؟ وإن الاستبداد بالرأي يجعل صاحبه عاجزا ضعيفا قليلا الخير والنفع ، لأنه يصبح كاليد التي ربطت اختها بالقيد أو كالسيف الذي ليس له مقبض يساعد على استعماله . وروعه التشبيه في هذين البيتين جاءت من كونه بمثابة البرهان الحسي على صحة دعوى الشاعر فيما ذهب إليه وادعاه . وصور بشار مستمدة من ثقافته ومعرفته بأساليب الشعر القديم ، وليست مستمدة من خياله ومشاهدته لانه أعمى لم ير الدنيا قط كما ذكرنا ، لكن الشاعر بقوة ذكائه وسمعة اطلاعه عرف كيف يتلافق هذا النقص الناجم عن آفة العمى ، وكيف يصوغ افكاره وصوره صياغة فنية جميلة سبق في بعضها كثيرا من الشعراء المبصرين الجيدين .

اما أسلوب القصيدة فيمتاز بالجزالة والقوية ومتانة السبك : فالالغاظ فصيحة . قوية ، ضخمة . تناسب اغراض التهديد والمجاهء والجد ، ولذلك اكثر الشاعر من ذكر الكلمات التي تفرع السمع وتتملا الفم ، مثل « العبار » ، يقتحم ، الردى ، يصرعه ، المازق ، المتلامح ، قتل ، سفك ، تقسم ، الليوط ، الفراغم ، استنصر ، الصوارم الخ ... » والعبارات بليةة ، سبكت سبكا متينا يذكرنا بشعر الحماسة القديم ، لذلك كان الإيجاز هو السمة الفالبة على النص . والإيجاز نوعان هنا : إيجاز قصر يتجلى في معظم أبيات القصيدة التي جاءت فيها على شكل حكم وأمثال ، ولا سيما أبيات القسم الثالث (ح) : وإيجاز حذف يبدو في عدة أبيات منها قوله في البيت الاول : « ولا سالم » فحذف الجار وال مجرور والتقدير : ولا سالم من آفات الدهر . وقوله في البيت السابع « فما زلت ... » فحذف خبر الفعل الناقص والتقدير : فما زلت تحارب الدين حتى استنصر الدين اهله . وقوله في البيت الحادي عشر « من الفاطميين » فحذف متعلق الجار والمجرور والتقدير : متحدرا من الفاطميين ، او يتحدر من الفاطميين .

هذا ولم تخل القصيدة من بعض فنون الابداع كالتصريح في البيت الاول حيث كرر الشاعر فافية الميم مرتين : مرة في آخر الصدر . ومرة في آخر العجز والتصريح ظاهرة تغلب على مطالع الشعر القديم . وهناك فنون بدائية اخرى جاءت عفوية . ومنحت القصيدة المزيد من الجمال . مثل الطلاق بين « مؤضيم » ، « ضائم » ، وال مقابلة بين قوله « رأسوك عليهم » و قوله « ولا زلت مرؤوسا » ،

وبين قوله « سراج لعين المستضيء » وقوله « يكون ظلاماً للعدو المزاحم » ، وبين قوله « ولا تكن نوماً » وقوله « فإن الحزم ليس بنائم » . وهنالك الجناس في قوله « القربى المقرب نفسه ». وأما موسيقى القصيدة فعليها مسحة ظاهرة من الجد والرصانة ، ومن القوة والجلال ، مبعثها البحر الطويل ذو التفعيلات الكثيرة الملائمة لأغراض الجد والحماسة ، ومبعثها كذلك خصائص الألفاظ والعبارات التي عرفتها منذ قليل .

## مجمل القول

« ميمية » بشار التي سبقت دراستها نموذج للشعر السياسي الذي بلغ أوج ازدهاره في العصر الاموي بسبب تعدد الأحزاب السياسية وتطاحنها في ذلك العصر ، ثم خفت صوت هذا الشعر بسبب ضعف تلك الأحزاب وانقراضها . وغرض القصيدة هو إثارة الشاعر الفاطمي بالمضي في الثورة ضد العباسيين وخليفتهم أبي جعفر المنصور . وقد استعان الشاعر بعدد من الأفكار المناسبة في التهديد والهجاء والمدح والنصح . وعاطفة الشاعر قوية صادقة ، صدرت عن قلب مليء بالحقد على العباسيين والعطف على الفاطميين . أما أسلوب القصيدة فقد جاء على جانب كبير من متأله السبك ، وجمال الصياغة ، وحقق بطانة من الصور البينانية والبدعية الجميلة . والقصيدة بهذه الخصائص الجيدة تدل أو توضح دلالة على رسوخ قدم الشاعر في فن الشعر ، وقدرته على التصرف في المعاني والأساليب ، كما تدل على أن أصحابها جديرون باعجاب رواة الأدب والشعر « كأبي عبيدة والأصممي » ، وجدير كذلك بلقب إمام المحدثين . بيد أنها لففت نظرك إلى مرونة أسلوب بشار ، وتلونه بحسب الأغراض وال الموضوعات ، ولذلك كان شعره ملتقي للقدرين ، والجديد : فمن شعره ما هو جزل متين يذكرنا فيه بفحول الجاهليه كما في القصيدة السابقة ، ومن شعره ما هو في منتهي الرقة والعنوبة والوضوح كما في كثير من اشعاره الفزلية . وآخرها ، وليس آخرها ، فإن الشاعر قد وفق في اختيار « البحر الطويل » الذي تتسع تفعيلاته الكثيرة للمعنى الغزير ، والواقف الحماسية الجادة كالموقف الذي وقفه بشار في هذه القصيدة . أما تفعيلات البحر الطويل فهي :

فعلن مفاعيلن فعلن مفاعلن فعلن مفاعيلن

## المناقشة :

- 1 - هدد بشار أبا جعفر المنصور في البيت الاول بعبارتين مختلفتين ،  
فماذا قال له في كل منهما ؟
- 2 - ماذا تعرف عن مصارع الاشخاص الذين ذكرهم في الابيات من 3 – 5 ؟
- 3 - ما اسم المعركة التي هزم فيها مروان بن محمد ؟ ومتى وقعت ؟ وأين  
وقعت ؟
- 4 - علام يدل ذكر بشار للحوادث التاريخية في الابيات الخمسة الاولى ؟
- 5 - لماذا اختار بشار جريمة واحدة من الجرائم التي نسبها الى المنصور ،  
وهي جريمة محاربته الدين الإسلامي ، دون جرائمه الأخرى ؟
- 6 - ما السبب الذي جعل بشارا ينسب الخليفة المنصور الى امه بدلا  
من ان ينسبه الى ابيه ؟
- 7 - ما رأيك في صحة الاتهامات التي وجهها بشار الى الخلفية المنصور ؟
- 8 - ما صفات المدح التي أسفها بشار على الثائر الفاطمي ؟ هل تعجبك ؟  
ولماذا ؟
- 9 - ما النصائح التي أسدتها الشاعر الى الثائر الفاطمي ؟ وعلى اي  
شيء تدل ؟ وما رأيك في تلك النصائح ؟
- 10 - هل ترى أن الشاعر صادق في هجائه ومدحه ونصحه ؟ ووضح إجابتك .
- 11 - ما اهم الخصائص التي اتصف بها اسلوب بشار في هذه القصيدة ؟  
وهل يتناسب هذا الاسلوب مع الموضوع والمعاني التي تضمنتها ؟  
وضوح إجابتك .
- 12 - استخرج الصور البينية الاخرى التي لم تتعرض لها الدراسة الأدبية  
بالشرح والتوضيح . وتول انت شرحها وتوضيحيها .
- 13 - ما الغرض العام للقصيدة ؟ وما الافكار الاساسية التي تضمنتها ؟

14 - ما الأثر الذي تركه هذه القصيدة في نفسك بعد قراءتها ؟ وضح إجابتك .

15 - أعجب الناس قد يما بهذه القصيدة أيا إعجاب ، فحفظوها وتناقلوها وقدموها على بعض قصائد جرير والفرزدق كما مر بك . فهل لك أن تذكر الأسباب المختلفة لهذا الإعجاب ؟

16 - هل ترى هذه القصيدة تصور نفسية الشاعر وأحداث عصره ؟ وضح إجابتك ، وبين إلى أي مدى يصور الشعر نفسية صاحبه وأحداث عصره .

---

## تدريب

— قال بشار :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن  
برأي نصيح ، أو نصيحة حازم  
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة  
فإن الخوافي قوة للقوادم  
وما خير كف أمسك النمل أختها  
 وما سيف لم يؤيد بقائم

— استعن بهذه الأبيات الثلاثة على كتابة موضوع إنشائي تبين فيه :  
متى نستشير ؟ وفيم نستشير ؟ ومن نستشير ؟ موضحاً أثر الشورى  
في حياة الأفراد والجماعات ، واستشهد بما تحفظه من القرآن الكريم ،  
والحديث النبوى الشريف وغيرهما في آناء إجابتك .

الفصل

## قصيدة في حي العامرة :

أَتَجعَلُ مَنْ هَوِيتَ عَلَيْكَ رَبّاً ؟  
إِلَى حُبّي ، وَقَدْ كَرِبْتَكَ كَرْبَيَا  
كَانَكَ ضَامِنٌ مِنْهُنَّ نَحْبَا  
تَبِيتُ مُرَوَّعاً ، وَتَبَلُّ صَبَّاً !  
وَلَا تَلْقَى لَهَا فِي النَّاسِ ضَرَبَا !  
فَوَمِيلُكَ ثُمَّ وَيُلُكَ حِينَ شَبَّا !  
وَأَطْرَابَ تَصْبَّ عَلَيْكَ صَبَّا  
يُقْلِبُكَ الْهَوَى جَنْبَا فَجَنْبَيَا  
يُدَاءِ الْحُبَّ سَوْفَ تَمُوتُ رُغْبَا  
لَقَدْ عَذَّبْتَنِي رَغْبَا وَرَهْبَا  
سِوَى عِدَّةٍ فَخَذْ يَدِيكَ تُرْبَيَا !  
فَجَانِبَ مَنْ جَفَاكَ لِمَنْ أَرَبَّا  
فَكُنْ خَبَا إِذَا لَاقَيْتَ خَبَّا  
لَقَدْ عَذَّبْتَنِي وَلَقِيتُ حَسْبَا

عَدِمْتُكَ عَاجِلًا يَا قَلْبَ قَلْبًا  
تَحْسُنُ صَبَابَةً فِي كُلِّ يَسْوَمٍ  
وَتَهْتَجِرُ النِّسَاءَ إِلَى سِوَاهَا  
أَمِنَ رَيْحَانَةً حَسْنَتْ وَطَابَتْ  
كَأَنَّكَ لَا تَرَى حُسْنَنَا سِوَاهَا  
بَكَيْتَ مِنَ الْهَوَى ، وَهَوَالَّ طَفْلٌ  
إِذَا أَصْبَحَتْ صَبَاعَكَ التَّصَابِي  
وَتَنْسِيَ وَالْمَسَاءَ عَلَيْكَ مُرْسِيٌّ  
أَظْنَنَكَ مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ يَوْمًا  
أَتَظْهِرُ رَهْبَةً وَتُسِرُّ رَغْبَةً  
فَمَا لَكَ فِي مَوَدَّتِهَا نَصِيبٌ  
إِذَا وَدَّ جَفَّا وَأَرَبَّ وَدَّ  
لَقَدْ خَبَّتْ عَلَيْكَ وَأَنْتَ سَاءٌ  
أَلَا يَا قَلْبُ هَلْ لَكَ فِي التَّعْزِيَّةِ ؟

خدمتك هاجلا يا للب : اندى اه اياك يا قلبي في وقت قريب ، والجملة دعائية لا خبرية  
اللب : تعييز . كربتك كربا : لقيت منها الشدائـن . نجـها : مونـا ، يـقال : نـجيـ فالـانـ  
نجـها اي مـات كانـ الموـت نـلـفـ عـنـهـ . فـيـراـ شـبـهاـ . التـصـابـيـ: المـيلـ الىـ زـوـراتـ الشـبابـ .  
اطـرابـ: جـمـعـ طـرـبـ وـهـ الشـتـوقـ . خـلـ بـيـديـكـ تـرـياـ : دـعـاءـ بـالـخـبـيـةـ ، ايـ خـبـيـكـ اـهـ .  
ودـ: سـحـبـ اوـبـ: اـقـامـ وـقـرـبـ . خـبـتـ طـيـكـ : خـدـمـتـكـ . خـبـاـ: مـخـادـعاـ . لـتـيـتـ حـسـبـاـ :  
لـقـيـتـ ماـ كـفـائـيـ منـ العـدـاـبـ اوـ ماـ يـكـفـيـ منهـ .

## ب - المدح

### مدح مروان بن محمد :

ثارت قبيلة بني شيبان على الخليفة الاموي مروان بن محمد بقيادة الضحاك بن قيس الشيباني ، فهزمهم الخليفة بجيشه كان يقوده يزيد بن عمر ابن هبيرة الفزاروي ، وقتل الضحاك بن قيس الشيباني . فقال هذه القصيدة يمدح الخليفة وقائده المذكور ، ويغقر بقبيلة بني عيلان التي أيدت مروان على اعدائه ، وكان بشار ينتمي الى بني عيلان بالولاء :

وَسَامِ لِمْرَوَانَ ، وَمِنْ دُونِهِ الشَّجَا  
أَحْلَثَ يَهُ اُمُّ الْمَنَابِيَا بَنَاتِهَا  
وَكُنَّا إِذَا دَبَّ الْعَدُوُ لِسْخُنَتِهَا  
رَكِبْنَا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مُثْقَفٍ  
وَجَيْشٌ كَجُمْعِ اللَّيلِ، يَرْجُفُ الْحَصَى  
غَدَوْنَا لَهُ ، وَالشَّمْسُ فِي حِدْرِ أَمْهَا  
يَضْرِبُ يَدُوقُ الْمَوْتَ مَنْ دَاقَ طَعْنَهُ  
كَانَ مَتَارَ النَّقْعَ فَسُوقَ رُؤُوسِنَا  
بَعْثَنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفَجَاءَةِ ، إِنَّا  
فَرَاحُوا : فَرِيقٌ فِي الإِسَارِ ، وَمِثْلُهُ  
إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَارُ صَعَرَ خَدَهُ

---

وسام لمروان : ورب ثائر على مروان ، واراد به الضحاك بن قيس . الشجا : الصعب .  
جاشت غواربه : اضطربت امواجه . - ام المانيا : العرب . بناتها : مصالحها . -  
دب العدو : سار خفية . لسخننا : لقتانا . - مثقب : رمح مقوس . ايض : سيف . -  
جنح الليل : القسم منه . الحصى : التدد الكثير . الشوك : السلاح . الخطى : الرمح .  
تعاليه : جمع تعلية وهي رأس الرمح . - خدو امها : بيت امها ، اراد انه ما يزال  
القسم الاكبر من قرصها محجا وراء الافق . - مثار النقع : غبار الحرب . تهاوى : اصله  
تهاوى بي تحرك صعودا وهبطا . - موت الملاجة : هو موت سريع . بنو الموت : شجمان  
سبابيه : راياته واعلامه . - صعر خده : اماله فيها وكبرا . وفي القرآن الكريم :  
« ولا تصرخ خدك للناس » اي لا تتكبر عليهم .

وقال بشار يمدح خالد بن برمك الذي صار واليا على بلاد فارس من قبل الخليفة المنصور العباسي :

وَمَا كُلُّ مَنْ كَانَ الْفِنَىٰ عِنْهُ يُعْجِدِي  
سَمَاحًا كَمَا دَرَ السَّحَابُ مَعَ الرَّعْدِ  
إِلَيْكَ وَأَعْطَاكَ الْكَرَامَةَ بِالْحَمْدِ  
جَزَاءً، وَكَيْنُوا التَّاجِرُ الْمُذْبُ بِالْمَدِ  
إِذَا مَا غَدَأَ أَوْ رَاحَ كَالْجَزْرِ وَالْمَدِ  
وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كُفَّهُ يُعْدِي  
أَفْدَتْ، وَأَعْدَانِي فَأَنْتَفَتْ مَا عِنْدِي  
جَمَالًا، وَلَا تَبْقَى الْكُنُوزُ عَلَى الْكَدِ  
وَلَا تَبْقَاهَا، إِنَّ الْعَوَارِيَ لِلْسَّرَّدِ

الْعَمْرِي لَقَدْ أَجْدَى عَلَيَّ ابْنَ بَرْمَكَ  
حَلَبَتْ بِشَعْرِي رَاحِيَّهُ قَدَرَتَهَا  
إِذَا جَتَتْ لِلْحَمْدِ أَشْرَقَ وَجْهُهُ  
لَهُ نِعَمَ فِي الْقَوْمِ لَا يَسْتَشِيهَا  
مُفِيدٌ وَمُتَلَافٌ : سَيِّلْ تَرَاثِهِ  
لَكَسْتْ يَكْفِي كَفَّهُ أَبْتَغَى الْفِنَىٰ  
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ دَوْدُوَ الْفِنَىٰ  
أَخَالِدُ، إِنَّ الْحَمْدَ يَبْقَى لِأَهْلِهِ  
فَأَطْعِمُ، وَكُلُّ مِنْ عَارَةٍ مُسْتَرَدَةٍ

---

لعمرى : وحيانى ، . اللام لام الابتداء ، عمرى : حيانى وهي مبتدأ والخبر محلوف وجوباً تقديره قسمى . أجدى على : انتم على ، اعطاني . - حلبت بشعرى راحتى : مدحته بشعرى ليعطينى ، او التمس العطا من كفيه . درتا : جادتنا . سماحة : عطاء كثيراً وذاخر . - الكراهة : التكريم . بالحمد : بدلاً من الحمد ، والباء هنا للبدل ، والمراد بالحمد الثناء والمدح . - نعم : عطايا . لا يستشيهها : لا يطلب ثواباً عليها ولا اجرأ . المد بالكلد : نوع من المكاييل القديمة يساوي ثمانية عشر ليتراً بالمكاييل الحديثة ، وكيل التاجر المد : الواد استثنافية ، ومننى الباراة ان الناجر لا يعطي شيئاً الا مقابل ثمن يأخذه بخلاف المدحوى . - هليده : فني ، كثير المال ، وهو اسم فاعل من افاد يقيده مثلاً او مالاً اذا استفاده وحصل عليه . سبيل توانه : مثل ميرانه او ماله ، وأصل السبيل الطريق ، وهنا الشبيه والتشبيه ، والترااث كالارث والوراثة ، وهو مصدر الفعل ورث ، لكن واوه قلبت تاء . اذا ما فدا : اذا فدا ، وما : زائنة . غدا : ذهب او انتقال في اللحظة وهي ما بين الفجر وطلع الشمس . راح : ذهب او انتقل في الرواح وهو الشئ ، او من الرواى الى الليل . وتستعمل فدا وراح لطلق الذهب او المجن ، يعرف النظر عن الوقت . البجز : حركة انخفاض البحر . المد : حركة ارتفاع البحر . - ابتفى الفنى : اطلبه . - دوو الفنى : اصحابه الائتيا . افدت : استفدت ، يقال افدت منه علمًا او مالاً اذا استفدت احدهما منه . - اخالد : المهزة للنداء . الكنوز : الاموال الكثيرة والمفرد كنز . الکد : الهرس . ولا تبقى الكنوز على الکد : لا تبقى الاموال الكثيرة ولو حرص اصحابها على بقائها والمحافظة عليها بل تذهب وتندى . - طارة : شيء مستعار .

## ج - الحكمة

وَأَيْنَ الشَّرِيكُ فِي الْمُرِّ أَيْنَا ؟  
وَإِنْ غَبَتْ كَانَ أَذْنًا وَعَيْنَا ؟  
رُجَلَةُ الْبَلَاءُ ، فَازْدَادَ زَيْنَا  
بَدَلُوا كُلَّ مَا يَرِثُكَ شَيْنَا  
أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبَرَايَا عَلَيْنَا !  
عَادَ كُلُّ الْأَنَامِ زُورًا وَمَيْنَا

خَيْرُ إِخْرَائِكَ الْمَشَارِكُ فِي الْمُرِّ  
الَّذِي إِنْ شَهِدَتْ سَرَكَ فِي الْحَيَّ  
مِثْلُ حَرِّ الْيَاقُوتِ ، إِنْ مَسَهُ النَّا  
أَنْتَ فِي مَعْشَرِ إِذَا غَبَتْ عَنْهُمْ  
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا  
لَا أَرَى لِلْأَنَامِ وَدًا صَحِيحًا  
الإيمان بالقصاص والقدر :

إِنَّ الطَّيِّبَ بِطِيَّبٍ وَدَوَائِهِ  
مَا لِلطَّيِّبِ يَمُوتُ بِالَّدَاءِ الَّذِي  
إِلَّا لِأَنَّ الْخَلْقَ يَحْكُمُ فِيهِمْ

## رأي في الصدالة :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأَمْوَارِ مُعَانِيَةً  
فَعِشْ وَاحِدًا ، أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشَرَّبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى  
وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضِي سَعْيَاكَ كُلُّهَا

المر : الامر الشديد . والاستفهام في البيت لاظهار اليأس من وجود هذا الاخ المخلص .

- شهدت : حضرت . كان اذنا وعيينا : دافع منك ضد من يقتلك . - حر اليقوت :

اليقوت الخالص ، وهو معدن كريم . البلاء : التجربة . - شيئاً : قبحاً وسوءاً .

- البرايا : الخلق ، والمفرد بريء . - عاد : سار . ود الانام : حب الناس . مينا :

كلباً وباطلاً . - دفاع مقدور : رد القذر .

مقارف ذنب : مركب ذنب . مجاهبه : مبتدئ منه . - القدى : ما يقع في الماء من تراب وغيره

والقدى هنا الخطأ الذي يقع فيه الصديق . والاستفهام في البيت للتفتي . - سعياها :

حسنه وآخلاقه ، والمفرد سجية ، والاستفهام للتفتي ايضاً .

## من مجالس الفرس

لابي نواس

### تعريف وتمهيد :

الشاعر هو «أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحكمي» المعروف بابي نواس ، ولد بالأهواز من بلاد الفرس حوالي سنة 145 هـ - 762 م من أم فارسية ، ونشأ في البصرة إحدى الحواضر العربية التي ازدهرت فيها الثقافة - درس أبو نواس الشعر وتخرج على يد الشاعر الكوفي الماجن والبة بن الحباب الأستدي ، ورحل معه إلى الكوفة فأخذ عن أئتها علوم اللغة والنحو والأدب ، وأجاد الشعر على طريقة شعرائها في الغزل والجنون ، وتأقت نفس أبي نواس إلى الاستزادة من غريب اللغة ، فاخرجه والبة مع قوم من بني أسد إلى البدائية ، فخالط العرب الخلف ، وأخذ عنهم ، ففصح لسانه ، وبعد إقامته مدة سنة بينهم انحدر إلى البصرة موطنه الأصلي ، وأقام بها ، ولكنه سرعان ما سُمِّيَ المقام فيها ، فتوجه إلى بغداد ، وانصل بحكامها ، ومدح الرشيد ثم ابنه الأمين .

وقد اشتهر أبو نواس بشعر اللهو والجنون ، ووصف كنوز مصر ورحلات الصيد كما عرف بشعوبيته وميله إلى أسله الفارسي ، ولكنه في أخريات أيامه عزف عن هذا اللون من الشعر ، وزهد في اللهو والجنون ، وتوفي عام 199 هـ - 813 م . ولابي نواس ديوان شعر يحتوي على زهاء ثلاثة عشر ألف بيت جمعت كل أغراض الشعر المشهورة وقد طبع هذا الديوان عدة مرات .

وفي حياة أبي نواس الأولى التي فتن فيها باللهو ، ومال إلى المتعة قال هذه الأبيات ويقال إنه من بالمدائن (عاصمة الفرس القديمة) مع بعض أصحابه ، وعدلوا إلى إيوان كسرى (ملك الفرس) فرأوا فيه آثارا تدل على اجتماع ندامى قبلهم ، فاستهواهم المكان وأقاموا فيه يشربون ، وسألوا أبا نواس وصف الحال فقال هذه الأبيات :

بِهَا أَثَرَ مِنْهُمْ : جَدِيدٌ وَدَارِسٌ  
وَأَضْعَافُ رَيْحَانٍ : جَنِيّ وَيَابُسٌ  
وَإِنِّي عَلَى أَمْشَالِ تِلْكَ لَحَابِسٌ  
بِشَرْقِي سَابَاطَ الدِّيَارِ الْبَاسِ  
وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْجُلِ خَامِسٌ  
جَبَّهَا بِأَنْواعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسٌ  
مَهَا تَدَرِّبَهَا بِالْقِسْيِيِّ الْفَوَارِسُ  
وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ

وَدَارَ نَدَامَى عَطْلُوْهَا وَأَدْلَجُوا  
مَسَاحِبُ مِنْ جَرِ الزِّفَاقِ عَلَى التَّرَى  
جَبَسْتُ بِهَا صَحِيْ، فَجَدَّدْتُ عَهْدَهُمْ  
وَلَمْ أَذِرْ مِنْهُمْ عَيْرَ مَا شَهَدْتُ بِهِ  
أَقْمَنَّا بِهَا يَوْمًا ، وَيَوْمَيْنَ بَعْدَهُ  
تَدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَنْجَدِيَّةٍ  
قَرَارُهَا كُسَرَى وَفِي جَنْبَاهَا  
فَلِلرَّاحِ مَا زَرَتْ عَلَيْهِ جُيُوبَهَا

## دراسة أدبية :

هذه مقطوعة شعرية قصيرة تتضمن فكرتها العامة وصف مجلس من مجالس الشراب الفارسية التي كثرت في عصر الشاعر ، وتتضمن أبيات المقطوعة فكرتين أساسيتين :

**الأولى** : وصف الدار التي نزل بها الشاعر بعض أيام مع رفاته ، وما بقي في تلك الدار من آثار الراحلين عنها ما بين آنية خمر وأعواد ريحان .

**الثانية** : وصف الشاعر مجلسه مع رفاته واستخدامهم كتووسا فارسية مصنوعة من ذهب ، ومحلاة بتصاوير فارسية .

وأفكار الأبيات – على هذا النحو – واضحة ، قربة التناول ، وهي مبنية على الملاحظة السريعة لما يحيط بالشاعر ؛ إذ ركز فيها على وصف محتويات الدار والكأس ، وامتاز في وصفه للكأس بالدقة ، واستقصاء جوانب الصورة التي جذبت انتباهه في حال امتلاء الكأس او فراغه وكثير من معاني هذه الأبيات جديدة مبتكرة .

وتسيطر على أبيات المقطوعة عاطفة هادئة معجنة ، ولعل مردها الى موامة هذا المكان لنفس الشاعر المحبة للهو وما يتصل به ، وكان من آثار تلك العاطفة حرص الشاعر على تسجيل عدد الأيام التي قضها مع أصحابه ، ودقة وصفه لكتووس الشراب في تعبير سهل وخيال قريب .

يقول «الجاحظ» عن هذه الأبيات : لا اعرف شعرا يفضل هذه الأبيات ، وقد أنسدتها أبا شعيب القلال فقال : يا أبا عثمان : لو نقر ( لحن ) هذا الشعر لطن ( لرن ) .

ومن خلال هذه الأبيات نتعرف شخصية قائلها ، فقد عاش أيام شبابه لا هيأ ، ماجنا ، مستهترا كما كان ولوعا بقول الشعر في مجالس الهو ، داعيا الشعراء الى التخلّي عن قديمهم في افتتاح قصائدتهم واستبدالهم بذلك وصف الخمر ، والإشادة بها ، يقول :

*صَفَةُ الطَّلْوَلِ بِلَاغَةُ الْقِدْمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لِابْنَةِ السَّكْرَمِ*

ولعل اهتمام الشاعر بمثل هذه المجالس راجع الى اصله الفارسي ، والى تعلقه بما خلف الفرس من ذكريات ، وافتاته بالحضارة الفارسية ، يدل على ذلك من الابيات : « حبتها بانواع التصاویر فارس » والفرس معروفوون منذ القدم بالييل الى الله ، والإفراط في شرب الخمر ، وكانوا يفرون في فنون كثيرة من اللهـ الطـيـب ، وـالـلـهـ الـخـبـيـث ، فـلـمـ عـادـ سـلـطـانـهـمـ فـيـ الدـوـلـةـ الـعـبـاسـيـةـ نـشـرـوـاـ مـعـ نـفـوذـهـمـ ، حـيـاةـ الـاـكـاسـرـةـ وـمـاـ كـانـ فـيـهاـ مـنـ حـضـارـةـ وـلـهـ وـعـبـتـ .

كذلك يدلنا على بعض ظواهر الحياة الاجتماعية في عصر الشاعر وببيته ، فقد اندفع بعض الناس الى اللهـ والمـلـعـنـةـ في عـبـتـ واستـهـتـارـ ، مـقـدـلـينـ فـذـكـ تـيـارـ المـجـوـنـ الـدـيـ وـفـدـ عـلـيـهـمـ مـنـ الـأـمـ الـمـفـلـوـبـةـ مـنـ فـرـسـ وـرـوـمـ ، وـكـانـ إـلـسـلـامـ قـدـ حـزـ جـزـ الـمـسـلـمـيـنـ عـنـ ذـكـ ، وـلـكـنـ الـعـصـرـ الـعـبـاسـيـ بـمـاـ سـادـهـ مـنـ حـرـيـةـ وـاسـعـةـ جـعـلـ بـعـضـ الـشـعـرـاءـ يـجـاهـرـوـنـ بـمـثـلـ هـذـهـ الـآـرـاءـ الـمـتـرـفـةـ الـمـنـافـيـةـ لـلـدـلـيـنـ وـالـأـدـابـ الـعـامـةـ .

لقد انتشر قول الشعر في الخمر و مجالسها على يدي أبي نواس ، و ظهر هذا اللون من الشعر الذي عرف فيما بعد « بخمريات أبي نواس » كما سار بعض الشعراء على هذا النوال ، فتأثروا به ، و تقلوا معانيه ، ومن ذلك قول السري الرفاء :

وَمَؤْسُومَةٌ كَاسَاتُهَا يَفْسَوَارِسٌ      مِنَ الْفُرْسِ تَمْفُو فِي الْمَدَامِ وَتَرْقُ  
أَقَابِلُ مِنْهُمْ كُلَّ شَاكِرٍ سِلَاحَةٌ      وَفِي يَدِهِ سَمَّ إِلَيَّ مُفَوَّقٌ  
كَانَ الْجَبَابَ الْمُسْتَدِيرَ قِلَادَةً      عَلَيْهِ وَتُسْوِيدِهِ الْمُدَامَةِ يَلْمُقُ

وتجدر الإشارة في ختام هذه الدراسة الى أن أبي نواس بأساليبه ومعانيه قد عدل عن كثير من أساليب العرب ومعانيهم وأوصافهم الى أشياء جديدة توافق بيته بأغراضها وتصوراتها فكانت مكانة أبي نواس بين شعراء عصره كما قال أبو عبيدة : « أبو نواس في المحدثين مثل أمرئ القيس في المتقدمين فتح لهم هذه الفتن ، ودلهم على المعانى ، وارشدتهم الى طريق الأدب والتصرف في فنونه » .

لكن فشو المجون والمتنة في ذلك العصر كان من الآثار السببية التي فضلت على الدولة العباسية ، وكذلك الحال بالنسبة إلى كل مجتمع يسلك السبيل نفسه ، فالمجتمعات الجادة لا تسمع بمثل هذا الأسلوب من الحياة العابثة .

## دراسة بلاغية :

تمتاز هذه المقطوعة الشعرية بوحدة موضوعها ، ووحدة الحالة النفسية الهدامة لقائلها ، ومن ثم كانت أساليبها خبرية ، لأن الشاعر في موقف الواصل المقرر لما يقع تحت بصره ، وتحمل تلك الأساليب معنى التعجب المشوب بالأسف كالأبيات الأولى ، والإمجاد كالأبيات الثلاثة الأخيرة التي وصف فيها الكأس وما ابنته يد الفنان الفارسي في نقشها ورسمها .

وقد اشتمل النص على بعض أساليب المجاز ، والأساليب المجازية نوعان :

الأول ما كانت علاقته المشابهة وهو الاستعارة في مثل قوله « شهدت به *الذى يار* » وهي استعارة مكنية .

والثاني ما كانت علاقته غير المشابهة وهو المجاز المرسل .

ونلاحظ أن خيال الشاعر في البيتين الأخيرين كان بمثابة آلة تصوير دقيقة جمعت في لوحتها الأدبية بين الشكل والحركة ، وتلك بعض ابتكارات أبي نواس في معانٍ الشعر وأساليبه ، وخاصة في شعر « الخمريات » التي أكثر فيها من المعانٍ المبتكرة ، والتشبيهات البدعة وفاق بذلك من سبقه من الشعراء .

اما الفاظ المقطوعة وأساليبها فقد اختار الشاعر منها ما كان موحياً معبراً عن إحساسه ومن ذلك قوله : حبست بها صحي - جددت عهدهم - واني على أمثال تلك لحابس . وفي العبارة الأخيرة تأكيد يدل على مدى ارتباطه بتلك المجالس وفضيله أطلال الحاضرة على اطلال البادية التي أعلن نورته عليها في أشعار أخرى .

والأعلام الفارسية ورود في هذه الأبيات ، ومنها : « سباباط » اسم مدينة ، و « كسرى » ملك الفرس ، وذلك من آثار اختلاط العرب بالدول المجاورة بعد الفتح الإسلامي .

وفي المقطوعة من المحسنات البدوية الطباق في البيت الأول بين جديد ودارس ، وفي البيت الثاني بين جني ويابس ، وقد جاء عقوباً بحسب متطلبات الموقف ، وفي البيت الأخير حسن تقسيم بين شطري البيت ، وكل هذه الألوان مما يعين على تقوية المعنى وتوضيحه ، فضلاً عن أثرها الإيقاعي الذي ترتاح إليه الآذان .

## مجمـل القـول

هذه مقطوعة شعرية ، موضوعها جديد ، وكثير من معانيها مبتكرة ، أفكارها سهلة قريبة ، بعيدة عن التعمق ، وعاطفة الشاعر فيها مزدوج من التحسن والإعجاب ، وقد اجاد الشاعر في استخدام الملائم من الألفاظ والأساليب ، وكان خياله مبتكرًا وقرباً ، ومحسناته البدوية بعيدة عن التكلف .

والأبيات من بحر الطويل ، وأجزاءه .

فعلن مفاعيلن فعلن مفاعيلن فعلن مفاعيلن فعلن مفاعيلن

## المناقشة :

- 1 - ماذا قال أبو نواس في وصف المكان الذي نزلوا به ؟
- 2 - ما الذي أثار انتباه الشاعر من أمور تلك الدار ؟ وعلام يدل اهتمامه بتلك الأمور ؟
- 3 - ينقل البيت الثالث انفعال الشاعر بال موقف ، وتجابه - وضح ذلك .
- 4 - علام يدل تحديد الشاعر للمكان الذي نزلوا به ، وللأيام التي قضوها فيه ؟ استخرج من المقطوعة أسلوباً مجازياً واشرحه .

- 5 - الى اي مدى كانت افكار الشاعر واساليبه ملائمة لروح العصر الذي عاش فيه ؟
- 6 - بم تمتاز هذه المقطوعة الشعرية من حيث موضوعها ، والحالة النفسية لقائلها ؟
- 7 - وضع جوانب اللوحة الفنية التي رسمها ابو نواس للناس في حال فراغها وامتلئها .
- 8 - استبدل بعنوان المقطوعة عنوانا آخر ، وانشر الابيات بأسلوبك .
- 9 - ما الجديد الذي ابتكره الشاعر في هذه المقطوعة ؟

---

### تدريب

#### السؤال الكتابي :

— يقال : الادب مرآة عصره — بين في ضوء دراستك لهذه الابيات حالة المجتمع العباسى في عصر الشاعر .

#### المقالة الأدبية :

— الادب الحق هو الذي يعني في ادبه بالنواحي الايجابية للمجتمع فصل القول في ذلك .

## نماذج من شعر أبي نواس :

### آ - الْخَمْرُ وَالْفَرْزُ

وَدَأْوِيْنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ  
لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتُهُ سَرَاءُ  
فَلَاحَ مِنْ وَجْهِهَا فِي الْبَيْتِ لَأَلَاءُ  
كَانَتْ أَخْدُهَا بِالْعَيْنِ إِغْفَاءُ  
لَطَافَةً ، وَجَفَّا عَنْ شَكَلِهَا الْمَاءُ  
حَتَّى تَوَلَّدُ أَنْوَارُهُ وَأَضْوَاءُ  
كَانَتْ تَحْلُّ بِهَا هَنْدُ وَأَسْمَاءُ  
وَأَنْ تَرُوحَ عَلَيْهَا الْإِبْلُ وَالشَّاءُ  
حَفِظَتْ شَيْئًا ، وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ  
فَإِنَّ حَظْرَكَهُ بِالسَّدِينِ إِذْرَاءً

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ  
صَفَرَاءُ ، لَا تَنْزِلُ الْأَحْرَانُ سَاحَتَهَا  
قَامَتْ بِيَأْرِيقَهَا وَاللَّيلُ مُعْتَكِرٌ  
فَأَرْسَلَتْ مِنْ فِيمِ الْإِبْرِيقِ صَافِيَّةً  
رَفَّتْ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى مَا يُمَازِجُهَا  
فَلَوْ مَرَجَتْ بِهَا نُورًا لَمَازَجَهَا  
لِتِلْكَ أَبْسَكِي ، وَلَا أَبْسَكِي لِتِلْكَ  
حَاشَا لِدَرَةٍ أَنْ تُبْنِي الْخِيَامُ لَهَا  
فَقُلْ لِمَنْ يَدْعِي فِي الْعِلْمِ فَلَسْفَةً  
لَا تَحْظِي الْفَقْوَ إِنْ كُنْتَ اُمْرًا حِرجًا

### ب - المدح

قال أبو نواس يمدح الخصيب أمير مصر من قبل هرون الرشيد :  
تَقُولُ الَّتِي عَنْ يَيْتَهَا حَفَ مَرْكَبِي عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَاكَ تَسِيرُ  
أَمَا دُونَ مِصْرٍ لِلْفَنِي مُتَطَلِّبٌ ! بلَى إِنَّ أَسْبَابَ الْغَنَى لَكَثِيرٌ !

دع : اترك . افراه : حض على شربها وتعريض . كانت هي الداء : كان هنا زائدة او ثامة . —  
صفراء : اي خبرة صفراء . سراء : سرور . — الليل مفتر : مظلم . للاء : ضباء . —  
لتلك ابكي : المشار اليه هو الخمرة الموصوفة بالإبيات السابقة . متزلة : منزل . هند  
واسماء : أسمان من عرائس الشعر العربي التي يرددتها شعراء العرب التقليديون ، وفي  
هذا البيت والذي يليه تعريف بالثقافة العربية والحضارة العربية . — الغرة : المؤلولة  
الكبيرة ، وقد جملها الشاعر عطنا للخمرة ، ولذلك منها من الصرف ، للملمية والثانين .  
الشاء : الفنم ، والمفرد شاة . — لا تغطى العفوره : لا تمنعه . حرجا : مشتدا في أمر  
الدين . اذراء : تحقر للدين ، والمخاطب بهذا البيت والذي قبله هو « ابراهيم النظام »  
شيخ المستزلة .

حفل مركببي : ارتحلت مطينتي او ناقتي مسرعة . عزيز علينا : صعب علينا . تسير : ترحل .  
وهذه المرأة التي يصف حزنها على فراقه هي امرأة الحقيقة ، او امراة خيالية على  
عادة شعراء العرب . مطلوب : مكان يطلب فيه . اسباب الفنى : وسائله المؤدية اليه . —

جَرَتْ فَجَرَى فِي جَرِيَّنْ عَيْرُ :  
 إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرُ  
 فَأَيَّ فَتَى بَعْدَ الْخَصِيبِ تَزُورُ  
 وَيَقُلُّمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ  
 وَلِكُنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ  
 يَحْلُّ أَبُو نَصْرٍ بِهِ وَيَسِيرُ  
 وَفِي التِّلْمِ يَزْهُو مِنْبَرٌ وَسَرِيرٌ  
 وَمِنْ دُونِ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ غَيْرُ  
 وَأَنَّ بِمَا أَمْلَتْ مِنْكَ جَدِيرٌ  
 وَلَا فَإِنِّي عَادِرٌ وَشَكُورٌ

نَقْلَتْ لَهَا وَاسْتَعْجَلَتْهَا بَسَادِرُ  
 ذَرِينِي أَكْثَرُ حَاسِدِيكِ بِرُحْلَةٍ  
 إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْخَصِيبِ رِكَابِنا  
 فَتَى يَشْرِي حُسْنَ النَّاءِ بِمَالِهِ  
 فَمَا جَازَةُ جُودَ ، وَلَا حَلَّ دُونَهُ  
 فَلَمْ تَرْعَنِي سُؤَدَادًا مِثْلَ سُؤَدَادِ  
 زَهَا بِالْخَصِيبِ السَّيْفُ وَالرُّمْحُ فِي الْوَغَى  
 جَوَادٌ إِذَا الْأَيْدِي كَفَنَ عَنِ النَّدَى  
 وَإِنِّي جَدِيرٌ إِذَا بَلَقْتُكِ بِالْمُنْيَ  
 فَإِنْ تُولِّنِي مِنْكَ الْجَيْلَ فَأَهْلُهُ

## ج - الحكمة

وَامْضِيْغَنْهُ بِسَلامٍ  
 لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ  
 مَفَالِيَقَ الْحِمَامِ

خَلِ جَنِيْبَكِ لِرَامٍ  
 مُتْ بِدَاءِ الصَّمَتِ خَيْرٌ  
 رُبَّمَا اسْتَقْتَحَتْ بِالْمَزْحِ

بوادر : دموع . فيه : اخلط من الطيب ، يريد أن الدمع امترج بالطيب . — ذريني : الريني . أكثر حاسديك برحالة الخ ... : يريد انركبني اجملك غنية من عطاء المدح و هذه كنایة بارمة من كنایات الطلب . — الدائرات : الأيام . تدور : تتبدل سريعاً ، فلا يبقى الا الذكر الحسن . — سؤدادا : شرف و مجد . — يمدحه في هذا البيت بالشجاعة والبيان ، وقوة السلطان . — الندى : الكرم .

خل جنبيك لرام : اجمل اسامية من يسيه اليك ، ولا تخاصمه . — مفاليق العمام : ابواب الموت المقلقة .

نِيَامٍ وَقِيَامٍ  
فَاهْ بِلْجَيَامٍ  
مِنْهُمْ وَالسَّيَامٍ  
الْقَصْدَ أَبْنَى لِلْحَمَامٍ

رَبَ لَفْظِي سَاقَ آجَالَ  
إِيمَانَ السَّالِمَ مِنَ الْجَمَّ  
فَالْبَسَ النَّاسَ عَلَى الصِّحَّةِ  
وَعَلَيْكَ الْقَصْدَ إِنَّ

## د - الزهد

فَلَتَحْمَدَنَّ مَغْبَثَةَ الصَّبْرِ  
وَأَذْخَرَ لِيَوْمٍ تَفَاضُلِ الدُّخْرِ  
تَسْمَعُ ، وَأَنْتَ مُحَشِّرُ الصَّدْرِ  
يَسْرُوُدُ الْمَلْكَى مِنَ الْعِطْرِ  
ظَهَرَ السَّرِيرُ ، وَظَلَمَةُ الْقَبْرِ  
ظَهَرَ السَّرِيرُ ، وَأَنْتَ لَا تَسْدِرِي ؟  
غُسِّلْتَ بِالْكَافُورِ وَالسِّدْرِ ؟  
وُضِعَ الْحِسَابُ صَيْحَةَ الْحَسَرِ ؟  
قَوْلِي لِرَبِّي ؟ بَلْ وَمَا عُذْرِي ؟  
أَقْبَلْتُ مَا اسْتَدْبَرْتُ مِنْ أَمْرِي  
أَسْفَى عَلَى مَا فَاتَ مِنْ عُرْيِي

إِصْبَرْ لِلْرِّ حَوَادِثِ الدَّهْرِ  
وَأَمْهَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ مِيَتَهَا  
فَكَانَ أَهْلَكَ قَدْ دَعَوْكَ ، فَلَمْ  
وَكَانُوكُمْ قَدْ عَطَّرُوكَ بِمَا  
وَكَانُوكُمْ قَدْ قَبَّلُوكَ عَلَى  
يَالَّيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْتَ عَلَى  
أَوْ لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْتَ إِذَا  
أَوْ لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْتَ إِذَا  
مَا حُجَّتِي فِيمَا أَتَيْتُ ، وَمَا  
أَنْ لَا أَكُونَ قَصَدْتُ رُشْدِي أَوْ  
يَا سَقْوَةَ تَا مِمْتَأْ اَكْتَسَبْتُ ، وَيَا

- القصد : الاعتدال في امورك . الحمام : السيد الشريف . -

مفہم الصبر : عاقبته او تراجعته . - الآخر : اعمل صالحًا . يوم تفاضل الآخر : مو  
يوم القيمة او الاخرة . - فكان : تفيد التخيل هنا ، وكذلك في الآيات السابقة .  
محشّر الصدر : ثبوت ، تخرج روحك من صدرك . - الهمجي : الموتى ، والفرد حالك . -  
السرور : نوع من الاشجار تفضل بمناه الموتى .

## فتح عمورية

لابن تمام

### تعريف وتمهيد :

الشاعر هو «أبو تمام حبيب بن أوس الطائي» (188 - 231 هـ) ينسب إلى قبيلة طيء العربية، ولد بقرية «جاسم» ياقليم حوران (قرب دمشق) حوالي سنة 188 هـ، ونشأ فقيراً وانتقل مع أبيه إلى دمشق، والتحق بعمل عند حايك هناك، ثم ترك دمشق إلى حمص، وكانت موهبة الشعر عنده قد بدأت تظهر، ثم غادر حمص إلى مصر، وعمل في سقي الماء بالجرة في جامع «عمرو بن العاص» بالفسطاط، واستمع في أثناء ذلك إلى العلماء والأدباء في جامع عمرو فتضجرت شاعريته، ونبغ في هذا الفن حتى فاق شعراء زمانه، ثم عاد إلى الشام، ومنها رحل إلى العراق، ولما ذاعت شهرته، وسمت في الشعر مكانته اتخذه الخليفة «المعتصم» شاعراً خاصاً له، فكان أبو تمام يمدحه، ويحضر غزواته، ويشيد بانتصاراته، ثم إن أبو تمام كان يحب الرحلة والتجول، ولذا فقد ظل ينتقل في المدن والبلدان، ويحصل بالكرياء والعظمة، وينال جوازتهم، ويتولى لهم بعض الوظائف التي لا يملونها إلا أهل التمقل والدراءة إلى أن توفي حوالي سنة 231 هـ بعد أن وضع اللباث الأولى للدرسة جديدة في الشعر تعنى بالمحسنات اللغوية، والزخرف البديعي إلى جانب عنایتها بالفكرة والمضمون. وخلف أبو تمام من الآثار الأدبية ديوان شعر يجمع مختلف فنون الشعر من مدح ورثاء ووصف وغزل وهجاء وفخر وزهد وعتاب، كما خلف منتخبات شعرية أشهرها كتاباً «الحماسة»، «فحول الشعراء»، وغيرهما مما جمع فيه عيون الشعر العربي في الجاهلية والإسلام.

كانت غارات الروم على ما جاورهم من البلاد الإسلامية لا تكاد تتقطع وفي عهد الخليفة المعتصم اعتدى الروم على «ذبيطرة» (\*) إحدى المدن العربية عام 223 هـ - 837 م وأسروا بعض أهلها من الرجال والنساء،

---

(\*) ذبيطرة : مدينة غربى الفرات فى شمال الشام فى الطريق الى الروم .

وحدث ان استفاثت منهم امراة عربية وصاحت « وامقصمه » فلما بلغ ذلك مسامع المعتض عزم على الثار ، وخرج على رأس جيشه لحرب الروم فاقصد فتح « عمورية » التي كانت حصنًا من حصون الروم ، وفيها ولد الإمبراطور ، ولم يأبه المعتض بتحذير المنجمين الذين قالوا له : إن الكتب تنبئنا بأن عمورية لا تفتح إلا في وقت نضج العنبر والتين ، وسار المعتض بجيشه فاحتل « انقرة » عاصمة تركيا الان ، ثم زحف الى « عمورية » ففتحها بعد أن أشعل النار في نواحيها وقتل نحو عشرة آلاف من جنود الروم وأسر كبار قوادهم . وكانت لذلك النصر فرحة عظيمة سجلها أبو تمام الذي كان يرافق الخليفة في هذه الحرب الظافرة ، فقال القصيدة التالية يرد فيها على المنجمين ، ويشيد بالنصر المبين ، ويصف المعركة ، وبمدح الخليفة المعتض :

**النص :**

(١)

السَّيفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ  
 فِي حَدِّهِ الْحَدَّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ  
 يِضْرُ الصَّفَاعِ، لَا سُودُ الصَّحَافِ، فِي  
 مُسْوِنَهِ جِلَاهِ الشَّكِّ وَالرِّيبِ  
 وَالْعِلْمُ فِي شَهْبِ الْأَرْمَاحِ لِأَمَّةٍ  
 بَيْنَ الْخَيْسَيْنِ، لَا فِي السَّبَعَةِ الشَّهْبِ

الكتاب : يقصد بها كتب المنجمين . في هذه : يعني حد السيف . الحد : الفصل بين الشيدين . الصفائح : جمع صفيحة وهي السيف البريسي . الصحائف : جمع صحيفه وهي ما يكتب فيه . متونهن : جمع متون وهو من الشيء ظهره ، والمقصود هنا جوانبها . جlah : كشف . الريب : جمع ريبة وهي الشك . شهب الارماح : الشهب جمع اشهب وهو الشيء الابيض الذي يخالط بياسه سواد قليل ، والمقصود الرماح اللامعة كالشهب . الخيميين : منش خبيس وهو الجيش الذي ينقسم الى خمسة اقسام هي القدمة والمؤخرة واليمينة واليسرى والقلب . السبعة الشهب : الشهب هنا جمع ثواب و هو الكوكب

(١)

نَظَمَ مِنَ الشِّعْرِ ، أَوْ ثَرَّ مِنَ الْحُطَبِ  
وَتَبَرُّ الْأَرْضَ فِي أَبْرَادِهَا الْقُشْبِ  
عَنْكَ الَّذِي حَقَّلَ مَعْسُولَةَ الْحَلْبِ

فَتُحْكَمُ الْفُتُوحُ ، تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ  
فَتُنَجَّلُ تَفَقَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ  
يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةِ انْصَرَفَتْ

(٢)

مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَاجَةُ الْكَرْبَلَاءِ  
إِذْ غُودَرَتْ وَحْشَةُ السَّاحَاتِ وَالرَّحِبِ  
لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّحْرِ وَالْحُشْبِ  
يُشْلِهِ وَسَطَّهَا صُبْحٌ مِنَ الْلَّمَبِ  
عَنْ لَوْنَهَا ، أَوْ كَانَ الشَّمْسَ لَمْ تَغْبِ  
وَنَلَمَّهُ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحَىِ شَحِبِ

أَتَتْهُمُ الْكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً  
جَرَى لَهَا الْفَالُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْفَرَقَ  
لَقَدْ تَرَكَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا  
غَادَرَتْ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضَحَىٰ  
حَتَّىٰ كَانَ جَلَابِيَّ الدُّجَى رَغِبَتْ  
ضَوْءُهُ مِنَ النَّارِ ، وَالظَّلَمَاءُ عَاكِفَةً

(٣)

لِلَّهِ ، مُرْتَفِعٌ فِي الْمُرْتَفِعِ  
يَوْمًا ، وَلَا حُجَّتْ عَنْ رُوحِ مُخْتَبِ  
إِلَّا تَقْدَمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعَبِ

تَدْبِيرٌ مُعْتَصِمٌ بِاللهِ ، مُشْتَقِمٌ  
وَمُعْطِمٌ التَّصْلِيلُ ، لَمْ تَكُنْ أَسْتَهِنْ  
لَمْ يَعْزُ قَوْمًا ، وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدِي

ويقصد بالشمب السبعة ، الكواكب السبعة وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والقمر وعطارد والزهرة . فتح الفتوح : اعظم الفتوحات . تعالى : اعظم . ابرادها : ابرادها . ابرادها : ابرادها . القشب : جمع ثيب وهو الجديد . حقلأ : جمع حاقل وهو الناقة التي يعطيه ضرها باللبن . مصولة العلب : حلوة اللبن . الكربة السوداء : الكارثة المظلمة . سادرة : منحرفة والقصد تحرير من الماء . الفال : توقيع الخير . نحسا : شوما . فودرت : تركت . وحشة الساحات والرحب : جهانها وأماكنها مخربة موحشة ، والرحب جمع رحبة . بهيم الليل : الليل الشديد الظلام . يشله : يطرده . الدجي : جمع دجية وهي الظلمة . ولبست عن لونها : كرمت لونها . عاكفة : مقيدة لم تصرف . شعب : متغير اللون . مرفقب : راغب ومحب . لم تکهم : لم تكل ولم تنسف . استه : جمع

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَغْنِي لَعَذَّا  
رَمَى بِكَ اللَّهُ بِرْجَيْهَا فَهَمَّهَا  
مِنْ بَعْدِ مَا أَشْبَوْهَا وَإِنْقَنَ بِهَا  
لَيْتَ صَوْتًا زِبَطْرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ  
لَمَّا رَأَى الْحَرَبَ رَأَى الْعَيْنَ نَوْفَلَسَهُ  
وَلَيَّ وَقَدَ الْجَمَّ الْخَطِيَّ مَنْطَقَهُ  
تَسْعُونَ أَلْفَانًا كَاسَادِ الشَّرَى نَضَجَتْ  
خَلِيفَةُ اللَّهِ، جَازَى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنْ  
بَصْرَتِ بِالرَّاحَةِ الْكَبِيرَ فَلَمْ تَرَهَا

### دراسة أدبية :

هذه الأبيات من قصيدة لابي تمام تعد من روائع الشعر العربي في الحماسة ، وغرضها العام هو وصف إحدى معارك المسلمين مع الروم ، والإشادة بانتصارهم . وقد استهل الشاعر قصيده بالإشادة بالسيف ، والدعوة الى الاعتماد عليه ، والتنديد بالتنجيم والمنجمين ، وهذا من الشاعر اتجاه جميل وجديد إذ خالف مالوف عادته ومالوف الشعراء من قبله حين كانوا يبدئون قصائدهم بالغزل . ثم انتقل الى التعبير عن نشوء الفرج بالنصر ، والابتهاج بالفتح المبين ، ثم وصف المعركة ، وصور مدينة « عمورية » تحت وطأة الحريق الذي اشتعل في جوانبها وترکها خراباً موحشاً ، وانتهى الى مدح الخليفة « المعتصم » بما يستحق من صفات الحزم والبطولة والهيبة ، وحماية الدين والدولة .

ستان وهو نصل الرمح . جحفل : جيشاً عظيماً . الوفى : الحرب . لجب : مختلط الأصوات التي تدل على كثرة المدد . أشبوها : أحاطوها بالحراس . المقل الاشب : الحسن النبع . لييت : اجبت مرعاً . هرفت : ارقت وطرحت . الكرى : النوم . الرضاب : الريق . الغرد : جمع خرود أو خريد وهي الفتاة البكر . العرب : جمع عروب أو مروبة وهي التحبة من النساء الى زوجها . توطلس : امبراطور الروم . العرب : الهلاك والوبيل . الخطى : الرابع . الصخب : اختلاط الأصوات ، والمقصود هنا ثورة النفس وهياجها . جرمومة الدين : اسله . بصرت بالراحة : عرفت طريقها .

وقد جاءت الأفكار في هذه الأبيات المختارة من القصيدة متتابعة متسللة ، والمعانى واضحة دقيقة ، تدور حول عدة نقط جزئية تكون في مجموعها موضوعا واحدا يصف معركة العرب مع الروم ، ويشيد بال الخليفة المتصرف .

كما أن عاطفة الشاعر فيها صادقة تنم عن سخط الشاعر على المنجمين ، وابتهاجه بالنصر ، وتقديره للخليفة المتصرف ، وإعجابه ببطوله وحسن تدبيره واعتماده على الله .

وتبدو لنا من خلال الأبيات ثقافة الشاعر الإسلامية في دعوته إلى أنه لا يعلم الغيب إلا الله ، وكذب المنجمون ولو صدقوا ، وأن النصر من عند الله ، كما تتجلى معرفته بثقافات عصره إذ حفلت القصيدة بالمعلومات الفلكية التي هي أثر من آثار الثقافة الأجنبية التي ترجمت إلى العربية في هذا العصر العباسي ، وإلى جانب ذلك فإن القصيدة تكشف عن الخصائص الفنية لابي تمام من دقة الفكرة وعمق المعنى ، وجودة التصوير والرسم ، والإسراف في استعمال المحسنات البديعية حتى اشتهر بين شعراء العربية بأنه من شعراء المعانى ، وأنه شاعر الألوان والزخرف .

وقد احتل أبو تمام مكانة أدبية مرموقة بين شعراء العربية ، وعرف له الخليفة المتصرف العباسي مكانته فأداناه منه ، وقربه إليه ، فكان أبو تمام يجالس الخليفة ويرافقه في حله وترحاله ، ويشهد معاركه ويمجد انتصاراته ولذا فإن إشعاره في هذا الميدان تسجل أحداث عصره ، ومفاخر أمته .

والنص يصور لنا جانبا من حياة المجتمع العباسي وهو انتشار التجارب وسيطرة المنجمين على عقول الناس برواياتهم الكاذبة وخرافاتهم المضللة ، كما يصور الكفاح الإسلامي في سبيل رد العداون الرومي عن الدولة الإسلامية ويطلعنا على أدواته وأسلحته .

### دراسة بلاغية :

كان الشاعر أبو تمام في مقام الموجه والواصف والمادح يحكى ويخبر دون حاجة كبيرة إلى الطلب ، ولذا غلب عليه في الأبيات استعمال الأسلوب الخبري الذي تنوّع أغراضه بين الإرشاد والتوجيه ، والسخرية والتهمّ ، والتمجيد والتعظيم .

اما الالوان البيان في النص فقد نجح ابو تمام كثيرا في تجسيد المعاني ، وإبرازها في صور محسوسة تتبع بين التشبيه والاستعارة والكتابية ، فمن التشبيه قوله « غادرت بهيم الليل وهو ضحى » . ومن الاستعارة قوله : « السيف أصدق إنباء - تفتح أبواب السماء له - تبرز الأرض في أبرادها القشب - انصرفت عنك المني حفلا ممسولة الحلب - يوما ذليل الصخر والخشب ». ومن الكتابة قوله : «فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم ... » فهذا تعبير تصد منه الكتابة عن عظمة هذا الفتح - وقوله : « تفتح أبواب السماء له ، وتبرز الأرض في أبرادها القشف » فهو كتابة عن فرحة كل من السماء والأرض بهذا الفتح . ولقد وفق الشاعر في تصويره حريق عموريه حيث ابدع غاية الإبداع في دقة الوصف وإبراز الالوان التي تبعث من الحريق يصارع كل منها الآخر وينغاليه ، كما وفق في رسم صورة امبراطور الروم في فراره وهزيمته .

وقد اتسم اسلوب الشاعر بالفحامة والجزالة ، وجاء ملائما لانفكار النص وغرضه الحماسي ، معبرا عن انفعالات الشاعر وأحساسه ، ودليل ذلك استعماله اسلوب القصر (وهو حصر شيء بأخر وتخفيضه به دون سواه) . ومن صور هذا الاسلوب في النص تقديم ما حقه التأثير كما في قول الشاعر : « في حده العد » حيث قدم الجار والمحورو لإفاده حصر المبتدأ في الخبر دون غيره ومن صوره أيضا في الأبيات استعمال حرف العطف « لا » في قوله : « العلم في شهب الأرماح لا في السبعة الشهب » ، وكذلك استخدامه النفي والاستثناء في البيت الاخير . والقصر من الاساليب البلاغية التي تحدد المعنى وتوكيده .

وقد اكثر ابو تمام من استخدام المحسنات البديعية ، ومال الى الإسراف في استعمالها ، إنك ترى في الجناس التام بين « حده العد » ، والجناس الناقص في « الصفائح والصحائف ، وال الحرب وال Herb » . وفي الطياب بين الجد واللعب ، وبيض وسود ، والفال ونحسا . وفي المقابلة بين نظم من الشعر ونشر من الخطب ، وبين شطري البيت الثاني عشر . الى غير ذلك من اساليب البديع التي تحفل بها الأبيات .

اما الفاظ النص فقد احسن الشاعر اختيارها ، وجاءت ملائمة للأفكار ،  
موحية بالمعاني التي عبرت عنها ، ففي إبراز عظمة الفتح وقيمه اتى بالألفاظ :  
فتح الفتوح - تعالى - تفتح ابواب السماء له - القشب . وفي تصويره  
لحريق عمورية استخدم الألفاظ التي توحى بالدمار والخراب من مثل :  
الكريبة السوداء - ساندة - نحسا - ذليل الصخر - الظلماء عاكفة . وفي  
مدح الخليفة والإشادة بصنعيه اتى بالألفاظ : مطعم النصل - تقدمه جيش  
من الرعب - جحفل لجب - الى غير ذلك من الألفاظ التي ناسبت المعنى ،  
وعبرت عن أحاسيس الشاعر .

### مجمـل القـول

هذا النص من قصيدة أبي تمام البارية التي أنسدتها في مدح الخليفة  
المتصمم حين انتصر على الروم في فتح عمورية ، وجاءت قصيده هذه  
مصورة لحال المجتمع في عصره سياسيا في معاركه المستمرة مع الروم ،  
واجتماعيا في سيطرة المنجمين على عقول الناس بأدائهم الضالة وروايتهم  
عن النجوم أشياء خرافية ، وتقافيا فيما تجلى في الآيات من معلومات  
فلكلية جاءت أثرا من آثار الثقافات الأجنبية التي ترجمت الى العربية ،  
وفيمما تجلى فيها من اتجاه الى تقدير العقل وقوة اليقين .

كما أبانت القصيدة عن شخصية أبي تمام الشاعر العربي المسلم  
المثقف صاحب الأفكار الدقيقة ، والمعاني العميقية ، والخيال الواسع ،  
والصور الحية ، والعبارة الجزلة ، والألفاظ الموجية ، والزخرف  
البديعي .

والقصيدة تفيض عواطفها بالسخط على المنجمين وأدائهم وتطفح  
ابتهاجا بالنصر المبين ، وتشيد بخليفة المسلمين . وهي من بحر البسيط  
وأجزاؤه .

مست فعلن فاعلن مست فعلن فاعلن      مست فعلن فاعلن مست فعلن فاعلن

## **المناقشة :**

**اولاً : اجب عما يلي :**

- 1 - بم استهل ابو تمام ابيات هذا النص ؟
- 2 - اعتمد الشاعر في ابيات المجموعة ( ١ ) على المقارنة لتوضيح فكرته اشرح ذلك .
- 3 - كيف استطاع الشاعر في المجموعة ( ب ) ان يظهر عظمة فتح عمورية ؟
- 4 - ما الحال التي كانت عليها عمورية قبل المعركة ؟ وكيف صارت بعدها كما تفهم من ابيات المجموعة ( ح ) ؟
- 5 - انشر بأسلوبك الابيات التي تصور حريق عمورية .
- 6 - ما ابرز الصفات التي وصف بها ابو تمام الخليفة المعتصم في ابيات المجموعة ( د ) ؟
- 7 - وما صلة هذه الصفات بالمعركة وتحقيق النصر ؟
- 8 - ما الصورة التي رسمها الشاعر لامبراطور الروم في فراره وهزيمته ؟
- 9 - وما الابيات التي عبرت عن ذلك ؟
- 10 - بم دعا الشاعر الخليفة المسلمين ؟
- 11 - تضمن البيت الاخير معنى يشير الى حكمة رائعة - وضع ذلك ، ثم ايت بحكمة اخرى تتفق ومعنى البيت .

**ثانياً : اعد قراءة الابيات ثم اجب عن الاسئلة الآتية :**

- 1 - ما رأيك في بدء ابى تمام لقصيدته بهذا المطلع الذي خالف فيه مأثور الشعراء قبله ؟
- 2 - الى اي مدى وفق الشاعر في الموازنة بين السيف وكتب المجنمين ؟ وما صلة قوله هذا بما جاء به الدين الإسلامي ؟

- 3 - في أبيات المجموعة (١) دليل على حرص أبي تمام على الصناعة اللغوية . ووضح ذلك مع التمثيل .
- 4 - « السيف أصدق إنباء من الكتب » وضع الصورة البلاغية في هذا الشطر .
- 5 - « بيبض الصفائح لا سود الصحائف ... ، العلم في شهب الارماح ... لا في السبعة الشهب » في كل من هذين التعبيرين قصر عن طريق العطف بكلمة « لا » . ووضح ذلك مع ذكر المقصور عليه ، وفائدة استعمال أسلوب القصر .
- 6 - يبدو أبو تمام في أبيات المجموعة (١) مصلحا اجتماعيا – اشرح ذلك . ثم ضع عنوانا مناسبا ل أبيات المجموعة (٢) .
- 7 - إلام يشير الشاعر بمشاركة السماء للأرض في الفرحة بهذا النصر ؟
- 8 - في البيت الرابع حشو ناتج من زيادة اللفظ على المعنى – وضع مكانه في البيت .
- 9 - في البيت السادس صورة مأخوذة من البيئة العربية – وضحها .
- 10 - ماذا تضمنت أبيات المجموعة (٣) ؟
- 11 - رسم الشاعر لوحة رائعة تصور هول الحريق الذي أشعله المعتصم في عورية – وضع في ضوء فهمك لل أبيات ، ملامح هذه اللوحة ، ثم حاول أن ترسمها بيديك على لوحة خاصة .
- 12 - يقال : « إن أبي تمام شاعر الألوان والآضواء » – استدل لصحة هذا القول بما ترى في أبيات المجموعة (٤) .
- 13 - كيف صور أبو تمام شخصية المعتصم في أبيات المجموعة (٥) ؟
- 14 - في أول أبيات المجموعة (٦) تقسيم أتى به الشاعر – ووضحه ، وبين قيمته في المعنى واللفظ .

15 - « الرعب الذي يقذف في قلوب الأعداء ، ويضعف روحهم المعنوية ، يكون عاملا أساسيا في النصر ». أين اشار الشاعر الى هذا المعنى في أبياته ؟

16 - قال الله تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » ، بين تأثير الشاعر بذلك في النص وحدد مكان ذلك في الآيات .

17 - في البيت العشرين الفاظ وحشية ثقيلة ، وأخرى عذبة مألوفة – أیت بمثل لكل منها .

18 - تنوعت أحاسيس الشاعر ، وتغيرت تبعا للأفكار التي تضمنها النص . اشرح ذلك .

19 - إلى أي مدى نجح الشاعر في اختيار الالفاظ العبرة عن معانيه وافكاره ؟

20 - تعكس هذه القصيدة ثقافة الشاعر الواسعة ، كما تعكس جانبا من حياة العرب السياسية والاجتماعية – اشرح ذلك .

## تدريب

### المقالة الأدبية :

— في عيد التحرير وقفت لتلقى كلمة تشيد فيها بصمود الشعب الجزائري في المارك الضاربة التي خاضها ضد العدو ، وتعجد كفاح الابطال واستبسالهم وتهنئ الامة بالنصر – فماذا تقول ؟

### السؤال الكتابي :

— عرف ابو تمام بدقة الفكرة وعمق المعنى ، كما عرف بخصب الخيال وحيوية الصورة ، وتميز بولوعه بالمحنات اللغظية والزخرف البديعي . وضع ذلك مستشهادا بما تجده في هذا النص ، وفي نصوص أخرى له .

## مما يلهم من شعر أبي تمام :

### أ - الـرثـاء

دَنَاؤه لابنه أبي علي :

إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَا  
مُؤْسَدًا فِي الشَّرَى يَمِينًا  
وَحَقَّقَ الرَّأْيَ وَالظُّنُونَا  
عَلَى الْمُصِيبَاتِ أَنْ يُعِيشَنَا  
وَكُنْتُ صَابِّاً بِهِ ضَيْنَا  
وَالْمَرْءُ لَا يَدْفَعُ النَّسُونَا  
لِلنَّوْتِ بِاللَّدَاءِ مُسْتَكِينًا  
لَا حَظَ ، أَوْ رَاجِعَ الْأَيْنَا  
يَنْعِمُ الْمَوْتُ أَنْ يُعِيشَنَا  
وَتَارَةً يُطْبِقُ الْجَفْنُونَا  
فِي جَدَثٍ لِلشَّرَى دَفِينَا  
قَدْ فَارَقَ الْإِلَفَ وَالخَدِينَا  
قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِهِ مَصْوُونَا  
عَلَيْهِ فِي النَّاسِ أَجْمِيعَنَا  
غَادَرَتِنِي مُفْرَدًا حَزِينَا  
صُبْنَخْ نَهَارِ الْمُصِيحِينَا

كَانَ الَّذِي حِفْتُ أَنْ يَكُونَا  
أَمْسَى الْمُرْجَحِي أَبُو عَلَيٌّ  
جِينَ اتَّسَمَّى وَاسْتَوَى شَبَابَا  
أَصْبَتُ فِيهِ وَكَانَ عِنْدِي  
كَنْتُ عَزِيزًا بِهِ كُثِيرَا  
دَافَعْتُ إِلَى الْمَنْسُونَ عَنْهُ  
آخِرُ عَهْدِي بِهِ صَرِيعًا  
إِذَا شَكَا غُصَّةً وَكَرْبَا  
يَدِيرُ فِي رَجْعِهِ لِسَانًا  
يَشَخُصُ طَوْرًا بِنَاظِرِهِ  
ثُمَّ قَضَى نَعْبَهُ فَأَمْسَى  
بِعِيدَ دَارِ ، قَرِيبَ جَارِ  
بَاشَرَ بَرَدَ الشَّرَى بِوَجْهِ  
بُنَيَّ بِا وَاحِدَةَ الْبَنِينَا  
هَوَنَ رُزْئِي بِكَ الرَّزَائِيَا  
آلَيْتُ أَنْسَاكَ مَا تَجَلَّى

كان : حدث ، ففي تامة . - صبا : موئلا . ضئينا : بخلاء . - المنون : الموت .  
مستكينا : خاصما . - لاحظ : نظر الى اهله مستفيضا . واجع الآيتين : ودده . -  
رجمه : تردده . - شخص : يفتح مينه ولا يغلقها . - ففي نعبه : مات . - اللف :  
الصاحب . العذينا : الزوج . - آليت النساء : انيست لا انساك . -

وَرَجَمْتُ وَالهُ حَسِنَا  
وَعَادَ لِي شَاهَةٌ شُوْفَوَانَا  
وَاجْتَعَ مِنْ طَلْحَتِي فَقُوَنَا  
وَخَفَقْتُ أَنْ يَقْطَعَ الْوَتِينَا  
فَشِنَّدَهُ مَرَّةً، وَلِيَنَا

وَمَا دَعَا طَائِرُ هَدِيلَا  
تَصَرَّفَ الدَّهْرُ بِي صُرُوفَا  
وَحَرَّزَ فِي اللَّخْمِ بِلَ بَرَاهَ  
أَصَابَ مِنِّي صَبِيمَ قَلْبِي  
فَالْمَرْزَ رَفِنْ بِحَالَتِيهِ

## ب - الزهد

وَأَنْتَ غَدَا فِيهَا تَمُوتُ وَتُقْبَرُ؟  
وَعُمْرُكَ مِمَّا قَدْ تُرْجِيَهُ أَقْصَرُ  
وَلِيَلَّتْهُ تَشَاكَّهُ إِنْ كُنْتَ تَشَمُّرُ  
عَلَى حَالِهِ يَوْمًا، وَإِمَّا مُؤَخِّرٌ  
عَلَيْكَ، فَمَا زالتَ تَخْوُنُ وَتَنْدَرُ  
وَلَا الرَّفْقُ إِلَّا رَيْشَمَا يَتَقَرِّيرُ  
عَلَى الْخَلْقِ إِلَّا جَبَلَ عُمْرُكَ يَقْصُرُ  
لَمْلَكَتْ مِنْهُ إِنْ تَطَمَّرْتَ تَهْمَرْ  
فَلَيْسَ يَسَالُ الْفَوْزَ إِلَّا المُشَرِّرُ  
فَإِنَّ الَّذِي تَحْمِيهِ يَوْمًا سَيَنْهَمُ  
إِلَيْهِ غَدَا إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَمْكُرُ  
بِأَثْنَائِهَا تُنْكُو إِلَيْهِ يَوْمَ تُشَفَّرُ

أَنْتَأْشِلُ فِي الدُّنْيَا تَجْدُّ وَتَفْمِرُ  
تَلْقِيَحُ آمَالًا، وَتَرْجُو تَنَاجِهَا  
وَهَذَا صَبَاحُ الْيَوْمِ يَنْعَالَةٌ ضَوْءُهُ  
وَرِزْقُكَ لَا يَمْدُوكَ: إِمَّا مَعْجَلٌ  
فَلَا تَأْمِنُ الدُّنْيَا، وَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ  
فَمَا تَمَّ فِيهَا الصَّفُوْ يومًا لِأَهْلِهِ  
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ، لَا وَلَا ذَرَ شَارِقٌ  
تَطَمَّرْ وَالْعِقْ ذَبَّكَ الْيَوْمَ تَوْبَةٌ  
وَشَيْرَ، فَقَدْ أَبْدَى لِكَ الْمَوْتَ وَنَجَمَهُ  
وَأَخْلِصَنَ لِدِينِ اللهِ صَدْرًا وَنِيَّةً  
تَدَكَّرْ، وَفَكِرْ فِي الَّذِي أَنْتَ صَائِرٌ  
فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَصِيرَ لِغُفرَقَ

طلحتي : شجري السوينينا : عرق في القلب

بعد : تصبح جديداً أو قديماً شاباً . - طلتح عمالاً : تجمل آمالاً . - نتاجها : نتاجتها أو تحقيقتها . - ينطلك : يغير بعوتك . - لا يمدووك : لا يتجاوزونك ، أو لا يفوقونك . - الصلو : السعادة . - الرفق : الكدر ، الشقاء . - لا يوشها يتغير : إلا مقدار المدة التي يتغير بعدها . - وما لاح نجم : وما ظهر نجم . - ذر شاريق : طلت الشمس من جهة الشرق . - وشمر : اجتهد في طامة اه . - لغفرقة : لقبر . - تطوي : تدفن . - التشر : يبتلك اه حباً لمحاسبتك على اهمالك .

## ج - الوصف

وصف الربيع :

ترى وجوه الأرض كيف تصوّر  
 زهر الربى ، فكأنما هو مُقْبِرٌ  
 حلَّ الربيع فلأنما هي مُنْتَرٌ  
 نوراً تَكَادُ لَهُ الْفُلُوبُ تَنَوَّرُ  
 فكأنما عين إلينك تَعْتَدُ  
 عذراء تَبَدُّو تَسَارَةً ، وَتَخْفَرُ  
 فتَيْنِي في خَلْمِ الرِّيحِ تَبَخْرُ  
 عصبٌ تَيْسَنُ في الْوَرَى وَتَمْضِرُ  
 دُرَرٌ تُشَقَّقُ قَبْلُ ، ثُمَّ تَزَعَّرُ  
 يَدُنُو إِلَيْهِ مِنَ الْمَوَاءِ مُعَضَّرٌ  
 مَا عَادَ أَصْفَرَ بَعْدَ إِذْ هُوَ أَخْضَرُ  
 خُلُقُ الْإِمَامِ وَهَدِيَّةُ التَّشِيرِ

يا صَاحِبَيَّ تَقْصِيَا نَظَرِيْكُمَا  
 تَرِيَا نَهَارًا مُشْبِسًا قد شَابَهَ  
 دُنْيَا مَعَاشَ لِلْوَرَى حتى إذا  
 أَضْحَتْ تَصْوَغُ بُطُونُهَا لِظُهُورِهَا  
 مِنْ كُلِّ ذَاهِرَةٍ تَرَقَقَ بِالشَّدَى  
 تَبَدُّو ، وَيَحْجِبُهَا الْجَمِيمُ ، كَانَهَا  
 حَىٰ غَدَتْ وَهَدَاهَا وَنِجَادُهَا  
 مُضْفَرَةٌ ، مُخْمَرَةٌ ، فَكَانَهَا  
 مِنْ فَاقِمِ غَضْرِ النَّبَاتِ كَانَهَا  
 أَوْ سَاطِعٌ في حُمَرَةٍ فَكَانَهَا  
 صُنْعُ الْذِي لَوْلَا بَدَائِعُ لَطْفِهِ  
 خُلُقُ أَطَلَّ مِنَ الرَّبِيعِ كَانَهَا

تقصيَا نظريْكُمَا : تبما جيدا مناظر الطبيعة في نهل الربيع . تصوّر : أسلها تصوّر ، أي تحدّث أشكالا وصورا عديدة . - شابه : خالطة . والقصد أن ازدهار الربى قد خفت ببيانها الناصع من نور الشمس عندما ظلت مليها ناصب النهار كأنه مقعر لا مشتم . - دُنْيَا معاش : كلمة دليا خبر لبنيه محدود تقديره الدنيا ، أو هي . نورا : زورا أبيب . تدور : تفتح . ذاهرة : زمرة جميلة . ترافق : أسلها تترافق أي تتلا بالتدى . تهدر : يهبط وبسيط دمعها . الجيم : النبات الكبير . تخلُّر : تستر نفسها بأوراق الجيم من جيانها وهداها : أماكنها المخففة . نجادها : أماكنها المرتفعة ، والمفرد نجد . - عصب : جماعات . تيمن : تنتسب إلى اليمن وهو أصحاب الرايات الصفر ، تهضر : تنتسب إلى مصر وهو أصحاب الرايات العمر . - فالفع : شديد المشرفة . تشلق قبيل : تشدق أولا . ثم تعلُّف : لم تسبغ بلون أصفر شبيه بلون الزعنفان . - ساطع : منتشر الراحلة . مصفر : ساطع بالصفر . - صنع الذي لولا بداعٍ لطفه : أي صنع الله تعالى . - الامام : القصود به الخليفة المتّبع الذي مدحه أبو تمام بهذه القصيدة وجمل وصف الربيع مقدمة للمدح . المنشر : المنشر .

## د - الحكمة

فَأَنْتَ وَمَنْ تُجَارِيهِ سَوَاءٌ  
وَيَخِيمُ عَنِ الْفَدْرِ السَّوَافَاءُ  
لَهَا مِنْ بَعْدِ شِدَّتِهَا رَخَاءُ  
أَفَادَتِي التَّجَارِبُ وَالْعَنَاءُ  
بَدَا لَهُمُ مِنَ السَّاَسِ الْجَفَاءُ  
وَيَقِنُ الْعُودُ مَا يَقِنُ الْحَيَاءُ  
وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَتِ الْحَيَاةُ  
وَلَمْ تَسْتَخِي فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

إِذَا جَارَتِ فِي خُلُقِ دَنِيَا  
رَأَيْتُ الْحُرَّ يَجْتَنِبُ الْمَحَازِي  
وَمَا مِنْ شَدَّةٍ إِلَّا سَيَانِي  
لَقَدْ جَرَيْتُ هَذَا الدَّهْرَ حَتَّى  
إِذَا مَا رَأَسْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَلَئِنْ  
يَعِيشُ الْمَرْأَةُ مَا اسْتَخِي بِخَيْرِي  
فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ حَيْثُ  
إِذَا لَمْ تَغْشَ عَاقِبَةَ الْبَالِي

جاريت : فعلت مثل فعله . دنيا : لتبما ساقط الأخلاق والشرف . سواه : متساوياً في العناة . — العناء : التعب والمشقة . — ما استخها : مدة حياته ، مما مصدرية ظرفية . — اللعاه : القشر .

# أيوان كسرى

## البحترى

تعريف و تمهيد :

« البحترى » لقب عُرف به الشاعر ، وهو ماخوذ من اسم أحد أجداده « بعتر » ، من قبيلة « طيء » ، إحدى القبائل اليمانية الشهورة . أما اسمه فهو « الوليد بن عَبْدِ اللهِ » ، وأما ثنيته فالبُو عبادة .

ولد البحترى عام 206 هـ في بلدة متّبع يشمال سوريا ، وهي بلدة معروفة بكثرة أشجارها ، وجمال مناظرها ، وفقرة مياهاها ، فكان لتلك البلدة الرائعة انزه بعيد في إلهاف حسنه ، وبراعته في الوصف .

نساق بادية حَلَبَ ، فاكتسب من نشاته فصاحة اللغة وجمال الأسلوب . ويدرك مؤرخوه أن قلبه تعلق ، في أول صيام ، بفتاة حلية تدعى « علوة » ، فظل يذكرها بشعره حتى آخر حياته المدينة ، كما يذكر أولئك المؤرخون أن البحترى اتصل في شبابه « ببابي تمام الطلاقى » الذي كان آنذاك شاعرا مشهوراً فاعجب بموهبة البحترى ، وفتحه وصية قيمة تضمنت أصول الصناعة الشعرية الجيدة ، ففاجأ شاعرنا من تلك الوصية ، أعظم فائدة .

وعندما وَقَى البحترى بشاعرِيَّتِه ذهب إلى بغداد ، عاصمة الخلافة الإسلامية ، ومدح « ابن الزيات » وزير « الواقع » ، وغيره من رجال الدولة ، لكنه لم يتصل بال الخليفة الواقع ، بل اتصل بابنه « المتوكل » الذي أصبح الخليفة بعد أبيه ، فعاش في كنفه وكفري وزيره « الفتاح بن خاقان » سِتَّ عشرة سنة لِقَى فيها كل حفاوة وإكرام . بَيْنَ أَن الشاعر شهد مقتل ولِيّ نعمته الخليفة المتوكل ووزيره الفتاح بن خاقان ، فحزن عليهما حزنا شديدا ، وعاد من بغداد إلى بلدته متّبع ، يمدح الخلفاء والقادة الذين جاءوا بعد مقتل المتوكل عام 247 هـ وكان ممن دحوه أعداء يكيد بعضهم لبعض ، فاضطر إلى هجاء بعضهم بعد مدحه إيه ، ولذلك نُسب إلى موقلة الوفاء .

وظل البحترى يتردد بين العراق ومنبع حتى وفاته أجله عام 284 هـ . وقد خلَّفَ عدَّة آثار أهمُّها ديوانه الفسخ ، وكتاب الحماسة الذي نَسَجَ فيه على منوال استاذه أبي تمام .

وفي ديوان البحترى فنونٌ شعرية كثيرة ، منها المدح والهجاء والرثاء والفخر والوصف والغزل وغير ذلك . إلا أن عبقرية الشاعر تجلت في الغزل ، وفي الوصف ، ولا سيما وصف آثار الحضارة والعمارة كما سترى . كما تجلت تلك العبقرية في دِيَاجَتَه ( اسلوبه ) الجميلة الصافية ، ومُصوَّره الطريفة الرائعة ، وموسيقاه العذبة الساحرة ، وقد عَرَفَ الناس منذ القديم هذه المزايا الفريدة فقالوا في كل دِيَاجَة جميلة : إنها دِيَاجَة بحترية . وسُئِّلَ شاعر الطيف ، وسُئِّلَ قصائدِه سلاسل الذهب ، وقالوا فيه : إنه أراد أن يَشْعُرْ فَتَنَّى .

ويبدو أن البحترى بعد مقتل التوكيل ووزيره المذكور بعدة اختلف الباحثون في تحديدِها، استبدلت به المعموم والأحزان ، ولا سيما بعد تسلط قادة الجيش على بغداد ، وبعد تنكُّر أحد أبناء عمِّه له ، فقام الشاعر بزيارة لإيوان كسرى ، أحد أطلال المدائن الواقعة على بعد ثلاثين كيلو متراً جنوب بغداد ، وقد قال عنه ياقوت في كتابه « **مُفَجَّمُ الْبَلْدَانِ** » : إنه من عجائب الدنيا ويقول المؤرخون المعاصرون : إن عَرْضَ القسم الباقي من الإيوان ويسمونه بطاقة كسرى ، هو خمسة وعشرون متراً ، وإن ارتفاعه يبلغ سبعة وثلاثين متراً . ولقد شاهد البحترى إيوان كسرى قبل أن تزول معظم أجزائه فاعجب به أشد إعجاب ، ونظم فيه سينيته الخالدة التي قال فيها الشاعر العباسى المشهور ابن المعتر : « لو لم يكن للبحترى إلا قصيدة فى إيوان كسرى لكان أشعر الناس ». .

وإليك فيما يلى أبياتاً مختارة من تلك القصيدة الفريدة وهي مقدار منها يساوي نصفها .

(١)

صُنْتُ تَقْسِي عَمَّا يُدْقِسُ تَقْسِي وَتَرَقَّتُ عَنْ جَدَا كُلَّ جِنْسٍ  
وَتَمَاسَكَتْ حِينَ زَعَزَعَنِي الدَّهْرُ التِّبَاسًا مِنْهُ لِتَقْسِي وَتَكْسِي

(٢)

حَفَرَتْ رَحْمِيَ الْمُسُومَ فَوَجَهْتُ إِلَى أَيْسَفِيَ الْمَدَائِنِ غَسِيَ  
أَتَسَلَّى عَنِ الْخُطُوطِ وَآسَى لِمَحْلِهِ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرْسِي  
ذَكَرَ نِسِيمَ الْخُطُوبِ التَّوَالِيَ وَلَقَدْ تُذَكِّرُ الْخُطُوبَ وَتُنْسِي

صُنْتْ تَقْسِي : حفظتها . تَرَقَّتْ : رفعت في مرأة واباه . جَدَا : مطاء . جِنْسٍ : ثيم .  
تَمَاسَكَتْ : تجلدت ولبت . زَعَزَعَنِي الدَّهْرُ : حركتني بعنف ، اتسابني . التِّبَاسًا : طلا .  
تَقْسِي : شقائي أو تعاستي . تَكْسِي : الدَّلَالِي ، وأصل التكس مودة المريض الى مرضه  
بعد البره . حَفَرَتْ رَحْمِيَ الْمُسُومَ : جعلت الاحزان وحل مهيا للسفر ، وأصل الرحيل ما  
يوضع على ظهر الناقة كالسرج للفرس . أَيْسَفِيَ الْمَدَائِنِ : قصر المدائن الابيض ، والعبارة  
من قبيل اشارة السنة الى الوسوف ، وأبيض المدائن هو احد قصور ايوان كسرى ،  
والدائن اسم لعاصمة الفرس في العراق قبل الاسلام ، وسميت بالدائن بدلا من المدينة  
لكبرها ، فتحها سعد بن ابي وقاص بعد معركة القادسية في العام الخامس عشر المجري .  
غَسِيَ : نافق . الْخُطُوطُ : جمع خط وهو نصيب الانسان من الخير والشر ، والمراد هنا  
الخطوط السيئة . آسَى : احزن ، وهو من اسي ياسى بمعنى حزن يحزن . محل من آل  
سَاسَانَ : مكان يال بناء آل سasan ، وهو ملوك الفرس الذين انتهى ملوكهم بعد الفتح  
العربي الاسلامي ، ويريد بهذا المحل ايوان كسرى . الْخُطُوبُ : المصائب الشديدة ،  
والفرد خطب . التَّوَالِي : المتالية .

فَكَانَ الْجَرْمَازَ مِنْ عَدَمِ الْأَنْسِ وَإِخْلَاقِهِ نَيْتَهُ رَمْسُ  
لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ الْتِيَالِيَ جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَى بَعْدَ عَرْسِ

فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَهَا  
كِيَّهَ اؤْتَهَتْ بَيْنَ رُومِ وَفُرْسِ  
وَالْمَسَايَا مَوَالِهِ، وَأَنُو شَرْ  
وَأَنَّ يَزْجِي الصُّفُوفَ تَحْتَ الدِّرَقَسِ  
فِي أَخْبَرَارِ مِنَ الْتَّبَاسِ، عَلَى أَصْفَرِ يَعْتَسَالِ فِي صَيْفَةِ وَرْسِ  
وَعِرَالَكَ الرِّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ  
فِي خُفُوتِ مِنْهُمْ وَإِغْمَاضِ جَرْسِ  
مِنْ مُشِيجِ يَهْوَيِ بِعَامِلِ رَمْحِ  
وَمُلِيجِ مِنَ السِّنَانِ بِتَرْسِ  
تَصِفُ الْعَيْنَ أَنَّهُمْ جِهَةُ أَخْيَا  
لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةُ خَرْسِ  
يَقْتَلِي فِيهِمُ اَرْتِيَابِيَ حَتَّى  
تَتَقَرَّاهُمْ يَسْدَايِ بِلَمْسِ

الجرماز : مغرب لفظة ( كرماني ) الفارسية و معناها الايوان . الانس : المؤانة ، ضد الوحنة . اخلاله : فساده ، وهو مصدر أخلق بمعنى وهن وفسد . بشة : بناء . دص : قبر . ماتها : اجتماعا خاصا بالحزن . اذا ما وابت : اذا رايت ، وما زائدة . صورة انطاكية : صورة معركة انطاكية ، وهي مدينة في شمال سوريا انتصر فيها الفرس على الروم عام 540 م فخلدوا انتصارهم العظيم برسم يمثل تلك المعركة على أحد جدران الايوان . اوتعت : خفت خوفنا شديدا . الشايا : جمع منبة وهي الموت . موائل : باديات للعين . انو شروان : هو كسرى الاول ( 531 - 579 م ) و قاتل الروم في معركة انطاكية الشهيرة ، اشتهر بحسن سياساته وتدبره . يزجي : يدفع . الفوش : اللم الكبير . والكلمة من الفارسية . على اصفر : على جواد اصفر ، فاللوسوف عدوه . يختال : يعيش الحياة ، وهي مشبة فيما يرباه والضمير في يعش او يختار عائد الى الجواد . في صيفة ورس : في حالة مصبوغة برس ، وهو ثبات اصفر يصعب به ، ويسمى الزعفران ايضا في خلوقت : في سكوت وهدوء صوت جرس : صوت خفي . العماض جرس : اي في صوت منخفض . مشيع : اسم فاعل من اشاح أمره اذا جه في حذر . عامل الرمع : صدره ، وهو ما يلي السنان . ملجم : اسم فاعل من الايج بثوبه او بسيفه اذا لمح به ، والمقصود هنا المحارب الذي وضع الترس بينه وبين مدوه فظير بريق ترسه ولعاته . تصف العين : يخبل اليها ، او يبدوا لها . جد احياء : احياء جدا . اضيفت الصفة الى الوسوف ، والمعنى انهم احياء كل الحياة ، او ان حياتهم حقيقة لا شك فيها . يقتلني فيهم ارتيابي : يشنط شكي في حقيقة المحاربين : هل هم احياء او غير احياء ؟ تتقرأهم : تتع لهم .

وَكَانَ الإِسْوَادَ مِنْ عَجَبِ الصَّنْعَةِ جَنُوبُ فِي جَنْبِ أَرْعَانِ جَلْسٍ  
 يَتَظَّلِّي مِنَ السَّكَابَةِ أَنْ يَنْدُو لِعِينِي مُصِّحٌ أَوْ مُمَسٌ  
 مُزَعْجًا بِالْفِرَاقِ عَنْ أَنْسِ إِلْفِرِ عَزَّ ، أَوْ مُرْهَقًا يَتَظَلِّي قِعْدَةً  
 عَكَسَ حَظَّهُ الْلَّيَالِي فَيَاتُ الْمُشْتَرِي فِيهِ وَهُوَ كَوْكَبُ نَحْسٍ  
 فَهُوَ يُسْدِي تَجْلِدًا وَعَلَيْهِ كُلَّكُلُ الْدَّهْرِ مُرْسِي  
 لَمْ يَعْنِهُ أَنْ بُرَّ مِنْ بُسْطِ الدِّيَبَاجِ وَأَسْتَلَ مِنْ سُتُورِ الدِّمَقْسِ  
 لَيْسَ يُسْدِرِي : أَصْنَعُ إِنْسِ لِعْنَ سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جَنْدِ لِإِنْسِ ؟  
 غَيْرَ أَنِي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ يَكُ بَايِسِ فِي الْمُلُوكِ نِسْكُسِ

---

الابوان : هو ابوان كسرى الذي قصده البحترى في رحلته ، ويطلقه الشاعر على القصور  
 التي بناها الفرس في عاصمتهم المدائن ، والابوان في قن البناء هو المكان المتسع من البيت  
 يحيط به ثلاثة جدران . جوب : فجوة . جنوب : سفح . ارعن : اي جبل ارعن ، وهو  
 الشديد الانتصاب . يتظلي : يظن بالبناء للمجهول . ان ييدو : اي وقت ان ييدو ، فهناك  
 مضارف . مصبع : اسم فاعل من صبع القوم اذا زارهم في الصباح . ممس : اسم فاعل من  
 من القوم اذا زارهم في المساء . مزعجا : مفعول به ثان للغفل يتظلي المذكور في البيت  
 السابق . الف : حبيب او صديق . عز : كان عزيزا عند صاحبه . مرهقا : مكلما او مجررا .  
 عرس : زوجة . عكست حظه الاليلي : ثبتت حظه فجعلته شقيا بعد ان كان سعيدا .  
 المشتري : احد الكواكب السيارة ، وطالمه سعد في نظر الاقدمين . كلكل : صدر ، وهو  
 البعير عادة ، وكلكل الدهر توابة وآلامه . مرسى : اسم فاعل من اوسى الركب اذا اتقى  
 مراسبه ووقف في المبناء ، وهنا ثابت ومستقر . لم يصبه : لم يتحقق به حبيب . بز : سلب ،  
 بالبناء للمجهول . الديباج : قوب سداء ولحمته حرير . العلس : الحرير الابيض  
 استل : انزع منه وجرد ، بالبناء للمجهول . النكس : الضعف الذي لا خير فيه .

( و )

فَكَانَتِي أَرَى الْمَسَارِبَ وَالْقَوْمَ  
 إِذَا مَا بَلَغْتُ آخِرَ حِبْسِي  
 وَكَانَ الْوُفُودَ ضَاحِينَ حَسْرَى  
 مِنْ قُوْفَةِ خَلْفِ الرِّحَامِ وَخُنْسِ

( ف )

عِصَرَتِ الْشُّرُورِ دَهْرًا فَصَارَتِ  
 لِلثَّمَرِيِّ رِبَاعُهُمْ وَالثَّاسِيِّ  
 فَلَمَّا آنَ أُعْيَنَهَا بِدُمُوعٍ  
 مُوقَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ حُبْسِ  
 ذَلَكَ عِنْدِي ، وَلَيْسَ الدَّارُ دَارِي  
 بِاقْتِرَابِهِ مِنَاهَا ، وَلَا الْجِنْسُ جِنْسِي  
 وَأَرَانِي مِنْ بَعْدِ أَكْلَفُ بِالأشْرَافِ  
 طُرَّا مِنْ كُلِّ سِنْخٍ وَأَسْتِ

كانى : يخيل الى . المرائب : مجالس الفرس هذه كسرى ، كل حب ربه الاجتماعية .  
 فهو حسى : نهاية تصوري . ضاحين : باززين للشمس ، والكلمة حال من حرى التي  
 هي خبر كان ، ومعنى حرى متبعون ، ضفاده والمفرد حرى . حبس : راجعين أو متاخرين  
 والمفرد اخنس . هرفت للسرور دهراً : سكن بها اهلها مسرودين لمنا طوبلا . التاسى :  
 التسبر ، وهو مصدر الفعل تأسى . الصبابية : العب والشوق . حبس : موقفة ومخصصة ،  
 والكلمة جمع مفرد حبيس . اولاني : اجد نفسي . اكلف : اولع واحب . سبنخ : اصل  
 اس : مبدأ . من بعد : اي من بعد الكلام الذي تقدم ذكره ، وبعد هنا ظرف زمان مبني  
 على الفض لانه مقطوع من الاصلة .

## ايضاح وتحليل :

مصفَّت بالبحترى رياح المعم ، فشَّدَ وحاله الى « المدائن » عاصمة الفرس ، والى « إيوان كسرى » الشهور ، عَلَيْهِ يلقى في هذه الزيارة شبيها له في همومه وأحزانه فيجد فيه بعض العزاء والسلوان ...

ويفتح الشامر قصيده بالحديث عن إياته وعزه نفسه فيقول : لقد حفظت نفسى من الدنيا ، وَنَرَهُتُهَا عما لا يليق بها ، وأبَيَتْ عطاء اللثيم النذر ، وأظهرتُ الكثير من الصبر والثبات حين تكبَّنى الدهر مُريداً شقائى وإذلالى . وعندما حلَّتْ بيَ الموم والأحزان اردت ان أستَرِي عن نفسي فقمت ببرحلة الى قصر أبيض المدائن ممتطياً ظهر ناقتي البيضاء ، لاتسَلَّى من حظوظي السيئة العائرة ، ولا جدد الحزن على آثار الفرس الساسانيين ، التي مَدَّتْ عليها العوادي فجعلتها اطلالاً بالية . ولقد ذكرت هذه الآثار بسبب النكبات المتالية التي أصابتني . وقد تكون احداها نكبة الخليفة المتوكِّل وقد تكون جفاء ابن عم له ، وقد تكون غير ذلك . ومصائب الدهر قد تذكر المرأة بعض الامور ، وقد تُنسِّبَ بعضها الآخر .

ثم يقف البحترى عند اثر من هذه الآثار الفارسية التي زارها ، وهو إيوان كسرى ، الذي ضُرب به المثل في المقطمة فيقول : لقد تغير حال الإيوان ، وتحوَّل من العزة الى الذلة ، ومن الرِّفعة الى الصَّمَة ، فامسى قبراً غمراً بعد ان كان قصر عامراً . ولو أنك زرته لعلمتَ عدوان الدهر عليه ، ولادركتَ كيف انتقلت حاله من السعادة الى الشقاء ، ومن السرور الى الحزن ، وتَبَيَّنتَ كيف كان من ماضيه في مُرسٍ ، فاصبح من حاضره في ماتم !

وفي الناء تَبَعُّول الشاعر في اطلال الإيوان تقع عيناً التَّقَادُّتان على رسوم رائعة تُوقَّتْ على أحد جدرانه ، وكانت تلك الرسوم التي تمثل حرباً شرُوساً دارت في مدينة اسطاكية بين جيشي الفرس والروم ، قد بلغت حداً بعيداً من الإتقان والروعه فيقول : فانت حين تنظر الى تلك الرسوم يخيل اليك لبراعتها انك ترى معركة حقيقة لا صورة لمعركة رسمت على الجدار ، فتخاف اعظم الخوف من اشباح الموت المائلة فيها ، إذ بدا كسرى يقود جيشه ، وهو يبحث جنوده على القتال ، تظلله الراية الملكية الكبيرة ، وكان كسرى في تلك الصورة يبدو مرتدياً لباسه الأخضر التقليدي ، ممتطياً ظهر جواد نشيط ، يختال في مشيه ، وعلى الجواد جُلُّ

أصفر لونه شبيه بالزغفران ، وكان رجال كسرى يحاربون الاعداء بين يديه ، وهيئتهم توحى بأنهم صامدون ، جادون ، لهول المعركة وضراوتها . وكان بعض هؤلاء الرجال يهوى بصدر رمحه نحو العدو في جد وحدر وكان بعضهم الآخر يتلقى ضربة حَضْمَه بالترس ... ترى هذه الصورة التي جاءت آية من آيات الفن والإبداع فيخيل للعين أن رسومها أشخاص حقيقيون لا رسوم فحسب ، ولكنهم أشخاص لا يتفاهمون بالصوت كحقيقة الناس ، وإنما يتفاهمون بالإشارة كالغرس ! .. وعندما كنتُ أتأمل هذه الصورة البارعة اشتد شتّي في حقيقتها ، فدفعني هذا الشك القوي إلى تتبع أجزائها باللمس لأعرف حقيقتها .

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك من وصف هذا المشهد الجرئي إلى وصف منظر الإيوان وحالته بشكل عام . والإيوان ، كما ذكرنا ، بناء رائع في ضخامته وعظمته ، إذ هو مكان عظيم الاتساع والارتفاع ، محاط بثلاثة جدران ، وله سقف يربو غلوه على ثلاثة متر . ويستبدل الإعجاب بالشاعر ذي الإحساس المرهف والمخلية الخاصة فيقول : كان هذا الإيوان ، لإتقان صنعته وضخامة شكله وشدة اتساعه وارتفاعه ، فجوة عظيمة في سفح جبل شديد الارتفاع والانتصار ، بيَدَهُ ان هذا الإيوان ، بسبب ما عليه من مظاهر الحزن والكآبة ، يبدو أمام عيني زائره في الصباح والمساء ، شبيها بحبيب فارقه حبيبه ، أو رجل ارغم على طلاق زوجه التي يحبها ...

ويمضي البحيري في رسم معالم الكابة البدائية على الإيوان قائلاً : لقد تنكر الدهر للإيوان العظيم ، وشيَّمه الدهر ان يتذكر للعظماء ؛ فبات سعده شقاء ، وأصبح عزه ذلا ، وصار كوكب المشتري الميمون الطالع كوكب شرم فيه ، وأصابه الدهر بنوائب ، فهدم قسماً كبيراً منه ، ولكن بقيت من الإيوان بقية تشهد بعظمته ، وتدل على مدى ثباته أمام النوائب والخطوب ... إنه لم يبق في الإيوان لأن شيئاً مما كان فيه من مظاهر الترف والثراء : فلا بسط من الدبياج ، ولا ستائر من الدمقس ! أجل لقد خلا الإيوان من كل أناث ورياش ، إلا أن ذلك لا يعييه ، لأن ما فيه من الرسوم والزخارف مضافاً إلى عظمة البناء وروعته أجمل من كل أناث ورياش ، ولذلك ظل الإيوان يوحى إلى زائره بالعظمة : فلا يدرى هذا الزائر : أكان الإيوان من صنع الجن أم من صنع الإنس ؟ ! ومهما يكن من شيء فإني أرى أن الملك الذي بناه لم يكن ضعيفاً بين الملوك ، لأن عظمة البناء تشهد بعظمة الباقي .

ثم ينتقل البحترى من هذا الوصف الواقعي لحاضر الإيوان الكثيب الى وصف خيالى لماضيه الراائع ، **فيحيى** أمام أعيننا مشاهد جميلة لهذا الماضي ، فيقول : يخيل الى ، إذا أغرت في الخيال والتصور ، انتي ارى الإيوان حين كان عامرا باهله ، وحين كانت حاشية كسرى تأتي الى مجلسه في هذا الإيوان ، فيجلس كل واحد من أفراد الحاشية في الموضع المناسب لمكانته الاجتماعية ... وحين كانت الوفود الكثيرة تأتي اليه من جميع الأنهاء ، فيكون جمع حاشد يقف بعضه في الشمس متعبا من شدة الحر والزحام ، ويقف بعضا آخر بعيدا عن هذا الزحام ، متخلقا عنه !!!

ثم يفيق البحترى من غيبوبته ، وينتبه الى الواقع ، فيقول : كانت ديار كسرى ميدانا للسرور يجري فيه القوم اشواطا بعيدة ، فاصبحت دياره الان مثارا للكآبة والحزن ، وباعثا على العبرة والعزاء ... ومن حق هذه الديار علي أن أبكيها بدموع حازة غزيرة ، وفتها على بكاء العظاماء المنكوبين من أحjem ، وتشوقني ذكرأهم !!! أجل لقد ثالت لمصير الإيوان ، وبكيت من أجله ، مع أنه ليس لي بدار ، ومع أن بانيه ليس من قومي ولا من شيرتي ، ولا غرّ في ذلك ما دمت إنسانا يحب الأشراف والعظماء من اي جنس كانوا .

### دراسة أدبية :

توجه البحترى الى اطلال المدائن ليتعزى بمشاهدتها عن المصائب المتالية عليه ، وقد كانت الرحلات ، وما تزال ، وسيلة من اهم الوسائل التي تسلى المحزون ، وتفرج المكروب ، كما يقرر ذلك علماء النفس !!!  
والبحترى ، في نظر نفسه ، شاعر لم يتنفس عصره عن مثله ، اقبلت عليه الدنيا ذات يوم ، فاذاقته حلاوة العيش ، وجعلته يجر مطارف المجد في قصور الخلفاء ، ولا سيما في ظل ولی نعمته المتوكل ، وزیره الفتح بن خاقان ، حيث قضى الشاعر ست عشرة سنة كانت ربیع عمره ، وزهرة حياته ... لكن الايام تغيرت عليه ، ففجعته بمقتل الخليفة المتوكل وزیره الفتح **بمرأى منه ومسمع** ، ثم اعقب مقتلهما عهد مليء بالفوضى والاضطراب فكثرت في هذا العهد **السميات والوشيات** ، ووهنت اخلاق الناس ، وانحلت روابط **القربي** ، وتفككت **عمرى الصداقة** ... ولم ينج الشاعر من آفات العهد المذكور ، إذ تغير عليه أصدقاؤه ، وتنكر له اقاربه وابناء عمه ، مع انه شاعر **مجيد** ، اکسب قومه وأقاربه م جدا شامخا ، وشرفا باذخا ...

والإيوان ، إيوان كسرى . مثوى الأكاسرة العظام ، ومقر حكمهم ، ومسرح عزهم وأمجادهم ، الإيوان الذي لم تعرف الدنيا في أيامه بناءً أعظم منه ولا أروع ... ويحدثنا التاريخ أن مملكة الفرس كانت مزدهرة قوية في القرن السادس الميلادي ، وهو القرن الذي بني فيه الإيوان ، وأن حدودها كانت محاطة بالأسوار المرتفعة ، كذلك سور الذي بناه كسرى في القرن المذكور ، فجعل عرضه ثلاثة ذراع ، وعلاه حتى الحقة بربوس الجبال ، ثم قاده إلى البحر ، وجعل عليه بابا ، و وكل به الحراس ... ويحدثنا التاريخ كذلك أن الفرس آنذاك أحرزوا انتصارات باهرة ، من أشهرها ذلك الانتصار الذي أحرزه كسرى على الروم في مدينة أنطاكية عام 540 م فخلده الرسامون على أحد جدران الإيوان ... وكانت الوفود تندو إلى هذا الإيوان وتزوره ، راجية مؤملة ، أو متدرة ثائبة ! . لكن الأيام عدت على الإيوان أي عدوان ، وعيشت به أسوأ عبث ، ... بيد أن ما بقي من الإيوان ظل دليلاً على عظمة ماضيه .

وهكذا وَحَدَّتْ المأساة بين الشاعر وبين الإيوان : فالشاعر في ماضيه وحاضره شبيه بالإيوان في ماضيه وحاضره : فكان ذلك الشبه مثيراً لهوموم الشاعر وأحزانه ودافعاً له على التذكر والتفكير والاعتبار ! .. ومن هنا كان للشاعر في قصيده غرضان رئيسيان ذكرهما بقوله :

**حضرَتْ رَحْلِي الْمُسُومُ فَوَجَهْتُ إِلَى أَيْضَنِ الْمَدَائِنِ عَنْسِي  
أَتَسَلَّى عَنِ الْحُظُوضِ وَآسَى لِمَحْلِلِ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرْسِ**

وفي الحق أن هذين الفرضين ، أي الترويع عن النفس ، والحزن على الآثار الفارسية الدراسية ، يطالعانا في مواطنَ عدَّة من القصيدة . أما الفرض الأول ، وهو الترويع عن النفس ، فقد تحقق بالرحلة إلى المدائن ومشاهدة آثارها . وأما الفرض الثاني فقد تم بالتأمل في اطلال تلك الآثار ، وتذكُّر ماضيها ، ووصف ما رأته العين ، وما وعنه الذاكرة وصفاً حياً أميناً يبدو فيه هذا التجاوب النفسي الرائع بين الشاعر وبين ما يصفه ، وتلك مزية فنية نادرة مبعثها الإحساس الصادق ، وهي مزية لا يوفق إليها إلا أفاد ذ الشعراء كصاحبنا البحترى .

والى جانب الفكرتين الاساسيتين اللتين أشرنا اليهما من قبل نجد افكاراً ثانوية أخرى مبثوثة في ثنياً القصيدة حسب الترتيب التالي :

يستهل البحترى سينيته مفتخرا بترفعه وإياباته ، وصبره على محن الدهر  
وشنائده أبيات الفقرة (١) .

ويذكر أسباب الرحلة الى الايوان : أبيات الفقرة (ب) .

ويصف الجرمائز او الايوان وصفا عاماً أبيات الفقرة (ح) .

ويقف عند مشهد جزئي يمثل معركة انطاكية التي جرت بين الروم  
والفرس : الأبيات من 8 الى 14 من الفقرة (د) .

ثم يعود الى وصف حاضر الايوان وضخامته ، ومظاهر الكابة البدية  
عليه : أبيات الفقرة (ه) .

ثم يصف ماضي الايوان ومظاهر عزه على أيام كسرى : البيتان الاول  
والثاني من الفقرة (و) .

ثم يخلص الى الحديث عن الاثر الذي تركه منظر الإيوان في نفسه ،  
ويبين أسباب حزنه عليه أبيات الفقرة (ز) !

ومن تبع الافكار التي جاءت في سينية البحترى ، بل في الأبيات التي  
اخترناها لك منها ، تبدو خطة الشاعر في عرض أفكاره ومعانيه ، وهي  
خطة منطقية ، يظهر منها حسن الارتباط والتسلسل ، كما تبدو فيها  
سلامة الدوق ، وجودة الاختيار : فمطلع القصيدة الذي حدثنا فيه الشاعر  
عن كابته وهو مومه هي جوا ملائماً للحديث عن كابة الإيوان العظيم المنكوب ،  
والحديث عن حاضر الإيوان الكثيب تمهد مناسب للحديث عن ماضي  
الإيوان المجيد ، وإن شئت فقل إنه قد يكون تعويضاً عما أحسه الشاعر من  
نقص في عناصر الجمال الحسى ، ومحاولة فلدة منه لبعث الحياة والحركة  
من جديد في تلك الاطلال البالية !

والافكار التي جاءت في اقسام القصيدة ملائمة لها كما يبدو للمتأمل  
فيها ، وقد غلب الوصف عليها فجاءت كلها فيه تقريباً ، وكان الوصف  
رائعاً لانه يقلب السمع بصرأ كما يقولون ! وذلك أن هذا الوصف غني  
متنوع تنتهي فيه الانوار والظلال والحركات ... ويخرج من ذلك كله  
مشهد حي للإيوان منحه الخلود على تطاول الزمان، وآية هذا الفن في  
الوصف والتنوع أن منه ما هو عام ، وما هو خاص ، كما ان منه ما هو  
واقعي ، وما هو إيداعي ، وكذلك منه ما هو مادي ، وما هو معنوي ،  
وأخيراً فمه ما هو من نصيب العين ومنه ما هو من نصيب الأذن ،

فوصف البحترى للجرماز ، ولضخامة الإيوان من قبيل الوصف العام الذي لا يُعْنِي فيه بذكر الدقائق والتفاصيل عنابة كبيرة ، وأما وصفه للصورة التي تمثل معركة انطاكيَّة فإنه من قبيل الوصف الخاص أو الجزئي الذي عُنِيَ فيه الشاعر بذكر الحالات النفسية ، ووصف الحركات والألوان والآصوات الخافتة ، ووقف فيه عند كثير من الدقائق والتفاصيل حتى أعاد المشهد كاملاً أمام أعيننا ، ولكن ليس بالخطوط والألوان كما يفعل الرسامون والمصورون ، بل بالحروف والكلمات كما يفعل الشعراء المبدعون ، وإن شككت في هذا فإنَّك وصف معركة انطاكيَّة وكانك تراها بعد أن خلدها البحترى في شعره :

ها هو كسرى أتو شروان تظله رايته الملكية الكبيرة ، وهو يزجي صفوف المحاربين الصامتين لهول المعركة وشدتها ، ويرتدى ثيابه الخضراء ، ويستطيع جواداً عليه سرج أصفر كالزغفران ، ... ! وما هو محارب يشد على عدوه بطمنة من رمحه ، وما هو محارب آخر يتلقى سلاح عدوه بالترس ، ... ! وما هي أشباح الموت تخيم في سماء المعركة ! حقاً لقد أعاد البحترى رسم صورة المعركة ، ولكن في ديوان شعره ، وليس على جدران إيوان كسرى ، وكان كسرى في الديوان أخلد منه في الإيوان ، وشتان بين فن يزول ويفنى ، وفن يخلد ويبقى !

ونزيد بالوصف الواقعي ذلك الذي يستمد الشاعر عناصره مما تقع عليه حواسه ، وهو الوصف الفالب على القصيدة ... .

ونزيد بالوصف الإبداعي أو الخيالي ذلك الذي يعتمد فيه الشاعر على ما تعيه ذاكرته أو ما تبعده فريجته مما لا تقع عليه حواسه ، ومثاله في السينية وصف البحترى لماضي الإيوان ، وحديثه عن منازل الفرس بين يدي كسرى ، وصور الوفود المتزاحمة حول الإيوان في حر الشمس ، وهذا يتحقق الشاعر في سماء الفن إلى حيث لا يتحقق إلا جناحاه .

ولا ننسى ذلك الوصف الذي مزج فيه الشاعر بين نفسه وبين الإيوان في مواضع عديدة من القصيدة ، ولا سيما في القسم الأخير منها ، وقد كان لهذا الأسلوب من الوصف أثره البعيد في نفوسنا ، اذ جعلنا نشعر بصدق مواطن الشاعر ، ونحس عميقها وحرارتها ، وندرك أن صاحبها ينقل علينا تجارب نفسية مر بها وذاقاها ... وهي عواطف متباينة ، يمتاز فيها الفخر بالحزن والإعجاب .

فالبحتري فخور ببأيائه وترفعه وصبره وتجده ... حزين على حظوظه العائرة ، وأماله الضائعة ، حزين لما آلت اليه المدائن عاصمة الفرس من وحشة وكابة وخراب ... وهو في الوقت نفسه معجب بما بقي من الآثار الفارسية إعجابا لا حدود له .. وقد كان هذا الإعجاب أحد العوامل التي دفعته الى زيارة تلك الآثار وتخلیدها في شعره ، بل كان سببا في دمعه السخين الذي ذرفه على اطلالها الموحشة البالية ، وهنا تُحسّن سُقُّو عواطف الشاعر ، وتحليقه في جو إنساني رفيع يتحطى به حدود البيئة والجنس .

وآثار العصر واضحة كل الوضوح في سينية البحتري ، وهو العصر العباسي الذي تمازجت فيه الثقافات الأجنبية بالثقافة العربية ، فدخل الى العربية من جرائه الكثير من الفاظ الامم الأخرى ، ولا سيما الفرس ، أقوى هذه الامم تأثيرا ، وأوسعها سلطانا ونفوذا في العصر الذي اظل شاعرنا البحتري ...

ومن الالفاظ الفارسية الواضحة في القصيدة ، لفظة « الإيوان » و « الجرماز » و « الدرفس » و « الدبياج » و « الدمقس » ، وقد عرفت معانيها من قبل ، ونحن لا نحس اي ثبو او عجمة في الالفاظ السابقة ، لأن يد الشاعر الملمّ عرّفت كيف تمسح عنها آثار العجمة ، وعرفت كيف تخضعها للشعر العربي وقوافيء ؟ ! .

وشخصية البحتري مائلة في هذه السينية من نواح عديدة : منها براعته في الوصف وافتئاته فيه ، ومنها ثقافة الشاعر التاريخية ، وإمامه بتاريخ الاسر الفارسية المالكة ، واطلاعه على عادات الفرس وتقاليدهم ... ومثل البحتري في ذلك مثل كثير من رجال الأدب والفكر في العصر العباسي ...

### دراسة بلاغية :

ذكرنا أن لسينية البحتري منزلة<sup>١</sup> كبيرة اشاد بها الكثير من الأدباء والنقاد في القديم وال الحديث . وما من شك في أن سينية البحتري لم تبلغ هذه المنزلة الرفيعة لو لم يكن لأسلوبها حظ عظيم من الإجاده الفنية . فما المزايا التي اتسم بها ذلك الاسلوب حتى حظيت بإعجاب النقاد والأدباء قديما وحديثا ؟

للإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن تُلْمِم بعبارات التصيدة ، والفاظها ، وان نبين طبيعة تلك العبارات واللفاظ من حيث الفعالة والبلاغة ، والاعتماد على الخبر والإنشاء ، والحقيقة والمجاز ، كما انه لا بد لنا من معرفة خصائص الموسيقى وعلاقتها بالموضوع والأفكار ، وبالوزن والقافية لأن أسلوب التصيدة هو حصيلة هذه الأشياء مجتمعة ...

فعبارات التصيدة جزلة قوية ، متينة السبك ، شديدة الاسر ، ليس فيها ضعف ولا تنازع ... وقد اعتمد فيها الشاعر على الأسلوب الخبرى دون الإنساني لأن الموقف موقف عزة واعتبار ، وتأمل وتفكير ، ووصف وتصوير ، والأسلوب الخبرى أكثر ملاءمة من الإنساني في مثل هذه المواقف ، كما اعتمد الشاعر ، في إبراز معانيه على طائفة حسية من التشبيهات والاستعارات والكتابات ،

فنع صور التشبيه ما تجده في الآيات الاول من الفقرة (ح) ، ذا الاول والرابع من الفقرة (ه).

ومن صور الاستعارة ما تجده في الآيات الثاني من الفقرة (أ) ، والثالث من الفقرة (ب) ، والثاني والسابع من الفقرة (د) ، والخامس من الفقرة (ه) .

وهناك كناية يبارزة في البيت الثامن اراد بها البحترى ان يعبر عن جودة الفن وبراعة التصوير ... والقارئ لا يشعر بأن البحترى يتكلف هذه الصور البينية لانه كان ذا مخيلة خصبة تسفعه بما يشاء من الاخيلة والصور، كما كان ذا طبع شعري أصيل ، وذوق ادبى سليم ، وعاطفة جياشة صادقة.

والفاظ السينية عذبة ، متألقة المعروف ، وهي مما قبلته الأذواق السليمة ، وصدقها الاستعمال الجيد ، وقل فيها الغريب النافر ، هذا ولا تتناقض الأحكام السابقة مع طول الشرح اللغوي لأن ذلك الطول يعود إلى هوامل منها وعورة القافية ، وطول الآيات المختارة ، وكثرة الاشارات التاريخية ... والبحترى في الغاظه ، فنان بارع ، يعرف كيف يختار اللفاظ المناسب للموضوع العام ، وللأفكار الخاصة بكل جزء من أجزاء التصيدة : فالفاظ الفخر قوية توحى بالثقة بالنفس « ترفعت ، تماستك ... » والفاظ الشكوى حزينة تشعر بالكآبة والوجوم « المهموم ، العظوظ آسي ، نرس » والفاظ الوصف معبرة تدل على رهافة الحس ، وصدق الشعور ، وسعة الخيال ، وسلامة الذوق ، وبراعة الفن ، ولذا اكثر الشاعر من ادوات التشبيه والتخيل ، فكرر كلمة « كان » عدة مرات ، كما اكثر من الكلمات

الدالة على الصور البصرية « لو تراه ، إذا ما رأيت ، تصف العين .. » وتبدو  
الخصائص السابقة جلية في القسمين الرابع والخامس أي في القسم ( د )  
والقسم ( ه ) .

وقد اختار البحتري كلماته من نوع معين تكثر فيه حروف الهمس وهي  
حروف السين والصاد والزاي ، وقد كان هذا الاختيار ملائما لجو الخشوع  
والهمس ، جو الإيوان الكثيب الخاشع الهامس ، الذي يفرض على زائره  
أن يخشع قلبه ، ويخفض صوته ، كما يفعل كل من يزور مكانا مقدسا  
جليلا ، وقد جاءت كلمات البحتري المهموسة لتعبر عن ذلك كله ، وتوحي  
 بذلك كله ! ولا تظهر هذه المزية جدا إلا حين تستبدل كلمات البحتري  
 الجميلة المهموسة بما يرادفها من كلمات أخرى غير مهموسة ، وخاصة  
 كلمات الشطر الأول من البيت الأول ...

وقد كان لاختيار الكلمات أثر بعيد فيما يسمى بالموسيقى الداخلية  
 للقصيدة ، وهي الموسيقى التي تنشأ عن اختيار كلمات معينة ذات خصائص  
 صوتية مناسبة للموضوع وللمعاني ، كما كان لاختيار الوزن الشعري ،  
 وهو البحر الخفيف ذو التفعيلات الرصينة الجادة الموحية بمعاني الجلال  
 والخشوع أثره الواضح في موسيقى القصيدة الرائعة ، الملائمة للموضوع  
 وللمعاني كذلك ! وهكذا جاءت موسيقى السينية حصيلة لما يسمى بالموسيقى  
 الداخلية الناشئة عن حسن انتقاء الكلمات والعبارات ، والموسيقى الخارجية  
 الناشئة عن حسن اختيار الوزن والقافية ، وقد رأينا أن البحتري كان موفقا  
 في كل ما أتى به .

وفي السينية محسنات بديعية قليلة ، مثل التصرير في البيت الأول ،  
 والطباقي في قوله « ماتما بعد عرس » وقوله « مصبج او ممس » وقوله  
 « جن وانس » ، ومثل الجناس الناقص في قوله « من مشيغ ...! ومليج »  
 إلا أن هذه المحسنات جاءت عفوية غير متكلفة ، لأن عنابة الشاعر كانت  
 متوجهة أولا إلى الوصف والتوصير وتوفيق المعاني حقها ، قبل أن تكون متوجهة  
 إلى الزخرفة الكلامية ، والركشة اللغوـية البدـيعـية ...

سينية البحتري نسيج وحدها في الشعر العربي ، ذلك ان وصف الآثار القديمة موضوع لم يطرقه شاعر عربي قبل البحتري ، فيما نعلم ، وقد كان الوصف هو الموضوع الغالب على القصيدة ، وهنالك أفكار أخرى الى جانب الوصف منها الفخر والشكوى والإعجاب بالحضارة الفارسية ... وكانت خطة القصيدة حسنة انتقل فيها الشاعر من الخاص الى العام ، ومن الجزئي الى الكل .

وقد اجاد الشاعر في هذه السينية [جادلة منقطعة النظير] ، لم يسبقه اليها سابق ، ولم يلحق به فيها لاحق ، وقد اسعفه في هذه الإجادة خيال خصب ، وإحساس صادق ، وطبع فياض ، وذوق سليم ، وعبارات رصينة جزلة ، وموسيقى شجيبة مؤثرة ... ومن اجل ذلك قال النقاد في السينية : « وصف البحتري إيوان كسرى ، فانتقل كسرى من الإيوان الى الديوان ، وكان كسرى في الديوان أخذ منه في الإيوان ». أما وزن القصيدة فهو البحر الخفيف ، وتفعياته :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

### المأشرفة :

- 1 - بم يفتخر البحتري في مطلع قصيده ؟ وما دواعي هذا الافتخار ؟
- 2 - لماذا توجه البحتري الى إيوان كسرى دون غيره عندما نبهه الدهر ؟
- 3 - ما الأثر الذي يتركه في نفسك وصف البحتري للجرماز ؟
- 4 - افتن الشاعر في حديثه عن الصورة التي تمثل معركة انطاكية ، اعد شرح الابيات المتعلقة بهذه الصورة بأسلوبك الخاص ، وبين سر براعته فيها .
- 5 - استخرج من وصف الشاعر للمعركة المذكورة « لوحة » فنية ، إن كنت من هواة الرسم ، ثم قارن ، بعد الانتهاء من عملك ، بين بلاغة الشعر وبراعة الرسم .

- 6 - ما الصورة التي رسمها الشاعر للإيوان في الأبيات من 15 الى 22 ؟ وهل أعجبتك تلك الصورة ؟ ولماذا ؟
- 7 - أكان الوصف الذي أورده البحترى في البيتين 23 و 24 مما تراه العين أم مما تعيه الذاكرة ؟ وماذا تسمى الوصف في ذيئك البيتين ؟ وضع إجابتك .
- 8 - هل يعجبك موقف الشاعر من الإيوان بعد زيارته له ؟ وعلى أي شيء يدل هذا الموقف ؟
- 9 - أكان وصف الشاعر يكتفي برسم المظاهر الخارجية أم كان وصفاً وجداً نياً ضمنه أحاسيسه ومشاعره ؟ وضع إجابتك .
- 10 - في السينية أبيات تدل على إعجاب الشاعر بالحضارة الفارسية . عين هذه الأبيات .
- 11 - قسم القصيدة الى أفكارها الأساسية ، وضع لكل قسم عنوانه المناسب .
- 12 - اذكر الأبيات التي تدل على عصر الشاعر وعلى شخصيته .
- 13 - في القصيدة عواطف متباعدة . حدد هذه العواطف ، وبين خصائصها .
- 14 - ما رأيك في أسلوب القصيدة ؟ اشرح خصائص هذا الأسلوب .
- 15 - استخرج التشبيهات والاستعارات المشار اليها في الدراسة البلاغية ، وبين جمالها الفني .
- 16 - في القصيدة موسيقى داخلية وخارجية ، اشرح كلاً منها ، ومثل له بما تراه مناسباً من أبيات القصيدة .
- 17 - استخرج أهم الألوان البدوية الواردة فيها ، وبين اثرها في القصيدة .
- 18 - ما الأثر الذي تركته سينية البحترى في نفسك ؟ وضع إجابتك توضيحاً كافياً .

## تدريب

### **المقالة الأدبية :**

— قمت بزيارة لأحد الأماكن الأثرية في بلادك الجزائر ، صف مشاهداتك وانطباعاتك على ضوء ما مر بك في سينية البحترى .

## أ - المدح

مدح التسوّل وتهنّته بعيد الفطر :

مُلْكًا يَعِسْنَهُ الْخَلِيفَةُ جَفَرٌ  
وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ  
تُعْطِي الرِّيَادَةَ فِي الْبَقَاءِ وَتُنْسِكُ  
فِيهَا الْمُقْلَلَ عَلَى الْغَنَى وَالْمُكْثَرَ  
وَبِسْنَةِ اللَّهِ الرَّضِيَّةِ تُفْطِرُ  
يَنْوُمْ أَغْرِيَ عَلَى الزَّمَانِيِّ مُشَهَّرٌ  
لِعَبِّ ، يُحَاطُ الدِّينُ فِيهِ ، وَيُنْصَرُ  
عَدَدًا يَسِيرُ بِهَا الْعَدِيدُ الْأَكْثَرُ  
وَالْيِضْنُ تَلْمَعُ ، وَالْأَسْنَةُ تَرْهَرُ  
وَالْجَوْوُ مُعْتَكِرُ الْجَوَابِ أَغْبَرُ  
طَوْرًا ، وَيُطْفِئُهَا الْعَجَاجُ الْأَكْدَرُ  
بِلْكَ الدُّجَى ، وَأَنْجَابَ ذَلِكَ الْعَيْرِ  
يُومًا إِلَيْكَ بِهَا ، وَعَيْنَ تَنْظُرُ  
مِنْ أَنْعَمِ اللَّهِ الَّتِي لَا تُكْفِرُ  
لَمَّا طَلَعَتْ مِنَ الصُّفُوفِ وَأَبْرَوا  
لَهُ لَا يُرْزَهُ ، وَلَا يَتَكَبَّرُ  
فِي وُسْعِهِ لَسَعَ إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ

اللَّهُ مَسْكِنُ الْخَلِيفَةِ جَعْفَرٌ  
نَعْمَى مِنَ اللَّهِ اسْطَفَاهُ يَفْضِلُهَا  
فَاسْلَمٌ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَزَلُ  
عَمَّا فَوَاضَلَكَ السَّرِيَّةَ فَالْتَّقَى  
بِالْبَرِّ صُمْتَ ، وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ  
فَالْعَمَمُ يَسَّوْمُ الْعِطْرِ عَيْنًا ، إِنَّهُ  
أَظْهَرَتْ عِرَّ الْمُلْكِ فِيهِ يَجْحَفِلُ  
خَنْدَنَ الْجَبَلَ تَسِيرُ فِيهِ وَقَدْ عَدَتْ  
فَالْحِيلَ تَصْمَلُ ، وَالْفَوَارِسُ تَدَعِي  
وَالْأَرْضُ خَائِسَةٌ تَمِيدُ بِشَقْلِهَا  
وَالشَّمْسُ مَاتِعَةٌ تَسْوَقْدُ فِي الضَّحَى  
حَتَّى طَلَعَتْ بِضُوءِ وَجْهِكَ ، فَاتَّجَلَتْ  
وَاقْتَنَ فِيكَ النَّاظِرُونَ : فَإِاصْبَعُ  
يَحْدُونَ رُؤْيَاكَ الَّتِي فَازُوا بِهَا  
ذَكْرُوا بِطَلَعَتِكَ التَّسِيَّ ، فَهَلَّوْا  
وَمَشَيْتَ مِشِيَّةً خَاشِعَ ، مُتَوَاضِعِ  
كَلَوْ أَنَّ مُشَتَّاقًا تَكَلَّفَ قَوْقَ ما

---

يقدّر : يضيق الرزق أو يمنه . — فواضلك : نعمك الكثيرة . — المقل : الفقر . — المكث :  
الفنى . — جحفل لعجب : جيش كثير المدد . — عددا : سلاحاً والمفرد عدة . — العديد :  
المدد . — تعنى : تفتخر بذكر أنسابها . — تره : تلالاً . — تميد : تحرك وتضطرب .  
معتكرة الجوانب : مظلوم الجوانب . — ماتعة : مرتفعة . — العجاج : الفبار . — الأكدر :  
الأسود . — أنجباب ذاك الشيء : زال ذلك الفبار .

## ب - الوصف

وصف بركة المتوكل في حديقته :

وَالْأَنْسَاتِ إِذَا لَاحَتْ مَعَانِيهَا  
تُمَدْ وَاحِدَةً ، وَالْبَحْرُ ثَانِيَهَا  
فِي الْحُسْنِ طَفُورًا ، وَأَطْوَارًا بُشَارِهَا  
كَالْخَيْلِ خَارِجَةً مِنْ حَبْلٍ مُّعْجَلَةً  
مِنَ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِهَا  
مِثْلَ الْجَوَاهِنِ مَصْفُولًا حَوَالِيهَا  
وَرَيْقُ الْفَيْثِ أَحْيَانًا يُسَارِكُهَا  
لَيْلًا حَسِبَتْ سَمَاءً رُكِبتَ فِيهَا  
لِبْعَدِ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا

يَا مَنْ رَأَى الْبُرْكَةَ الْحَسَنَاءَ رُؤْيَتَهَا  
بِحَسِيبِهَا أَنَّهَا فِي فَضْلِ رُتْبَتِهَا  
مَا بَالْ دِجلَةَ كَالْغَيْرِي تُنَافِسُهَا  
تَنَصَّبُ فِيهَا وُفُودُ الْمَاءِ مُعْجَلَةً  
كَأَنَّهَا النِّفَضَةُ الْبَيْضَاءُ سَائِلَةً  
إِذَا عَلَّتْهَا الصَّبَا أَبْدَتْ لَهَا حِبْكًا  
فَحَاجِبُ الشَّمْسِ أَحْيَانًا يُضَاجِكُهَا  
إِذَا التَّجْسُومُ تَرَأَتْ فِي جَوَانِيهَا  
لَا يَتَلَعَّلُ السَّمَكُ الْمَحْصُورُ غَائِبَهَا

## ج - الـرثـاء

رثاؤه للمتوكل الذي قتل بيد ابنه المتصر والمتأمر بن عليه من قادة الجيش  
عام 247 هـ :

وَعَادَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ جَيْشًا تَعَاوِرُهُ  
تَرَوِحُهُ أَذِيَالُهَا ، وَتُبَاكِرُهُ  
مَحَلُّهُ عَلَى الْقَاطِنُولَ أَخْلَقَ دَائِرَهُ  
كَأَنَّ الصَّبَا تُوفِيَ نُذُورًا إِذَا انْبَرَتْ

**معانيها:** مفردتها مفني وهو المنزل . والمقصود الماقسم المبنية حول البركة لاغتسال الجناري  
- ديتها : منزلتها . - تناصها : تسبتها في البهاء والحسن . - وفود : جمع واند .  
مجلة : مسرعة في تدفقها وجريانها . - السباتك : جمع سبكة ، البوترة التي تدوب  
فيها الفضة او هي القطة من الفضة ونحوها ذوقت وافرغت في قابل . - الصبا : ربع  
خفيفة لينة . ابتد : اظهرت . حبك : جمع حبكة ، ويراد بها تعجد وجه الماء ونکره .  
الجواثن : جمع جوشن وهو الدرع . - حاجب الشمس : بعض شعاعها وريق الفيث :  
اول المطر . - تراوحت : ظهرت . - نهايتها : نهايتها .

**القاطنول :** نهر صغير بالعراق بني حوله قصر الجموري الذي قتل فيه الخليفة المتوكل .  
الخلق : بلي . دائرة : بناؤه التهدم . صروف الدهر : مصائبه . تقادره : ثغيرة عليه . -  
الصبا : الربع الشرقي . تراوحة : تابه عشرة او عند الرواح . وتباكره : تابه بكرة

وَرَبَ زَمَانٍ نَاعِمٌ ثُمَّ عَهْدٌ  
 تَغَيَّرَ حُسْنُ الْجَعْفَرِيِّ وَأَنْسُهُ  
 تَحْمَلَ عَنْهُ سَاكِنُوهُ فُجَاهَةً  
 إِذَا نَعْنَ زُرْنَاهُ أَجَدَ لَنَا الأَسَيِّ  
 وَلَمْ أَتَسْ وَحْشَ الْقَصْرِ إِذْ رَيَ سَرْبَهُ  
 وَإِذْ صَيَحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ ، فَهَتَّكَ  
 وَمُفْتَصِبٌ لِلْقَتْلِ لَمْ يُحْشَ رَهْطَهُ  
 صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ السَّيُوفُ حُشَاشَةً  
 أَدَافِعُ عَنْهُ بِالْيَدَيْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ  
 وَلَوْ كَانَ سَيْفِي سَاعَةً الْفَتْكِ فِي يَدِي  
 أَكَانَ وَلِيَ الْعَهْدِ أَخْسَرَ عَذْرَةً  
 فَلَا مُلِيَ الْبَاقِي تِرَاثَ الدِّي مَضَى

---

او هند الصباح الباكر . - **الجعفري** : قصر الخليفة جعفر المنوك . - قوش : هدم .  
 بادي الجعفري وحافره : منازله البدوية والحضرية . - افت : صارت . - وحش القعر :  
 وحشه او نساؤه . سربه : جماعته . اطلاؤه وجاذبه : اطلاؤه : غزلاته ، والفرد على  
 جاذبه : اولاد البقر الوحشي ، والفرد جاذب ويضرب المثل بجمال عيني الغزال والجوزد  
 هذا ويتحمل ان يكون المقصود بالاطلاع والجاذب معنها الحقيقة اي الحيوانات التي كانت  
 في حدائق القصر فخرجت ملعونة ساعة مقتل المنوك ، ويتحمل ان يكون المقصود معنها  
 المجازي اي النساء والاطفال . - هتك : مزقت وشققت . استوار : جمع لستر ، وستاره :  
 جمع ستارة والمعنى واحد تقربيا وهو ما يستر به . - ومفترض للقتل : ورب مفترض  
 للقتل والمقصود به المنوك . وحظه : جماعته او انصاره . تختشم : تحترم . اسبابه :  
 جمع سبب ، واواصره : جمع آمرة ، والمقصود ملات القرابة . - صريع : مقتول .  
 تقاضاه : اي تقضاه ، بمعنى تطلب . حشاشة : بقية روح . - اعزل الليل حاسره :  
 الذي لا سلاح معه ، ويقصد به نفسه . - اساوره : احארبه . - ولی العهد : هو  
 المنتصر الذي تامر على قتل ابيه . - فلا مللي الباقي تراث الذي مرضى : لا متع له  
 المنتصر بترااث ابيه الذي مات .

## وصف وحيد المغنية

لابن الرومي

تعريف وتمهيد :

الشاعر هو «أبو الحسن علي بن العباس بن جريج» (221 - 284 هـ) المعروف «بابن الرومي»، ولد ببغداد سنة 221 هـ، وهو ينتسب الى الروم من ناحية أبيه، والى الفرس من ناحية امه، وقد نشأ في بغداد يطلب العلم، ويستفند بما كانت تزخر به مكتباتها وقتنى من العلوم والمعارف حتى تهيأت له ثقافة واسعة، وعلم غزير، واستقام له اللسان العربي استقامة كاملة، وقد أهلته ثقافته واستعداده الفطري لقول الشعر والنبوغ فيه حتى صار من أبرز شعراء العصر العباسي الأول؛ لما تميز به من رهافة الحس، وسرعة التأثر، وسعة الخيال، ودقة التصوير، وقد مات مسموماً على الأرجح سنة 284 هـ. ومن الآثار الأدبية لابن الرومي بعض رسائل نثرية كتبها الى بعض أصدقائه، وديوان ضخم في الشعر يضم أغراض الشعر وفنونه من مدح وهجاء ورثاء وفخر وغزل ووصف وعتاب وطرد، وغير ذلك.

وقد كان الاسترossal في الخلعة والمجون، وانتشار بيوت القيام، والإقبال على مجالس السمر والفناء نتيجة طبيعية للدخول العناصر غير العربية من فرس وترك وسريان وروم وغيرهم في الدولة العباسية، وتقلدهم أعظم المناصب فيها، وإحيائهم تقاليد مجتمعاتهم السابقة في المجتمع العربي الجديد، ونظراً لما حظي به الفنان والمفون من مكانة عالية في ذلك العصر صنف «أبو الفرج الأصفهاني» (284 - 365 هـ) كتابه الاغاني الذي جمع فيه أصوات الفنان وعيون الأغاني التي كانت شائعة في عصره، وترجم لقائلتها.

و«ابن الرومي» الذي عاش في ذلك العصر كان مع ما عرف عنه من عصبية في المزاج، وإفراط في التشاوئ يتعشق الجمال، ويحرص على التمتع بلذائذ الحياة قدر ما يتمنى له، وما تساعده الظروف عليه، وهذا النص ابيات له من قصيدة قالها في وصف المغنية «وحيد» التي فتنه جمالها، وراقه غناها، وصورة لمجتمع العصر الذي كثرت فيه مجالس اللهو والفناء ...

(١)

يَا خَلِيلَى تَيْمَنِى وَحِيدُ  
فَقُوَّادِي بِهَا مُعَيْدُ  
وَغَرِيرُ بِحُسْنَها قَالَ : صِنْهَا  
قُلْتُ : أَمْرَانِى بَيْنَ وَشَدِيدُ  
يَسْهُلُ الْقُولُ : إِنَّهَا أَحْسَنُ الْأَشْيَاءْ طَرَّاً ، وَيَصْبُرُ التَّخْدِيدُ

(٢)

تَسْتَئِي كَانَهَا لَا تُشَتِّي  
لَا تَرَاهَا هَنَاكَ تَجْحَظُ عَيْنَ  
مِنْ هُدُوقٍ وَلَيْسَ فِيهِ انْقِطَاعٌ  
مَدَّ فِي شَأْوِ صَوْتَهَا نَفَسٌ كَ  
فَتَرَاهُ يَمْوُتْ طَوْرًا ، وَيَخِيَا  
مُسْتَلِدٌ بَسِيْطَهُ وَالنَّشِيدُ

(٣)

وَتَرَ الرَّجْفُ فِي يَدِهَا مُضَامٍ  
عَيْهَا أَنَّهَا إِذَا غَنَتِ الْأَخْرَا  
رَظَلُوا وَهُمْ لَدَهَا عَيْدُ  
مَا لَهَا فِيهَا جَمِيعًا نَدِيدُ

يا خليلي : نداء للمغن المضاف الى ياه المتكلم معناه يا صاحبي . تيمتنى : ملكت قلبي .  
وحيد : اسم الفتنة التي يتحدث عنها الشاعر . معنى : مغلوب . عيده : امر منه المثلث .  
غريير بحسنها : الغريير قليل المعرفة والتجربة ، والمعنى رب مغبون بحسنها وجمالها .  
بين : سهل واضح . شديد : صعب . طرا : جميعا . الاوصال : الاطراف ، او مفاصل  
الامضاء . تجحظ : تبرز ، وجحظ المبنى صفة ثيبتها . يدو : يتفتح . وريد : عرق في  
العنق . هدو : المقصود هدوء الصوت وخفة . سجو : مصدر سجا ومنه مد الصوت .  
تبليد : انقطاع . شاو صوتها : غايتها وامتداده . بسيطه والنشيد : يقصد من البسيط  
الصوت الهادئ ، ومن النشيد الصوت العالى . وتر العزف : مكان احداث الصوت  
في الآلة الموسيقية . ممساه : ممالي ومشابه . وتر الرجف : مكان انطلاق السهم في الآلة  
العربية . ندييد : مثيل .

## **المناقشة :**

**اولاً : اجب عما يأتي :**

- 1 - من اللذان يناديهما الشاعر في البيت الأول ؟ وماذا يقول لهما ؟
- 2 - به وصف ابن الرومي جمال المغنية ؟
- 3 - ماذا كان جواب الشاعر لمن طلب منه ان يصف له جمال المغنية ؟
- 4 - عم يتحدث الشاعر في أبيات المجموعة (ب) ؟
- 5 - ما الصورة التي رسمها الشاعر للمغنية حال غنائها ؟ وماذا قال عن صوتها ؟
- 6 - ماذا تضمن حديث الشاعر في أبيات المجموعة (ح) ؟
- 7 - كانت وحيد تقوم بالعزف والغناء معا - اين تجد ذلك في النص ؟

**ثانياً : اعد قراءة الابيات ، ثم اجب عن الاسئلة الآتية :**

- 1 - هل كان ابن الرومي مجددا ام مقلدا فيما استهل به أبياته ، وفيما شبه به المغنية ؟ ووضح ما ترى .
- 2 - بين البيتين الرابع والخامس صلة - ووضحها .
- 3 - في البيت السادس حسن تقسيم ، وفي البيت السابع براءة تشبيهه - اشرح موضحا كل منها .
- 4 - تشير أبيات المجموعة (ب) الى ان الشاعر كان صاحب ذوق في الفناء ، ومعرفة بطرق الإبداع فيه - ووضح ذلك .
- 5 - في البيت التاسع تشبيهه - ووضحه ، وبين مدى ارتباطه بالبيئة .
- 6 - البيت العاشر اسلوب ظاهره ذم وحقيقة مدح واطراء - ووضح ذلك .
- 7 - هل كان الشاعر صادق العاطفة في حبه لتلك المغنية ام انه كان مفتونا بجمالها المادي ؟ ووضح ما ترى .

- 8 - ما مدى ملاءمة الشاعر بين المعاني والكلمات التي تعبّر عنها ؟ وضح مع التمثيل .
- 9 - يعكس هذا النص صورة من حياة المجتمع في عصره - اشرح هذا القول
- 10 - قسم الآيات إلى أفكارها الأساسية ، ثم اختر فكرة منها وخصها بعديد من الإيضاح والتحليل .

### تدريب

#### المقالة الأدبية :

— يؤودي الفن دورا هاما في بناء المجتمعات ، كما يلعب دورا خطيرا في هدمها .  
فكيف نجعل من الفن أداة بناء لا معلول هدم ؟

#### السؤال الكتابي :

— عرف ابن الرومي بالقدرة على التحليل ، واستقصاء المعاني وبراعة التصوير - ووضح ذلك مع الاستشهاد بأمثلة من النص .

الوصف - آ

## اولا - وصف غروب الشمس

وَقَدْ رَتَقَ شَمْسُ الْأَصِيلِ ، وَنَفَضَتْ

عَلَى الْأَفْقِ الْفَرْبِيِّ وَرَسَا مُدَعَّدًا

وَدَعَتِ الْدُّنْيَا لِتَقْضِي نَجْمَهَا  
وَلَاحَظَتِ السُّوَارَ وَهِيَ مَرِيضةٌ  
كَمَا لَاحَظَتِ عُسَوَادَهُ عَيْنَ مُذَقْفَهُ  
وَفَلَّتِ عَيْنُونُ التُّورِ تَخْضُلُ بِالنَّدَى  
يُرَايِنَهَا صُورًا إِلَيْهَا رَوَانِيَا  
وَبَيْنَ إِغْصَاءِ الْفَرَاقِ عَلَيْهِمَا  
وَقَدْ ضَرَبَتِ فِي خُضْرَةِ الرَّوْضِ صُفَرَةً

وَأَذْكَرَ نَسِيمَ الرَّوْضِ رَيْقَانَ ظَلَّهُ وَغَنَى مَعْنَى الطَّيْرِ فِيهِ وَسَجَّعَهَا مِنَ الشَّمْسِ فَاخْضَرَ أَخْضَرَارًا مُشَعَّشَعًا

وتفتت : بسطت اشعتها . ورسا : أشعة صفراء كالورس . ملعلتها : مفرقا . - لتفصي  
نفعها : لتفتب . شول عمرها : نقص . تشعضا : لم يبق منه الا القليل . - النوار :  
الزهر الابيض . المرعا : ذليل . والمحصور أنها فابت وراء اليابسة . - هواه : زائرته  
في المرض والمفرد عائد . مفت : مريض اشرف على الهملاك . اوصادبه : اوجاعه والمفرد  
وسب . - تحفل : بليل . الفرورقت : تجمع الدمع فيها . الشعجي : الحزين . يراعيتها :  
يراقبناها ، وسمى النسوة يمود الى هبارة « ميون التور » المذكورة في البيت السابق .  
صودا اليها : مائلات الاصناف ، والمفرد سوراء . روأيتها : مدباتيات النظر اليها . الشجو :  
الحزن . - وبين افشاء الفراق عليهما : ظهرت على الشمس والنور آثار الافتاء وهو  
الاظلام بعد غروب الشمس . - فبريت : خالط . مشعشعا : ممزوجا بالصفرة . واذى  
نسبيم الروض ديمان الله : وهب نسيم الروض على نباتاته ذات الفلال المتداة فجعلها  
ذكبة اي منشرة الرائحة . سعها : ردد صوره عند الفناء .

## ثانياً - وصف قالب الزلابية

رُوحي الفِداء لَهُ مِنْ مُنْصَبٍ تَعِبُ  
فِي رِقَّةِ الْقِسْرِ وَالْتَّجْوِيفِ كَالْقَصْبِ  
كَالْكِيمِيَاءِ الَّتِي قَالُوا ، وَلَمْ تُصِبِ  
يَقْلِي الْعَجِينَ لِجَيْنَا مِنْ آنَامِهِ

وَمُسْتَقِرٌ عَلَى كُرْسِيِّهِ ، تَعِبٌ  
رَأْيُهُ سَحْراً ، يَقْلِي زَلَابِيَّةً  
كَانَمَا رَيْتُهُ الْمَقْلِيَّ حِينَ بَدَا  
فَيَسْتَعِيلُ شَبَابِيَّكَأَ مِنَ الدَّهَبِ

## ثالثاً - وصف خباز الرقاقة

يَدْحُو الرُّقَاقَةَ وَشَكَ اللَّمْعَ بِالْبَصَرِ  
وَبَيْنَ رُؤْيَتِهَا فَقُورَاءَ كَالْقَمَرِ  
فِي صَفَحةِ الْمَاءِ يُزْمَى فِيهِ بِالْحَجَرِ  
مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ حَبَّازًا مَرَاثِيْ بِهِ  
مَا بَيْنَ رُؤْيَتِهَا فِي كَفِيلِ كُرَّةِ  
إِلَّا يُقْدَارُ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةً

## رابعاً - وصف الأحذب

فَكَاهَةُ مُتَرَّصٍ أَنْ يُضْفَعَا  
قُصْرُتْ أَخَادِعَهُ ، وَغَارَ قَدَّالَهُ  
وَكَانَتْ صُفَعَتْ قَفَاهُ مَرَّةً  
فَكَاهَةُ مُتَرَّصٍ أَنْ يُضْفَعَا

---

منصب : منصب . - الكيمياه : يزيد به البحث عن الحجر الذي يحول جميع المعدن الى ذهب في زرم العدماء ، ويبدو أن الناس في عصر ابن الرومي قد تأكدوا من بطلان ذلك الزرم الفاسد ، ولذلك قال : لم تصب . - لجيئنا : أبيض كاللجين وهو الفضة . - يدحو الرقاقة : يسط نعلمه الخبر . وشك : سرعة . - قوراء : واسعة ومتذكرة . - تنداح : تبسط . صفة الماء : وجهه .

اخادعه : الاخادع جمع اخدع وهو عرق في جانب العنق ، وهو اخذعان . قدادله : القدار ما بين الاذنين مؤخر الرأس . متربص : متضرر او متوقع .

## ب - الهجاء

### هجاء اللحية الطويلة :

فَالْمَخَالِي مَعْرُوفَةُ الْحَمِيرِ  
وَلَكُمَا يَغْيِرُ شَعِيرِ  
فِي مَهَّتِ الرِّيَاحِ كُلَّ مَطِيرِ  
فَأَخْتِسَمَا شَرَارَةً فِي السَّعِيرِ  
يَشْهَدُ اللَّهُ فِي أَثَابِ كَيْرِ  
رَبَّهُ بَغْدَهَا صَحِيحَ الضَّمِيرِ  
يَا تَهَامِ الْحَكِيمِ فِي التَّقْدِيرِ !  
جَوَرَ اللَّهُ أَيْمَانًا تَجْهُوِيرِ !  
فَإِلَيْهَا يُشِيرُ كُلُّ مُشِيرِ  
قَطْ إِلَّا أَهْلَ بِالْتَّكْبِيرِ .

إِنْ تَطْلُنْ لِحَيَّةٍ عَلَيْكَ وَتَعْرُضِ  
عَلَقَ اللَّهُ فِي عِذَارِيْكَ مِخْلَةً  
لَوْ غَدَا حَكْمَمَا إِلَيَّ لَطَسَاتُ  
الْقِمَّا عَنْكَ ، يَا طَوِيلَةً أَوْلَا  
أَرْعِ فِيهَا الْمُوسَى فَإِلَيْكَ مِنْهَا  
أَيْمَانًا كَوْسَاجِ يَرَاهَا فَيَلْقَى  
هُوَ أَخْرَى إِنَّ يَشْكَ ، وَيَعْرِي  
مَا تَلَقَّاكَ كَوْسَاجَ قَطْ إِلَّا  
لِحَيَّةً أَهْمِلَتْ فَسَالَتْ وَفَاقَتْ  
مَا رَأَتْهَا عَيْنَ امْرِيْ ، مَا رَأَاهَا

المخلة : وماء لطف العماد ، يعلق في رقبته ، وجمجمها مخالي . - القها عنك : ارمها واطرحها ، والمخاطب هو صاحب اللحية الطويلة . يا طولية : ايتها اللحية الطويلة .  
ولا : واذا لم تلق لحيتك اي تحلقها . فاحتبسها : فاجملها محبوسة او موقنة على النار ، لأن صاحب اللحية الطويلة ، في رأي الشاعر ، ملنبا يستحق النار . - ادع فيها الموسى : اجمل الموسى ترعاها كما ترعى الماشية المشب ، اي احلقها . امام : ذنب .  
كوساج : رجل خفيف اللحية . يغري : يولع . جود الله : نسب الله الجور ، والمياد بالله والقصود ان صاحب اللحية الخفيفة متى نظر الى صاحب اللحية الطويلة يشك في مدالة الله الذي لم يعط الناس عطاها متساويا فيكر بذلك ، ويكون صاحب اللحية هو السبب في كفر الكوساج ، وفي البيت سخرية شديدة كما هو ظاهر . - اهل بالتكبير : دفع سوته بعبارة الله اكبر من شدة دهشته وخوفه .

مَنْ رَأَى وَجْهَ مُنْكِرٍ وَنَكِيرٍ  
 مُنْكَرًا فِي كَمْ مُمْكِنَ التَّغْيِيرِ !  
 نِصْفُ شَيْءٍ ، عَلَامَةُ التَّدْكِيرِ !  
 فِي لِحَى النَّاسِ سَنَةُ التَّقْصِيرِ !  
 مَكَانُ الْإِعْفَاءِ وَالْتَّوْفِيرِ !

رَوْعَةٌ تَسْتَخْفَهُ لَمْ يَرَهَا  
 فَاتَّسَقَ اللَّهُ ذَا الْجَلَالِ وَغَيْرُهُ  
 أَوْ فَقَصَرَ مِنْهَا ، فَحَسْبُكَ مِنْهَا  
 لَوْ رَأَى مِثْلَهَا . السَّبِيلُ لِأَجْزَرَى  
 وَاسْتَحْبَطُ الْإِحْفَاءَ فِيهِنَّ وَالْحَلْقَ

## ج - الرثاء

في أيام ابن الرومي حدثت فتنة في جنوب العراق ، قام بها الزنج وتمكنوا خلالها من الاستيلاء على مدينة البصرة عام 257 هـ فاحرقوها ثم اغرقوها وقتلوا كثيرا من اهلها ، فقال ابن الرومي هذه القصيدة يرثي المدينة المنكوبة ، ويصف ما فعله المخربون بها :

(١)

ذَادَ عَنْ مُقْلِتِي لَذِيذَ النَّاسِ شُغْلُهَا عَنْهُ بِالدَّمْوعِ السِّجَامِ  
 أَيْ نَوْمٌ مِنْ بَعْدِ مَا حَلَّ بِالْبَصَرَةِ ، مَا حَلَّ مِنْ هَنَاءٍ عَظَامِ؟  
 أَيْ نَوْمٌ مِنْ بَعْدِ مَا اتَّهَكَ الزَّنْجُ جَهَارًا مَحَارِمَ الإِسْلَامِ؟  
 إِنَّ هَذَا مِنَ الْأَمْسُورِ لَأَمْرٍ كَادَ أَلَا يَقُومَ فِي الْأَوْهَامِ

روعة : خوف شديد او فراعة شديدة . تستخفه : تجعله خفيفا جبانا . منكر ونكير : هنا المكان الموكulan بامتحان الميت بعد وضمه في قبره ، فيخاف منها اشد الذرف ولذلك جاء في الدعاء : اعوذ بك من عذاب القبر . - الاحفاء والحلق : بمعنى واحد تقربا وهو ازاله اللحية ، او المبالغة في الاخذ منها . الاعفاء والتوفير : بمعنى واحد تقربا وهو ترك اللحية حتى تطول ، وفي الحديث : انه امران : تحف الشوارب ، وتغنى اللحى .  
 ذاد : دفع وطرد . الدموع السجام : الدموع النصبة . هنات : وبلات ، مصائب عظيمة .  
 محارم الاسلام : الاشياء التي لا يحل انتهاكمها كالامراض وغيرها .

(٦)

لَهُفْ تَقْسِيْ عَلَيْكِ أَيْتَهَا الْبَصَرَةُ، لَهُفَا كِمْشِلٌ لَهُبِ الْفَرَامِ  
لَهُفْ تَقْسِيْ عَلَيْكِ يَا مَقْدِنَ الْخَيْرَاتِ لَهُفَا يُعْضِي إِيمَانِي  
لَهُفْ تَقْسِيْ عَلَيْكِ يَا قَبَّةَ الإِسْلَامِ لَهُفَا يَطْوُلُ مِنْهُ غَرَامِي  
نِي، لَهُفَا يَيْقَنُ عَلَى الْأَيَّامِ لَهُفْ تَقْسِيْ عَلَيْكِ يَا فُرْضَةَ الْبَلْدَا  
لَهُفْ تَقْسِيْ عَلَيْكِ يَا جَمِيعِكِ الْمُتَفَانِي لَهُفْ تَقْسِيْ لِجَمِيعِكِ الْمُسْتَضَامِ

(٧)

يَيْنَمَا أَهْلَمَا يَأْخُسِنِ حَالِهِ  
دَخَلُوْهَا كَأَنَّهُمْ قَطَعُ اللَّيْلِ  
أَيُّ هَوْلِ رَأَوْا بِهِمْ؟ أَيُّ هَوْلِ؟  
إِذْ رَمَوْهُمْ بِنَارِهِمْ مِنْ يَمِينِ  
كَمْ أَغْصَوْا مِنْ شَارِبٍ بِشَرَابٍ  
كَمْ ضَنِينٌ بِنَفْسِهِ رَامَ مَنْجَى  
كَمْ أَخْ قَدْ رَأَى أَخَاهَ صَرِيعًا  
كَمْ أَبِ قَدْ رَأَى عَزِيزَ بَنِيهِ  
كَمْ مَقْدِي فِي أَهْلِهِ أَسْلَمُوهُ  
كَمْ رَضِيمٌ هَنَاكَ قَدْ فَطَمُوهُ  
كَمْ فَتَاقَ مَصْوَتَهِ قَدْ سَبَوْهَا

لِهِرامِي : عِذَابِ الشَّدِيدِ . فُرْضَةِ الْبَلْدَانِ : مَحْطُ الْفَنِ ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهَا مِنْهَا بَحْرُ هَامِ .  
أَصْطَلَامِ : اسْتَشَالَ . مَدْلُومِ الظَّلَامِ : شَدِيدِ الظَّلَامِ . ضَنِينٌ بِنَفْسِهِ : بِخَيْلِ بَهَا ، حَرِبَصِ  
عَلَيْهَا . صَرِيعًا : مَقْتُولًا . تَوبَ الْخَدِ : مُلْتَقِيَا خَدَهُ بِالْتَّرَابِ . صَادِرٌ مَصْمَاصٌ : سِيفٌ  
فَاطِعٌ . شَبَا السَّيْفِ : حَدَهُ .

صَبَحُوهُمْ فَكَابَدَ الْقَوْمُ مِنْهُمْ  
مَنْ رَأَهُنَّ فِي الْمَسَاقِ سَبَابِيَا  
مَنْ رَأَهُنَّ فِي الْمَقَاسِ وَسْطَ الزَّنْجِ  
مَنْ رَأَهُنَّ يَتَخَذَّلَ إِمَاءَ

( د )

أَضْرَمَ الْقَلْبُ أَيْمَانًا إِضْرَامٌ  
أَوْجَعَشِينِي مَرَارَةُ الْأَرْغَامِ  
ظَالِمًا قَدْ غَلَى عَلَى السُّوَامِ  
كَانَ مَأْوَى الْضِعَافِ وَالْأَيْتَامِ  
كَانَ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ صَبَبَ الْمَرَامِ  
تَرَكُوهُ مُحَالِفَ الْإِعْدَامِ  
تَرَكُوا شَمْلَهُمْ يُغَيِّرُ نِظَامِ

مَا تَذَكَّرُتُ مَا أَتَى الزَّنْجُ إِلَّا  
مَا تَذَكَّرُتُ مَا أَتَى الزَّنْجُ إِلَّا  
رَبَّ يَسْعِ هُنَاكَ قَدْ أَرْخَصُوهُ  
رَبَّ يَسْتَرِ هُنَاكَ قَدْ أَخْرَبُوهُ  
رَبَّ قَصْرِ هُنَاكَ قَدْ دَخَلُوهُ  
رَبَّ ذِي نِعْمَةٍ هُنَاكَ وَمَالِي  
رَبَّ قَوْمٍ بَاتُوا إِلَيْجَمْ شَمْلِهِ

( ه )

عَرَّجَا ، صَاحِبِيَّ ، بِالْبَصَرَةِ الزَّهْرَاءِ ، تَعْرِيْجَ مُدْنَفِ ذِي سَقَامِ  
فَاسِلَالَاهَا ، وَلَا جَوَابَ لَدَيْهَا لِسُوَالِهِ ، وَمَنْ لَهَا بِالْكَلَامِ ؟  
أَيْنَ ضَوْضَاءُ ذَلِكَ الْخَلْقِ فِيهَا . أَيْنَ أَسْوَاقُهَا ذَوَاتُ الرِّحَامِ ؟

صَبَحُوهُمْ : جاءوهم في الصباح . الْمَسَاقِ : مصدر مبني بمعنى السوق وهو الدفع الى  
الايمام ، والفعل ساق ومحكه ثاد . الْمَقَاسِ : مواضع القسمة . الْأَرْغَامِ : الاذلال .  
أَرْخَصُوهُ : جعلوه وخيبا . السُّوَامِ : المشتبرين . صَبَبَ الْمَرَامِ : صعب الدخول اليه .  
الْإِعْدَامِ : الفقر الشديد . هُرْجاً : ميلا ، زورا . الْبَصَرَةُ الزَّهْرَاءُ : البصرة الجميلة  
الْوَدْهَرَةُ . مُدْنَفُ : مريض مشرف على الهاك . فَلَكَ : سفينة . وَتَلْقَى عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ .

أينْ فُلْكٌ فِيهَا وَفُلْكٌ إِلَيْهَا  
 أينْ تَلْكَ القُصُورُ وَالدُّورُ فِيهَا  
 بِتَلْكَ تَلْكُمُ الْقُصُورُ تِلْلَالاً  
 سُلْطَانُ الْبَثْقُ وَالْعَرِيقُ عَلَيْهَا  
 وَخَلَتْ مِنْ حُلُولِهَا ، فَهِيَ قَفْرٌ  
 غَيْرَ أَيْمَدٍ وَأَرْجُلٍ بَائِنَاتٍ  
 وَجُوْمٌ قَذْ رَمَلَهَا دِمَاءً  
 وُطِشَتْ بِالْمَوَازِنِ وَالْدُّلُلِ قَسْرًا  
 فَتَرَاهَا تَسْفِيَ الرِّيَاحَ عَلَيْهَا  
 خَاثِعَاتٍ كَأَهْمَانَ بَارِكَاتٍ  
 بَلْ أَهْمَانَ بِسَاحَةِ الْمَسْجِدِ الْجَانِبِيِّ  
 فَاسْلَالَةً - وَلَا جَوَابَ لَدَيْهِ -  
 أينْ عَمَّارَةُ الْأَلَى عَمَرَوَهُ  
 أينْ فَتَيَانُهُ الْحَسَانُ وَجُوهُهَا  
 بِأَيِّ تَلْكُمُ الْعِظَامُ عِظَامًا  
 وَعَلَيْهَا مِنَ الْمَلِيكِ صَلَّةً

---

ذلك فيها : سفينة راسية فيها . ذلك إليها : سفينة قادمة إليها . منشآت : مشرعة القلوع  
 مرفوفة القلوع . الأعلام : الجبال ، وفي البيت اقتباس من القرآن الكريم . ذو الاحكام : ذو  
 الاتقان . وقام : متراكم ، مجتمع بعضه فوق بعض : البثق : الماء ، أو تفجير مياه النهر  
 بكسر جانبه . حلولها : ساكنتها والفرد حال . الأكام : التلال من التراب والرماد ، والمفرد  
 أكمة . بائنات : منفصلات من أجسادها . نبلات : طرحت . أهلاك : جمع فلقة وهي  
 القسم أو الشطر . هام : رؤوس ، والفرد هامة . وملتها : لطختها خضبتها . بابي تلکم  
 الوجه الدوامي : الذي تلك الوجه ببابي . قسراً : بالقوية . تسفي الرياح : تهب .  
 هبوا : غبار . ققام : دخان اسود . عماره الالى : بناته الاوائل الذين عمروه دهرهم :  
 اقاموا فيه او ازموه دهرهم . اولو الاحكام : أصحاب المقول :

## المناقشة :

- 1 - يقول ابن الرومي في الفقرة الاولى ( ۱ ) انه لم يستطع ان ينام نوما للذيدا . فما الذي حرمه ذلك النوم ؟
- 2 - وفي الفقرة الثانية ( ب ) يعبر عن لهفته على المدينة المنكوبة . بين كيف عبر الشاعر عن تلك اللهفة . واذكر الاساليب المختلفة التي استخدمها من اجل التعبير عن لهفته ، ووضح رايك فيها .
- 3 - في الفقرة ( ج ) حكاية للمسافة التي حلت بمدينة البصرة ، فاجب عما يلي :
  - من هم الذين خربوا تلك المدينة ؟ ومتى ؟ وكيف ؟
  - اذكر المشاهد المختلفة التي اوردتها الشاعر لتصوير وحشية أولئك المخربين .
  - وقف الشاعر وقفة طويلة عندما تحدث عن سبي فتيات البصرة . اذكر السبب في تلك الوقفة .
- 4 - عن اي شيء يتحدث الشاعر في الفقرة ( د ) ؟ وهل تجد حدثه هنا تكرارا لما جاء في الفقرة ( ب ) ؟ وهل اورد صورا جديدة تتوضع غرضه ؟
- 5 - اعتمد الشاعر في الفقرة ( د ) على التقابض او التضاد بين المعاني . ووضح ذلك وبين اثره في اداء تلك المعاني .
- 6 - لماذا يطلب الشاعر من صاحبه زيارة البصرة بعد نكتتها ؟
- 7 - اشار ابن الرومي الى بعض جوانب الازدهار الذي كانت عليه البصرة قبل نكتتها . حدد الآيات الدالة على ذلك .
- 8 - ذكر الشاعر في البيت ( 38 ) وسليتين تم بهما تخريب البصرة . ما هما هاتان الوسائلتان ؟
- 9 - تتبع مختلف الصور الجزئية التي استعن بها الشاعر في الفقرة ( ه ) لتصوير المسافة التي حلت بالبصرة . وبين اثرها في نفسك .
- 10 - خص الشاعر مسجد البصرة الجامع باربعة أبيات . اذكر الدور الذي كان يقوم به هذا المسجد وغيره في مجتمع البصرة بشكل خاص وفي المجتمعات الإسلامية بشكل عام .

- 11 - به ختم الشاعر رثاءه للبصرة ؟ وهل تعد ذلك الختام شيئاً جديداً في الرثاء ؟
- 12 - ما الفكرية العامة لهذه القصيدة ؟ وما نوع هذه الفكرة ؟ اهو رثاء شخصي شبيه بما مر بك من رثاء النساء لأخيها صخر أم هو رثاء إنساني يبكي فيه الشاعر حضارة البصرة ومدنيتها ؟ اهو نوع جديد في الشعر العربي ام انه رثاء تقليدي ؟ وضع إجابتك .
- 13 - اذكر الأفكار الأساسية التي تضمنتها القصيدة ، وضع لكل منها عنواناً مناسباً .
- 14 - عرف ابن الرومي باستقصائه الشديد للمعاني والافكار . وضع هذه الخاصة معتمدًا في إجابتك على القسم الخامس (هـ) .
- 15 - وعرف كذلك باعتماده على التعليل المنطقي في إبراد معانيه . وضع هذه الخاصة معتمدًا في إجابتك على القسم الأول (أـ) .
- 16 - كيف تجد أسلوب الشاعر ؟ ايعتمد على البساطة او السهولة ام يعتمد على الغرابة والصنعة ؟
- 17 - وكانت غاية الشاعر متوجهة الى المعنى ام الى الأسلوب ؟ وضع إجابتك
- 18 - اعتمد الشاعر على الأسلوب الخبري حيناً ، وعلى الإنساني حيناً آخر . وضع الأسباب الموجبة لهذا التنوع في كل فقرة من فقرات القصيدة ، وبين أثره في جمالها .
- 19 - التكرار ظاهرة بارزة جداً في سائر اقسام القصيدة : فسر هذا التكرار ، وبين آثاره في اداء المعاني .
- 20 - هل شارك الشاعر في حزنه على مدينة البصرة ؟ ولماذا ؟ اذكر الأسباب التي حملتك على هذه المشاركة .
- 21 - هل تعرف شعراء آخرين رثوا مدن بلادهم المنكوبة ؟ سم بعض هؤلاء
- 22 - قارن بين رثاء ابن الرومي للبصرة وبين رثاء أبي البقاء الرندي للأندلس بعد سقوطها بيد الأسبان .
- 23 - لقد خرب المستعمرون في عهد الاحتلال البغيض كثيراً من أحياط بلادك وقرابها . اختر قريبة من هذه القرى او حيا من تلك الاحياء ، وتحدث عنه مستعيناً في حديثك بما جاء في قصيدة ابن الرومي .

## وصف معركة «الحدث»

للمتنبي

تعريف وتمهيد :

الشاعر هو «أبو الطيب أحمد بن الحسين الكوفي الكندي» (303 - 354 هـ) ، المعروف بالمتّنبي ، ولد سنة 303 هـ بمحلة كندة بالكوفة ، وتربى فيها ، ولما بدت عليه إمارات العجابة أخذ العلم عن علماء الكوفة ، ثم انتقل إلى الشام ، ونزل بالقبائل البدوية فأخذ عنهم الفصاحة ، واستقام له الشعر .

وكان في المتّنبي طموح جعله ينتقل كثيراً بين البوادي والحضر يقصد العظاماء واحداً بعد الآخر ، وكان من هؤلاء الذين اتصل بهم سيف الدولة الحمداني أمير حلب ، الذي قربه منه ، وأصطحبه معه في رحلاته وحروبه ، وظلّ المتّنبي يسعد بذلك الصحبة ، ويُتقلب في تلك النعمة حتى دس له بعض منافيه عند سيف الدولة ، وأغضبوه عليه ، ففرّ المتّنبي إلى مصر ، ثم عاد بعدها إلى الكوفة ، ومنها رحل إلى فارس ، ثم عاد إلى العراق ، ولكنه قُتل وهو في طريق عودته إليها سنة 354 هـ (وستاتي ترجمة مفصلة له) .

وللمتنبي ديوان يجمع الكثير من شعره الذي يدور حول المدح والرثاء والغخر والهجاء ، والفزل والوصف والحكم .

كانت الحرب لا تقاد تهداً بين دولة الحمدانيين ودولة الروم ، وكان من المعارك التي خاضها سيف الدولة ضد الروم معركة (الحدث) تلك التي يرجع سببها إلى أنّ الروم استولوا على ثغر من ثغور الدولة العربية يسمى ثغر الحدث ، وارادوا هدم القلعة التي كان قد بناها به سيف الدولة فخرج الأمير الحمداني في سنة 343 هـ ، ولقي الروم في معركة طاحنة ، وقتل وأسر الآلاف من جنودهم وانتهت المعركة بهزيمة منكرة لجيش الروم ، ونصر مبين لسيف الدولة الذي أقام بعد ذلك بشغر الحدث حتى أعاد بناءه ، واتم بناء قلعته . وكان المتّنبي قد شهد تلك المعركة بنفسه ، واعجب ببطولة سيف الدولة ، فقال قصيدة رائعة سجل فيها أحداث تلك المعركة ، ومدح فيها سيف الدولة ، وهذا النص أبيات منها .

النص :

(١)

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزَمِ تَأْتِي الْعَزَمُ  
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكَرَامِ الْكَارِمُ  
وَتَقْصُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الظَّائِمُ  
وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجُيُوشُ الْخَضَارُمُ  
وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الصَّرَاغُمُ  
وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ

(٢)

وَتَقْلِمُ ، أَيَّ السَّاقِينِ الْغَائِمُ  
فَلَمَّا دَنَّ مِنَّا سَقَمًا الْجَمَاجِمُ  
وَمَوْجُ الْمَنَابِيَا ، حَوْلَهَا ، مُتَلَاطِمُ  
وَمِنْ جُبُثِ الْقَتْلِيِّ ، عَلَيْهَا تَمَائِمُ  
عَلَى الْدِينِ بِالْخَطِيِّ ، وَالْدَّهْرُ رَاغِمُ  
وَكَيْفَ تُرَجِّي الرُّومُ وَالرَّوْسُ هَدْمَهَا ،  
وَذَا الطَّفْنُ آسَاسُهَا ، وَدَعَائِمُ

---

العزم : مصدر عزم ، ومنه عقد اليتة على فعل الشيء . العزم : جمع عزيمة وهي ثورة الارادة والتصميم . الكارم : جمع مكرمة وهي ایمان الشيء الكريم من قول او فعل . الهم : ما يهم به الانسان من امر . الفحشام : جمع خضرم وهو الكثير . الفراهم : الاسود . العدد العهراء : المقصود قلة الحدث التي تلطخت بدماء الاعداء . الفعائم : جميع فعائم وهو السحاب ، والقطعة منه فعامة . القر : البيض . الفنا : اعداد الرماح ، جميع فناة . تمام : جمع تامة وهو ما يعلق للشخص توفيقا للحدث ودفعا لل takofo . طريدة دهر : طاردهما الدار كما يطارد الصياد صيده . الخطي : الرمح . والهم : خاضع ذليل . أساس : جمع مفردة اس وهو اصل البناء واسسه .

(ح)

أَتُوكَ يَجْرُونَ الْمَدِيدَ ، كَأَنَّمَا  
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ  
خَمِيسٌ ، يَشْرُقُ الْأَرْضُ وَالْفَرْبُ زَحْفُهُ  
سَرَوْا بِجِيَادِ ، مَالَهُنَّ قَوَائِمُ  
ثَيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا ، وَالْعَمَائِمُ  
وَفِي أُذُنِ الْجَبَوَازِ ، مِنْهُ زَمَازِمُ  
تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ  
فَمَا يُفْهِمُ الْحُدَادَ إِلَّا التَّرَاجِمُ  
فَلَمْ يَقِنْ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمُ  
تَقْطَعُ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْزَ وَالقَنَا  
فَلَمْ يَقِنْ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمُ  
وَفَرَّ مِنَ الْفُرَسَانِ مَنْ لَا يُصَادِمُ

(د)

وَقَتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌ لَوَاقِفٌ  
تَمْرُ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةٌ  
تَجَاوِزَتْ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالْهَمَى ،  
ضَمَّمَتْ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً ،  
يَضْرِبُ أَتَى الْهَامَاتِ ، وَالنَّصْرُ غَائِبٌ ،  
كَانَكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ  
وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ ، وَنَفْرُكَ بَاسِمٌ  
إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ : أَنْتَ بِالْقِيَمِ عَالِمٌ  
تَمُوتُ الْحَوَافِي ، تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ  
وَصَارَ إِلَى الْلَّبَاتِ ، وَالنَّصْرُ قَادِمٌ

سروا : مشوا ليلا . جياد : خيل . البيض : السيوف . العمام : المقصود ما يوضع على الرأس في أثناء المعركة من خوذ ونحوها . خميس : الجيش . الجوزاء : أحد الأبراج السماوية . الزمازم : الأصوات التي لاتفهم لداخلها ، والمفرد منه زمزمة . لسن : لغة . الحداد : الجماعة يتحدون . التراجم : جمع ترجمان وهو من ينقل الحديث من لغة إلى أخرى . لله وقت : هذا النمط من التعبير عربي قديم يقال عند التعجب ومنعاه هنا ما اعجب ذلك اليوم . الفش : المقصود ما لا يحب فيه من الرجال والسلاح . صارم : سيف قاطع . الصبارم : الاسد القوي ، والمقصود هنا الرجل الشجاع المقدام . الردى : الملائكة . كلمي : جمع كلم اي جريح . هزيمة : هزيمة . وضاح : كثير الاشراق . النهى : جمع نهية وهي العقل . جناحيم : يقصد بمعناه جيش العدو ومسيرته . القلب : يقصد وسط جيش العدو . القوادم : ريش طوبل في مقدمة جناحي الطائر . الغواهي : ريش سفري يلي القوادم في الجنادين . الهمات : جمع هامة وهي أعلى الرأس اللبات : جمع لبة

حَقَرَتِ الْوَدَنِيَّاتِ ، حَتَّى طَرَحْتَهَا  
 وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ ، فَإِنَّمَا  
 نَثَرُهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَادِ شَرَّةً  
 تَدُوسُ بِكَ الْخَيلُ الْوُكُورَ ، عَلَى الدَّرَى ،  
 وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ  
 يَأْمَاتُهَا ، وَهِيَ الْعَتَاقُ الصَّلَادُمُ  
 كَمَا تَسْنَسِي فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ

( ٥ )

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدَّمْسِيقُ مُقْدِمٌ  
 يُسْرِشُ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ  
 وَلَسْتَ مِلِيسَّا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ  
 قَفَاهُ عَلَى إِلْقَادَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمٌ  
 وَلَكِنَّ مَعْنُومًا نَجَّا مِنْكَ غَائِمٌ  
 وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشَّرِكِ هَازِمٌ

وهي على المدى ، اي النهر . الودنيات : جمع وَدَنِيَّةٍ وهو الرمع نسبة الى امراة  
 بالبيامة في الجزيرة العربية اشتهرت بصنع الرماح وتقويمها . الصوادم : السيف الحادة  
 القاطمة نثرهم : فرقتهم . الاحيادب : اسم جبل . الوکور : جمع وکر وهو عرش الطائر .  
 الدري : جمع ذرعة وهي أعلى الشيء ، والمقصود هنا أعلى الجبل . الفتغ : جمع  
 فتخاء وهي أنشى المقادب من الطيور الجوارح . امسات : جمع ام ، يقال في الجمع  
 امهات لمن يعقل وامات لما لا يعقل . العتاق : كرام الخيل والامسية منها .. الصلامد :  
 جمع صلامد وهو الفرس الشديد الحافر . زلتقت : زلت ولم تثبت ارجلها . الصعيد : وجه  
 الارض . الاراقم : جمع ارقام وهو الحبة التي فيها سواد وبياض . الدمشيق : لقب كان  
 لقائد جيش الروم . الالقادم : الجراة والتقدم للمجوم .

## ايضاح وتحليل :

المتنبي من شعراء الحكمة المجيدين ، يعبر بها عن تجربة ، ويبيتها في شعره وها هو ذا في أبيات المجموعة (أ) قد استهل قصيده ببيتين ضمنهما حكمته وفلسفته حيث يقول : ان الامور تأتي على قدر فاعليها ، وتقاس بقدر همم أصحابها ، فعلى قدر ما يكون عندهم من تأكيد النية ، والجد في الامور تكون الإرادة الصلبة والوازئن القوية ، وعلى قدر ما يتمتعون به من كرم النفس تكون الأفعال الكريمة ولذا نرى الناس يختلفون في النظر الى الامور ، فخواطر العزيمة ضعيف الهمة يستعظم الشيء الصغير ، ويرتضى الوضع الحقير ، بينما صاحب الهمة العالية والنفس الكريمة يستصرف ما عظم من الامور ، ويتأتي كل المكارم والمحامد .

ثم اعقب الشاعر حكمته تلك ببيتين ضمنهما ان سيف الدولة من هذا الصنف العظيم الذي يتمتع بالإرادة الفلاحة ، والطموح الى نيل أعلى مراتب الشرف والكرامة ، ولذا فإنه يحمل جيشه على تحقيق ما تصبو اليه همه من الفتوحات والفتحات التي طالما عجزت عن مثلها جيوش كثيرة لأنها كانت تفقد مثل همة سيف الدولة الذي يريد من يكون معه أن يكون مثله صلب العزيمة ، بعيد الهمة ، وذلك أمر في الناس نادر وعجب في أنه لا تدعيه الاسود ، فكيف يمكن وجوده في مجتمع البشر ؟

وفي أبيات المجموعة (ب) يتحدث المتنبي عن قلعة الحدث بين الروم والعرب فيقول متسائلا : هل تعرف لون قلعة الحدث الذي كانت عليه قبل أن تلونها دماء الأعداء ؟ وهل تعلمحقيقة ما امطرها أهو الفمامات أم الجمامجم ؟ لقد كانت من قبل تسقى بمطر السحاب حتى اذا كان يوم المعركة سقيت بدماء الأعداء التي سالت عليها كما يسيل ماء المطر . ان هذه القلعة بناءها وأعلى بناءها سيف الدولة ، ورماحه تحطم رماح العدو ، والقتل يتزايد حوالها حتى كان المانيا بحر متلاطم الامواج . وبعد أن كانت الحدث تعيش بسبب غارات الروم في اضطراب وفتنة أصبحت ساكنة هادئة اذ علق سيف الدولة على حواطتها جثث قتلى الروم كماتعلق التهاون على المصابين بالمس والجنون ، فيهدعون في زعمهم لقد كانت كالطربدة تطاردها احداث الدهر ، وتتوالى عليها غارات الروم حتى قيضك الله - يا سيف الدولة - لها فدفعتهم عنها برماحك وابقيت لها وجهها العربي ، وقهرت الزمن . وانه لمن الغريب أن يطبع هؤلاء الأعداء من روم وروس في هدمها ولها من وسائل الدفاع وقوة الحماية ما يشبه اسسها ودعائمهها متانة وقوة !

وفي أبيات المجموعة (ح) يتحدث الشاعر عن قوة الاستعداد ، ووفرة العدد في جيش الروم موجها قوله إلى سيف الدولة فيقول : لقد جاءك الأعداء في جيش تحمل فيه الخيول فرسانا مدججين بالسلاح لا يثنى الدروع ، تفطى أسلحتهم ودروعهم قوائم الخيل حتى ليظنها الرائي خيلا بلا قوائم . وإذا سطعت الشمس على هؤلاء الجنود لمعت أسلحتهم ودروعهم وخوذهم ، ولم يستطع من يراهم أن يميز السيوف من غيرها . انهم جاءوا في جيش كثير العدد ، يدل على ذلك أنه في زحفه يغزو الأرض شرقاً وغرباً وأن أصوات رجاله تصل إلى الجوزاء في السماء وأنه قد جمع فيه أناس من الناس يتحدثون بلغات شتى ، ويستعينون في تفاهمهم بالترجمة . وما أعجب ذلك اليوم الذي تميز فيه الجيد من الرديء ، حيث لم يثبت لاهوالي المعركة الا كل سيف صارم ، وكل بطل شجاع ، بينما تحطم من السيوف ما لا قدرة له على قطع الدروع والرمي ، وفر من الفرسان من لا طاقة له بالنزال والكافح .

وفي أبيات المجموعة (د) يصف الشاعر المعركة ، ويمدح سيف الدولة فيقول له : لقد وقفت في ساحة القتال في وقت تتخطف فيه المنايا الأبطال من حولك ، والموت يحيط بك ، ولكن رباطة جائشك ، ونقتلك بالله وبنفسك جعلت عناية الله ترعاك ، والموت يتخطلك كأنك في جفنه وهو غافل عنك فسلمت وام يصبك سوء ، على حين كان الأبطال من جند العدو يمرون بك وقد ولوا منهرمين ، او هنتهم حراجمهم ، واصفرت وجوههم ، اما انت فقد كنت ثابتاً مشرقاً الوجه ، باسم الشرف . واقتدىت من ضروب الإقدام ، وأظهرت من الجرأة ، ورسمت من الخطط ما لم يكن يتصوره العقل حتى قال عنك بعض الناس انك تعلم الغيب وتعرف ان النصر لك . لقد هجمت على جنود العدو هجنة قوية مذلة اختل بسيبها نظامهم ، واختلطت اقسامهم ، واشتدت وطأة الهجوم عليهم فهلكوا جميعاً ، حيث لم تكن منك الا حملة بالسيوف هوت على رؤوسهم ، وما كادت السيوف تصل من رؤوسهم الى نحورهم حتى تحقق لك النصر السريع الساحق عليهم . وكان من دلائل شجاعتك وبطولتك انك تركت الرماح لأنها تضرب من بعيد ، وعمدت الى السيوف التي تقتضي قرباً والتحاماً بالعدو ، فأعطيت بذلك شأن السيوف وحقرت شأن الرماح حتى لكان السيوف يغير الرمح بقلة نفعه وجدواه .

وليس في ذلك من عجب فان من يطلب النصر العزيز والفتح المبين ليس له من سبيل الى تحقيق غايته سوى التسلح بالسيوف القاطعة وبأكثر الاسلحة فعالية وایجابية .

لقد طرحت جثث القتلى من الأعداء فوق جبل الاحيدب مبعثرة في نواحي الجبل كما تطرح الدرادم على رأس العروس ليلة الزفاف . ولقد تتبع أعداءك في رؤوس الجبال حيث توجد أعشاش الطيور الجارحة فقتلتهم هناك وتركتهم طعاما للطير حول وكورها . ولقد ظنت فراغ المقباب حين رأتك تصعد الجبال بتلك الخيول انك جئتها بأعماقها لأنها رأت الخيل سريعة منقضية مثلها .

و كنت اذا زلت خيلك في صعودها ذلك الجبل الوعر جعلتها تمشي زحفا على بطنها كما تزحف الحيات فوق التراب ، حرصا على ادراك العدو و ملاحقته .

وفي ختام النص يذكر الشاعر لسيف الدولة حال قائد جيش الروم : و فراره فيقول :

ان قائد الروم كان يقدم ثم يحجم ، و عند احجامه كان الضرب يقع في قفاه مما يجعل قفاه يلوم وجهه على الإقدام الذي نال بسببه هذا الضرب . و ان هذا القائد الذي نجا من يديك ، وفر من وجهك لمسرور بما بذل من تضحيات ، و بعد نفسه غانما لا عن جهل منه بقيمة الضحايا من أصحابه وأدواته ولكن لأنه غنم منك روحه و حياته . و اخيرا يعود المتني ليقول لسيف الدولة : ان هذه المعركة التي الحقت فيها الهزيمة بالروم لا تعد معركة بين مليكين هزم أحدهما الآخر ، و إنما هي اجل من ذلك وأعظم لأنها معركة الإيمان والعقيدة ، كنت فيها رجل التوحيد ، و حامل لواء الحق و قائد رجاله ، وكان عدوك فيها رجل الشرك والباطل ، فنُدِفِعَ الله بحقك على باطل عدوك فدمغه فإذا هو زاهق ، و إذا الشرك مندحر ، والإيمان المنتصر .

هذا النص يندرج تحت غرض الشعر الحماسي الذي انتشر في المصر العباسى ، وهذه القصيدة للمنبى تعد سجلاً تارياً يضم مفاخر امارة عربية صغيرة استطاعت بفضل اميرها وقائدها ان تذيق امبراطورية عظيمة ويلات الحرب ، وتجرعها كأس الهزيمة وتحول دون مطامعها التوسيعة . والمنبى شاعر العروبة النابه الذى حضر مع سيف الدولة معركة الحدث وأعجب بالامير فأنشد في تلك المناسبة قصيده هذه التي هي احدى تصانيمه العديدة في سيف الدولة ، وقد بداها ببيتين في الحكمه يمجد فيما ذوى الطموح والمتعلمين الى تحقيق الامال العريضة ، ولعله في ذلك كان يشبع رغبة في نفسه لانه كان من اولئك الذين لا حد لطموحهم ، ثم تناول بعد ذلك وصف قلعة الحدث وما تعرضت له على ايدي الروم ، وما نالته على يد سيف الدولة ، ثم انتقل الى وصف جيش الروم في زحفه ، وما كان عليه من استعداد كامل ، وعدد هائل ، ثم تحدث عن شجاعة سيف الدولة وبطولاته وحسن تخطيطه للمعركة ثم صور المعركة تصويراً واقعياً استمد منه رأى العين ، وانتهى الى الحديث عن قائد جيش العدو الذي لاذ بالغرار . والأفكار على هذا النحو مرتبة منسقة ، والمعانى عميقة دقيقة ، واضحة مؤلفة ، تدل على قدرة الشاعر الفائقة في جمع الأفكار والتاليف بينها في نسق رائع ، ونظم جميل . وإذا كان بعض هذه الأفكار قد جاء قدیماً مطروداً فان بعضها تبدو طرائفه وجدهه كما في مثل قوله :

يَغْرِبُ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّعْرُ غَائِبٌ      وَصَارَ إِلَى الْبَاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمٌ  
خَيْسٌ، يَشْرَقُ الْأَرْضِ وَالْقَرْبُ زَحْفٌ      وَفِي أُذْنِ الْجَوْزَاءِ، مِنْهُ زَمَازِمٌ

ولئن كان الشاعر قد لجا الى المبالغة احياناً كما في قوله : « بِجَيَادِ مَا لَهُنَّ  
قَوَافِلُ » ، « تَجَاهَوْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّهَى » ، « إِذَا زَلَقَتْ مَشَيْتَهَا بِبُطُونِهَا »  
فإن ذلك منه امر مقبول لا يفسد المعنى ، بل يستدعيه المقام .

وكان من الجميل فيما عرضه الشاعر تصويره جيش العدو في قوته وكثرة ليجعل بعد ذلك انتصار سيف الدولة عليه شيئاً ينطوي على المظمة ، ويدعو للخمار .

وإنه ليتجلى لنا حين نتأمل النص أن الشاعر كان يعبر عن انفعال صادق وعاطفة جياشه بحب سيف الدولة ، والإعجاب به ، والفرحة بالنصر ورد كيد العدو .

وهكذا يمكننا ان ننتهي الى تقرير ان الشاعر بقصيده هذه كان ابن مجتمعه وعصره يعبر عنهم ، ويعكس ما يجري فيهما على مرآة شعره .

### دراسة بلاغية :

عندما نتأمل اسلوب النص نرى انه جمع بين الاساليب الغربية والانسانية بحسب ما يقتضيه المقام ، غير ان الاسلوب الخبري كان هو الغالب على النص ، وقد قصد منه في معظم الاحيان الدخ والمعظيم ، ولعل الميل الى الإكثار من الاسلوب الخبري راجع الى انه انساب مثل هذا الموقف الذي يقفه المتبنى ليصف ويمدح عن طريق عرض المشاهد وسرد الصفات كما ان الشاعر اعطى كل معنى ما يلائمه ، ولذلك نراه قد عمد الى التقديم الذي يدل على الاهتمام في قوله : « على قدر اهل العزم تأتي العزائم » ، كما نراه حين اراد ان يمتدح السيفون جعلها وحدتها التي تأتي بالنصر ، واستعمل لذلك اسلوب القصر بكلمة « إنما » في قوله : « إنما مفاتيحه البيض » ، فالشاعر قصر النصر على السيف دون غيرها بكلمة « إنما » التي تقدمت الجملة .

اما الخيال في النص فقد جاء صافياً بصورة المانع ، وبوضوح الافكار ، وقد تنوّعت فيه الصور بين الواقعية مستمدّة من واقع المعركة و مشاهدة الشاعر كتلك التي يصور بها جيش الروم والتي يصف بها الدولة ، وبين خيالية من تشبيه واستفارقة كناية .

وكان من التشبيه قوله : « نثرتهم فوق الاخيذب نثرة كما نثرت فوق العروس التزاهم » ، وغيره من التشبيهات الجميلة التي تبرز المعنى وتوضحه ، وإن كان هذا التشبيه الاخير قد اعترض على الشاعر فيه بأن طرق التشبيه غير متلائمين .

وجاءت الاستعارة في مثل قوله : « هل العدث العمراه تعرف لونها » ، « موج المانيا حولها متلاطم » ، « اذن العجوزاد » ، « جفن الردي » ، « السيف للرمي شاتم » ، وبالنص كثير غير ذلك من اساليب الاستعارة التي تقوی المعنى وتشبته .

وجاءت الكناية بوفرة في النص ، مثل قوله : « اتسوك يجرون الحديد » فهو كناية عن قوة العدة وكثرتها ، وقوله : « خيس بشرق الأرض والغرب زحفه » ، « في اذن العجوزاد زمازم » ، فهذا كنایتان عن كثرة عدد الجيش . وقوله : « فضمة تموت الخواق تحتها والقواعد » ، فهو كناية عن قسوة هذه الضمة على الاعداء ، الى غير ذلك من الصور البيانية التي حفل بها النص ، وساعدت على تبيين المعنى وتأكيده في الدهن .

هذا وقد قلت في النص المحسنات البديعية لأن المتنبي لم يكن من شعراء الصنعة ، ولذا فان ما جاء في الابيات من الوان البديع كان حسن الواقع لأنه غير مقصود ولا متكلف ، كالمقابلة التي تجدها في البيت الثاني ، وفي البيت الحادي والعشرين ، وكالطلبي في مثل : « ساقها فرددتها » « الخواقي والقواعد » .

اما عبارة النص فقد كانت جزءة رصينة تتناسب الفرض ، وتجانس الانفكار ، فقد اختار الشاعر لكل فكرة ما يلائمها من الالفاظ والكلمات ، ومن أمثلة ذلك انه عند وصف المعركة استعمل كلمات : الحديد ، العجیاد ، خيس ، زحف ، صارم ، الفرسان . وعند المدح اتى بالفاظ : وفصاح ، باسم ، بالفيسب عالم ، النصر قادم . وعند حديثه عن قائد الروم اتى بالكلمات : ففاه لائم ، مفروم . وهكذا وضع الشاعر كل لفظة في المكان الذي توحى فيه بما يناسب المضمن ، ويعبر عن المقصود .

## مجمل القول

المتنبي شاعر له مكانته الفريدة بين شعراء العربية ، وقد اتصل بسيف الدولة الحمداني الصال شاعر بامي ، ولكنه لم يلبث أن صار انصال إعجاب وتقدير ، وتوطدت العلاقة بينهما حتى كان المتنبي يصاحب سيف الدولة في رحلاته ، ويشهد معه معاركه ضد الروم ، وما هو ذا قد حضر معه معركة الحدث سنة 343 هـ ، وأعجب ببطولة سيف الدولة التي حققت له النصر على الروم ، فانفعل المتنبي بما رأى وانشده قصيدة هذه يسجل بها التاريخ العربي الغافر ، ويصف المعركة التي دارت أمامه ، ويشيد بعظمة سيف الدولة .

والأفكار التي تضمنتها القصيدة جاءت مرتبة تجعل من تتبعها موضوعاً متراابطاً الأجزاء وقد قلد في بعض المعاني ، وجدد في بعضها الآخر ، وتجلى الصدق العاطفي والتذوق الشعوري في القصيدة التي كانت صورة من صور الحياة والمجتمع والعصر ، وجاء الخيال فيها موسحاً للمعاني ، مبرزاً للأفكار ، وتناسبت اللفاظ مع المعاني ، واختيرت من وادي الفكرة التي تعبر عنها اختياراً دقيقاً ، وما جاء من الحسنات البديعية كان عفويًا وغير متكلف فافضلي على المعنى جمالاً وروعة ، ولم تخل القصيدة أيضاً من بعض المبالغات التي تقبل في هذا المقام لأنها تناسب غرض الموضوع .

والقصيدة من بحر الطويل ، واجزاؤه :

فعلن مفاعيلن فعلن مفاعيلن فعلن مفاعيلن

### المناقشة :

أولاً - أجب عمما يأتي :

- ١ - ما المناسبة التي قيلت فيها القصيدة ؟ وما الحكمة التي مبر عنها الشاعر في مطلعها ؟

- 2 - ذكر المتنبي في البيتين الثالث والرابع بعض صفات سيف الدولة  
 - وضحتها ، ثم اذكر العلاقة بين مضمون هذين البيتين وما قبلهما .
- 3 - كيف صور الشاعر قلعة الحدث تحت يد الروم ؟ وماذا قال عن حالها في حماية سيف الدولة ؟
- 4 - بم وصف الشاعر جيش الروم في أبيات المجموعة (ح) ؟  
 لماذا حرص المتنبي على إبراز قوة جيش الروم ؟ اذكر من النص ما عبر به عن كل من قوة استعداد هذا الجيش ووفرة عدده .
- 5 - كان سيف الدولة ثابت الجنان ، ناجح الخطة – أين تجد ذلك في النص ؟
- 6 - ماذا كانت قيمة كل من السيف وكرام الخييل في جلب النصر ؟  
 وتحقيق الظفر كما يتضح لك من الابيات ؟
- 7 - يتعقب الجيش المنتصر فلول اعدائه لتطهير الارض من آثارهم ؛  
 فهل فعل سيف الدولة ذلك ؟ استدل على ما تقول من النص .
- 8 - ماذا صورت أبيات المجموعة الاخيرة من حال قائد جيش الروم في المعركة ؟ وكيف جعله الشاعر مسرورا مع انه مهزوم ومحروم ؟
- 9 - بم مدح الشاعر سيف الدولة في البيت الاخير ؟ وما قيمة ذلك ؟ بين الصفات الاخرى التي مدحه بها .
- ثانياً - اعد قراءة الابيات ثم اجب عن الاسئلة الآتية :**
- 1 - هل ترى علاقة بين مضمون الحكمـة التي استهل بها المتنبي قصيـته وبين نفسـيـته ؟ وضع ما تراه .
- 2 - اذكر الفرض البلاغـي للاستفهام في كل من : ( هل الحـدث الحـمراء ..  
 وكيف ترجـي الروـم ) . . . ( موجـ المـنـايا حولـها متـلاـطـم ) وضع هذه الصورة البـيـانـية ، وبين اثرـها في المعـنى .
- 3 - هل كان المـتنـبي مبالـغا فيما وصف به قـوـة جـيـش الروـم واستـعدادـه ؟  
 وضع ما تـرى .

- 4 - اشرح الصورة البينية التي في البيت الرابع والعشرين ، واذكر رأيك فيها .
- 5 - لجأ المتنبي أحياناً إلى المبالغة - هات من النص مثالين ، ووضح ما في كل منها من المبالغة .
- 6 - ما مدى صدق الشاعر في عاطفته ؟ وما مدى ملامته بين المعاني والالفاظ التي تعبر عنها ؟
- 7 - « الشاعر النابه هو الذي يعبر عن حياة مجتمعه ، وأحداث عصره » طبق هذا القول على المتنبي في ضوء هذه الأبيات .
- 8 - « خص المتنبي سيف الدولة بالاشادة والتمجيد ، وأهمل حق جنود الجيش العربي في ذلك » فما رأيك في هذا المسلك ؟ وهل لديك ما تبرر به موقف المتنبي ؟ اذكر ما تعرف .
- 9 - « تعتبر هذه القصيدة وثيقة تاريخية توضح العلاقة بين العرب والروم في العصر الذي قيلت فيه » وضح ذلك .
- 10 - ما الافكار الاساسية التي تضمنها النص ؟ ضع لكل منها عنواناً مناسباً .

### **تدريب**

#### **المقالة الأدبية :**

— « يتحقق النصر لن تكتمل لديه القوة المادية والقوة الروحية » اكتب مقالاً في ذلك ، وأيد حديثك بنصوص فرآنية ، ونبيوية .

#### **السؤال الكتابي :**

— اعقد موازنة بين هذه القصيدة وقصيدة أبي تمام في فتح عمورية مبيناً أوجه التشابه والاختلاف في القصيدتين .

# وصف شِعْب بوان

لِلمُتَنَبِّي

تعريف وتمهيد :

سافر المتّنبي الى بلاد فارس لزيارة عضد الدولة بن بويه ووزيره الكاتب ابن العميد في عام 354 هـ ، وفي أثناء سفره من شعوب بوان ، ذلك الموقع الجميل الذي يقع بالقرب من شيراز ، وهو مكان كثیر الشجر والمياه ، ويعد من جنان الدنيا ، وقد استهوى هذا المكان شاعرنا المتّنبي ، واشتد اعجابه بسحره وجماله ، فسجل بعض مشاعره في هذه الآيات ، وهي من قصيدة طويلة انشدها المتّنبي عند لقائه عضد الدولة بن بويه حاكم فارس يمدحه فيها ، كما يمدح ولديه أبا الفوارس وأبا دلف ، وفي الآيات التي بين يديك يحن المتّنبي الى العربية التي افتقدها في فارس ، فما وجد لها اثرا .

النص :

(١)

مَفَانِي الشَّعْبِ طَيِّبًا فِي الْمَنَانِي  
يَمْتَزِلَّةُ الرَّيْمِ مِنَ الزَّمَانِ  
وَلَكِنَّ الْقَنَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا  
غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ  
مَلَأَعْبُ جِنَّةً لَوْ سَارَ فِيهَا  
سُلَيْمَانٌ لَسَارَ تِسْرُ جَمَانٍ  
طَبَّتْ فُرْسَانَنَا وَالْخَيْلَ حَتَّى  
خَشِيتُ - وَإِنْ كَرِمْنَ - مِنَ الْحِرَانِ

مَفَانِي الشَّعْب : مفاني جمع مفن و هو المكان الذي اقام به اهله ثم ظفروا عنه ، والشعب هو التفرق بين جبلين ، والمراد بمعانى الشعب ببيانه هذا المكان . غريب الوجه : يختلف عن اهل الشعب لسرة وجهه . غريب اليد : المراد ان العرب يستخدمون اليمين على عكس اهل فارس الذين يستخدمون القوس . غريب اللسان : المراد اللغة . جنة : جن . سليمان : نبي الله الذي علمه الله لغات الطير والنحل . توجمان : مترجم . طبت يقال طباء يطبّوه ويتطيّبه طبّا اذا دعاء ، والمراد هنا استعمال طبّا كرمون : اي ان الخيل كريمة اصلية . العران : العصيان وعدم الانقياد .

عَلَى أَعْرَافِهَا مُثْلَ الْجَمَانِ  
وَجِئْنَ مِنَ الْفَيَاءِ يَمَا كَفَانِي  
دَنَانِيرًا تَقْرَرُ مِنَ الْبَنَادِ  
بِأَشْرِبَةٍ وَقَقَنَ بِلَا أَوَانِ  
صَلِيلَ الْحَلِيِّ فِي أَيْدِيِ الْفَوَانِيِّ  
أَجَابَتْهُ أَعْمَانِيُّ الْقِيَانِ

غَدَوْنَا تَنْفُضُ الْأَغْصَانُ فِيهَا  
فَسَرَتْ وَقَذَ حَجَبَنَ الشَّمْسَ عَنِي  
وَالْقَيْ الْشَّرَقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِيِّ  
لَهَا نَمَرٌ شُسِيرٌ إِلَيْكَ مِنْهُ  
وَأَمْوَاهٌ يَصِلُّ بِهَا حَصَاهَا  
إِذَا غَنَى الْحَمَامُ الْوُرْقُ فِيهَا

## دراسة أدبية :

موضوع هذه الأبيات هو وصف بعض مظاهر الطبيعة وقد اشتغلت على جملة افتخار أساسية .

تدور كلها حول وصف هذا المكان الفارسي والإعجاب به ، فحذايقه من أجمل الحدائق ، يفوق غيره من الأماكن كما يفضل الربيع سائر الأزمنة ، وهو مكان فارسي اذا نزل به العربي وجد نفسه غربيا عن أهله في لونه ولفته وسلامه ، لكن تلك الحدائق واسعة ساحرة كأنما أبدع الجن صنعتها ، ولو اننبي الله سليمان زارها لاحتاج إلى من يترجم له آيات إيداعها ولغات من احتشد فيها من الزائرين ، لقد استهوت الإنسان والحيوان ، فأشجارها وارفة ، وثمارها ناضجة ، ومياهها رفراقة ، وطيورها صداقة مفردة تجاوب معها أصوات المفنينات في كل مكان .

غدونا : شيئاً أول النهار. تنفعن : سقط. اعراها : جمع عرف وهو الشمر النابت على ربة الخيل. العجان : اللؤلؤ والمقصود أن قطرات الماء كحبات اللؤلؤ. حجين : منعن. الشرق : الشمس . دنانيراً : يصور أشعة الشمس المستدركة التي تنفذ من خلال الأغصان بالدليان. تقر من البناء : المراد لا يمسك بها الأسايب. بلا اوان : بغير اوان ، جميع آنية وهي الوعاء . يصل : يحدث صوتاً كصوت النحاس . العلبي : ما تلبّه النساء من الذهب والفضة وغيرها . الفواني : جمع فانية وهي المرأة التي تكتفي بجمالها عن وسائل الرتبة . الورق : جمع ورقاء وهي الخمامنة التي تجمع بين لوني البياض والسواد . القيان : جميع قيّنة وهي المثنية .

والافكار على هذا النحو مرتبة ، قريبة التناول ، قائمة على الملاحظة الدقيقة ، وهي نابعة من عاطفة معجبة ، فقد عاش شاعر الإحساس لحظات في هذا المكان الساحر فجاءت أبياته صورة صادقة لتجربة مفعمة بالإعجاب وتقدير الجمال ، وصدق التعبير عنه .

ويعد وصف مظاهر الطبيعة من أغراض الشعر التي كثر القول فيها في العصر العباسي ، وتسجل أبيات المتنبي بعض ظواهر البيئة التي عاش فيها ، وتنقل بين أرجائها ، فهي بيئه غنية بمشاهدها ، فاتنة بطبيعتها . كذلك تبدو من خلال الابيات بعض سمات شخصية المتنبي ، فهو الشاعر الرحالة ذو الإحساس المرهف والملاحظة الدقيقة ، وإنه ليتعمق ويتأمل ، ثم يسجل صورا فنية رائعة يهتم فيها بالوان البيان ، و يجعلها تنبض بالحياة والحركة .

### دراسة بلاغية :

هذه الابيات لوحة فنية ، عبر المتنبي بأساليبها عن تجربة حية من بها ، وقد اقتصر في وصفه لظواهر الفتنة والجمال في هذا الشعب على الأساليب الخبرية ، لأن النفس أكثر استجابة لها في تلك المواطن ، وكل اساليبه تحمل معانى الإعجاب والدهشة .

وكان من آثار انفعال الشاعر بمشاهدته ، تلك الصور الفنية التي أضفت على أساليبه حيوية ، وأكثرها قريب التناول ، وبعضها يجمع بين اللون والشكل والحركة ، ومن ذلك ، الصور التي رسمها في البيتين السابع والثامن ، فأشعة الشمس المستديرة تبدو من خلال الأغصان في لون الدناني واستدارتها ، ولكن اليد لا تستطيع الامساك بها ، وثمار الحدائق لشدة نضجها تبدو وكأنها صارت شرابا في غير إرقاء ، وكذلك الصورة الواردة في البيت التاسع ، الا اروع الطبيعة ! ! ! أنها للفنان المبدع وحى وإلهام ، وبالإضافة إلى تلك اللوحات الفنية اشتغلت الابيات على مختلف الوان البيان من تشبيهات واستعارات وكتابات ، وكلها مما يعين على توضيح الفكرة ، ويكشف عن احساس الشاعر وانفعاله بما يقع تحت بصره ، فمن التشبيه البيت الأول الذي جعل منازل هذا الشعب بين غيرها كالربيع بين فصول العام ، وكذلك التشبيه في قوله : « ملاعب جنة » ، « تنفس الأغصان على اعراضها مثل العجمان » . وغير ذلك . . . .

ومن الاستعارة قوله والقى الشرق . . . دنانيرًا ، تفر من البنان ، غنى الحمام . ومن الكلمة : « غريب اللسان » كنایة عن اللغة ، والبيت الثامن كنایة عن نضج التمار وصفاء قشرتها .

ومن المجاز الرسل قوله : « تفر من البنان » ، وهو مجاز علاقته الجزئية حيث أطلق البنان وهو الجزء واراد الكل وهو أصابع اليد .

وقد جاءت الفاظ الآيات وأساليبها ملائمة موحية ، معبرة عن المعنى والإحساس معا ، وكثير من الألفاظ ذو إيقاع موسيقي ترتاح إليه الأذن ، ومن ذلك : « الريبع ، الأغصان ، الجمان ، دنانيرًا ، يصل بها حصاها ، فني الحمام » .

اما الأساليب ففي اختيارها دقة ومهارة يبدو ذلك من الاسف الذي اوحى به « لكن . . . » في البيت الثاني ، والإضافة في « ملاعب جنة » موحية بمدى حيوية هذا المكان وإبداعه ، والجملة الاعتراضية « وإن كرمن » تنبئ عن الجود والاصالة . وتکاد الآيات تخلو من المحسنات البدعية الا ما جاء عفوا تقوله في البيت السادس : « حجبن الشمس ، وجبن من الضياء بما كفاني » ، وهو طباق يتحقق وضوح الفكرة ويؤكدها .

### — مجلمل القول —

الوصف من الأغراض التي ازدهرت في العصر العباسي ، وقد ساعد على الإجادة فيه ما شهدته الدولة من تقدم حضاري وعمري ، والتنبي شاعر مطبوع شهدت بذلك آثاره في كل فنون الشعر التي ابدع فيها القول .

ويرشدنا هنا النص الى دقة ملاحظات المتنبي وقرب أفكاره وجودة صياغتها في أساليب صافية جمعت بين براعة التصوير والتبيير ، وامتازت الآيات بوحدة موضوعها ، ووحدة الجو النفسي (العاطفة) التي تسودها ، وكان المتنبي - كعادته - يارعا في استخدام الألفاظ والأساليب الموحية ، القائدة على نقل تصويره الدقيق وإحساسه العميق ، وكانت آياته لوحة فنية ملونة تفيض بالحياة والحركة والقصيدة من الوافر ، واجزاها .

مفاعلتين مفاعلتين لعولن مفاعلتين مفاعلتين لعولن

## **المناقشة :**

- 1 - عم يتحدث المتنبي في البيت الاول ؟ اشرح المقارنة التي تضمنها هذا البيت .
- 2 - لم يتأسف الشاعر في البيت الثاني ؟ ومن اين تفهم تأسفه ؟
- 3 - به يوحى قول المتنبي في صدر البيت الثالث : ( ملاعب جنة ) ؟ ولم يخص النبي سليمان بالذكر في هذا المقام ؟
- 4 - كيف كان اثر تلك المفاني على الخيل وفرسانها ؟ وماذا افادت الجملة الاعترافية ( وإن كرمن ) ؟
- 5 - ما الوقت الذي وصل فيه الشاعر إلى مفاني هذا الشعب ؟ ومن اين تفهم وجود صحبة معه ؟
- 6 - رسم المتنبي لوحة فنية في البيتين السادس والسابع - وضع جوانب تلك الصورة .
- 7 - كيف صور المتنبي كلًا من ثمار هذا المكان وجداوله ؟
- 8 - في البيتين الآخرين ثلاثة اصوات مختلفة - وضع ذلك .
- 9 - للتصوير عند المتنبي دور واضح في ابراز المعنى وتسجيل المشاعر - وضع مع التمثيل لما تقول .
- 10 - ضع عنواناً جديداً لآيات المتنبي ، وقسمها بحسب معانيها الأساسية .

## **تدريب نموذجي**

### **المقالة الأدبية :**

— الوصف من الغنون الشعرية التي قال فيها شعراء العربية منذ العصر الجاهلي . اكتب مقالاً تتناول فيه موضوعات هذا الوصف حتى عصر المتنبي ، مبيناً اثر البيئة في ذلك الوصف وموضوعاته .

### **السؤال الكتابي :**

— اثر ياسلوبك الابيات الثلاثة الاخيرة من نص المتنبي ، ثم استخرج منها ثلاثة لوان بيانية مختلفة ، موضحاً اثرها .

## ١ - الفخر

كُمْقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ  
مَفْرَشِي صَهْوَةُ الْحِصَانِ وَلَكِنْ  
أَيْنَ فَضْلِي إِذَا قَنَعْتُ مِنَ الدَّهْرِ  
ضَاقَ صَدْرِي ، وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزْ  
فِي قَائِمِي ، وَقَلَّ عَنِّي مُغْوِي  
أَبَدًا أَقْطَعَ الْبِلَادَ وَنَجَمَي  
فِي نُهُوْسِ ، وَهَمَتِي فِي سُعُودِ  
وَلَعْلَيْ مُؤَمَّلٌ بَعْضَ مَا أَبْلَغَ  
بِاللَّطْفِ مِنْ عَزِيزِ حَمِيدِ  
عِشْ عَزِيزًا ، أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمَ  
بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا ، وَخَفَقَ الْبُنُودِ  
فِرْرُوسُ الرَّمَاحَ أَذْهَبَ لِلْغَيْظِ  
وَأَشْفَى لِغَلَّ صَدْرِ الْحَقُودِ  
لَا كَمَا قَدْ حَسِتَ غَيْرَ حَمِيدِ  
وَإِذَا مُتَّ مُتَّ غَيْرَ فَقِيدِ  
فَاطَّلُبِ الْعِزَّةِ فِي لَطْئِ ، وَدَعِ الْسُّذْلَ  
وَلَوْ كَانَ فِي جِنَانِ الْخُلُودِ  
مَا يَقُومِي شَرُفتُ بَلْ شَرَفُوا بِي  
وَبِهِمْ فَخَرَ كُلِّ مِنْ نَطَقَ الضَّادِ  
إِنْ أَكُنْ مُعْجِيًّا فَعُجْبُ عَجِيبِ

ارض نخلة : قرية لبنانية ترب بمثلث . صهوة الحصان : ظهر الحصان .

مسرودة : درع . عزيز حميد : صفات الله عز وجل . القنا : الرمح .

والفرد قناة . البنود : الأعلام ، والفرد بنده . للك : جهنم . الصاد : اللغة العربية .

العود : الملاحة . العجاني : المجرم . الطريد : المترود ، المنفي .

## ب - مَدْحُ سِيفِ الدُّوَلَةِ وَتَهْشِيَّهُ بَعْدَ الْأَصْحَى

وَعَادَةً سِيفِ الدُّوَلَةِ الطَّعْنُ فِي الْمَعْدَى  
عَلَى الدُّرْرِ ، وَاحْذَرْهُ إِذَا كَانَ مُزِيدًا  
تُفَارِقُهُ هَلْكَى ، وَتَلْقَاهُ سُجْدًا  
وَيُقْتَلُ مَا تُخْيِي التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا  
يَرَى قَلْبَهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدًا  
فَلَوْ كَانَ قَرْنَ الشَّمْسِ مَاءً لَا وَرَدًا  
مَمَاتًا ، وَسَمَاءُ الدُّمُسْتَقِ مَوْلِدًا  
وَعَيْدَ لَمَنْ سَمَى ، وَضَحَى وَعَيْدًا  
كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَمَا أَوْحَدَاهُ  
وَحَتَّى يَكُونَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا ...  
وَلَوْ شِنْتَ كَانَ الْحَلْمُ مِنْكَ الْمُهْنَدَا  
وَمَنْ لَكَ بِالْحِرْثِ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا

لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَمَوَّدَا  
هُوَ الْبَغْرُ ، غُصْ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِنًا  
تَظَلُّ مُلُوكُ الْأَرْضِ خَائِسَةً لَهُ  
وَتُنْهَى لَهُ الْمَالُ الصَّوَادِمُ وَالْفَنَا  
ذَكِيَّ تَظَنَّهُ طَلِيقَةُ عَيْنِهِ  
وَصَوْلَةُ إِلَى الْمُسْتَضْعَبَاتِ يَخْلِيَهُ  
لِذَلِكَ سَتَّى ابْنُ الدُّمُسْتَقِ يَوْمَهُ  
هَنِيَّا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدَهُ  
فَهَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى:  
هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلَ الْعَيْنَ أَخْتَهَا  
رَأَيْتُكَ غَصْ الْحَلْمِ فِي مَخْضِ قُدْرَةِ  
وَمَا قَتَلَ الْأَخْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ

## ح - الرِّثَاءُ

فَمَا بَطَشَهَا جَهَلًا ، وَلَا كَنَّهَا جِلْمًا  
قَتِيلَةُ شَوَّقَ غَيْرَ مُلْحِقَهَا وَصَمَّا  
وَأَهْوَى لَمْتَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا

أَلَا لَا أَرِي الْأَحَدَاتَ مَدْحَا وَلَا ذَمَا  
لِكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ يَحْسِبُهَا  
أَحْنُ إِلَى الْكَأْسِ الَّذِي شَرِبَتْ بِهَا

---

الصَّوَادِمُ : السِّيفُ الْقَاطِمُ ، الْجَدَا : الْمَطَاءُ . تَظَنَّهُ : ظَنٌّ . طَلِيقَةُ عَيْنِهِ : مُثِلُّ  
الْطَّلِيقَةِ لَبِنَهُ ، وَالْطَّلِيقَةُ مُقْدَمَةُ الْجَبِينِ . قَرْنُ الشَّمْسِ : قَرْنُهُ . الدُّمُسْتَقِ : قَائِدُ  
جَيْشِ الرُّومِ . يَوْمَهُ مَمَاتًا : لَأَنَّهُ اسْرَفَهُ . وَسَمَاءُ الدُّمُسْتَقِ مَوْلِدًا : لَأَنَّهُ تَمَكَّنَ مِنَ الْفَرَارِ  
الْجَدُّ : الْعَظَمَةُ . مَخْضُ الْحَلْمِ : خَالِصُ الْحَلْمِ . الْمُهْنَدَ : الْبَيْدَ . الْبَيْدَ : النَّمَةُ .  
الْأَحَدَاتُ : مَصَابُ الْدَّهْرِ . كَلْهَا : امْتَنَاعُهَا مِنِ الْأَذْى . لِكَ اللَّهُ : دُعَاءُ لِجَدِّهِ . بَعْبِيبَهَا : بَرِيدَ  
نَفْسِهِ . وَصَمَا : هَبِيَا ، لَأَنَّهُ شَوَّقَ الْأَمَّ إِلَى وَالْدَّهَا . الْكَأْسُ الَّذِي شَرِبَتْ بِهَا : كَأْسُ

بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِفَةً فِي حَيَاتِهَا  
 عَرَفْتُ الْلَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَّا  
 أَنَّا هَا كَيْبِي بَعْدَ يَائِسٍ وَتَرَحَّةً  
 حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنِّي  
 رَقَدْمَهَا الْجَارِي ، وَجَفَّتْ جُفُونُهَا  
 وَكُنْتُ قُبِيْلَ الْمَوْتِ اسْتَعْظُمُ النَّوْى  
 فَقَدْ صَارَتِ الصُّفْرَى الَّتِي كَانَتِ الْعَظِيمَى

فَكَيْفَ يَأْخُذُ الثَّارِ فِيكَ مِنَ الْحُمَى ؟  
 وَلَكِنَّ طَرْفًا لَا أَرَاكَ بِهِ أَغْنَى  
 لِرَأْسِكَ ، وَالصَّدِيرُ الَّذِي مُلِنَاهُ حَمَّا  
 لِكَانَ أَبَاكَ الصَّفْحَمَ كَوْنُوكَ لِي أَمَّا  
 لَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّي لَا تَفِيقُهُ رَغْمَا  
 وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِغَالِقِهِ حَمْكَمَا  
 وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِكَرْمَةِ طَعْمَةَا  
 وَمَا تَبْتَغِي ؟ مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمِي  
 جَلُوبُهُ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِيهِ الْيُتْمَاءَا  
 يَأْصِبُ مِنْ أَنْ أَجْعَمَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَاءَا  
 وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْفَشْمَاءَا

هَيْنِي أَخَذْتُ التَّأْرِ فِيكَ مِنَ الْعِدَى  
 وَمَا اسْتَدَّتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ لِصِيقَمَا  
 فَوَأَسْفَأَا أَلَا أُكَبِّلَ  
 وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بَشَّتَ أَكْرَمَ وَالسُّدوْنَى  
 لِئَنْ لَذِ يَوْمِ الشَّامِتَنِ يَوْمِهَا  
 تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمَا غَيْرَ نَفْسِهِ  
 وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةَ  
 يَقُولُونَ لِي : مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلْدَةِ ؟  
 كَانَ بَنِيهِمْ عَالَمُونَ يَأْنَسِي  
 وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي  
 وَكِنْيَنِي مُسْتَنْصِرٌ بِذَبَابِهِ

الموت . مثواها : مقامها قبرها .

تل صاحبه : نقد صاحبه . قدما : قدمها ، اي قبل موتها . ترحة : حزن وهم .

رطا دمعها : اصله رقا بمعنى انقطاع بسبب موتها . الصفح : العظيم . رهبا : انسان يدل امداده ويقص أنوفهم بالرخام اي التراب . عجاجة : غبار حرب . بنיהם :

الضيير هنا يعود الى حсад الشر الدين يسألون عن اسفاره .

وَجَاعَلَهُ يَوْمَ الْلَّقَاءِ تَعْبَتِي  
وَإِنِّي لَمْ قَرُونْ كَانَ نَفُوسُهُمْ  
كَذَا أَنَا يَأْدُنِي ، إِذَا شَتَتَ فَادْهَنِي  
فَلَا عَبَرَتْ بِي سَاعَةٍ لَا تُعْزِنِي

## د - الحِكْمَ

**رأيه في الزمان :**

صَحِّ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَ  
وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْهُ  
رُبَّمَا تُخْسِنُ الصَّنْيَعَ لِيَالِيهِ  
وَكَانَ لَمْ يَرَضْ فِينَا بَرِيبُ الدَّهْرِ  
كُلُّمَا أَبْتَتِ الزَّمَانُ قَنَاهَا  
وَمَرَادُ النُّفُوسِ أَمْفَرَ مِنْ أَنْ  
غَيْرَ أَنَّ الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَابَا  
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تُبْقِي لِحَيَّي  
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدْ  
كُلُّمَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّفَبِ فِي

وعناهم من شأنه ما عانى  
وإن سر بعضهم أحيانا  
ولكن تقدر الإحسانا  
حتى أعاده من أعانى  
ركب المرأة في القناة سنانها  
تتعادي فيه ، وأن تفاني  
كالحات ، ولا يُلقي الهوانا  
لعدتنا أضلنا الشجعانها  
فيمن العجز أن تموت جانبا  
النفس سفل فيها إذا هو كانا

**ذبابة :** حده ، اي السيف . **الفشما :** الظلم والمخاطر . **القرم :** السيد الشجاع .  
**قدما :** تندما ، ومضيا الى الامام .

**عنهم :** همهم وشلل بالهم . **تولوا :** ذهبوا ، ماتوا . **الصنيع :** العمل . **تقدر**  
**الاحسان :** تفسده بالاساءة . **ربب الدهر :** حوالده ومصالبه . **وق الـبيـت** تعريض  
بكافور . **القناة :** عصا الرمح . **ستانا :** حديدة في رأس الرمح ، والقصود  
انه كلما اوجد الجيل السابق وسبلة للآذى والضر جاء الجيل اللاحق  
ليجعل تلك الوسيلة اشد اذى وضررا . **مراد النفوس :** متطلباتها ومشتبهاتها .  
**اصغر :** احقن . **الفتى :** الانسان العز الكريم النفس . **كالعات :** عابسات . **الهوانا :**  
الدل ، ان المرأة بعد الامر صعبا عليه قبل وقوعه حتى اذا وقع وجده هنا وسلا .

## هـ - القتاب

وكان قد جرى لسيف الدولة خطاب مع قوم متشاهرين ، وظن المنبي  
الحيف عليه والتحامل ، فقال معابدا سيف الدولة :

فِيَكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْحَقْمُ وَالْحَكْمُ  
أَنْ تَعْبَثَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَعْهُ وَرَمْ  
إِذَا اسْتَوْتَ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ  
يَأْتِيَ حَيْرٌ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدْمًا  
وَأَسْسَعْتَ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمْ  
وَيَسْهُرُ الْخَلْقُ جَرَاهَا وَيَخْتَصِمُ  
وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلْمَ  
وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ  
فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ  
إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّعَيِّ ذِمَّمٌ  
تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا عَجَمٌ  
قَدْ ضَنَنَ الدُّرَّ إِلَّا أَنَّهُ دَكَّلِمٌ

- يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي  
أُعِيدُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً  
وَمَا اتِّفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا يُنَاطِرُهُ  
سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِنْ ضَمَّ مَغْبِسُنَا  
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي  
أَنَّا مِنْ مُلْهَى جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا  
الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي  
يَا مَنْ يَعْزِزُ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقُهُنِّي  
إِنْ كَانَ سَرْكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا  
وَيَسِّنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَلِكَ ، مَعْرِفَةً  
بَأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشَّعْرَ زِعْنَفَةً  
هَذَا عِتَابُكَ إِلَّا أَنَّهُ مِقَةً

الحكم : العاكم . الناظر : العين . العصم : انسداد الاذن ، عدم السمع والمقصود بالاعمى من لا يميز الادب ، وبين به سمه لا يغير الشر اذا . شواردها : يقصد كلماهه وأشعاره . جراها : من اجلها . البيداء : الصحراء . النهي المقول . نعم : عهود . زعنفة : جماعة من اسفل الناس . تعوز : تقبل . مقة : محنة .

## نظرة في الحياة والموت

لأبي العلاء المري

تعريف وتمهيد :

الشاعر هو «أبو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد» (363 - 449 هـ)، من قبيلة تنوخ العربية التي ينتهي نسبها إلى قصاعة ثم إلى قحطان، وقد عرف «بالموري» نسبة إلى مقبرة التعمان (بلدة بسورية بين حلب وحماء) التي ولد بها سنة 363 هـ، ونشأ بهذه البلدة في بيت علم وغنى، ولم تمض على ولادته ثلاث سنوات حتى أصيب بمرض الجدرى الذي شوه وجهه وأصابه بالعمى، إلا أن ذلك لم يقدر به عن طلب العلم، فقد تلقى مبادرته على أبيه وعلى غيره من علماء عصره في المعرفة، حيث أطلع على أسرار اللغة، وعرف دقائقها وحقائقها، ثم تنقل في مدن الشام يزور المكتبات، ويختلف إلى دور العلم، ويحضر مجالسه، ويلقى العلماء والأدباء حتى صار علم الأعلام في عصره، ثم ذهب إلى بغداد، وولج بيوت علمها، وحضر مجالس أدبها، واشترك في ندوات فلاسفتها، ولكنه لم يستقر مقامه فيها غير تسعه عشر شهراً عاد بعدها إلى المرة بسبب مرض أمه التي بلغه نعيمها وهو في طريق المودة إليها، فاشتد حزنه عليها، وزهد في الحياة، وكان في أبي العلاء ميل إلى التشاؤم وحب للعزلة فما كاد يصل المرة حتى جبس نفسه في منزله، فسمى رهين الحسين «العمي والمنزل»، وعكف على التعليم والتاليف، وحرم على نفسه الزواج وأكل ذي روح، وبسبب آرائه في المذهب والأديان والشرائع ارتاب الناس في عقيدته، وشكوا في دينه، ورماه بعضهم بالزنقة. وتوفي الموري سنة 449 هـ بعد أن ملأت شهرته البلاد، وقصد إليه طلاب العلم من كل الجهات، وخلف تراثاً ضخماً في الأدب واللغة والفلسفة والاجتماع يخلد على الزمن هذا الشاعر العالم الفيلسوف، ومن آثاره الأدبية في الشعر : «سقط الزند»، «واللزوميات»، وفي النثر : «الفصول والفايات»، ورسالة الفرقان». وله غير ذلك تأليف كثيرة في الشعر والنشر.

وهذا النص أبيات أولى من قصيدة قالها أبو العلاء في رثاء صديقه «أبي حمزة» أحد علماء الفقه الحنفي، والمشتغلين برواية الحديث النبوى الشريف، وقد ضمنها الشاعر بعض آرائه في الموت والحياة، والوجود والفناء

(١)

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلْتِي وَأَعْتَقَادِي نَوْحُ بَالِكٌ وَلَا تَرْنِسُ شَادِ  
وَشَيْهٌ صَنُوتُ النَّعِيِّ إِذَا قِيسَ يَصْوَتُ الْبَشِيرُ فِي كُلِّ نَادِ  
أَبَكَتْ تِلْكُمُ الْحَمَامَةُ أَمْ غَنَّثَتْ عَلَى فَرْزِعٍ غَصِّنَمَا الْمَيَادِ

(٢)

صَاحِ هَذِي قُبُورُنَا تَنَلُّ الرَّحْنَبَ فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَمَدِ عَادِ؟  
خَفَقَ الْوَطَةَ مَا أَظْلَنَ أَدِيمَ الْأَرْضِ إِلَيْهِ مَذْءُونُ الْأَجْسَادِ  
وَقَيْعَ بَنَاسًا وَإِنْ قَدْمُ الْعَهْدِ هَوَانُ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ  
يَسْرٌ إِنْ اشْطَعَتْ فِي الْهَوَاءِ رُؤْنِدًا  
رَبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَخْدًا مَرَادًا  
لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ  
صَاحِكٌ مِنْ تَزَاحُمِ الْأَضَدَادِ  
فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْأَبَادِ  
مِنْ قَبِيلٍ وَآنْسَاءِ مِنْ بِلَادِ  
وَأَنَارَ الْمُسْدَلِجَ فِي سَوَادِ  
إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ  
فُسُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ  
وَدَفِينٍ عَلَى بَقَائِيَا دَفِينِ  
فَاسْأَلِ الْفَرَقَدَيْنِ عَمَّنْ أَحَسَّ  
كُمْ أَقَاماً عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ  
تَبَعَ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعْجَبُ  
إِنَّ حُرْنَنَا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضَعَا

غير مجد : غير نابع ولا منفي . ملتي : مدحبي . نوح : بكاء . الترنم : ترديد الصوت  
وتجيئه بالفناء . الشادي : المحنى . النهي : الخبر بالموت . البشير : البشر بالخير .  
النادي : المجلس ، مكان الاجتماع . الياド : المفتر ، كثير التمايل . صاح : يا صاحب . الرحمن  
المكان الواسع . هاد : اسم لقبيلة عربية قديمة بعث الله فيها نبيه هودا . خلف الوطه :  
سر متهملا . أديم الأرض : ترابها ، ظهرها . قبيح بنا : عار علينا . رويدا : مهلا .  
الاختيال : بيتا وتكبرا . الوفات : الطعام ، دقائق النظام البالية . لعد : قبر . الباباد :  
الدهور الطويلة ، جمع ابد وهو الدهر . الفرقدين : منشى فرقن . المدلنج : الساز

(ح)

**خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسُبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ**  
**إِنَّمَا يُنَقْلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَالٍ إِلَى دَارِ شَفْوَةٍ أَوْ رَشَادٍ**  
**صَبْعَةُ الْمَوْتِ رَثْدَةٌ يَسْتَرِيعُ الْجِسْمُ فِيهَا وَالْيَقْنُ مِثْلُ السَّهَادِ**

### المناقشة :

اولاً - اجب عما يأتي :

- 1 - ما الفكرة الرئيسية التي عبرت عنها أبيات المجموعة (ح) ؟
- 2 - بم علل الشاعر لهذه الفكرة ؟ ومما يقياس الذي اوردته ليؤكدتها به ؟ وما رأيك فيما ذهب اليه الشاعر ؟
- 3 - بعن يذكر الشاعر في أبيات المجموعة (ب) ؟ وإلام يدعوه ؟ ولماذا ؟
- 4 - للشاعر رأي في تحلل الأجسام الى عناصرها - وضحه ، واذكر  
ال أبيات التي تضمنته .
- 5 - ما الفكرة التي تضمنتها الأبيات من السابع الى الحادي عشر ؟ وماذا يعني الشاعر من ذكرها ؟
- 6 - ما رأي الشاعر في الحياة وقيمتها ، وفي الذين يتعلقون بها تعلقاً كبيراً ؟  
وبم يستدل لرأيه ؟
- 7 - وضع فكرة الشاعر في سخرية القبر من الناس ، ثم اذكر الغرض  
الذي يرمي اليه الشاعر من ورائها .
- 8 - تضمنت أبيات المجموعة (ح) فكرة الشاعر في بقاء الناس - اشرح  
ذلك الفكرة موضحاً : على من يرد بها ؟
- 9 - قال الله تعالى : «لَكِيلًا قَاسَوا عَلَى مَا فَلَاقُوكُمْ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»  
في أي الأبيات اعتمد الشاعر على معنى تلك الآية الكريمة ؟
- 10 - قال الله تعالى : «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ، وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ، وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ  
تَارِيَةً أُخْرَى» ووضح كيف استفاد الشاعر من هذا النص القرآني  
الكرييم .

للبقاء : للحياة في الدار الآخرة . امة : جماعة والمقصود الدهريون الثالثون بفناء  
الأرواح . للنفاذ : للفناء من غير بث . دار أعمال : المقصد الحياة الدنيا . دار شفوة  
او رشاد : دار شقاء او نعيم ، والمقصود الدار الآخرة . السهاد : الارق وعدم النوم .

ثانياً - أعد قراءة الآيات ثم أجب عن الأسئلة الآتية :

- 1 - « نوح بالك ولا ترنم شاد » بم تسمى اللون البلاغي في هذا التعبير ؟ وما قيمته في المعنى ؟
- 2 - فـ الـ بـيـتـ الثـانـيـ لـوـنـ بـيـانـيـ - وـضـحـهـ وـبـيـنـ اـثـرـهـ فـيـ الـكـلـامـ .
- 3 - ما الفرض من الاستفهام في الـ بـيـتـ الثـالـثـ ؟
- 4 - « خـفـفـ الـوـطـءـ » عم يـكـنـيـ الشـاعـرـ بـهـذـاـ التـعـبـيرـ ؟ وـضـحـ الصـورـةـ وـبـيـنـ اـثـرـهـ الـبـلـاغـيـ .
- 5 - ما الفرض من الاستفهام في الـ بـيـتـ الـرـابـعـ ؟ وـالـأـمـرـ فـيـ الـبـيـتـ السـابـعـ ؟
- 6 - فـ الـ بـيـتـ الـخـامـسـ اـسـلـوبـ قـصـرـ - وـضـحـ طـرـيقـتـهـ ، وـطـرـفـيـهـ ، وـاـثـرـهـ الـبـلـاغـيـ .
- 7 - « تـعـبـ كـلـهـ الـحـيـاةـ » ماـذـاـ أـفـادـ التـقـدـيمـ فـيـ هـذـاـ التـعـبـيرـ ؟
- 8 - كان المـعـرـيـ يـعـتمـدـ فـيـماـ يـقـولـ عـلـىـ الـحـجـةـ وـالـبـرـهـانـ أـكـثـرـ مـاـ يـعـتمـدـ عـلـىـ الـعـاطـفـةـ وـالـوجـدانـ . مـثـلـ لـذـلـكـ ، وـاذـكـرـ مـاـ يـدـلـ عـلـيـهـ مـنـ شـخـصـيـتـهـ
- 9 - كان اـسـلـوبـ اـبـيـ الـعـلـاءـ فـيـ هـذـاـ النـصـ مـوـافـقـاـ لـلـمـعـانـيـ الـتـيـ اـخـتـارـهـ . اـشـرـحـ ذـلـكـ وـمـثـلـ لـمـاـ تـقـولـ .
- 10 - النـصـ بـهـذـهـ الصـورـةـ دـلـيلـ عـلـىـ نـقـافـةـ الشـاعـرـ مـنـ جـهـةـ ، وـعـلـىـ مـقـدـرـتـهـ الـفـنـيـةـ مـنـ جـهـةـ آخـرـيـ . اـشـرـحـ هـذـاـ القـوـلـ .
- 11 - الـقـصـيـدةـ مـنـ بـحـرـ الـخـفـيفـ ، وـاجـزـاـءـهـ :  
فـاعـلاتـنـ مـسـتـفـعـلـنـ فـاعـلاتـنـ فـاعـلاتـنـ مـسـتـفـعـلـنـ فـاعـلاتـنـ  
قطعـ - فـ ضـوءـ ذـلـكـ - الـبـيـتـ الـأـوـلـ مـنـ النـصـ .

### تدريب

المقالة الأدبية :

ـ الشـعـرـ مـرـأـةـ يـنـعـكـسـ عـلـيـهاـ مـاـ يـجـريـ فـيـ الـجـمـعـ - طـبـقـ هـذـهـ النـظـرـيـةـ عـلـىـ عـصـرـ المـعـرـيـ مـشـيـراـ إـلـىـ اـزـدـهـارـ الـعـلـومـ فـذـلـكـ الـمـصـرـ وـمـبـيـنـ اـثـرـ ذـلـكـ عـلـىـ الـجـمـعـ .

السؤال الكتابي :

ـ سـقـيـتـ أـنـ درـسـتـ لـلـخـنـاءـ قـصـيـدةـ فـيـ رـثـاءـ أـخـيـهـ صـخـرـ - فـمـاـ فـرقـ بـيـنـ اـتـجـاهـ كـلـ مـنـ اـبـيـ الـعـلـاءـ وـالـخـنـاءـ فـيـ رـثـائـهـ مـنـ حـيـثـ مـعـانـيـ الـمـوـضـوعـ ، وـعـاطـفـةـ الـقـائـلـ ؟

## ١ - الفلسفة

### منهبه في الحياة ورأيه في أخلاق الناس

لِشَمْعِ أَنْبَاءَ الْأَمْوَارِ الصَّحَائِحِ  
وَلَا تَنْبَغِي قُوَّاتِ مِنْ غَرِيبِ الدَّبَائِحِ  
لِأَطْفَالِهَا دُونَ الْفَوَانِي الْقَرَائِعِ  
بِهَا وَضَعَتْ ، فَالظُّلْمُ شَرُّ الْقَبَائِحِ  
كَوَاسِبِ مِنْ أَزْهَارِ نَبَتِ فَوَائِحِ  
وَلَا جَمَعَتْهُ لِلْسَّدَى وَالْمَسَائِحِ  
أَبْهَتْ لِشَانِي قَبْلَ شَيْبِ الْمَسَائِحِ  
عِلْمَتْ ، وَلِسِكْنِي بِهَا غَيْرُ بَائِحِ  
هَا خَبَرْتُكُمْ صَافِيَاتُ الْقَرَائِعِ  
أَجْبَشْتُمْ - عَلَى مَا حَيَّلْتُ - كُلَّ صَائِحِ  
إِذَا لَمْ يُعِيشْنِي كَرِيمَةُ الرَّوَائِعِ  
خُوازِ التَّوَاعِي ، وَالثَّدَامُ التَّوَائِعِ  
لِسْكَنَائِي يَبْتَعِي الْحَقُّ بَيْنَ الصَّفَائِحِ  
فَكَيْفَ قَبُولِي كَادِبَاتِ الْمَدَائِحِ؟

عَدَوَتْ مَرِيضَ الْعَقْلِ وَالْدِينِ فَالْقِنِي  
فَلَا تَأْكُنْ مَا أَخْرَجَ الْمَاءُ ظَالِمًا  
وَأَيْضَ أَسَاتِ أَرَادَتْ صَرِيحَهُ  
وَلَا تَفْجَعَنَ الطَّيْرَ وَهِيَ غَوَافِلُ  
وَدَعَ ضَرَبَ التَّحْلِ الَّذِي بَكَرَتْ لَهُ  
فَتَا أَخْرَزَتْهُ كَيْ يَكُونَ لِنَسِيرِهَا  
مَسْخُ يَدِي مِنْ ثُلَّهَا ، فَلَيْسَتِي  
أَبِي زَمِيْنِي هَلْ تَفْلِمُونَ سَرَائِرَا  
سَرِيَّتُمْ عَلَى غَيْرِهِ ، فَهَلَا اهْتَدَيْتُمْ  
وَصَاحَ يَكُنْ دَاعِيِ الصَّلَالِ ، فَمَا لَكُمْ  
يُنْعِيشُنِي فِي التَّرْبِ مَنْ هُوَ كَارِهٌ  
وَمِنْ شَرَّ أَخْلَاقِ الْأَنْسِ وَفَلِيمِ  
وَأَضْفَحَ عَنْ ذَنْبِ الصَّدِيقِ وَغَيْرِهِ  
وَأَزْهَدُ فِي مَذْحِ النَّقَى عِنْدَ صِدِيقِهِ

**مريض اللبانع :** لحمها انطري . يبني في هذا البيت من أكل السمك واللحوم ، كما يبني في الآيات 3 و 4 و 5 من أكل اللبن والببيب والسل ، وهو في ذلك متاور بالفلسفة الهندية التي تحرم أكل كل ما هو أصل حيواني . - أيضًا أمات : لبن أمات . صريحه : خالصه أو صافيه . الغوانى الصراخ : النساء الحالات الحسن . - ضرب التحل : مسل التحل . فوائع : منشرة الرائحة . - الندى : المطاء والكرم . المثالع : المدايا ، والمفرد منيحة . - مسحت يدي من كل هذا : تركه . أباهت لشاني : انتبهت . المسائع : شعر جانبى الرأس ، والمفرد مسيحة . - على ما خيلت : من غير تفكير . - الآيس : الناس . خوار التواهي : سباح الباكبات على الميت . التدام التواحال : ضرب الباكبات مدورهن . بيت الحق : القبر .

## ب - الحكمة والبراء

وَمُخْلِفَ الْمَأْمُولِ مِنْ وَعْدِهِ  
وَأَيُّ أَفْرَانِكَ لَمْ تُرْدِهِ  
وَتُنْزِلِ الْأَعْصَمَ مِنْ فِتْدِهِ  
يَجْعَلُهُمْ سَيِّلَكَ فِي مَسْدِهِ  
فَقِيهُ أَنْفَعُ مِنْ رُشْدِهِ  
حَتَّى أَخَا الرَّهْبَةِ عَلَى زَهْرِهِ  
مَا يَبْعُدُ السَّكَافَةُ مِنْ بُدْهِ  
لَمْ يَقْهَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ  
يَغْرِزُ أَهْلُ الْأَرْضِ عَنْ رَدِّهِ  
يَدْمِهُ شَيْعَةُ أَمَ حَمْدِهِ  
كَالْحَاشِدِ الْكَثِيرِ فِي حَشْدِهِ  
مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا يَتَسْدِمُ  
لَكَانَ كَالْمَعْسُدُومِ فِي وَجْدِهِ  
وَإِنَّمَا الشَّنْوُقُ إِلَى وَزْدِهِ  
لِمَنْ تَسَاهَى الْقَلْبُ فِي وُدِّهِ  
وَكُلُّ مَا يَكْرَهُ فِي مَسْدِهِ  
سُلْطَتِ الْأَرْضِ عَلَى خَدِّهِ  
وَكَانَ يَشْكُوُ الضَّعْفَ مِنْ عَقْدِهِ  
وَالْمَوْتُ لَوْ يَغْلِمُ فِي وَرْدِهِ

يَا دَهْرُ يَا مُنْجَزَ إِعَادِهِ  
أَيُّ جَدِيدٍ لَكَ لَمْ تُبْلِهِ؟  
تَسْتَأْسِرُ الْعَقْبَاتَ فِي جَوَّهَا  
أَرَى ذَوِي الْفَضْلِ وَأَضْدَادَهُمْ  
إِنْ لَمْ يَكُنْ رُشْدُ الْفَقَى تَافِعًا  
تَعْرِبَةُ الدِّينَا وَأَفْعَالِهَا  
وَالْقَلْبُ مِنْ أَهْوَائِهِ عَابِدُهُ  
لَوْ عَرَفَ إِلَانْسَانُ مِقْدَارَهُ  
أَمْسِنَ الَّذِي مَسَّ عَلَى قُرْبِهِ  
وَلَا يُسَالِي الْمَيْتُ فِي قَبْرِهِ  
وَالْوَاحِدُ الْفَرَدُ فِي حَتْفِهِ  
وَمَجْدَهُ أَفْعَالُهُ ، لَا الَّذِي  
لَوْلَا سَجَاجِيَاهُ وَأَخْلَاقُهُ  
تَشَتَّاقُ أَيَّارٌ نُفُوسُ الْوَرَى  
تَدْعُو بِطُولِ الْعُمُرِ أَفْوَاهُهَا  
يُسَرِّ إِنْ مُدَّ بَقَاءً لَهُ  
كَمْ صَائِنٌ عَنْ قُبْلَةِ خَدِّهِ  
وَحَامِلٌ ثَقْلَ الشَّرِيِّ جِيدُهُ  
وَرُبَّ طَمْقَانٍ إِلَى مَوْرِدِهِ

---

اياد : تهدبه وهو مصدر اولد . يقال : وعده بالخير ، واوعله بالشر . - لم ترده : لم تمه . - الاعصم : موبل الجبال ، الظباء . الفند : القطة من الجبل . - البد : الصنم . - حتفه : موته . العاشر الكثير : الرجل الكثير الاموال . - سجاهه : طباهه الحسنة . وجده : وجوده ، حياته . - اياد : هو الشهر الخامس من السنة اليابدية والقصد ان الناس يحبون شهر اياد لا لانه شهر اياد وانما لما يكون فيه من ورد جميل ، وكذلك الانسان يشرف بافعاله الحسنة لا بذاته وصورته الانسانية وحدها . جيده : عنقه .

## ج - الوصف

وصف الليل :

عَلَانِي ، فَإِنَّ يِضَّ الْأَمَانِي  
إِنْ تَنَاسَتِنِي مَا وِدَادَ أَنَسَاسِ  
رَبَّ لَيْلٍ كَانَهُ الصُّبُحُ فِي الْحَسَنِ ، وَإِنْ كَانَ أَشَوَّدَ الطِّيلِسَانِ  
قَدْ رَكَضَنَا فِيهِ إِلَى الْمَوْلَى  
كَمْ أَرَذَنَا ذَاكَ الزَّمَانَ يَسْدُحُ  
فَكَانَنِي مَا قُلْتُ وَالْبَدْرُ طَفْلٌ  
لَيَتَيْ هَذِهِ عَرْوَشُ مِنَ الزَّنْجِ  
هَرَبَ النَّوْمُ عَنْ جُفُونِي فِيهَا  
وَكَانَ الْهِلَالَ يَهْوَي الشَّرِيَا  
وَسَهْلِي كَوْجَنَةِ الْوَجْبِ فِي الْلَّوْ  
يُسْرَعُ اللَّنْحُ فِي الْحِمَارِ كَمَا تُسْرَعُ  
ضَرَبَتْهُ دَمًا سُيُوفُ الْأَعَادِي  
فُتِّمَ شَابَ الدُّجَى ، وَخَافَ مِنَ الْهَجْرِ  
وَنَضَّا فَجْرُهُ عَلَى نَسْرِهِ الْوَاقِعِ

فَنَيَّتْ ، وَالزَّمَانُ لَيْسَ بِفَانِ  
فَاجْعَلَانِي مِنْ بَعْضِ كُنْ تَنْدُكُرَانِ  
وَقَفَ التَّجْمُ وَقَفَةَ الْعَيْرَانِ  
فَشُعِلَنَا بِيَدِمْ هَذَا الزَّمَانِ  
وَشَبَابُ الظَّلَمَاءِ فِي عَنْفَوَانِ  
عَلَيْهَا قَلَائِدُ مِنْ جَمَانِ  
هَرَبَ الْأَمْنِ عَنْ فُؤَادِ الْجَبَانِ  
فَهُمَا لِلنَّوْدَاعِ مُعْتَنِقَانِ  
ذِي وَقْلِبِ الْمُحِبِّ فِي الْغَفَقَانِ  
فَبَكَتْ رَحْمَةً لَهُ الشَّعْرَيَانِ  
فَقَطَّعَتِي الْمَشِيبَ بِالرَّغْفَانِ  
سَنِيفَا فَهَمَّ بِالْطَّسَيَّانِ

الطِّيلِسَانُ : النَّوْمُ . - جَهَانُ : لَوْلَوْ ، وَالْمَفْرَدُ جَمَانَةُ . - سَهْلِي : اسْمَ لِتَجْمَمِ بَهِي يَطْلُعُ  
عَلَى بَلَادِ الْعَربِ فِي اُواخِرِ الْقِبَطِ . - الْعَبُ : الْحَبِيبُ . - فَرْجَتَهُ : لَطَخَتْهُ . الشَّعْرَيَانُ :  
مُثْنَى شَعْرِي وَهِي كَوْكَبٌ يَطْلُعُ فِي بَرْجِ الْجَوَزَاءِ عَنْدَ اشْتِدَادِ الْحَرَّ . - نَفَسَا : جَرْدُ .  
النَّسْرُ الْوَاقِعُ : كَوْكَبُ فِي السَّمَاءِ ، وَيَقْبَلُهُ النَّسْرُ الطَّائِرُ .

## د - نماذج أخرى من لزومياته

أولاً - إشار العزلة :

وَلَا تُرْغِبُنَّ فِي عِشَرَةِ الرُّؤْسَاءِ  
وَإِنْ هُوَ أَكْدَى فَلَةُ الْجَلَسَاءِ  
وَجِنْسَيْهِ رِجَالٌ مِنْهُمْ وَنِسَاءٌ  
وَلَمْ يَرْتَضِعْ مِنْ أُمَّهُ النُّفَسَاءِ  
تَقْدِينِ بِي أَنْ تُتَكَبِّي وَتَسَائِي

تَوَحَّدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ رَبُّكَ وَاحِدٌ  
يُقْلِلُ الْأَذَى وَالْعَيْبَ فِي سَاحَةِ الْفَتَّى  
فَاقْتَلْعَصَرْتُهُمْ : نَهَارٍ ، وَحَنْدِسٍ  
وَلَيْتَ وَلِيَدَا مَاتَتْ سَاعَةً وَضَمِّهِ  
يَقُولُ لَهَا مِنْ قَبْلِ نُطْقِ لِسَانِهِ :

ثانياً - الواقع المحتال :

بَصَاحِبِ حِيلَةٍ يَعِظُ النَّسَاءَ  
وَيَشْرِبُهَا عَلَى عَمَدٍ مَسَاءَ  
وَفِي لَذَاتِهَا رَاهِنَ الْكِسَاءَ  
فَمِنْ جَهَنَّمِ لَا جَهَنَّمَ أَسَاءَ

رُوَيْدَكَ قَدْ غُرِّبْتَهُ وَأَنْتَ حُرْجٌ  
يُحَرِّمُ فِي كُمِ الصَّهَابَاءِ صُبْحًا  
يَقُولُ لَكُمْ : غَدُوتُ بِلَا كِسَاءٍ  
إِذَا فَعَلَ الْفَتَّى مَا عَنْهُ يَنْهَى

ثالثاً - ما في البرية جيد :

لَا يَكِدُبُوا ، مَا فِي الْبَرِّيَّةِ جَيْدٌ  
وَتَقِيمُهُمْ بِصِلَاتِهِ يَتَضَيَّدُ

قَالُوا فُلَانٌ جَيْدٌ لِصَدِيقِهِ  
فَأَمِيرُهُمْ نَسَالٌ إِلَامَارَةٌ بِالْخَنَّا

توحد : مش وحدك وامتزل الناس . - أكدى : اصبح فقيرا فليل الخبر . - حنس : ليل . - النفسياء : الأم الحبيبة المعبد بالولادة .

الصهباء : الخبر . - هن جهتين لا جهة أساء : لانه خالف الشرع الذي حرم الخبر ، كما انه خالف نفسه ونافق بشرب الخبر بعد نهيه عنها . الغنا : الفناد .

## هـ - الفخر

ولابي العلاء المعري في الفخر الذي قاله قبل اعزالة الناس :

عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ  
يُصْدِقُ وَأَشِ، أَوْ يُخْبِئُ سَائِلٌ  
وَلَا ذَبْ لِي إِلَّا الْعَلَا وَالْفَضَائِلُ  
يَا خَفَاءَ شَمْسٍ ضَمُونُهَا مُتَكَامِلٌ<sup>٩</sup>  
لَآتِيَتْ يَمَانَ لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ  
وَأَسْرِيَ وَلَوْ أَنَّ الظَّلَامَ جَحَافِلُ  
عَلَى أَتَيَ بَيْنَ السِّمَاكِينِ نَازِلٌ  
وَيَقْصُرُ عَنِ إِدْرَاكِهِ الْمَشَاؤُلُ  
تَجَاهَلْتُ حَتَّى ظُلِّيَ أَنِي جَاهِلٌ

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلُ  
أَعْنِدِي وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ حَيْثَيْةٍ  
نَعْدَ دُنْوِيِّيِّيْنَ قَوْمَ كَثِيرَةً  
وَقَدْ سَارَ ذَكْرِيِّيْ فِي الْبَلَادِ فَمِنْ لَهُمْ  
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ  
وَأَغْدُو وَلَوْ أَذْ الصَّبَاحَ صَوَادِمُ  
وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرِضْ لِي كُنْهُ مَنْزِلٌ  
لَدَى مَوْطِنِيِّيْشَافَهُ كُلُّ سَيِّدٍ  
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَهْلَ فِي النَّاسِ فَأَشِيَا

التالل : الطاء ، والمرور . - الواشي : الذي ينقل كلاما لا سمع له  
بقصد الإساد . - الصوادم : البيوبي . - الجحالل : جمع جحفل ، وهو الجيش  
الكثير العدد . - السماكان : نعمان في السماء هنا : الرامع والأمرل .

## وصف الصديق لابن المفعع

تعريف وتمهيد :

الكاتب هو « أبو محمد عبد الله » المعروف « بابن المفعع » ( 106 - 145 هـ ) ، فارسي الأصل ، وكان مجوسى الدين ، يدين بمذهب « زرادشت » لفترة طويلة من حياته ، ولد بقرية « جور » الفارسية ( وتسمى اليوم فيروزآباد ) عام 106 هـ - 724 م ، ونشأ ابن المفعع بالبصرة في ولاء « آل الأهم » وهم قوم معروفوون بالفصاحة ، وخلط الأعراب وأخذ عنهم ، ومن أخذ عنهم الفصاحة « أبو الجاموس » أحد البدو الذين كانوا في خدمة والي البصرة ، واهتم أبوه بتعليميه اللغة الفارسية وأدبها ، كما تلقى العلم والأدب على يد علماء البصرة وأدبائها ، وقد اشتغل ابن المفعع بالأدب ، وكان زعيم مدرسة في الكتابة ، وساعدته على نيل تلك المكانة موهبة طبيعية فذة ، واطلاع واسع على الثقافتين العربية والفارسية ، وقدرة على التعمق والتأمل في تناول المشكلات الاجتماعية .

وقد تقلد ابن المفعع الكتابة لعدد من الولاية ، فكتب ليزيد بن عمر بن هبيرة وكان يزيد والياً لروان بن محمد آخر خلفاءبني أمية ، ثم اتصل ابن المفعع بعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح والمنصور ( من الخلفاء العباسيين ) وكان إلى هذا العهد لا يزال مجوسياً ، فاستلم على يده ، وكتب له .

ولقد استحوذ ابن المفعع على أساليب البلاغة والبيان بحيث استطاع أن يترجم كتاباً عدداً من الأدب الفارسي ترجمة مثالية ومنها كتاب « انطمة الملك » وقصة « مزدلاً » وحياة « برزویه » ، وكذلك الترجمة التي عملها لتصصن الحيوان بعنوان « كليلة ودمنة » كذلك نجد لابن المفعع مقالات جمعت في كتابيه « الأدب الصغير ، والأدب الكبير » .

وقد اشتُهِرَّ ابن المفعع بالزندقة والخروج على تعاليم الإسلام ، ومات مقتولاً حوالي سنة 145 هـ - 764 م في أرجح الأقوال عن تسعه وثلاثين عاماً .

ومن المقرر ان اهم وظائف الادباء والمفكرين هو إرشاد الناس الى خير السبل لصلاح شؤونهم الخاصة وال العامة ، وقد كان ابن القفع واحداً من أولئك الوجهين الاجتماعيين في عصره ، فقد درس الكثير من كتب الأخلاق والاجتماع في ادب الفرس واليونان ، وشارك بفكرة وقلمه في توجيه جيله باسلوب ميسر ، وعبارة مشرقة واضحة .

والنص الذي بين يديك من كتابه «الادب الصفي» (\*) وفيه يتحدث عن صديق جدير بالصداقه لما وهب من نفس ايجية ، وأخلاق رضية ، واختبار الاصدقاء النافعين أمر حيوى ، وبإمكاننا الاسترشاد في هذا الاختبار بوصف ابن القفع لصديقه ، كما نستطيع الانتفاع بتلك الاخلاق المثالبة في صلاتنا بالآخرين وكسب ثقتهم وموتهم .

### الفصل :

« كَانَ لِي صَدِيقٌ ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِي . وَكَانَ رَأْسُ مَا أَعْظَمَهُ فِي عَيْنِي صَغْرَ الدِّينِيَّا فِي عَيْنِي . كَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ ، فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ ، وَلَا يَكْتُرُ إِذَا وَجَدَ . وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ شَهْوَتِهِ ، فَلَا يَدْعُو إِلَيْهِ رِبِّيَّةَ ، وَلَا يَسْتَخْفُ لَهُ رَأْيًا وَلَا بَدَنًا . وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ لِسَانِهِ ، فَلَا يَقُولُ مَا لَا يَعْلَمُ ، وَلَا يَنْازِعُ فِيمَا عِلْمٌ . وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ الْجَهَالَةِ ، فَلَا يُقْدِمُ أَبْدًا إِلَّا عَلَى ثَقَةٍ يَسْتَفْعِمُهُ .

كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً ، فَإِذَا نَطَقَ بَدَّ النَّاطِقِينَ ، وَكَانَ يُرَى ضَعِيفًا مُسْتَضْعِفًا ، فَإِذَا جَاءَ الْجُدُّ فَهُوَ الْلَّيْتَ عَادِيًّا .

كَانَ لَا يَدْخُلُ فِي دَغْوَىٰ ، وَلَا يَشْتَرِكُ فِي مِرَاءٍ ، وَلَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يُرَى قَاضِيًّا عَدْلًا ، وَشَهُودًا عَدْلًا .

(\*) ورد نص مشابه لهذا النص ومتضمن في كتاب «نوح البلقة» وعلى ذلك يمكن القول : ان ابن القفع كان متاثرا الى حد كبير بالاعلام على وريقته منه .

صغر العني : ثغرة شانها . سلطان بطنه : المقصود خضوعه لسيطرة مطالبه . لا يشتهي : لا يطلب . ريبة : شكا . لا يستخف : لا يستهين . بد : فاق وغلب . الاليث : الاسد . مراه : جدال .

وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا قَدْ يَكُونُ الْمُذَرِّ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَعْلَمَ مَا اعْتِدَارُهُ .  
 وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجْهًا إِلَيْهِ مِنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبَرَأَةِ .  
 وَكَانَ لَا يَسْتَشِيرُ صَاحِبًا إِلَّا مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ النَّصِيحةَ .  
 وَكَانَ لَا يَتَبَرَّمُ ، وَلَا يَسْخَطُ ، وَلَا يَتَسْمَى ، وَلَا يَتَشَكَّى .  
 وَكَانَ لَا يَنْقِمُ عَلَى الْوَالِيِّ ، وَلَا يَنْفُلُ عَنِ الْمَدْوَّ ، وَلَا يَخْصُّ نَفْسَهُ دُونَ إِخْوَانِهِ يَشْتَيِّي مِنْ اهْتِمَامِهِ ، وَجِيلَتِهِ وَقَوْتِهِ .  
 فَعَلَيْكَ بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ ، إِنْ أَطَقْتَهَا ، وَلَنْ تُطِيقَ ، وَلَكِنَّ أَخْدَهُ الْقَلِيلُ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْجَمِيعِ » .

### ايضاح وتحليل :

الإنسان بطبيعته اجتماعي ، ولذا فهو يحتاج الى الأصدقاء ، ولكن اختيار الأصدقاء ليس أمرا سهلا ، لأن الصديق المنشود هو الذي تتوافر فيه كل الخصال الحميدة ، والخلال الكريبة ليكون معاونا لصديقه على كل خير ، وبعدا عنه كل شر .

ويحدد لنا ابن المفع في هذا النص - بعد تجربة - سمات هذا الصديق الذي نبحث عنه لنقترب منه ونتصرف بما اتصف به .

لقد احتل هذا الصديق من نفس ابن المفع منزلة رفيعة بفضل أخلاقه الطيبة ومثله الفاضلة التي الزم بها نفسه ، والتزم بها في علاقاته مع غيره .  
 ١ - أما الأخلاق والمبادئ التي ارتضاها لنفسه فهي قلة احتفائه بأمور الحياة المادية ومظاهرها الخداعة ، وبيدو ذلك في سلوكه وتصرفاته ، فهو قنوع ، دائم بما عنده ، معتدل في استجاباته لطلابه الخاصة ، وهو عفيف شريف ، ينأى بنفسه عن مواطن الشبهات ، وافعال الفواية والفساد ، وهو مسدد في قوله وعمله ، **فلا يقول إلا الحق** ، ولا يعمل إلا ما فيه الخير

البره : الشفاء . لا يتبرم : لا يظهر ضيقا . لا ينقم على الولي : لا يكره الصديق .  
 عليك بهذه الاخلاق : اولم هذه الاخلاق . اهتت : قدرت .

لنفسه ولغيره ، وهو كثيرون الصمت بادي المدح والازان ، وليس ذلك عن عجز أو قصور فإنه إذا تكلم فاق غيره من الثناريين ، وإذا نادى داعي العمل والجهاد ، كان لشجاعته ، أول الملبين .

ف - وأما الأخلاق والمبادئ التي حدد بمقتضاها ذلك الصديق علاقاته بغيره فهي لا يقحم نفسه في شتون الآخرين ، والا يدخل معهم في مجادلات عقيمة تزرع الكراهة والبغضاء في النفوس ، وإذا أراد الإلقاء برأيه ثبّت منه واختار الموقف المناسب له وهو لا يتسرع في الحكم على تصرفات الآخرين ، فلا يلوم إنساناً على تصرف سيء حتى يعلم حقيقة الأمر ، فربما كان لهذا الإنسان فيما حدث عذر مقبول .

اما الشدائند فإنه صبور في مواجهتها ، ولا يعبر عن الله منها إلا لن يأمل عنده المعاونة والنجدة ، وإذا صادفه أمر يحتاج فيه إلى مشورة استعان في ذلك بالصديق المخلص ، وهو لا يظهر الضجر بغيره ، ولا يسرع إليه الغضب ، ولا يطلب ما في يد غيره ، ولا يكثر من الشكوى إلى الناس .

إن أصدقاءه يلقون منه كل حب وتقدير ، على حين يواجه أعداءه بالحقيقة والحدر ، وهو يؤثر إخوانه على نفسه بما يقدم لهم من مساعدات وخدمات .

ح - ولما كان لكل صفة من هذه الصفات أعظم الآثار، فيمن يستمسك بها أفراداً وجماعات اختتم ابن المقفع هذا النص بالدعوة إلى التمسك بالأخلاق ، والحافظ عليها ، وإذا كان بعض الناس لا يستطيعون العمل بها كاملة فهو لاء يمكنهم التحلّي ببعضها ، وهذا - بلا شك - أفضل من التخلّي عن جميعها .

### دراسة أدبية :

هذا النص نموذج لأسلوب النثر الاجتماعي الذي شاع في العصر العباسي وفيه يعرض ابن المقفع بعض التوجيهات الاجتماعية ، والنصائح الأخلاقية بأسلوب أدبي بعيد عن التكلف والغموض . وفكرة النص الأساسية «وصف الصديق المثالي» . وتدور أفكاره حول عدة أغراض ، أهمها الإشارة بالمكانة العالمية التي احتلها هذا الصديق من نفس الكاتب ، وإبراز ما امتاز به من صفات أهلته لتلك المنزلة ، ثم دعوة ابن المقفع غيره إلى الاقتداء بأخلاق صديقه والتمسك بها - ما أمكن - فإن أخذ القليل خير من ترك الجميع .

وهكلا قدم ابن المفع افكاره مسلسلة مرتبة ترتيبا منطقيا ، وليس ذلك بعجيب من كاتب اضاف الى ثقافته العربية ثقافة الفرس واليونان ، وقد استقصى ابن المفع في النص اكثر الصفات التي تناسب موضوعه ، كما اتبع كل صفة بذكر ما يؤيدتها من سلوك صاحبه ، وعرض الرأي والدليل عليه مما يعين على بشبته والاقتناع به ، وقد يلح ابن المفع على الفكرة بتكرار القول فيها نظرا لأهميةها ، وذلك قوله : لا يتبرم ولا يتسرّط ، لا يتشمّ ، ولا يتشكّ ، فقد سبق قوله في بعض هذه الصفات .

اما عاطفة الكاتب فقد كانت قوية صادقة متداقة ، وكان من آثار تدفقها انساب افكاره وأساليبه إعجاباً بهذا الصديق ، وتقديرها لما اتصف به من خلال .

وقد اتسع في العصر العباسي نطاق القول في هذه الموضوعات الاجتماعية ، وكان ذلك نتيجة طبيعية لما طرأ على المجتمع من تطور بفعل التغيرات الداخلية والخارجية ، ومحاولة الأدباء مشاركة غيرهم في التوجيه الاجتماعي للأفراد والجماعات .

ومن النص نتبين لباقه ابن المفع حين استهل النص بحقيقة اكتافها وهي وجود مثل هذا الصديق ، وصحبته له ، وتقديره لمكانته ، كما نتعرف ايضا الاتجاه الاجتماعي الذي التزم به في كثير من كتاباته ، وفي كتابي : «**الادب الصفيـر ، والأدب الكبير** » وغيرهما أمثلة عديدة عنـي فيها ابن المفع بمشكلات عصره ، وحرص على نقادها وتحليلها ، مشاركاً برأيه في توجيهها ، في أسلوب سهل مرسل ، غير مقيد بأساليب السجع والحسنات البدعية ، وقد تأثر بطريقة ابن المفع كثيراً من جاءوا بعده من كتاب الترسل كالجاحظ .

ولا عجب بعد هذا أن يعتبر النقاد ابن المفع ثاني اثنين أقاما دعائما الكتابة الفنية في الأدب العربي ، أولهما «**عبد الحميد الكاتب** » ، وثانيهما «**ابن المفع** » .

## دراسة بلاغية :

يهم الادباء في نثرهم الاجتماعي بوضوح أفكارهم ، وقوة أساليبهم ، وقدرتها على نقل مشاعرهم في غير مبالغة او إسراف ، وابن المقفع في وصفه لصديقه قد حقق الكثير من تلك الخصائص الفنية بالإضافة الى سهولة اساليبه وإشرافها ، وقد اقتصر على اساليب الغير التي جمعت بين الفخر والإعجاب ، ولم يرد من اساليب الإنشاء غير قوله في الفقرة الأخيرة : « فعليك بهذه الأخلاق » ، وهو أمر جاء في وقته المناسب بعد أن استعرض ما تحلى به هذا الصديق من فضائل ، والغرض الادبي لهذا الأمر هو النصح والتحث . وهذا النوع من النثر يقل فيه الاهتمام بالالوان البيانية من تشبيهات واستعارات وكتابات ، لأن غايته الإفادة بما تحمله الأفكار من مبادئ ومثل رفيعة ، أما الالوان البيانية المستعملة في التعبير فمما يقتضيه المقام ، ويعين على إبراز الفكر ونقل الإحساس ومن ذلك الكتابة عن قوة العزيمة في قوله : « كان خارجا من سلطان بطنه » ، والتشبيه في قوله : « فهو الليث عاديا ». ومع قلة الصور البيانية فإن افكار الموضوع شديدة التأثير ، لأن الكاتب ذو إحساس صادق بما يقول ، وقد ظهر أنز هذه العاطفة واضحا في حسن اختياره للفاظ النص واساليبه ، إذ جاء اغلبها ملائماً وموحياً ، ومن تلك الانماط الجزلة كلمة « خارجا » التي توحى بالتمرد والعصيان ، وكلمة « سلطان » التي توحى بالسيطرة والتحكم ، والفعل « بد » الذي يوحى بالتفوق التام ، وغير ذلك ...

ونلاحظ في النص شيوخ اساليب التوكيد ، والتزام الكاتب للجمل الاسمية التي دخلت عليها « كان » وقد تأتي اخبارها جملة فعلية منافية بـ « لا » ومن ذلك : « كان لا يلوم ، وكان لا يشكو ... » ، كذلك يلجأ الكاتب أحيانا إلى استخدام اسلوب القصر في مثل قوله : « لا يشكو وجعا إلا إلى من يرجو عنده البرء ، ولا يستشير صاحبا إلا من يرجو عنده النصيحة » ، كما يستخدم الشرط غير الجازم « إذا » في قوله : « فإذا نطق بد الناطقين ، وإذا جد الجد فهو الليث عاديا » ، وتلك الاساليب من سمات النثر المرسل التي يستخدمها الكتاب لللاحاج على انكارهم بالترکار أو التزام نمط معين من التعبير .

لكن أهم ما يميز اساليب ابن المقفع هو تحررها من السجع الذي شاع على بعض اللسانة في عصره ، وكان هدف الكاتب هو وضوح الانكار وقويتها ، وفي سبيل ذلك استخدم بعض المحسنات كالطباق بين الولي والعدو ، وبين أخذ وترك .

## مجمل القول

هذا النص نموذج للنثر الأدبي الاجتماعي الذي ازدهر في العصر العباسي ، وقد اهتم ابن المقفع بالكتابه لجأواه واسحة سهلة التناول ، منطقية الترتيب ، وظهرت آثار عاطفة الكاتب في حسن اختياره لأساليبه ، واقتصر منها على الأساليب الخبرية للأدمة لها عرض ما اعجب به من صفات صديقه ، وقد استخدم أساليب التاكيد لترشيع معانيه ، واعتمد على اسلوب الترسيل ، وجاءت بعض المحسنات لتوضيح الأفكار ، كما كانت الفاظه دقيقة موحية ، وشخصية الكاتب وثقافته واسختان ، فهو احد اركان النهضة الأدبية ( لفن الكتابة ) في العصر العباسي .

### المناقشة :

- 1 - لم بدأ ابن المقفع وصفه بالإشادة بصديقه ؟ وما النتيجة العملية لذلك ؟
- 2 - ماذا قال ابن المقفع عن سلوك صديقه تجاه رغباته وشهواته ؟
- 3 - كيف عبر الكاتب عن حال صديقه في صيته ونطقه ، وهدوئه وجرائه ؟
- 4 - حدد ثلاث صفات مما ذكر ابن المقفع لصديقه في معاملة الآخرين ، ووضحها مبينا مدى أهميتها .
- 5 - ما الوصية التي أنهى بها الكاتب موضوعه ؟ وعلام يدل ذلك من خلقه ؟
- 6 - استخرج من النص محسناً بديعياً ، ولواناً بيانياً ، وبين أثر كل منهما في المتن .
- 7 - اذكر الأفكار الرئيسية في النص ، ثم اختر فكرة منها وفصل القول فيها .
- 8 - من أي أساليب النثر الأدبي هذا النص ؟ ولماذا ؟
- 9 - استنبط خصائص النص الفنية مستشهدًا لما تقول بعبارات منه .
- 10 - ما الفكرة العامة لهذا الموضوع ؟ ضع له عنواناً آخر تراه مناسباً .

### تدريب

#### المقالة الأدبية :

— ابن المقفع صاحب مدرسة أدبية تحمل العبارة في خدمة الفكرة . اجمل من هذه الجملة عنوان مقال تناول فيه نشر ابن المقفع وادبه .

#### السؤال الكتابي :

— كيف تستعين بهذا النص على فهم بيضة ابن المقفع ، ودراسة شخصيته ؟

## ١ - الغَبُّ وَالْمَغْفِلُ

« من كليلة ودمنة »

« زَعَمُوا أَنَّ خَبًّا وَمَغْفِلًا اسْتَرَكَ فِي تِجَارَةٍ وَسَافَرَا . فَيَسِّنَا هَمًا فِي الطَّرِيقِ تَخَلَّفَ الْمَغْفِلُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ، فَوُجِدَ كِيسًا فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، فَأَخْذَهُ ، فَأَحْسَنَ بِهِ الْخَبَّ ، فَرَجَعَا إِلَى بَلَدِهِمَا ، حَتَّى إِذَا دَنَوا مِنَ الْمَدِينَةِ قَعَدَا لِالْإِقْسَامِ الْمَالِ . فَقَالَ الْمَغْفِلُ : حُدْنِصَفَهُ وَأَعْطِنِي نِصَفَهُ . وَكَانَ الْخَبَّ قَدْ قَرَرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ بِالْأَلْفِ جَمِيعَهُ ، فَقَالَ : لَا نَقْتَسِمُ ، فَإِنَّ الشَّرِكَةَ وَالْمَفَاوِضَةَ أَقْرَبُ إِلَى الصَّفَاءِ وَالْمُخَالَطَةِ ، وَلَكُنْ أَخْدُنَ نَفَقَةَ ، وَتَأْخُذُ مِثْلَهَا ، وَنَدْفَنُ الْبَاقِيَ فِي أَصْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، فَمَوْ مَكَانٌ حَرِيزٌ ، وَذَلِكَ أَكْمَمُ لَأْمَزَنَا ، فَإِذَا احْتَجَنَا جِنْتَنَا أَنَا وَأَنْتَ فَنَأْخُذُ حَاجَتَنَا مِنْهُ ، وَلَا يَعْلَمُ بِمَوْضِعِنَا أَحَدٌ ، فَأَخْذَهَا مِنْهَا يَسِيرًا ، وَدَفَنَ الْبَاقِيَ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ ، وَدَخَلَا الْبَلَدَ .

ثُمَّ إِنَّ الْخَبَّ خَالِفَ الْمَغْفِلَ إِلَى الدَّنَانِيرِ فَأَخْذَهَا ، وَسَوَى الْأَرْضَ كَمَا كَانَتْ . وَجَاءَ الْمَغْفِلُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِلْخَبَّ : قَدْ احْتَجْتُ إِلَى نَفَقَةٍ ، فَانْطَلَقَ بِنَا نَأْخُذُ حَاجَتَنَا ، فَقَامَ الْخَبَّ مَعَهُ ، وَدَهَبَا إِلَى الْمَكَانِ ، فَحَفَرَا فَلَمْ يَعِدَا شَيْئًا . فَأَقْبَلَ الْخَبَّ عَلَى وَجْهِهِ يَلْطِمُهُ وَيَقُولُ : لَا تَنْقِرْ بِصُبْحَةِ صَاحِبِ الْخَالِفَتِي إِلَى الدَّنَانِيرِ فَأَخْذَهَا ؟ فَجَعَلَ الْمَغْفِلُ يَخْلُفُ وَيَلْعَنُ آخِذَهَا ، وَلَا يُزَدَّادُ الْخَبَّ إِلَّا شَدَّةً فِي اللَّطَمِ ، وَقَالَ : مَا أَخْذَهَا غَيْرُكَ ؟ وَهُلْ شَعَرَ بِهَا أَحَدٌ سِوَاكَ ؟ ثُمَّ طَالَ يَنْهِمَا ذَلِكَ ، فَتَرَافَعَا إِلَى الْقَاضِي ، فَاقْتَصَرَ قِصَّتَهُمَا ، فَأَدَعَى الْخَبَّ أَنَّ الْمَغْفِلَ أَخْذَهَا ، وَجَحَدَ الْمَغْفِلُ . فَقَالَ لِلْخَبَّ : أَلَكَ عَلَى دَعْوَاهُكَ يَسِيَّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، الشَّجَرَةُ الَّتِي كَانَتِ الدَّنَانِيرُ عِنْهَا تَشَهُّدُ لِي أَنَّ الْمَغْفِلَ قَدْ أَخْذَهَا .

وَكَانَ الْحَبْ قَدْ أَتَى أَيَّاهُ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْفَصَّةَ ، وَطَلَّبَ أَنْ يَذْهَبَ فَيَسْوَارَى بِحِيثَ إِذَا سَلَّلَ أَجَابَ . . . وَلَمْ يَزُلْ بِهِ حَتَّى طَاوَعَهُ ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَدَخَلَ جَوْفَ الشَّجَرَةِ ١

ثُمَّ يَأْتِي الْقَاضِي لَمَّا سَمِعَ مِنَ الْحَبْ حَدِيثَ شَهَادَةِ الشَّجَرَةِ أَكْبَرَهُ وَانْطَلَقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَالْحَبْ وَالْمَغْلُلُ مَعَهُ . حَتَّى وَأَفَى الشَّجَرَةَ ، فَسَأَلَاهَا عَنِ الْحَبْ . فَقَالَ الشَّيْخُ مِنْ جَوْفِهِ : نَعَمْ الْمَغْلُلُ أَخْدَهَا ! فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِي ذَلِكَ اشْتَدَّ تَعْجِيْهُ ، وَجَعَلَ يَطُوفُ بِالشَّجَرَةِ ، حَتَّى يَأْتِي لَهُ خَرْقٌ فِيهَا ، فَتَأْتِلُهُ ، فَلَمْ يَرِ فِيهِ شَيْئًا ، فَدَعَا بِحَطَبٍ ، وَأَمَرَ أَنْ تُعْرَقَ الشَّجَرَةُ ١ فَأَضْرَمَتْ حَوْلَاهَا النَّيْرَانَ ، فَاسْتَغَاثَ أَبُو الْحَبْ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَأَخْرَجَ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلاَكِ . فَسَأَلَهُ الْقَاضِي عَنِ الْفَصَّةِ ، فَأَخْبَرَهُ بِالْحَبِّ . فَأَوْقَعَ بِالْحَبِّ ضَرَبًا ، وَبِأَيْمَهِ صَنْفًا ، وَأَرْكَبَهُ مَسْمُورًا ، وَغَرَّمَ الْحَبِّ الدَّنَانِيرَ ، فَأَخْدَهَا وَأَعْطَاهَا الْمَغْلُلَ ٢ .

## ب - الجاهم

« لَا يُؤْمِنَنَّكَ شَرَّ الْجَاهِلِ قَرَابَةُ ، وَلَا جِوارُ ، وَلَا إِنْفُ ، فَإِنَّ أَخْوَافَ مَا يَكُونُ لِعَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا . وكذلک الجاهم : إِنْ جَاءَكَ أَنْصَبَكَ ، وَإِنْ نَاسَكَ جَنَّى عَلَيْكَ ، وَإِنْ أَلْفَكَ حَلَّ عَلَيْكَ مَا لَا تُطْلِقُ ، وَإِنْ عَانِرَكَ آذَاكَ وَأَخْافَكَ ، مَعَ أَنَّهُ عِنْدَ الْجُouْعِ سَبْعُ ضَارٍ ، وَعِنْدَ الشَّيْعَ مَلِكٌ فَظٌّ ، وَعِنْدَ الْمُوَافَقَةِ فِي الدِّينِ قَائِدٌ إِلَى جَهَنَّمَ ، فَأَنْتَ بِالْهَرَبِ مِنْهُ أَحَقُّ بِالْهَرَبِ مِنْ سُمِّ الْأَسَاوِدِ وَالْحَرِيقِ الْمَخْوِفِ ، وَالدَّنَانِيرِ الْفَادِحِ وَالسَّدَاءِ الْعَيَّاءِ » .

« من الأدب الصغير »

الْحَبْ : الخداع الخبيث ، وعكس المغلول . - يَتَوَارِى : يختبئ . - الْكِبْرِهُ : وجده كبرًا اي شيئاً لا يصدقه المقلل .

الْفُ : مدافعة او صحبة . - اَنْصَبَكَ : اصبك . - الْأَسَاوِدِ : جمع مفردة اسود وهو نوع من الحيوان خبيث جداً . - الْمَادِحُ : الثقيل . - الْعَيَّاءُ : الذي لا يرجي شفائه .

## ج - الحسد

« لِيَكُنْ مِمَّا تَصِرُّفُ بِهِ الْأَذَى وَالْعَذَابَ عَنْ نَفْسِكَ أَلَا تَكُونَ حَسُودًا فَإِنَّ الْحَسَدَ خُلُقٌ لَتِيمٌ ، وَمِنْ لَوْمَةِ أَهْنَهُ يُوَكَلُ بِالْأَذَنَى فَالْأَذَنَى مِنَ الْأَقَارِبِ وَالْأَكْنَافِ وَالْخُلَطَاءِ .

فَلَيَكُنْ مَا تُقَابِلُ بِهِ الْحَسَدَ أَذْنَلَمَ أَذْنَ خَيْرٌ مَا تَكُونُ حِينَ تَكُونُ مَعَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ : وَأَذْنَ غُنْسَا لَكَ أَذْنَ يَكُونَ عَشِيرَكَ وَخَلِيلَكَ أَفْضَلَ مِنْكَ فِي الْعِلْمِ فَتَقْبِيسَ مِنْ عِلْمِهِ ، وَأَفْضَلَ مِنْكَ فِي الْقُوَّةِ فَيَدْفَعُ عَنْكَ بِقُوَّتِهِ ، وَأَفْضَلَ مِنْكَ فِي الْمَالِ فَتُفْسِدُ مِنْ مَالِهِ ، وَأَفْضَلَ مِنْكَ فِي الْجَاهِ فَتُصِيبُ حَاجَتَكَ بِجَاهِهِ ، وَأَفْضَلَ مِنْكَ فِي الدِّينِ فَتَزَدَادَ صَلَاحًا بِصَلَاحِهِ » .

« من الأدب الكبير »

تعريف وتمهيد :

الكاتب هو «ابو عثمان عمرو» بن محبوب الكناني (160 - 255 هـ)، وقد لقب بالحافظ لبروز عنده ، ولد بالبصرة حوالي سنة 160 هـ ونشأ بها في وقت كانت فيه مهد العلم والادب ، فا قبل الحافظ بذلك انه النادر ، وحافظته الواعية القوية على مجالس العلم ، وندوات الادب ، يفترف منها ، ثم رحل الى بغداد ، واتصل فيها بكتاب رجال الدين وعلماء اللغة والادب ، حتى إذا نمت ثقافته ، وغزى علمه شرع في الكتابة والتاليف ، ويقال إنه ترك نحو مائتي كتاب ورسالة ، تعد ذخيرة فكرية ، وثروة ادبية ولغوية علمية ، وكان اول عالم عربي جمع في كتابته بين الجد والهزل ، وتوسيع في البحث ، واكثر من التصنيف في الحيوان والنبات ، وفي الاخلاق والاجتماع ، ومات سنة 255 هـ . ( وستانى ترجمة مفصلة لحياته ) .

وهذا النص له من كتاب الحيوان (الجزء الرابع) وفي هذا النص يحكي الحافظ نادرة رويت له عن بعض الحيات ويدرك رأيه فيها .

النص :

«**حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرِ الْمَكْفُوفُ التَّحْوِيُّ ، وَأَخْوَهُ رَوْحُ الْكَاتِبُ وَرِجَالُ** من **بَنِي الْعَنْبَرِ : أَنَّ عِنْدَهُمْ فِي دِمَالٍ بِلْعَنْبَرِ حَيَّةً تَعِيشُ الْعَصَافِيرَ وَصِفَارَ الطَّيْرِ يَأْغَبُ صَنِيْدِيْرَ . زَعَمُوا أَنَّهَا إِذَا اتَّصَفَ النَّهَارُ ، وَاشْتَدَ الْحَرَّ فِي دِمَالٍ بِلْعَنْبَرِ ، وَامْتَنَعَتِ الْأَرْضُ عَلَى الْحَافِيِّ وَالْمُتَنَعِّلِ ، وَرَمِضَ الْجُنْدُبُ غَمَسَتْ هَذِهِ الْحَيَّةُ ذَبَّهَا فِي الرَّمْلِ ، ثُمَّ اتَّصَبَتْ كَانَهَا رُمْحٌ مَرْكُوزٌ ، أَوْ عُودٌ ثَابَتُ فِيْجِيَّ الطَّائِرِ الصَّفِيَّ أَوْ الْجَرَادَةِ ، فَإِذَا رَأَى عُودًا وَكَرَهَ الْوُقُوعَ عَلَى الرَّمْلِ لِشَدَّةِ حَرَّهِ وَقَعَ عَلَى رَأْسِ الْحَيَّةِ عَلَى أَنَّهَا عُودٌ ، فَإِذَا وَقَعَ عَلَى**

رَأْسِهَا قَبَضَتْ عَلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ جَرَادَةً، أَوْ جَمَلاً، أَوْ بَعْضَ مَا لَا يُشِّعِّمَا مِثْلُهُ، ابْتَلَتْهُ وَبَقَيَتْ عَلَى اتِّصَابِهَا، وَإِنْ كَانَ الْوَاقِعُ عَلَى رَأْسِهَا طَائِراً يُشِّعِّمَا مِثْلُهُ، أَكْلَتْهُ وَانْفَرَقَتْ، وَإِنْ ذَلِكَ دَابِّهَا، مَا مَنَعَ الرَّمْلَ جَانِبَهُ فِي الصَّيفِ وَالْقَيْطِ، فِي اتِّصَافِ النَّهَارِ وَالْمَاهِرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الطَّائِرَ لَا يَشْكُ أَنَّ الْحَيَّةَ عُودٌ، وَأَنَّهُ سَيَقُومُ لِمَقَامِ الْجِذَلِ لِلْحِرَباءِ، إِلَى أَنْ يَسْكُنَ الْحَرُّ وَوَهْجُ الرَّمْلِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْمَجْبُ أَنَّ تَكُونَ الْحَيَّةُ تَهْتَدِي لِلْنِّيلَ هَذِهِ الْحِيلَةُ، وَفِيهِ جَهْلُ الطَّائِرِ بِغَرْقِ مَا بَيْنَ الْحَيَوانِ وَالْمَوْدِ، وَفِيهِ قَلَهُ اكْتِرَاثُ الْحَيَّةِ لِلرَّمْلِ، الَّذِي عَادَ كَالْجَنْبِرِ، وَصَلَحُ أَنْ يَكُونَ مَلَهُ وَمَوْضِعًا لِلْخَبْزَةِ، ثُمَّ أَنْ يَشْتَمِلَ ذَلِكَ الرَّمْلُ عَلَى لُقْتِ الْحَيَّةِ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ، وَالرَّمْلُ عَلَى هَذِهِ الصَّفَةِ فَهَذِهِ أَعْجَوبَةٌ مِنْ أَعْجَابِ مَا فِي الْحَيَاةِ ».

### دراسة أدبية :

كان الجاحظ نادرة زمانه بما وبهه الله من عقل راجح ، وذكاء متوفد ، وبما جمع من ثقافة واسعة وعلم غزير ، استوعب مادتها من لقى من العلماء ومن جاول من الفحول وما قرأ من الكتب التي كان يستاجر حواليتها ، ويقيس فيما ليلى نهار حتى اكتملت له اداة العالم ، ودقة الباحث ،

**بعثبر :** بني النبر ، وصيغت على هذا النحو تخفيفا . امتنعت الاوهى : امتنع السير . فيها لشدة العراوة . ومعنى : الرمض شدة العراوة على الرمال . الجندب البراد . مرکوز : مثبت في الأرض . جبل : الجبل حشرة صغيرة سوداء . دابها : مادتها . ما منع الرمل جانبه : كلمة (ما) حرف للتصديقة الظرفية ، والمعنى مدة داوم منع الرمل جانبها . التهيجرة : وقت اشتداد الحر عند النظيرة . العجل : بقية جذع الشجرة يحيط وذهب فروعها . العرباء : حيوان صغير زاحف مشهور بتلوله حسب طبيعة المكان الذي يعيش فيه . للة الاترات : قلة اهتمام . الله : الرماد الحار الذي تخلفه النار بعد انتفاها .

وحجة المستدل المقنع ، ولغة الأديب المعبر ، وانعكس ذلك كله على صفحات كتابه ومولفاته التي تعد صورة أمينة لعلم الجاحظ وعقله ، والتي احتلته مكاناً عالياً بين أعلام الكتاب الدين طوروا النشر العربي ، وارتقا بالثقافة العربية .

وكتاب الحيوان يتناول فيه الجاحظ كثيراً مما خلق الله في عالم الحيوان الواسع ، فيذكر أعاجمي الحيوان وغرائزه وطبعاته ، وما يرتبط به من حكايات ونواذر ، وأخبار وأشعار ، وقد يعرض تقدماً أو يبني تشكلاً فيما يدعو فيه الأمر إلى ذلك ، شأنه في هذا شأن العلماء والمحققين ، ومن أوضح مزاياها لهذا الكتاب مزاجه العلم بالأدب ، ترى ذلك واضحاً في النص .

وهذا النص من كتاب «الحيوان» سرد فيه الجاحظ حكاية سمعها من رجال بني العنبر عن حية كانت تحتال لصيد بعض العصافير وصغار الطير والحشرات . ثم عقب الجاحظ بتعليق على ذلك الخبر المروي عن بني العنبر . وهاتان هما الفكرتان الأساسيةتان في النص . وإننا نرى طريقة الجاحظ العلمية في إسناد الخبر إلى روايته باسمائهم ونسبهم ، ثم في عرض الموضوع كما روي ، وتأخير التعليق عليه إلى ما بعد ، ثم في تحكيم العقل وتقليل الأمر على أوجهه للتسليم به وقبوله ، أو رده وإنكاره .

كما نرى طريقة الفكرية في إظهار الشك حول صحة الخبر المروي بذكر كلمة المكفوف إلى جانب إسم الرواية ، وبالتعجب بكلمة زعموا ، ثم بإظهار تعجبه ودهشته من بعض ما يحدث من الحياة والطائر مما لا يقبله العقل ولا يصدقه .

ونرى أيضاً مع ابن الصميد أن كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً والجاحظ بتوافق علمه ، وسعة اطلاعه دليل على ما كان يسود عصره من نهضة ثقافية وأدبية تعد العلماء ، وتكون الأدباء .

### دراسة بلاغية :

كان أسلوب الجاحظ في هذا النص دقيقاً ومحدداً ، يعتمد على تحكيم العقل ، وترتيب المتعلق ، مع وضوح الفكرة ، وجلاء المعنى ، والتعمير عن المقصود باقرب اللفاظ دلالة عليه - ونلمع كذلك في أسلوب النص جمال

التعبير ، وقمة التأثير ، وبعض التصوير الذي قصد منه الكاتب تقوية جانب المعنى عن طريق التمثيل ، وكان من ذلك الكتابة عن اشتداد الحر في قوله : « امتنعت الأرض على العالى والمتصل » ، ورمضن الجنب » ، والتشبيه فى قوله : « ثم انتصبت كلها رمح مركوز ». كما جاء الطلاق فى قوله : « العالى والمتصل » .

وهكذا يمكن القول : إن أسلوب الجاحظ فى هذا النص لم يكن أسلوباً أدبياً وإنما كان أسلوباً اجتماعياً اجتمع فيه بعض خصائص الأسلوب العلمي مع بعض خصائص الأسلوب الذي يسميه البلاغيون الأسلوب العلمي المتادب .

واما كتابة الجاحظ الأدبية البحثة فله فيها طريقة أخرى وخصائص معينة تميزها ، وسترى ذلك في مكان آخر غير هذا النص .

### مجمل القول

عاش الجاحظ في عهد نهضة في الثقافة ، وكثر فيه الطلعاء ، فالقبل الجاحظ بعقله الواقعى وذكائه اللامع ، وشغفه بالعلم ، على كل مصادر الثقافة ومناهل المعرفة حتى أثرى عقله ، وتأهل للكتابة والتاليف والتصنيف فإذا هو كالنحلة التي تجمع من الأزهار غذاءها ثم تقوم شهداً حلواً وغلاء شهياً ، فاغنى المكتبة العربية بالعديد من مؤلفاته التي كان من بينها كتاب الحيوان الذي اختير منه هذا النص ، وهو يطلعنا على كتابة الجاحظ العلمية وخصائصها ، ويقفنا على طريقة الفكرة ، حيث يبيو فيه الجاحظ عالماً باحثاً محققاً ذا طريقة مبتكرة تعتمد على العقل والمنطق والتعبير عن المعنى باديق عباره ، وأوضاع لفظ ، مع حسن السبك ، وجودة التركيب ، وجمال التعبير الأمر الذي يجعل أسلوب النص من نوع الأسلوب ( العلمي المتادب ) .

## **المناقشة :**

- 1 - تضمن هذا النص فكرتين اساسيتين – اذكر لكل منهما عنواناً مناسباً ،  
ثم اشرح ما اشتغلت عليه .
- 2 - للجاحظ في هذا النص حديث رواه ، وحديث اتي به من عند نفسه  
يعبر فيه عن رأيه – حدد كلاً منها في النص .
- 3 - ماذا يعني الكاتب من قوله عن الحية : انتصبت كأنها رمح مركوز ،  
او عود ثابت ؟ وما قيمة التشبيه هنا ؟
- 4 - وضع ما اورده الكاتب من تقسيم في موقف الحية مما يقع عليها من  
صيده .
- 5 - به عجب الجاحظ في هذه الحكاية ؟ اذكر من الاسباب ما اورده في  
ذلك .
- 6 - ما قيمة قول الجاحظ في اول النص : حدثنا ابو جعفر المكوف  
النحوي و . . . و . . . من بنى المنبر ؟
- 7 - ( امتنعت الارض على الحاف والمتتعل ) – في هذه العبارة لون بيباني  
ولون بدائي وضع كلاً منها ، واذكر اثره البلاغي .
- 8 - استنتاج من النص السمات العامة لطريقة الجاحظ في رواية القصص  
والنواادر .
- 9 - هذا النص دليل على مدى ما وصلت اليه الثقافة العربية في عصره ،  
وشاهد على اتساع معارف قائله – وضع ذلك .

## **لتدريب**

### **المقالة الأدبية :**

– اشرح معنى قول ابن العميد : ان كتب الجاحظ تعلم العقل اولاً والأدب  
ثانياً .

### **السؤال الكتابي :**

– اسلوب الجاحظ في هذا النص علمي من جهة ، وأدبي من جهة أخرى  
اشرح مستشهاداً .

تمهيد :

شافت اراده الله ان تكون معجزة كلنبي موافقة لعصره ؛ فكانت معجزة موسى - عليه السلام - ابطال السحر لما كان السحر اكبر علوم عصره ، وكانت معجزة عيسى - عليه السلام - احياء الموتى وابراهيم الاكسم والابرس بالله لما كان الطب ارقى علوم عصره . اما معجزة نبينا محمد - صلى الله عليه واله وسلم - فكانت هذا البيان السماوي المعجز ، اعني القرآن الكريم لأن البيان كان اظهر خصائص المعرفة العربية ابان ظهور نبينا الكريم . وقد جند المسلمون انفسهم لخدمة هذه المعجزة البيانية ، فاخذوا ببحثون في سر هذا الاجاز الفرائسي ، وحقيقة ووجوهه من طريق الكشف من معنى البيان . . . .

وقد كان الحافظ رائدا من رواد البيان العرب الذين اسهموا في الكشف عن معناه في مؤلفاته المختلفة ، ولا سيما في كتابه المشهور «بيان والتبيين»، وفيما يلي نص من النصوص الكثيرة التي اوردتها الحافظ لشرح معنى البيان ، واقرار اهميته وفائدته اخذناه من كتابه المذكور ، ومن فعل عنوانه البيان .

النص :

قال الحافظ :

قَالَ بَعْضُ جَهَابِدَةِ الْأَلْفَاظِ وَنَقَادِ الْمَعَانِي : الْمَعَانِي الْقَائِمَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، الْمُصَوَّرَةُ فِي أَذْهَانِهِمْ ، وَالْمُتَخَلِّجَةُ فِي تُفُوِّسِهِمْ ، وَالْمُتَصَلَّةُ بِحَوَاطِرِهِمْ ، وَالْحَادِثَةُ عَنْ فَكِرِهِمْ ، مَسْتَوْرَةٌ حَفِيَّةٌ ، وَبَعِيدَةٌ وَحَشِيشَةٌ ، وَمَخْجُوبَةٌ مَكْنُونَةٌ ، وَمَوْجُودَةٌ فِي مَعْنَى مَعْدُومَةٍ . لَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ ضَيْرَ صَاحِبِهِ : وَلَا حَاجَةُ أَخِيهِ وَخَلِيلِهِ ، وَلَا مَعْنَى شَرِيكِهِ وَالْمَعَاوِنِ لَهُ عَلَى أَمْوَارِهِ ، وَلَا عَلَى مَا يَتَلَقَّهُ مِنْ حَاجَاتِ نَفْسِهِ إِلَّا يَعْتَزِرُ . وَإِنَّمَا يَعْنِي تِلْكَ الْمَعَانِي ذِكْرُهُمْ لَهَا . وَإِخْبَارُهُمْ عَنْهَا ، وَاسْتِغْاثَاتُهُمْ بِإِيَاهَا .

وَهَذِهِ الْخَصَالُ هِيَ الَّتِي تُقْرِبُهَا مِنَ النَّفَرِ ، وَتَجْلِيَهَا لِلْعَقْلِ ، وَتَجْعَلُ  
 الْخَفْيَ مِنْهَا ظَاهِرًا ، وَالْفَائِتَ شَاهِدًا ، وَالْبَعِيدَ قَرِيبًا . وَهِيَ الَّتِي تُلْخُصُ  
 الْمُلْكِسِ ، وَتَحْلِيَ النَّقِيدَ ، وَتَجْعَلُ الْمُهَمَّلَ مُفَيَّدًا ، وَالْمَقِيدَ مُطْلَقًا ، وَالْمَجْهُولَ  
 مَمْرُوفًا ، وَالْوَحْشِيَّ مَأْلُوفًا ، وَالْفَقْلَ مَوْسُومًا ، وَالْمَوْسُومَ مَعْلُومًا ، وَعَلَى  
 قَدْرِ وَضُوحِ الدِّلَالَةِ ، وَصَوَابِ الْإِشَارَةِ ، وَحُسْنِ الْإِخْتِصارِ ، وَدِقَّةِ  
 الْمُدْخَلِ ، يَكُونُ إِلْهَامُ الْمَعْنَى وَكُلُّمَا كَانَتِ الدِّلَالَةُ أَوْضَعَ وَأَفْسَحَ ، وَكَانَتِ  
 الْإِشَارَةُ أَبْيَنَ وَأَنْوَرَ ، كَانَ أَنْقَعَ وَأَنْجَعَ . وَالدِّلَالَةُ الظَّاهِرَةُ عَلَى الْمَعْنَى  
 الْخَفْيِ هُوَ الْبَيَانُ الَّذِي سَمِعْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَسَمَّهُ ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ ، وَيَحْثُثُ  
 عَلَيْهِ . بِذَلِكَ نَطَقَ الْقُرْآنُ ، وَبِذَلِكَ تَفَاجَرَ الْعَرَبُ ، وَتَفَاضَلَ أَصْنَافُ  
 الْعَجمِ .

وَالْبَيَانُ اسْمٌ لِكُلِّ شَيْءٍ كَشَفَ لَكَ قِنَاعَ الْمَعْنَى ، وَهَذِهِ الْحِجَابَ دُونَ  
 الصَّبَرِ ، حَتَّى يُنْضِيَ السَّامِعَ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَيَهْجُمَ عَلَى مَخْصُولِهِ كَائِنًا مَا  
 كَانَ ذَلِكَ الْبَيَانُ ، وَمِنْ أَيِّ حِينِ كَانَ الدَّلِيلُ ، لِأَيِّ مَدَارِ الْأَمْرِ وَالْفَایَةِ  
 الَّتِي إِلَيْهَا يَعْرِيُ الْقَائِلُ وَالسَّامِعُ ، إِنَّمَا هُوَ الْفَهْمُ وَالْإِفْهَامُ ، فَيَأْتِي شَيْءٌ وَ  
 بَلْغَتِ الْإِفْهَامَ ، وَأَوْضَحَتْ عَنِ الْمَعْنَى ، فَذَلِكَ هُوَ الْبَيَانُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ » .

« الْبَيَانُ وَالْتَّبَيِّنُ : ج 1 ، ص 75 و 76 »

جهاة : جمع جهد ، وهو العالم الناقد الخبير . التخلجة في ثلوسهم : المطربة  
 المترددة . مكتونة : مستوره ، غير ظاهرة . خليطه : صدقة الذي يخالطه وبماشره .  
 تعليها : تكشفها وتوضحها . الشخص : نفس وبين . الملبس : الامر الفاسد . الفضل :  
 الذي ليس له علماء يعرف بها . موسوماً : الموسوم الذي له سمة او علماء يعرف بها .  
 انور : اظهر . انبع : اكثر فائدة ، هناك الحجاب ازاله . يلخصي : يوصل ،  
 والماضي المضى .

## المناقشة :

- 1 - كيف تكون المعاني في نفس الانسان قبل ان يعبر عنها بالكلمات والعبارات ؟
- 2 - ما الذي يخرج تلك المعاني من حيز العدم الى حيز الوجود ؟
- 3 - ما الصفات التي ينبغي ان تتوافر في الكلام حتى تصبح معانيه واضحة ؟
- 4 - ما المقصود بالبيان الذي مدحه الله عز وجل عند الجاحظ ؟
- 5 - ما مفهوم البيان عند الجاحظ ؟ ووضح هذا المفهوم بعبارات من عندك ؟
- 6 - ما رأيك في مفهوم البيان الذي اورده الجاحظ ؟
  - هل توافق الجاحظ على ان كل من عبر عن افكاره باية وسيلة من وسائل التعبير كان جديراً بان يوصف بالبيان ؟ ووضح اجابتك .
  - هل توافق الجاحظ على ان كل من عبر عن افكاره بكل وسيلة من وسائل التعبير كان جديراً بان يوصف بالبيان ؟ ووضح اجابتك .
  - وهل يبقى ، حسب مفهوم البيان عند الجاحظ ، فرق بين صاحب البيان واي واحد من سائر الناس ولو كان عبيباً عاجزاً عن الكلام ؟ ووضح اجابتك .
- 7 - قسم النص السابق الى افكاره الاساسية ، وضع عنواناً مناسباً لكل قسم .
- 8 - لخص النص السابق ، وناقش افكاره .

9 - هل تستطيع ان تختصر عبارات الجاحظ بمقدار يقل عن مثلها ؟  
جرب ذلك .

10 - لماذا تسمى الاسلوب الذي تزيد فيه الالفاظ عن المعانى ؟ وهل  
يعجبك هذا الاسلوب ؟ ولماذا ؟

11 - عرف الجاحظ في اسلوبه الادبي ، بالاعتماد على خاصتين اسلوبيتين  
هما الترافق والتوازن . وضع هاتين الخاصتين من خلال النص ،  
وبيّن رأيك فيهما .

12 - في بداية النص عبارة تفيد ان الجاحظ كان ينقل بعض الافكار عن  
غيره ، اترى ان الجاحظ وقف في تعريف البيان عند حد النقل  
عن الآخرين ام انه تعداه الى الشرح والتوضيح وبيان رأيه الخاص  
في هذا الموضوع ؟ ووضح اجابتك .

13 - هل يعطيك هذا النص صورة صادقة عن ادب الجاحظ وثقافته ؟  
وضح اجابتك .

14 - هل تجد في الفاظ النص وعبارته اثرا لثقافات المسر العباسى  
ومصطلحاته الفلسفية ؟ ووضح اجابتك .

15 - اجمع شتات اجوبتك ، واجمل منها دراسة ادبية لهذا النص ؟ .

## تقرير

### المقالة الأدبية :

— وازن بين اسلوب الجاحظ في هذا النص وبين اسلوبه في موضوع من  
اعاجيب الحيات .

## أ - أحسن الكلام

«وَأَحْسَنُ الْكَلَامَ مَا كَانَ قَلِيلُهُ يُبْشِّرُ عَنْ كَثِيرٍ ، وَمَعْنَاهُ فِي ظَاهِرِ  
لَفْظِهِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَبْلَسَ مِنَ الْجَلَالِ ، وَغَشَّاهُ مِنْ نُورِ الْحَكْمَةِ  
عَلَى حِسْبِ نِيَّةِ صَاحِبِهِ ، وَتَقْوَى قَائِلِهِ . فَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى شَرِيفًا ، وَاللَّفْظُ  
بَلِيقًا ، وَكَانَ صَحِيحَ الطَّبْعِ ، بَعِيدًا مِنَ الْأَسْتِكْرَاهِ ، وَمَنْزَهًا عَنِ الْأَخْتِلَالِ  
مَصْوَاتِنَا عَنِ التَّكْلِفِ ، صَمَعَ فِي الْفُلُوبِ صَنْبَعَ الْقَيْثَى فِي التَّرْبَةِ الْكَرِيسَةِ .  
وَمَتَى فَصَلَتِ الْكَلِيلَةُ عَلَى هَذِهِ الشَّرِيعَةِ ، وَنَقَدَتْ مِنْ قَائِلَقَا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ  
أَصْبَحَهَا اللَّهُ مِنَ التَّوْفِيقِ ، وَمَنْحَاهَا مِنَ التَّأْيِدِ مَا لَا يَقْتَسِمُ مَعَهُ مِنْ تَقْضِيمَهَا  
صَدُورُ الْجَبَابِرَةِ ، وَلَا يَذْهَلُ عَنْ فَهْمِهَا مَعَهُ عُقُولُ الْجَمَلَةِ . . .

. . . ثُمَّ اغْلَمُوا أَنَّ الْمَعْنَى الْحَقِيرَ الْفَاسِدَ ، وَالدَّنَى السَّاقِطَ يُعْشِشُ فِي  
الْقَلْبِ ثُمَّ يَبْيَضُ ثُمَّ يُفْرَحُ ، فَإِذَا ضَرَبَ بِجَرَانِهِ ، وَمَكَنَ لِعُرُوفِهِ ، اسْتَفْحَلَ  
الْفَسَادُ وَبَرَّلَ ، وَتَمَكَّنَ الْجَهَنُولُ وَفَرَحَ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقْوَى دَاؤُهُ ،  
وَيَمْتَسَعُ دَوَاؤُهُ ، لِأَنَّ الْلَّفْظَ الْمَعْنَى الرَّدِيَّ ، وَالْمُسْتَكْرَهُ الْغَيَّ ، أَغْلَقَ  
بِاللِّسَانِ ، وَأَلْفَ لِلْسَّمْعِ ، وَأَشَدَّ التَّحَامًا بِالْقَلْبِ مِنَ الْلَّفْظِ النَّبِيِّ الشَّرِيفِ ،  
وَالْمَعْنَى الرَّفِيعُ الْكَرِيمُ ، وَلَوْ جَالَتِ الْجَهَنَّمُ وَالنَّوْكَى ، وَالسُّخْفَاءُ  
وَالْحَمَقَى شَهْرًا فَقَطَ لَمْ تَنْقَ مِنْ أَوْضَارِ كَلَامِهِمْ ، وَخَبَالُ مَعَايِنِهِمْ ،  
بِمُجَالَسَتِهِ أَهْلُ الْبَيَانِ وَالْعُقْلِ دَهْرًا ، لِأَنَّ الْفَسَادَ أَسْرَعُ إِلَى النَّايسِ ، وَأَشَدُ  
الْتَّحَامًا بِالْطَّبْعِ . وَالْإِنْسَانُ بِالْتَّعْلِمِ وَالْتَّكْلِفِ ، وَبِطُولِ الْأَخْتِلَالِ إِلَى

فرب بجرانه : بيت واستقر ، والعبارة من المجاز ، وهي ماخوذة من قولهما القى  
الببر بجرانه اذا بررك ، ووضع صدره على الأرض . بزول : يقال بزول البعير بلغ سن  
النَّاسَةِ ، ويعنى ذلك انه بلغ سن المراهقة . فرح : اصبح فارحا ، اي بلغ سن القرح  
والقارح من ذي العاشر بمنزلة البازل من الابل . النوكى : الماجزون على الكلام ،  
والمفرد انوك ، وهو العبي . اوسمار : اوساخ . خبال : نساد .

العلماء، ومدارسَة كتب الحكما، يجُود لفظه، ويحسن أدبه، وهو لا يحتاج في الجهل إلى أكثر من تزكِّيَ التعلم، وفي فسادِ البيان إلى أكثر من تزكِّي التخيير». .  
 ١) البيان والتبيين ١

## ب - قصة الشيخ الأهوازي في السفينة

« وقال رمضان : كُنْتُ مَعَ الشَّيْخِ الْأَهْوَازِيِّ فِي جَمْرِيَّةٍ (١)، وَكُنْتُ فِي الدَّنَبِ ، وَكَانَ فِي الصَّدَرِ ، فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الْغَذَاءِ أَخْرَجَ مِنْ سَلَّةِ لَهُ دَجَاجَةً وَفَرِخَّاً وَاحْدَاهُ مَبْرَدًا ، وَأَقْبَلَ يَاكُلُّ وَتَحْدَثُ وَلَا يَعْرُضُ عَلَيَّ ، وَلَيْسَ فِي السَّفِينَةِ غَيْرِيْ وَغَيْرُهُ . فَرَأَنِي أَنْظَرُ إِلَيْهِ مَرَّةً ، وَإِلَى مَا يَنْ يَدِيهِ مَرَّةً ، فَتَوَهَّمَ أَنِّي أَشْتَمِهِ وَأَسْبِطُهُ ، فَقَالَ لِي : لَمْ تُعْدِقِ النَّظَرَ ؟ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ أَكْلٌ مِّيلِي ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ نَظَرٌ مِّيلِكَ ! ». .

قال : ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ وَأَنْظَرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا هَنَاهُ (٢) ! أَنَا رَجُلُ حَسَنٍ الْأَكْلِيُّ لَا أَكْلُ إِلَّا طَبِّ الطَّعَامِ ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَكُونَ عَيْنُكَ مَالِحَةً ، وَعَيْنُكَ مِيلِكَ سَرِيعَةً ، فَاصْرِفْ عَنِّي وَجْهَكَ .

قال : فَوَبَتْ عَلَيْهِ ، فَقَبَضَتْ عَلَى لِعْنَتِهِ يَدِي الْيُسْرَى ، ثُمَّ تَنَاوَلَتْ الدَّجَاجَةَ يَدِي الْيُمْنَى ، فَمَا زَلَتْ أَصْرِبُ بِهَا رَأْسَهُ حَتَّى تَقْطَعَتْ فِي يَدِي . ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى مَكَانِي ، فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَلِعْنَتِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ عَيْنَكَ مَالِحَةً ، وَأَنَّكَ سَتُصِيبُنِي بِعَيْنٍ . قُلْتُ : وَمَا شَبَهَ هَذَا مِنَ الْعَيْنِ ؟ قَالَ : إِنَّا الْعَيْنَ مَكْرُوْهَةٌ يَحْدُثُ ، فَقَدْ أَنْزَلْتَ بِنَا عَيْنَكَ أَعْظَمَ الْمَكْرُوْهِ .

فَسَعَيْتُ صُحْكًا مَا ضَعِكْتُ مِثْلَهُ ، وَتَكَالَّنَا حَتَّى كَانَهُ لَمْ يَقُلْ قَيْحًا ، وَحَتَّى كَانِي لَمْ أَفْرُطْ عَلَيْهِ ». .

(١) جمغريه : سفينة (٢) ياهناء : منادي يراد به الاستنكار والتعجب والاستخفاف .

## تعريف وفهم بيد :

«أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني» (390 - 456 هـ) واحد من أولئك الانفاذ الذين أنجبتم الجزائر فكان له شأن اي شأن في عالم النقد والشعر .

ولد ابن رشيق عام 390 هـ في «المحمدية» التي غلب عليها اسم المسيلة ، وهي إحدى مدن ولاية سطيف حالياً . وكان والده مولى من موالي الأزد ، اليهانيين الذين نزحوا من الجزيرة العربية الى ربوع الجزائر منذ زمن بعيد ، وكان هذا الوالد صائغاً ، فظهرت آثار صنعته في بعض مؤلفات ابنه الحسن إذ سمي احد كتبه «قراصنة الذهب» ، ولا غرو في ذلك فقد مارس ابن رشيق صنعة ابيه زماناً ، بيد انه كان راضياً عن هذا الاب العادي ، بل كان يفاخر به خصومه قائلاً : «ما ابغى به ابا ، ولا ارضي بغير مذهبها» .

عرف ابن رشيق بنبوغه المبكر ، فقال الشعر وهو صبي لم يبلغ الحلم ، ثم رحل الى القيروان عام 406 هـ . وكانت القيروان بفداد المغرب حينذاك ، وعلى الاخص في عصر المعز بن باديس وابنه تيميم اللذين شهدت المدينة على يديهما نهضة ادبية وعلمية عظيمة ، فاصبحت زاخرة برجال العلم والادب واللغة ، امثال محمد بن جعفر الفرزاز ، وابي محمد عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي ، وابي اسحق الحصري القيرواني ، وغيرهم . وقد افاد ابن رشيق من هؤلاء الاعلام ادبًا جماً ، وعلمًا واسعاً ، كما تشهد بذلك آثاره .

اقام ابن رشيق في القيروان مدة طويلة تجاوزت الأربعين عاماً ، وفي اثناء مقامه بها اتصل بأميرها المعز بن باديس الصنهاجي ، وبرئيس ديوان إنشائه ابي الحسن علي بن ابي الرجال الكاتب ، فمدحهما بشعره ، واهداهما بعض كتبه ، وظل يعيش في كنفهما حتى نكبة القيروان عام 449 هـ وبعد هذه النكبة غادر ابن رشيق القيروان الى المهدية وعاش في ظل اميرها تيميم بن المعز عدة سنين ، ثم رحل عنها الى جزيرة صقلية التي كان العرب المسلمين يحكمونها في ذلك الوقت ، ونزل بعازد إحدى مدنها ، ومات فيها عام 456 هـ فارجع الأقوال .

ترك ابن رشيق آثاراً كثيرة زادت على الثلاثين ، بينها ديوان شعر ، إلا أن أجمل آثاره قيمة هو كتابه المعروف « بالعمدة » الذي أهداه إلى صديقه وولي نعمته أبي الحسن علي بن أبي الرجال . وفي هذا الكتاب تتجلّى ثقافة المؤلف الأدبية والنقديّة الواسعة ، ومن أهم المسائل التي عالجها مسألة « القيمة بالشعر معالجة وافية » ، ومن المسائل التي عالجها مسألة « القيمة والمحدين » التي تجدّها في الصفحة 73 – 75 من الجزء الأول من كتاب العمدة واليكم فيما يلي معظم ما كتبه حول هذه المسألة النقديّة الهامة .

### النص :

كُلُّ قَدِيمٍ مِنْ الشِّعْرِ فَهُوَ مُخَدَّثٌ فِي زَمَانِهِ بِالإِضَافَةِ إِلَى مَا كَانَ قَبْلَهُ . وَكَانَ أَبُو عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءَ يَقُولُ : « لَقَدْ أَخْسَنَ هَذَا الْمُوَلَّدُ حَتَّى هَمَّتْ أَنْ أَمْرَ صَبَيَاً تَنَاهَى بِرِوَايَتِهِ » . يَعْنِي بِذَلِكَ شِعْرَ حَرِيرَ وَالْفَرَزْدُوقَ فَجَعَلَهُ مُولَداً بِالإِضَافَةِ إِلَى شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمُخْضَرِيَّةِ ، وَكَانَ لَا يَعْدُ الشِّعْرَ إِلَّا مَا كَانَ لِلْمُتَقَدِّمِينَ .

قال الأصممي : « جَلَستُ إِلَيْهِ ثَمَانِيَ حِجَّاجٍ فَمَا سَمِعْتُهُ يَحْتَجُ بَيْتٍ إِسْلَامِيًّا » .

وَسَأَلَ عَنِ الْمُوَلَّدِينَ فَقَالَ : « مَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ فَقَدْ سِقُوا إِلَيْهِ ، وَمَا كَانَ مِنْ قَبِيجٍ فَهُوَ مِنْ عِنْدِهِمْ إِذَا لَيْسَ النَّمَطُ وَاحِدًا : تَرَى قِطْعَةً دِيَاجٍ ، وَقِطْعَةً مِسْحٍ ، وَقِطْعَةً نَطِيعً » .

الحدث : مكس القديم ، الحديث ، الجديد . أبو عمرو بن العلاء : أحد القراء السبع ، اشتهر بالرواية واللغة والأخبار ، توفي عام 154 هـ . المولد والمحدث : اصطلاح أطلقه الرواة وانتقاد على الأدباء الذين هاجروا بعد منتصف القرن الثاني للمigration ، وقد قسم أولئك الرواة والنقاد شراء الجاهلية والاسلام الى طبقات حسب أزمانهم ، فقالوا : طبقات التمراريب ، جاهلي قديم ، ومخضرم ادرك الجاهلية والاسلام واسلامي لم يدرك الجاهلية ، ومحدث او مولد عاشر بعد 150 هـ ، لم قسموا المحدين الى طبقات اولى وثانية . . . الخ . . الأصممي : هو عبد الملك بن قريب ، أحد الرواة المشهورين ، توفي عام 214 هـ . حجاج : سنون ، والفرد حجة بكر العاء . مسح : ثوب خشن دبياج : ثوب سداء ولحمته حرير ، والسدى ما مد من الخيوط طولاً ، واللحمة ما مد

هَذَا مَذَهْبُ أَبِي عَمْرٍ وَأَصْحَابِهِ كَالْأَصْمَعِي ، وَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَغْنِيَ أَنَّ  
كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَتَهَبُ فِي أَهْلِ عَصْرِهِ هَذَا الْمَذَهْبُ ، وَيَقْدِمُ مِنْ قَبْلِهِمْ ،  
وَكَيْنَ ذَلِكَ الشَّيْءُ إِلَّا لِحَاجَةٍ فِي الشِّعْرِ إِلَى الشَّاهِدِ ، وَقَلَّتْ تِقْتِيمُ بَيْنَ  
يَاتِي بِهِ الْمُولَّدُونَ ، ثُمَّ صَارَتْ لِحَاجَةً .

فَأَمَّا ابْنُ قَتِيْبَةَ فَقَالَ : « لَمْ يَقْصُرْ اللَّهُ الشِّعْرُ وَالْعِلْمُ وَالْبِلَاغَةُ عَلَى زَمِينِ  
دُونَ زَمِينٍ ، وَلَا خَصَّ بِهِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، بَلْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ مُشَتَّرًا كَمَفْسُومًا  
بَيْنَ عِبَادِهِ فِي كُلِّ دَهْرٍ ، وَجَعَلَ كُلَّ قَدِيمٍ حَدِيثًا فِي عَصْرِهِ » . وَمِنْهَا يُؤَيِّدُهُ  
كَلَامُ ابْنِ قَتِيْبَةَ :

كَلَامُ عَلَيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « لَوْلَا أَنَّ الْكَلَامَ يُعَادُ لِنَفْدَ » ، فَلَيَسْ  
أَحَدُنَا أَحَقَّ بِالْكَلَامِ مِنْ أَحَدٍ ، وَإِنَّمَا السُّبْقُ وَالشَّرْفُ مَعًا فِي الْمَعْنَى عَلَى  
شَرَائِطٍ .

وَقُولُّ عَنْتَرَةَ : « هَلْ غَادَ الرُّشْرَاعُ مِنْ مَرْدَمْ؟ » يَدْلُلُ عَلَى أَنَّهُ يَعْدُ نَفْسَهُ  
مُحَدَّثًا ، فَقَدْ أَذْرَكَ الشِّعْرُ بَعْدَ أَنْ فَرَغَ النَّاسُ مِنْهُ ، وَلَمْ يَغَادِرْ وَاللهُ شَيْئًا ،  
وَقَدْ أَتَى فِي هَذِهِ الْقَصِيْدَةِ بِمَا لَمْ يَسْقِهِ إِلَيْهِ مُتَقْدِمٌ ، وَلَا نَازَعَهُ إِيَّاهُ مُتَأْخِرٌ .  
وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ يُعْلَمُ قَوْلُ أَبِي تَنَامَ ، وَكَانَ فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ غَيْرُ  
مُدَافِعٍ :

تَقُولُ مَنْ تَقْرَعُ أَسْمَاعَهُ : كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلَ لِلْآخِرِ!

من المخطوط عرضاً . نفع : بساط من جلد يوضع تحت رأس المحكوم عليه بالاعدام ،  
والقصد هنا الجلد . ابن الْأَعْرَابِيُّ : هو أبو عبد الله محمد بن زياد ، أحد علماء  
اللغة ورواتها من الكوفيين ، توفي عام 231 هـ . جرير والفرزدق : شاعران امويان  
معروضهما في السنة الماضية . لجاجة : خصومة شديدة . ابن قتيبة : هو أبو محمد عبد  
الله بن سلم ، أحد علماء اللغة والنقد والتاريخ توفي عام 276 هـ .

علي : هو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وابنهم سيدنا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عنترة : هو الشاعر الجاهلي الذي عرفته في السنة الماضية . متردم : المتردم هو  
الموضع الذي يرقع من التوب ، ومننى عبارة عنترة ( غادر الشعراة من متردم ) هو

فنقض قولهم : « ما ترك الأول للآخر شيئاً ». وقال في مكان آخر ، فزاده  
بياناً وكشفاً للمراد :

كُلُّوْ كَانَ يَفْنِي الشَّيْرَ أَفْنَاهُ مَا قَرَّتْ  
حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الدَّوَاهِبِ  
وَلِكِنَّهُ صَوْبُ الْمُقْسُولِ إِذَا انْجَلَتْ  
سَحَائِبِ مِنْهُ أَعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ  
وَإِنَّمَا مَثَلُ الْقَدَمَاءِ وَالْمَحَدَّثِينَ كَمِثْلِ رَجُلَيْنِ : ابْتَدَأَ هَذَا بِنَاءً فَأَخْكَمَهُ  
وَأَنْقَنَهُ ، ثُمَّ أَتَى الْآخَرُ فَنَقَشَهُ وَزَرَّهُ ، فَالْكُلُّفَةُ ظَاهِرَةٌ عَلَى هَذَا وَإِنْ حَسْنَ ،  
وَالْقُدْرَةُ ظَاهِرَةٌ عَلَى ذَلِكِ وَإِنْ خَسْنَ .

وَسَمِعَتِ الْفَاعِضِي أَبَا الْفَضْلِ جَعْفَرَ بْنَ أَحْمَدَ التَّحْوِيِ ، وَقَدْ سُنِّتَ  
عَنْ ذِي الرَّمَّةِ وَأَبِي تَعَامَ ، فَأَجَابَ بِجَوابٍ يَقْرُبُ مَعْنَاهُ مِنْ هَذَا ، لَمْ أَخْفَظْهُ .

وَقَالَ أَبُو مَحْمُدٍ الْحَسْنُ بْنُ عَلَيٍّ بْنِ وَكِيعٍ وَقَدْ ذَكَرَ أَشْعَارَ الْمَوْلَدِينَ :  
« إِنَّمَا تُرْوَى لِعَدُوبَةِ الْفَاعَلَهَا ، وَرَقَّتْهَا ، وَحَلَّوْهُ مَعَانِيهَا ، وَقُرِبَ مَأْخِذُهَا .  
وَلَوْ سَلَكَ الْمَتَّاخِرُونَ مَسْلِكَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي غَلَبةِ الْغَرِيبِ عَلَى أَشْعَارِهِمْ ،  
وَوَصَّفَ الْمَهَامِيَّةَ وَالْقَفَارِ ، وَذَكَرَ الْوَحْشَيَّ وَالْعَشَرَاتِ ، مَا رُوِيَّتْ ، لِأَنَّ  
الْمُتَقَدِّمِينَ أَوْلَى بِهَذِهِ الْمَعْانِي ، وَلَا سِيَّما مَعَ زُهْدِ النَّاسِ فِي الْأَدَبِ فِي هَذَا  
الْعَصَرِ وَمَا قَارَبَهُ . وَإِنَّمَا تُكْتَبُ أَشْعَارُهُمْ لِقُرْبِهَا مِنَ الْأَفْهَامِ ، وَأَنَّ الْحَوَافِصَ  
فِي مَعْرِفَتِهَا كَالْمَوَامِ ، فَقَدْ صَارَ صَاحِبَهَا يَمْزِلَةً صَاحِبِ الصَّوْتِ الْمُطَرِّبِ ،

---

أن الشعراً لم يتبرعوا كلاماً يلخص بعضه ببعض ويبلغه ، أي إنهم سبقوا إلى القول  
فلم يدعوا مقالاً لقائل . قرت : جمعت . حيالك : جمع حوض وهو مجتمع الماء ،  
والمقصود هنا أسلافك أو آجدادك . المصور الدواهب : المصور الماضي .

ابو الفضل جعفر بن احمد التحوي : احد شيوخ ابن دشيق . ذو الرمة : هو لقب مرف  
بـ الشاعر الاموي غبلان بن مقبة الذي اشتهر بالغزل . ابن وكيع : هو ابر محمد الحسن  
بن علي بن وكيع المصري ، احد الشعراً النقاد ، توفي عام 382 هـ . الماهمه : جمع

يَسْتَهِمُ أَمَّةً مِنَ النَّاسِ إِلَى اسْتِبَاعِهِ ، وَإِنْ جَهَلَ الْأَلْحَانَ ، وَكَسَرَ الْأَوْزَانَ .  
وَقَائِلُ الشِّعْرِ الْحُوشِيِّ بِمَنْزِلَةِ الْمُغْنِيِّ الْحَادِقِ بِالنَّعْمَ عَيْرِ الْمُطْرُبِ الصَّوْتِ ،  
يُفْرَضُ عَنْهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ فَضْلَ صَفْتِهِ ، لَمْ يَصْلُحْ لِمَجَالِسِ اللَّذَاتِ ، وَإِنَّمَا  
يَجْعَلُ مَعْلِمَتَ الْمُطْرَبَاتِ مِنَ الْقَيَّاتِ ، يَقُومُهُنَّ بِحَدِيقَتِهِ ، وَيَشْتَمِعُ بِحَلْوَقِينَ  
دُونَ حَلْقَتِهِ ، لِيَشْتَمِنَ مِنَ الْخَطَابِ فِي صَنَاعَتِهِنَّ ، وَيُطْرِبُنَّ بِحُسْنَ أَصْوَاتِهِنَّ » .

وَلَمْ أَرَ في هَذَا النَّوْعِ أَفْضَلَ مِنْ فَضْلِي أَنِّي بِهِ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ،  
فَإِنَّهُ قَالَ : « قَدْ تَخْتَلَفُ الْمَقَامَاتُ وَالْأَزْمَنَةُ وَالْأَلَادُ ، فَيَخْسِنُ فِي وَقْتٍ مَا لَا  
يَخْسِنُ فِي آخَرَ ، وَيَسْتَخْسِنُ عِنْدَ أَهْلِ بَلْدٍ مَا لَا يَسْتَخْسِنُ عِنْدَ أَهْلِ غَيْرِهِ ،  
وَنَجِدُ الشُّعَرَاءَ الْحَدَاقَ نَقَابِلَ كُلَّ زَمَانٍ بِمَا اسْتَجِيدُ فِيهِ ، وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُ  
عِنْدَ أَهْلِهِ ، بَعْدَ أَلَا تَغْرِي مِنْ حَسْنِ الْأَسْتِوَاءِ ، وَحَدِ الْأَعْتَدَالِ ، وَجَوَدَةِ  
الصَّنْعَةِ ، وَرَبِّمَا اسْتَعْمَلَتْ عِنْدَ بَلْدِ الْفَاظِ لَا تَسْتَعْمَلُ كَثِيرًا فِي غَيْرِهِ ، كَاسْتِعْمَالِ  
أَهْلِ الْبَصَرَةِ بَعْضَ كَلَامِ أَهْلِ فَارَسَ فِي أَشْعَارِهِمْ ، وَتَوَادِرِ حَكَائِيَّاتِهِمْ » ،  
قال : « وَالَّذِي أَخْتَارَهُ أَنَا التَّجْوِيدُ وَالتَّخْسِينُ الَّذِي يَخْتَارُهُ عُلَمَاءُ النَّاسِ  
بِالشِّعْرِ ، وَيَبْقَى غَابِرًا عَلَى الدَّهْرِ ، وَيَبْعُدُ عَنِ الْحُوشِيِّ الْمُسْتَكْرِهِ ، وَيَرْتَفِعُ  
عَنِ الْمَوْلَدِ الْمُنْتَهَى ، وَيَتَضَمَّنُ الْمُثَلَّ السَّائِرَ ، وَالتَّشْيِيَّهُ الْمُصِيبَ ، وَالْاِسْتِعَارَةَ  
الْحَسَنَةَ » .

مهمه ، وهو البلد المفتر . الشعر الحوشى والوحشى : هو الشعر الغريب الذي لا  
لا يفهم . القيّات : الجواري المغنيات ، والفرد قينة . عبد الكريم بن ابراهيم التهشلى  
الذى سبق ذكره في التعريف بابن رشيق ، وهو أحد أعلام الادب والنقد الذين تلمذوا  
علىهم ابن رشيق ونقل عنه كثيرا في كتاب المدة . غابر : ماضيه . المتحل : المسوب

قال صَاحِبُ الْكِتَابِ : وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ يُخْتَارِ هَذَا الفَصْلِ ، وَإِنَّا بِهَا نَاهَنَا ، دَاخِلًا فِي جَنَّةِ الْمُبَيِّنِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَلَيْسَ مَنْ أَتَى بِلَفْظٍ مَخْصُورٍ يَعْرِفُه طَائِفَةً مِنَ النَّاسِ دُونَ طَائِفَةٍ ، لَا يَخْرُجُ مِنْ بَلْدِهِ ، وَلَا يَنْصَرِفُ مِنْ مَكَانِهِ ، كَالَّذِي لَفْظُهُ سَائِرٌ فِي كُلِّ أَرْضٍ ، مَعْرُوفٌ بِكُلِّ مَكَانٍ . وَلَيْسَ التَّوْلِيدُ وَالرِّقَّةُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ رَقِيقًا سَفَسَانًا ، وَلَا بَارِدًا غَثَانًا ، كَمَا لَيْسَتِ الْجَزَالَةُ وَالْفَصَاحَةُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ حَوْشِيًّا خَشِنًا ، وَلَا أَغْرَائِيًّا جَافِيًّا ، وَلَكِنْ حَالٌ بَيْنَ حَالَيْنِ .

وَلَمْ يَتَقدَّمْ امْرُؤُ الْقَيْسِيُّ وَالنَّابِغَةُ وَالْأَعْشَى إِلَّا بِحَلاوةِ الْكَلَامِ وَطَلَاوَتِهِ ، مَعَ الْبَعْدِ عَنِ السُّخْفِ وَالرَّكَاكِةِ ، عَلَى أَنْهُمْ لَوْ أَغْرِبُوا لَكَانَ ذَلِكَ مَحْمُولاً عَنْهُمْ ، إِذْ هُوَ طَبِيعٌ مِنْ طَبَاعِهِمْ . فَالْمُؤْلِدُ الْمُحَدِّثُ ، عَلَى هَذَا إِذَا صَحَّ ، كَانَ لِصَاحِبِهِ الْفَضْلِ الَّذِي يُحْسِنُ الاتِّبَاعَ ، وَمَعْرِفَةِ الصَّوَابِ ، مَعَ أَنَّهُ أَرْقَ حَوْكًا ، وَأَحْسَنَ دِيَاجَةً .

### ايضاح وتحليل :

الخلاف بين أنصار الشعر القديم والشعر الحديث قديم ومشهور ، خاض فيه الكثيرون ، والfew بعضهم فيه كتابا . وقد ألم ابن رشيق في هذا الفصل الذي خصصه لمعالجة قضية القدماء والمحدثين من الشعراء الماما حسنا . ونجد المؤلف يوضح مسألة القديم والجديد بطريقة منطقية مركزة فيقول : « إن القديم والحديث صفتان نسبيتان ، فالقديم لم يكن قد يليها ، وكذلك الجديد لا يخل جديدا ، فكل قديم كان في أول أمره جديدا ، وكل جديد سيصبح في يوم من الأيام قد يليها ... ».

---

إلى غير صاحبه ، وهذا المتكلف . سفصالا : سفصالا . ثنا : ثناها . جاليها : غليظا . خشنا . طلاوة الكلام : جماله وبمحنته . الركاكاة : ضعف التاليف . ديجاجة : أسلوبا . الجزاله : فخامة الالفاظ ، ومتانة التركيب ، وأصل الجزاله العظمة والفحشة من كل شيء . امروء القيس والنابغة والأشعشى : شراء جاهليون سبقو دواستهم في العام الماضي .

ثم يعرض ابن رشيق مذهب انصار الشعر القديم ، والمعصبين له ، فيذكر بعض أعلامه مثل أبي عمرو بن العلاء ، والاصمعي وابن الأعرابي ، وينتقل عنهم بعض أقوالهم : فابو عمرو بن العلاء – مع اعترافه بجودة شعر جرير – لا يرى أن شعر هذا الشاعر جدير بالرواية والحفظ حتى من قبل الصبيان . وكذلك كان موقف أبي عمرو من بقية الشعراء المسلمين كالفرزدق وال Axelatul من لم يحتاج أبو عمرو ببيت واحد لهم كما يقول الاصمعي تلميذه الذي لزمه ثمانى سنتين : والسبب الذي دفع إبا عمرو وأصحابه إلى هذا الموقف هو اعتقاده مع أولئك الاصحاب أن اشعار الإسلاميين والولدين حالية من الابتكار والتجديد ، وأن تلك الاشعار شديدة التفاوت والاختلاف : فانت ترى فيها الشعر الجيد ، إلى جانب المتوسط والرديء ، ويضيف ابن رشيق سببين آخرين لذلك التمتع للقدماء على غيرهم وهما حاجة العلماء والرواة إلى الشاهد من شعر القدماء أولاً ، وقلة ثقة هؤلاء العلماء والرواة بالشعر الإسلامي والمحدث بسبب ما تعرض له من خطأ وفساد ثانياً . . .

ثم يورد بعض آراء مذهب المعتدلين مثل ابن قتيبة الذي يقرر خطأ من يتغصب للقديم أو للجديد لأن الله ، عز وجل ، جعل المواهب والملكات حظاً مشتركاً بين الناس في كل زمان ومكان ، فلم يجعل الشعر والعلم والبلاغة حظاً للقدماء دون المحدثين ، ولا حظاً للمحدثين دون القدماء ، لأن ذلك منافٌ لطبيعة العدالة الإلهية لو حصل . . . ثم ما معنى القديم والمحدث ؟ وهل هناك قديم ظل قديماً وحديث يبقى حديثاً أبداً ؟ كلا ، ذلك أن كل قديم كان حديثاً في عصره وسيصبح قديماً بالنسبة إلى المصور التي تأتي بعده ، إذن فما معنى التغصب للقديم أو للحديث ؟

ويستحسن ابن رشيق رأي ابن قتيبة السابق في مسألة القدماء والمحدثين من الشعراء ، فيؤيد ذلك الرأي بقول الإمام علي مضمونه ان الأدب مجرّد على الإفادة من آثار غيره ، وأنه مضطر إلى تردید أقوال من سبقه ، لأنه ليس في مقدار أحد أن يجعل كل كلامه جديداً ، فالآدب مثلاً مهما سمت موهبه ، لا غنى له عن الاخذ من كلام الآخرين ومعانيهم ، ولو لا ذلك الاقتباس ، بل الإعادة والتكرار أحياناً ، لنفتقد معانى الآدب ، ونفتقد كلماته وجمله ، وذلك لأن مفردات اللغة ، أية لغة ، معدودة محدودة ، وكل ما كان معدوداً محدوداً كان له نهاية ونفاد . واللغة العربية مثل كل لغة في الدنيا ، ارث مشترك بين ابنائنا ، ولكل واحد منهم أن يأخذ حظه من

مفرداتها ومعانيها ، وان يجرب حظه فيها ، فإذا استطاع الأديب ان يسبق غيره الى بعض المعانى الجزئية الخاصة فله في ذلك فضل السبق وشرف التقدم ، وإذا ساوي غيره فيها فله مزية المJarاة والمساواة ، وإذا جاء متخلفاً عن تقدمه عد مقصراً او سارقاً . وما ابدع ما قيل في هذا الموضوع : « من سرق واسترق فقد استحق » .

ثم يذكر قوله لعنترة ينطوي على التعمق للقدماء وعلى الاعتقاد بحصر الابتكار والتتجدد فيهم ، لكن ابن رشيق يجعل من قول عنترة دليلاً على خطأ أولئك المتعصبين للقدماء ، لأن أولئك المتعصبين يعدون عنترة قدِّيماً ، بينما عنترة يعد نفسه محدثاً ، ويقرر أن القدماء سبقوه الى كل جديد ، وسدوا أمامه أبواب القول . بيد أن ابن رشيق لا يقبل من رأي عنترة إلا جانياً واحداً دون الجانب الآخر : فهو يوافقه في أن عنترة محدث بالنسبة الى من تقدمه ، وهو يخالفه في احتكار القدماء للفضل والسبق الى كل جديد حين يقرر أن عنترة قد أتى في قصيده المعلقة بما لم يسبقه اليه متقدم ، ولا نازعه ايام متاخر .

ويتوسع ابن رشيق في هذه الفكرة ، فكره عدم اقتصار الفضل على القديم فيذكر قوله لأبي تمام الشاعر العظيم المبدع ، ويتخذ منه حجة تهدم قول المتعصبين للقدماء : (ماترك الاول للآخر شيئاً) ، وذلك أن أبي تمام لا ترى أن السابق في الزمان سابق في الفضل دائماً ، فما أكثر المعانى التي لم يهتم بها المتقدمون ، فاهتدى إليها المتاخرون . ويحتاج أبو تمام لصحة رأيه ، بالإيمان بخصب العقل البشري ، وقدرته المستمرة على الابتكار والتتجدد في كل عصر وزمان ، فيقول في بيته مخاطباً الامير ابا دلف العجلاني أحد مددوحيه الشهورين : أيها الامير لقد مدحناك بشعر فيه كل جديد مبتكر ، ولا غرو في أن تكون معانى جديدة مبتكرة ، لأن معانى الشعر معين لا ينضب ، ومدد لا ينفد ، ولو أن معانى الشعر كانت مما يستند بالطبع اذا لاستند لها الشعراء الكثيرون من مدحوك ومدحوا اسلافك من قبل أن أمدحك ، ولكن معانى الشعر لا تستند أبداً ، لأنها صوب المقل ، وفيض الذهن ، وكلما اكتشف المقل منها معنى جديداً انكشفت بعده معانٍ ومعانٍ ، مثل المقل في ذلك مثل البحر يغدو بسحابه فوجاً بعد فوج ، بلا انقطاع ، ولا نهاية ، وبلا نفاد .

ثم يشبه ابن رشيق القدماء والمحدثين برجلين : ابتدأ هذا بناء فاحكمه واقنه ، ثم أتى الآخر فنقشه وزينه ، فالكلفة ظاهرة على الثاني وأن حسن ، والقدرة ظاهرة على الاول وان خشن ، وفي هذا القول اعتراف بمزايا القدماء والمحدثين مع تقديم واضح لا ولنك على هؤلاء ..

ثم يورد رايا لشيخه القاضي أبي الفضل جعفر النحوي شبهاً بالرأي السابق – وهو الرأي الذي يعترض بالفضل للقدماء والمحديثين مع تقديم القدماء على الحديثين – في معرض سؤال وجه إليه عن الشاعرين ذي الرمة وأبي تمام .

ثم يعرض المؤلف في هذه المسألة رايا لابن وكيع شبهاً بالرأي السابق الذي نسبه إلى شيخه أبي الفضل النحوي ، فيبين المزايا الخاصة بأشعار المؤلدين ، كعذوبة الألفاظ ، وحلاؤه المعاني ، وملاءمتها لروح العصر وطبيعة البيئة التي يعيشون فيها ، وصدقها في التعبير بما تقع عليه عيناً الشاعر ، وبعدها عن التكلف وتقليد القدماء تقليداً أعمى ، ويضيف ابن وكيع قائلاً : انه لو لا هذه المزايا التي ذكرها لأشعار المؤلدين ، ولو لا خروج أصحابها على طرق الاقدميين واساليبهم الشعرية الممهودة لما رويت اشعار المؤلدين ولما راجت . ويمثل ابن وكيع لمسألة القدماء والمحديثين تمثيلاً دقيقاً ، فيشبه المحديثين من الشعراء بصاحب الصوت الجميل ، الذي يستمبل بجمال صوته العدد الكثير من الناس وان كان جاهلاً باصول الموسيقى وعلم العروض ؛ ويشبه القدماء من الشعراء واصحاب الغريب خاصة بالمعنى الحاذق في فنه ، العارف باصول صناعة الفنان وقواعده ، غير ذي الصوت الجميل ، فالناس يعرضون عنه الا فئة خاصة ت يريد الانتفاع بعلمه دون الاستمتاع بصوته .

١

ثم يورد ابن رشيق في مسألة القدماء والمحديثين رايا لاستاذه النهشلي فيذكر أن استاذه المذكور عرض عوامل ثلاثة تؤثر في قيمة الشاعر وهي : المقامات او المناسبة ، والازمنة او العصر ، والبلاد او البيئة المكانية ، ويقرر النهشلي ان هذه العوامل الثلاثة تجعل الدين يقبلون على الشعر او يعرضون عنه تبعاً لمراعاة الشاعر للعوامل السابقة او عدم مراعاته لها . والشعراء الحاذقون هم الذين يراعون تلك العوامل الثلاثة ، ويحرصون على جودة الصنعة الشعرية من غير افراط ولا تفريط ، ومثال هؤلاء الشعراء الحاذقين شعراء البصرة الذين تأثروا بغير انتم الفرس فادخلوا في شعرهم بعض كلامهم ونواذرهم فراجت اشعارهم في بلادهم ، وفي بلاد غير انهم ، غير أن النهشلي لا يرى هذا المقياس كافياً لكي يصبح الشعر به جيداً خالداً ، ولذلك يجعل المقياس الصحيح للشعر الجيد الحالد قائماً على الإجاده الفنية التي يطلبها علماء الشعر والنقد من الشعراء وتمثل هذه الإجاده

في بعد الشعر عن اللفظ الغريب الغامض الذي ينبعو عنه الذوق ، وتنفر منه الاذن ؟ وعن اللفظ المتبدل الذي لاكته الالسن كالالفاظ بعض المولدين ، والمتكلفين منهم ، كما تتمثل الإجاده في حرص الشاعر على ان يتضمن شعره المثل السائر ، والتشبّه المصيّب الجيد ، والاستعارة الحسنة الجميلة .

ويعقب ابن رشيق على الفصل الذي نقله عن استاذة النهشلي قائلاً : ان الشاعر الذي يستخدم الفاظاً يعرفها أهل بلد معين فتروج اشعاره فيه دون غيره من البلدان ، يختلف عن الشاعر الفذ الذي لا ينحصر شعره في بلده بل يصل الى كل ارض ، ويسيطر على كل شفة ولسان . . . . . ويرحدد ابن رشيق صفات الشعر الجيد فيجعلها تلك التي تجمع بين التوليد والرقّة والجزالة ، ويفسر الرقة بأنها لا تعني الكلام التافه الساقط المتبدل ، وإنما تعني الكلام الواضح ، السهل ، العذب ، كما يفسر الجزالة فيقول أنها ليست في أن يكون الكلام غريباً وحشياً ولا في أن يكون خشناً ، بل الجزالة في أن يكون الكلام متيناً ، أو حالة وسطاً بين الغرابة والخشونة .

ويختتم ابن رشيق هذا الفصل بإثبات وجهة نظره في صفات الشعر الجيد ، فيضرب مثلاً بشعر بعض فحول الجاهلية كامرئ القيس ، والنابغة والأعشى ، الذين تقدموا غيرهم بحلاؤه كلامهم ، وعدوبيه تراكيبيهم ، وبعد شعرهم عن الوحشية والغرابة ، وعن السخف والركاكة مع أن هؤلاء الفحول أو استخدموا الغريب لكان ذلك مقبولاً منهم ، لأنهم جاهليون ، وحب الغريب من طباعهم ، ومادام الأمر كذلك فإن الشاعر المحدث مطالب بأن يكون أكثر بعضاً عن الغريب والوحشى من القديماء ، وبأن يقتدي بهؤلاء القدماء في مذهبهم الذي أتبعوه ، وهو المذهب الذي يجمع بين الرقة والجزالة ، مع العلم بأن الشاعر القديم أحسن تاليها ، وأجمل أسلوباً من الشاعر المحدث .

### دراسة أدبية :

الخلاف بين القديم والحديث أصل من اصول الحياة في كل شيء ، وفي كل زمان ومكان . . . . ذلك ان كل واحد من الناس يتنازعه عاملان متناقضان : عامل البقاء الذي يشده الى الوراء والى التمسك بالقديم ، وعامل التطور الذي يدفعه الى الامام والى التثبت بالجديد والناس بين

هذين العاملين متربدون متفاوتون : بعضهم يُؤيد القديم ، وبعضهم ينتصر للجديد ، وآخرون يقفون موقفاً وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء .

وقد ظهر الخلاف بين أنصار القديم والجديد في أدبنا العربي منذ أواخر القرن الأول الهجري ، فاشتلت الخصومات بين أنصار الشعراء الجاهليين كامرئ القيس وزهير والنابغة والأشعري ، وبين أنصار الشعراء الإسلاميين كجرير والفرزدق والأخطل ، وهكذا كان أبو عمرو بن العلاء ، مثلاً ، لا يروي شعر جرير إلا على كره منه .

ثم ظهر هذا الخلاف في منتصف القرن الثاني للهجرة بين أنصار الجاهليين والإسلاميين من جهة ، وبين أنصار المحدثين من جهة أخرى ، أي بين أنصار بشار بن برد وتلامذته وبين أنصار أمرئ القيس وغيره من الجاهليين ..

ثم ظهر هذا الخلاف في القرن الثالث المجري بين أنصار أبي تمام وانصار البحتري ، كما ظهر في القرن الرابع المجري بين أنصار المتنبي وخصومه ، وقد الفت في هذا الخلاف كتب كثيرة أشهرها « الموازنة بين الطائرين للأمدي » ، « الوساطة بين المتنبي وخصومه » للقاضي الجرجاني ..

ومحور هذا الخلاف بين أنصار القديم والجديد يدور حول اللفظ والمعنى : أما أنصار القديم ، وهم علماء اللغة ورواة الأدب فكانوا « يتخلون اللاظف مقاييسًا لجودة الشعر ، فكلما قرب هذا اللاظف من البداؤة ، وكلما كان رصينا يملأ الفم ، ويهز السمع كان الشعر جيداً ، أي أن جزالة اللاظف وشدة القرب بينه وبين الفاظ البدائية في العصر الجاهلي كانت هي المزية الأولى للشاعر ، ثم تأتي بعد ذلك جودة المعنى والتعمق فيه (٤) ». وأما أنصار الجديد ، وهم الشعراء والأدباء وبعض العلماء والنقاد ، فقد جعلوا من جودة المعنى والتعمق فيه ومن ملامته لبيئة الشاعر وعصره وروحه وثقافته وفنونه ... جعلوا من ذلك كله المزية الأولى للشاعر ، ثم جعلوا بعد ذلك الفاظ الشاعر وعباراته ..

ومن هذا العرض التاريخي السريع لمسألة القديم والجديد ، أو القدماء والمحدثين كما يسميهما ابن رشيق ، يتبين لنا أن ابن رشيق كان واحداً من كثيرين من تعرضوا لهذه المسألة الشائكة التي لا ينتهي الجدل حولها لأنها متصلة بطبيعة الحياة الإنسانية وأذواقها ومشاربها ... وقد أراد المؤلف

(٤) راجع الفصول المتعلقة بالقديم والجديد في الجزء الثاني من حديث الأربعاء لطه حسين .

ان يشرح جانبا من اختلاف الرواية والعلماء حول القدماء والمحدثين من الشعراء ، وأن ينتهي بعد ذلك الى رأي معين في هذه القضية النقدية المهمة ، فاتبع لبلوغ هذا الغرض ، ما يلي :

اولا : قرر ابن رشيق منذ البداية أن القدم والحدوث مسألتان نسبitan لا مطلقتان .

ثانيا : عرض مذهب انصار القديم كأبي عمرو بن العلاء والاصمعي وابن الأعرابي ، فشرح هذا المذهب ، وعلله وتقدّه .

ثالثا : شرح مذهب المعتدلين من خلال فقرات قصيرة نقلها عن ابن قتيبة ، وأيد هذا المذهب بآقوال الإمام علي وعترة ولابي تمام .

رابعا : ضرب المؤلف مثلا للقدماء والمحدثين فضل فيه او لثك على هؤلاء اذ الفضل للمبتدى وان احسن المقتدى كما يقولون .

خامسا : نقل عن استاذة القاضي أبي الفضل جعفر التحوي رأيا شبّهها بالمثل السابق الذي ضربه للقدماء والمحدثين .

سادسا : اورد رأيا لابن وكيع شرح فيه مزايا القدماء والمحدثين شرعاً يفيد ان الفضل للمتقدم .

سابعا : اورد رأيا للأستاذ النهشلي ذكر فيه العوامل المؤثرة في قيمة الشعر والقومات الأساسية للشعر الجيد الخالد ، وهو الشعر الذي يجمع في رأي النهشلي ، بين الرقة والجزالة ، حافلا بالصور البينية الموقفة ، وبالحكم والأمثال السائرة .

ثامنا : علق على رأي أستاذة النهشلي فزاده ايضا وتبين ، وشرح معنى الرقة والجزالة ، واستشهد على صحة رأيه باشعار فحول الجاهلين .

وهكذا عرض ابن رشيق قضية القدماء والمحدثين عرضا شاملا ، يتسم بالوضوح ، والدقة ، وال موضوعية ، وكانت شخصيته واضحة في النص ، فلم يكتف بعرض المذاهب المتباينة حول القدماء والمحدثين ، بل كان يعقب على كل مذهب او رأي معارض او مؤيدا كما رأينا ، وكذلك لا ننسى ان المؤلف كان

ينسب الآراء المختلفة إلى أصحابها ، وهو صنيع حسن يدل على ثقافة نقدية واسعة ، وأمانة علمية جديرة بالثنوية ، ومن جهة أخرى فإن النص يعطينا فكرة جلية عن حركة النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري ، ويدلنا على عمق الاتصال والتفاعل بين العرب المسلمين في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وبين ذلك الدور الإيجابي الذي قامت به بلاد المغرب من قبل في بناء صرح الثقافة العربية الإسلامية ، وفي خدمة اللغة العربية ، لغة آبائكم وأجدادكم بل لغة الوحي الإلهي ، القرآن السكري .

وإذا كان لا بد لنا أن نذكر عاطفة ابن رشيق في هذا النص فإنه لا يسعنا إلا أن نقول : إن العاطفة التي أملت على ابن رشيق هذا النص وغيره من نصوص العمدة هي عاطفة الإخلاص للحقيقة العلمية وتوضيحها بروح موضوعية هادئة بعيدة عن الجمود والتحيز للقديم أو الجديد بغير سبب معقول .

### دراسة بلاغية :

« ابن رشيق » أديب بارع استقام له فن الشعر فكان شاعراً مجيناً ، واستقام له فن الكتابة فكان كاتباً بليغاً ، فأشعاره الكثيرة تدل على أن صاحبها أوتي موهبة جيدة تسمح له بتحلى بها أن يعتمد عليها في تحصيل عيشه يوم كان الناس يرثرون بالشعر . ومؤلفاته العديدة المتنوعة تدل على طبع أصيل ، وباع طويلاً ، وذوق سليم ، وثقافة واسعة .

وكان ابن رشيق في كتابته الأدبية حريصاً على انتقاء العبارات ، وجمال الصياغة فكان يعتمد على السجع ، والتوازن ، والترادف ، وعلى الطياب والقابلة والجنس والاقتباس وغير ذلك مما يجده المتأمل في مقدمة كتابه العمدة .

أما في هذا النص الذي هو موضوع دراستنا فيلاحظ أن معظم عبارات المؤلف مأخوذ من كلام غيره وليس من كلامه هو ، ولكننا مع ذلك نستطيع أن نرى كيف يختلف أسلوبه من مكان إلى آخر : فهو حيناً يصوغ عباراته صياغة يبدو فيها السجع ، والتوازن والترادف والازدواج كقوله : « وإنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ابتدأ هنا بناء فاحكمه وانقنه ، ثم أتي الآخر فنقشه وزينه ، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن ، والقدرة

ظاهره على ذلك وان خشن» . وهو في اكثرا الاحيان ذو اسلوب مرسل لا يحفل فيه بشيء من زخارف الصنعة ، وهنا تطول عبارته ، وتمتد جمله بما لامتداد الفكرة التي يشرحها كقوله في آخر النص : «ولم يقدم أمرؤ القيس والنابفة والأعشى الا بحلوة الكلام وطلوته ، مع البعد عن السخف والركاكة . . . .» والصور البينية اختفت او كادت ، واذا عثرنا على بعض التشبيهات كالتشبيه الذي مرتانا قبل فلنعلم ان غايته منه تعليمية وليس بلاغية ، فال موضوع يفرض على الكاتب ان يشرح ويعلل ، ويناقش ، ولا يسمح له بأن يظهر براعته الإنسانية . والفاظ النص واضحة ، يقل فيها الغريب ، وهذا الغريب القليل الذي ورد فيه كالمسيح والنطع مرده الى ان المؤلف ينقل كلام غيره المتضمن لهذا الغريب ، وعباراته خبرية هادلة ملائمة للبحث العلمي القائم على التحليل والشرح والتعليق ، ولذلك كان الاسلوب هنا اقرب الى العلم منه الى الادب .

### مholm القول

هذا النص الذي سبقت دراسته هو الباب الثالث والعشرون من كتاب العمدة ، لابن رشيق القيرزي المعملي . وقد بلغت ابواب هذا الكتاب مائة وستة ابواب كلها تقريبا في الشعر وما يتصل به ، جمع فيه المؤلف احسن القوال النقاد في الشعر ليكون العمدة في محاسن الشعر وأدابه وقد عول فيه صاحبه على فريحته وخطره كما يقول ، وجاء في جزءين كبيرين الم فيهما بكثير من المسائل المتعلقة بالشعر كمسألة القدماء والمحدثين التي هي موضوع دراستنا . وفي النص الذي مر بك نموذج لعمل ابن رشيق في كتابه العمدة ، وقد كان في مختلف فصول الكتاب يذكر آراء النقاد في المسألة الأدبية راويا ، او شارحا ، او نافدا ، وفي النص السابق معالجة جيدة لمسألة القدماء والمحدثين : فاسلوبه علمي هادئ بعيد عن التكلف والصنعة ، وطريقته في العرض تشم بحسن الترتيب والتنظيم ، كما تتسم بال موضوعية والأمانة وظهور شخصية المؤلف في كل ما ينقل او ينقد . ومن هنا حق لابن خلدون ان يقول في كتاب العمدة : انه « الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة - يريد صناعة الشعر وتقنه - واعطاها حقها ، ولم يكتب احد فيه قبله ولا بعده مثله » .

## المناقشة :

- 1 - ما الفكرة التي أرادها ابن رشيق بقوله : « كل قديم من الشعر فهو محدث في زمانه ، بالإضافة إلى ما كان قبله » .
- 2 - لخص مذهب أبي عمرو بن العلاء في الشعر القديم والمحدث ، وناقشه .
- 3 - اذكر مذهب ابن قتيبة في القدماء والمحدين وناقشه .
- 4 - ما المراد بكلمة الإمام علي كرم الله وجهه : « لو لا أن الكلام يعاد لنفدينا ؟
- 5 - ما المراد بقول عنترة : « هل غادر الشعراء من متقدم ؟ وهل تواافقه على هذا الرأي ؟ ولماذا ؟
- 6 - ما المراد بقول أبي تمام : « ما ترك الاول للآخر شيئاً ؟ وما الفرق بين هذا القول وبين قول عنترة ؟
- 7 - ما رأيك في المثل الذي ضربه ابن رشيق للقدماء والمحدين في قوله : « وإنما مثل القدماء والمحدين . . . . الخ » ؟ هل تواافقه على هذا المثل ؟ ولماذا ؟
- 8 - لحصر رأي ابن وكيع في القدماء والمحدين وناقشه .
- 9 - اذكر المؤثرات التي يخضع لها الشعراء في رأي النهشلي ، واشرح هذه المؤثرات .
- 10 - اذكر مقومات الشعر الجيد في رأي النهشلي ورأي تلميذه ابن رشيق . وناقشه رأيهما .
- 11 - مامعني الرقة والجزالة في رأي ابن رشيق ؟
- 12 - حدد موقف ابن رشيق من مسألة القدماء والمحدين .
- 13 - قسم النص إلى أفكاره الأساسية ، وضع عنواناً مناسباً لكل فكرة .
- 14 - هل تعرف من القدامي تقاضاً آخرين تناولوا مسألة القدماء والمحدين غير أولئك الذين ذكرهم ابن رشيق ؟

- 15 – هل تعرف من المعاصرین ادیبا تناول قضية القدماء والمحديثين ؟  
اذكر من تعرفه منهم ، وللخس رأيه في هذه القضية .
- 16 – على اي شيء يدل استشهاد ابن رشيق باقوال السابقين ؟ وعلى اي شيء يدل ذكره لاصحاب تلك الاقوال ؟ هل تعجبك طريقة المؤلف هنا ؟ ولماذا ؟
- 17 – وما رأيك في اسلوب ابن رشيق : هل هو علمي ام ادبي ام بين بين ؟
- 18 – هل تستطيع ان تتصور طبيعة العلاقات الاجتماعية والفكيرية التي كانت تربط بين المشرق والمغرب العربي أيام ابن رشيق ؟
- 19 – هل تستطيع ان تكون من هذا النص فكرة صحيحة عن الحياة الادبية والنقدية في العصر الذي عاش فيه ابن رشيق ، وهو القرن الخامس الهجري ؟ .
- 20 – ما الامر الذي تركه هذا النص في نفسك ؟

### تلويب

قال الجاحظ : « وكلام كثير قد جرى على السنة الناس وله مضره شديدة ، وثمرة مرة . فمن اضر ذلك قوله : لم يدع الاول للآخر شيئا . فلو أن علماء كل عصر منذ جرت هذه الكلمة في اسماعهم تركوا الاستنباط مما لم ينته عمن قبليهم لرأيت العلم مختلا ». »

اكتب في هذا القول موضوعا انشائيا ، واستشهد بأمثلة مختلفة من التاريخ القديم والحديث .

١ - باب الشعر والشعراء

**طبقاتُ الشِّعْرِ أَرْبَعٌ :** جَاهِلِيَّ قَدِيمٌ ، وَخَضْرَمٌ ، وَهُوَ الَّذِي أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ ، وَإِسْلَامِيٌّ ، وَمَخْدُثٌ ، ثُمَّ صَارَ الْمُحَدَّثُونَ طَبَقَاتٍ : أَوْلَى وَثَانِيَةً عَلَى التَّدْرِجِ ، وَهَكُذا فِي الْمُبُوتِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا . فَلِيُعْلَمُ الْمُتَّاخِرُ مَقْدَارًا مَا يَعْنِي لَهُ مِنَ الشِّعْرِ ، فَيَصْفُحُ مَقْدَارًا مِنْ قَبْلِهِ لِيُنْظَرَ كَمْ بَيْنَ الْخَضْرَمِ وَالْجَاهِلِيَّةِ ، وَبَيْنِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْخَضْرَمِ ، وَأَنَّ الْمَحْدُثَ الْأَوَّلَ ، فَضْلًا عَمَّنْ دُونَهُ ، ذُوئْهُمْ فِي الْمُنْزَلَةِ ، عَلَى أَنَّهُ أَغْضَبَ مَشْكُوكًا وَأَرْقَ حَاشِيَّةً . فَإِذَا رَأَى أَهْلَ السَّاقَةَ تَحْقَطَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَعَلِمَ ، مِنْ أَيْنَ يُوقَنُ ، وَلَمْ تُعْرِزْهُ حَلَاوةُ لَفْظِهِ وَلَا رَشَاقَةُ مَقْنَاهِ ، فَقَنِيَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ مِنْ ذَهَبِ بِكَلِّ حَلَاوةٍ وَرَشَاقَةٍ ، وَسَبَقَ إِلَى كُلِّ طَلَاوَةٍ وَلَبَاقَةٍ .

وَأَنْشَدَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَلَمْ يَذْكُرْ قَائِلَهُ :

الشَّعَرَاءُ فَاعْلَمُنَّ أَرْبَعَهُ فَشَاعِرٌ لَا يُرْتَجِعُ لِنَفْعِهِ  
وَشَاعِرٌ يُنْشِدُ وَسْطَ الْمَجَمَعِ وَشَاعِرٌ آخَرُ لَا يُجَرِي مَعَهُ  
وَشَاعِرٌ يُقَالُ : خَمْرٌ فِي دَعَاهُ !

هَكُذا رَوَيْتُهَا عَنْ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ ، وَرَحْمَةِ اللَّهِ ، وَبَعْضِ النَّاسِ يَرْوِيهَا عَلَى خَلَافِ ذَلِكِ . . . وَقَالُوا : الشَّعَرَاءُ أَرْبَعُهُ : شَاعِرٌ خَنْدِيدٌ ، وَهُوَ الَّذِي يَجْمَعُ إِلَى جَوْدَةِ شِعْرِهِ رِوَايَةَ الْجَيْدِ مِنْ شِعْرِ غَيْرِهِ . وَسُئِلَ رَوْبَهُ عَنِ الْفَحْوَلَةِ قَالَ : هُمُ الرَّوَاةُ ، وَشَاعِرٌ مُفْلِقٌ «وَهُوَ الَّذِي لَا رِوَاةَ لَهُ إِلَّا أَنَّهُ مُجَوَّدٌ كَالْخَنْدِيدِ فِي شِعْرِهِ» ، وَشَاعِرٌ فَقْطُ ، وَهُوَ فُوقَ الرَّدِيءِ بِدَرَجَةٍ ، وَشُعْرُوُرٌ وَهُوَ لَا شَيْءَ .

وَإِنَّمَا سَمِيَ الشَّاعِرُ شَاعِرًا لِأَنَّهُ يَشْعُرُ بِمَا لَا يَشْعُرُ بِهِ غَيْرُهُ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الشَّاعِرِ تَوْلِيدٌ مَعْنَى وَلَا اخْتِرَاعٌ ، أَوْ اسْتِنْدَارٌ لِلْفَعْلِ وَابْتِدَاعُهُ ، أَوْ زِيَادَةُ فِيمَا أَجْحَفَ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمَعْنَى ، أَوْ تَقْصُ مِنَّا اطْهَالُ سِوَاهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ ، أَوْ صَرَفَ مَعْنَى إِلَى وَجْهِهِ عَنْ وَجْهِ آخَرِ ، كَانَ اسْمُ الشَّاعِرِ عَلَيْهِ مَحَازِرًا لَا حَقِيقَةً ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا فَضْلُ الْوَزْنِ ، وَلَيْسَ يَفْضِلُ عِنْدِي مَعْنَى التَّقْصِيرِ . . .

## ب - باب الشعر وبنيته

البنية من أربعة أشياء ، وهي : **اللُّفْظُ ، والَّوْزَنُ ، والْمَفْنَى ، والْقَافِيَّةُ** ، فهذا هو حَدَّ الشِّعْرِ ، لأنَّ مِنَ الْكَلَامِ مَوْزِيًّا مَفْنَى وَلَيْسَ بِشِعْرٍ ، لعدم الصنعة والبنية ، كأشياء اترثَتْ من القرآن ، ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شِعْرٌ ، والمترن ما عُرضَ على القرآن فقلبه .

وقال بعض العلماء بهذا الشأن : بُني الشِّعْرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ وَهِيَ :

**الْمَدْحُ ، وَالْهِجَاءُ ، وَالنَّسِيبُ ، وَالرِّنَاءُ** .  
وقالوا قواعد الشِّعْرِ أربعٌ : الرَّغْبَةُ ، وَالرَّهْبَةُ ، وَالطَّرَبُ ، وَالْفَضْبُ . فَمَعَ الرَّغْبَةِ يَكُونُ المَدْحُ وَالشَّكْرُ ، وَمَعَ الرَّهْبَةِ يَكُونُ الْأَعْتَدَادُ وَالْأَسْتَعْطَادُ ، وَمَعَ الطَّرَبِ يَكُونُ الشَّوْقُ وَرِفْقَةُ التَّسْبِيبِ ، وَمَعَ الْفَضْبِ يَكُونُ الْمَجَاهُ وَالْتَّوْمَدُ وَالْعَنَابُ .

وقال الرَّمَانِي عَلَيْهِ بْنُ عَبْسٍ : أَكْثَرُ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ أَغْرَاثُ الشِّعْرِ خَمْسَةٌ : **النَّسِيبُ ، وَالْمَدْحُ ، وَالْهِجَاءُ ، وَالْفَحْرُ ، وَالْوَصْفُ** . ويدخل التشبيهُ والاستعارةُ في باب الوصفِ .

وقال عبدُ الْكَرِيمِ : يَجْمِعُ أَصْنَافُ الشِّعْرِ أَرْبَعَةً : **الْمَدْحُ ، وَالْهِجَاءُ ، وَالْحَكْمَةُ ، وَاللَّهُوُّ** ، ثُمَّ يَتَفَرَّعُ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ ذَلِكَ فنونٌ : فيكونُ في المدحِ المُرَانِي وَالْأَفْتِخارُ وَالشَّكْرُ ، ثُمَّ يَكُونُ مِنَ الْهِجَاءِ الْمُرَدُ وَالْعِتَابُ وَالْأَسْتَعْطَادُ ، وَمِنَ الْحَكْمَةِ الْأَمْثَالُ وَالْتَّزْهِيدُ وَالْمَوَاعِظُ ، وَيَكُونُ مِنَ اللَّهُوِ الْفَزْلُ وَالْطَّرَبُ وَصَفَةُ الْخَمْرِ وَالْمَخْمُورِ .

وقال قَوْمٌ : **الشِّعْرُ كُلُّهُ مَدْحٌ وَهِجَاءٌ** : فَإِلَى المَدْحِ يَرْجِعُ الرِّنَاءُ وَالْأَنْسَارُ وَالتَّشْبِيبُ وَمَا تَعْلَقَ بِذَلِكَ مِنْ مَحْمُودٍ وَمَوْعِدٍ وَصِفَاتِ الْحَمْوَلِ (\*) ، وَالْأَثَارُ وَالْمَوَاعِظُ وَالرُّهْمَدُ فِي الدُّنْيَا وَالْقَنْعَةُ . وَالْهِجَاءُ ضِدُّ ذَلِكَ كُلِّهِ ، غَيْرُ أَنَّ الْمَنَابَ حَالٌ بَيْنَ حَالَيْنِ ، فَهُوَ طَرَفٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، وَكُلُّ الْإِغْرَاءِ لِيَتَسَمَّدُ حَلْقُهُ ، لَأَنَّكَ لَا تُغْرِي بِإِنْسَانٍ فَتَقُولُ : إِنَّهُ حَقِيرٌ ذَلِيلٌ إِلَّا كَانَ عَلَيْكَ وَعَلَى الْمُغْرِي الدَّرَكُ (\*\* ) ، وَلَا تَقْصُدُ أَيْضًا بِمَدْحِهِ النِّنَاءَ عَلَيْهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ ..

(\*) الحمول : التحلل والارتحال ، وهو موضوع شائع جداً في مطالع القساند الجاملية خاصة.

(\*\*) الدرك : التبعة والمسؤولية .

«اللَّفْظُ» جسم روحه «المَفْنِي»، وارتباطه به كارتياط الروح بالجسم يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى وأختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه، كما يتعرض البعض الأشخاص والشلال والغور وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح. وكذلك إن ضعف المفني وأختل بعضه كان للغظى من ذلك أو فر حظى، والذي يتعرض للأجسام من المرض يتعرض الأرواح، ولا تجد مفني يخل إلا من جهة اللفظ وجزئيه فيه على غير الواجب قياساً على ما قدمت من أدوات الجسم والأرواح، فإن اختل المعنى كلةً وفسد ، يقى اللفظ مواناً لا فائدة فيه ، وإن كان حسن الطلاوة في السمع ، كما أن المكت لم ينفع من شخصه شيئاً في رأى العين إلا الله لا ينتفع به ، ولا يفيه فائدة . وكذلك إن اختل اللفظ بجملةٍ وتلاشى لم يصبح له مفني ، لأن لا نجد روجاً في غير جسم البة . ثم للناس فيما ينعد آراءً ومذاهب ، متهم من يوثق اللفظ على المعنى ويعمله غائبةً وذكراً وهم فرقٌ قومٌ يذهبون إلى فحامة الكلام وجزائه على مذهب العرب من غير تصريح يقول بشار :

إِذَا مَا غَضِبَنَا غَضِبَّةً مَفْرِيَةً هَتَّكَنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ عَنِطَرَ الدَّمَاءِ  
إِذَا مَا أَغْرَنَا سَيِّدَا مِنْ قِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرَ صَلَى عَلَيْنَا وَسَلَّمَ

وهذا النوع أدل على القوقة ، وأشبه بما وقع فيه من موقع الافتخار وكذلك ما مدح به الملوك يجرب أن يكون من هذا التحت .

وفرقه أصحاب جلة وفقيه بلا طائل مفني إلا القليل النادر ، كابن القاسم بن هاني ومن جرى مجرأة ، فإنه يقول أول مذهبـه :

أَصَاحَتْ فَقَاتْ : وَقَعَ أَجْرَدَ شَيْطَمْ وَشَامَتْ فَقَاتْ : لَمْ أَيْضَ مِخْدَمْ  
وَمَا ذُعَرَتْ إِلَّا لِجَرَسِ حَلِيمَةَ

---

اصاحت : استمت . اجرد : فرس قسي الشمر . شيطم : طبيل الجسم . شامت : نظرت . ايض : سيف . مخدم : قاطع . لجرس حليمها : لصوت حليمها الخن . ذعرت : نظرت . بسرى : جمع مفرده برة وهي حلقة الخلخال الذي تلبس النساء في ارجلهن . مخدمن : موضع الخلخال من الرجل .

وليس تحت هذا كله إلا الفساد وخلاف الرأي . والذى يُفِيدُنا أن تكون هذه المسئولية بها سمعت صوت حاليها فتوهمته بعد الإصابة والرمق وقع فرس أو لم سيف ، غير أنها مغزولة في دارها ، أو حاصله بما حملته من ذيَّتها ، ولم يخف عن مرادها أنها كانت تترقبه فيما هداه الله ... ومتهم من ذهب إلى سهوه لللقطة فعندي بها ، وافتقر له فيما الركاك واللبن المفرط كأبي العناية ، وعيال بن الأحني ، ومن تابعهما ، وهم يرون الغابة قول أبي العناية :

فَسِيرُوا الْكَفَانَ مِنْ عَاجِلٍ  
فَإِنَّمَا فِي شُغُلٍ شَاغِلٍ  
بِدَمْعِهَا النُّسُكِيبُ السَّائِلُ  
مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَاتِلِ  
مَاذَا تَرْدُونَ عَلَى السَّائِلِ؟  
قَنُولًا جَمِيلًا بَدَلَ النَّائِلِ  
مِنْهُ فَنَسُوهُ إِلَى قَابِلِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْنِرُ الْمَعْنَى عَلَى الْلَّفْظِ فَيَطْلُبُ صِحَّتَهُ ، وَلَا يَبْلِي حَيْثُ وَقَعَ  
مِنْ هَجْنَةِ الْلَّفْظِ وَقَبْحِهِ وَخَسْوَتِهِ كَابن الرَّوْمَى وَابن الطَّيِّبِ وَمَنْ شَاكَلَهُمَا .  
وَأَنْتُرُ النَّاسَ عَلَى تَفْضِيلِ الْلَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى ، سَمِعْتُ بِغَضْنَ الْحَدَاقِ  
يَقُولُ : قَالَ الْعَلَمَاءُ : الْلَّفْظُ أَغْلَى مِنَ الْمَعْنَى ثَمَنًا ، وَأَعْظَمُ قِيمَةً ، وَأَعْزَزَ مَطْلَبًا ،  
فَإِنَّ الْمَعْنَى مَوْجُودٌ فِي طَبَاعِ النَّاسِ ، يَسْتَوِي فِيهِ الْجَاهِلُ وَالْحَادِقُ ، وَلَكِنَّ  
الْمَقْلَلَ عَلَى جَوْدَةِ الْأَنْفَاظِ ، وَحَسْنِ النَّسِيبِ ، وَصَحَّةِ التَّالِيفِ . أَلَا تَرَى لَوْ  
أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ فِي الْمَذَاجِ تَشْبِيهَ رَجُلٍ لَمَّا أَخْطَأَهُ أَنْ يُشَيِّهَ فِي الْجُودِ بِالْغَيْثِ  
وَالْبَخْرِ ، وَفِي الْإِقْدَامِ بِالْأَسْدِ ، وَفِي الْمَضَاءِ بِالشَّيْفِ ، وَفِي الْعَزْمِ بِالسَّتِيلِ ،  
وَفِي الْحَسْنِ بِالشَّمْسِ ، فَإِنَّ لَمْ يَعْتِنْ تَزَكِّيَتْ هَذِهِ الْمَلَانِي فِي أَخْسَنِ حَلَامِهِ  
مِنْ الْلَّفْظِ الْجَيِّدِ الْجَامِعِ لِلرِّفْقَةِ وَالْجَزَآلَةِ وَالْعَدْوَةِ وَالْطَّلَاؤَةِ وَالسَّمُوَالَةِ  
وَالْحَلَاؤَةِ لَمْ يَكُنْ لِلْمَفْتَنِ قُدْرٌ .

وَبِغَضْمُومِ ، وَأَطْلَنَهُ ابْنُ وَكِيعَ ، مَثَلَ الْمَعْنَى بِالصُّورَةِ ، وَالْلَّفْظُ بِالْكُشْوَةِ ،  
فَإِنَّ لَمْ تُقْبَلِ الْصُّورَةُ الْحَسْنَاءُ بِمَا يُشَاكِلُهَا وَيَلِيقُ بِهَا مِنَ الْبَيْسِ فَقَدْ  
بُخَسِّتْ حَقَّهَا ، وَتَضَاءَتْ فِي عَيْنِ مُبْصِرِهَا .

يَا إِخْرَوَتِي إِنَّ الْمَوَى قَاتِلِي  
وَلَا تَكُونُوا فِي اتِّبَاعِ الْمَوَى  
عَيْنِي عَلَى عُتْبَةِ مُنْهَلَّةٍ  
يَا مَنْ رَأَى قَبِيلِي قَتِيلًا بِكَى  
بَسَطَتْ كَفِي نَحْوَكُمْ سَائِلًا  
إِنَّ لَمْ تَشِلُّوهُ فَقَوْلُوا لَهُ  
أَوْ كَتْسُمُ الْعَامَ عَلَى عَسْرَقِ

## المقامة البغدادية

للهمناني

تعريف وتمهيد :

الكاتب هو « أبو الفضل أحمد بن الحسين » المعروف « ببديع الزمان » ، ( 358 - 398 هـ ) ولد في همدان ( مدينة في ايران ) حوالي سنة 358 هـ ، ونشأ فيها ، وكان نابغة في الحفظ والذكاء ، معروفاً بحضوره الديهية ، وسرعة الخاطر ، وقد أخذ اللغة عن العالم اللغوي الشهير ابن فارس ، وصار ضليعاً فيها ، ثم رحل متقدلاً يضرب في الأرض حتى لقي في نيسابور ( مدينة في شمال شرق ايران ) اباً بكر الخوارزمي فناظره وتفوق عليه ، ثم استقر به المقام في مدينة هراة ( احدى مدن افغانستان ) وقد خلد اسمه في تاريخ الادب بالمقامات التي اشتهرت في الادب العربي ، ومات حوالي سنة 398 هـ .

والمقامات (\*) فن من فنون الادب العربي يتصل بحياة الناس ، ويصور ما يجري فيها ، شأنه في ذلك شأن بقية الفنون الادبية الأخرى ، غير ان المقامة تميز بانها قصة خيالية قصيرة تدور حول الكذبة ( الشحادة ) واساليب الاحتيال التي يلجا اليها افراد باليsonian لكسب الرزق والحصول على لقمة العيش ، والاسلوب الذي تحكم به المقامة تغلب عليه الصناعة اللغظية والتزام السجع خاصة ، وتزدحم فيه الصور البلاغية ، وتجمع فيه المفردات الغريبة ، الى جانب ما يحلمه من الامثال والاشعار . وكل قصة او مقامة بطل خيالي يضطلع بادائها ، ورواية خيالي يحكى عنه مواقفه .

وهذا اللون الادبي ظهر في العصر العباسي خلال القرن الرابع المجري لما شاع في ذلك العصر من تفاوت اجتماعي اذ كان بعض الناس في ترف ونعة ، وبعضهم في فقر وعسر ، الامر الذي اضطر معه من لم يتوتوا حظاً من الرزق -

(\*) المقام : اسم للمجلس او الجماعة من الناس ، وسميت الاحدونة من الكلام مقامة كأنها تذكر في مجلس واحد تجتمع فيه الجماعة .

ومن بينهم عدد من الادباء - الى ان يسلكوا ذلك المسلوك الشائن ، ويتخلدوا تلك الوسائل التي تعانق الخلق العربي ، والدين الإسلامي . وقد فرضت تلك الظاهرة الاجتماعية على ادباء العصر ان يسجلوها ، فنشا من ذلك فن المقامات .

واذا كان أبو بكر بن دريد المتوفى سنة 320 هـ اول من كتب المقامات فان بديع الزمان المدائني هو صاحب الفضل العظيم في تنظيم هذا الضرب الادبي ، ووضعه في شكله الفني الخاص حتى ان بعض مؤرخي الادب يعتبرون بديع الزمان واضع فن المقامات .

وهذا النص الذي بين يديك احدى مقامات بديع الزمان التي تعتبر نموذجا لفن الكتابة الادبية المعروفة باسم المقامات . وبطل مقامات البديع هو أبو الفتح الإسكندرى . وراوينته هو عيسى بن هشام ، ولكن في هذه المقامات البغدادية جعل بديع الزمان الرواية عيسى بن هشام بطل المقامات .

### النص :

«حَدَّثَنَا عِيسَىٰ بْنُ هَشَّامٍ ، قَالَ : أَشْتَمَتِ الْأَزَادَ ، وَأَنَا يَغْدَازُ ،  
وَلَيْسَ مِعِي عَقْدٌ عَلَى نَقْدٍ ، فَخَرَجْتُ أَتَهَزِّ مَحَالَهُ حَتَّى أَهْلَنِي الْكَرْخَ ،  
فَإِذَا أَنَا سِوَادِيٌّ يَسْوَقُ بِالْجَهْدِ حِنَارَهُ ، وَيَطْرُفُ بِالْعَقْدِ إِزَارَهُ ، فَقَلَّتُ :  
ظَلَفْنَا وَأَفَلَهُ بِصَنِيدُ ، وَحَيَّلَكَ اللَّهُ أَبَا زَيْدَ ، مِنْ أَينَ أَفْلَتَ ؟ وَأَينَ نَزَلتَ ؟  
وَمَتَى وَانْتَ ؟ وَهَلْمَ إِلَى الْبَيْتِ فَقَالَ السِّوَادِيُّ : لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ ، وَلَكِنِي  
أَبُو عَيْدَ . فَقَلَّتُ : نَعَمْ ، لَعَنَ اللَّهِ الشَّيْطَانَ ، وَأَبْعَدَ النَّشِيَانَ ، أَنْسَانِيَكَ  
مُطْلُو الْمَهْدِ وَاتِّصَالُ الْبَعْدِ ، فَكَيْفَ حَالَ أَبِيكَ ؟ أَشَابُ كَعْدَيِي أَمْ شَابَ  
بَعْدِي ؟ فَقَالَ : قَدْ نَبَّتَ الرَّيْبَعُ عَلَى دِمْتَيِهِ ، وَأَنْجُو أَنْ يَصِيرَهُ اللَّهُ إِلَى جَنَّتِهِ ،

الأزاد : نوع من التمر الجيد ، والمقصود منه هنا الطعام . بنداد : لفة في كلة بنداد . نقد : تقود ودراما . محالة : الاماكن التي يتضطر ان اجد فيها مطابق . الكرخ : حي في الجانب الغربي من بغداد . سوادي : ربغي . يطرف بالعقد ازاره : تكثر في طرف لوبه مقد ربطها على نقوده . والبيت : جنت . الريبع : المقصود هنا النبات والزرع .

فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .  
 ومَدَدْتَ يَدَ الْبَدَارِ إِلَى الصِّدَارِ أَرِيدَ تَمْزِيقَهُ ، فَقَبَضَ الشَّوَادِيُّ عَلَى حَسْرِي  
 بِجُنْحِيِّهِ ، وَقَالَ : نَشَدْتَكَ اللَّهُ لَا مَرْقَةَ ، فَقُلْتَ : هَلْمَ إِلَى الْبَيْتِ نَصْبَ غَدَاءَ ،  
 أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شَوَاءَ ، وَالسُّوقُ أَقْرَبُ ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ ، فَاسْتَفَرَتْهُ  
 حَمَّةُ الْقَرْمَ ، وَعَطَنَتْهُ عَاطِفَةَ الْلَّقَمَ ، وَطَعِيمَ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ . ثُمَّ أَتَيْنَا شَوَاءَ  
 يَتَقَاطِرُ شَوَاؤُهُ عَرَقًا ، وَتَسَاءَلَ جَوَادَابَاتُهُ مَرْقًا ، فَقُلْتَ : أَفَرُ لِأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذَا  
 الشَّوَاءِ ، ثُمَّ زَوْنَ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْحَلَوَاءِ ، وَاخْتَرَ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْأَطْبَاقِ ، وَانْصَدَّ  
 عَلَيْهَا أَوْرَاقَ الرَّسَاقِ ، وَرَسَّ عَلَيْهَا شَيْئًا مِنْ مَاءِ السَّمَاقِ ، لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ  
 هَنِيَا ، فَانْحَنَى الشَّوَاءُ عَلَى زُبْدَةِ تَوْرِهِ ، فَجَعَلَهَا كَالْكُخلِ سَخْقًا ، وَكَالْطِخْنِ  
 دَقَّاً ، ثُمَّ جَمَّ جَلَسَ وَجَلَسَتْ ، وَلَا بَسَّ وَلَا بَسَتْ ، حَتَّى اسْتَوَفَيْنَاهُ ، وَقُلْتَ  
 لِصَاحِبِ الْحَلَوَى : زِنْ لِأَبِي زَيْدٍ مِنْ الْلُّوزِ يَنْجِعُ رِطْلَيْنِ ، فَهُوَ أَجْرَى فِي  
 الْحَلَوَقَ ، وَأَمْضَى ، فِي الْعَرْوَقَ ، وَلَيْكُنْ لَنِيَّ الْعُمَرِ ، يَوْمَيَ النَّفَرِ ، رَقِيقَ  
 الْقِثَرِ ، كَثِيفَ الْحَشْوِ ، لُؤْلُؤِيَّ الدَّهْنِ ، كَوْكَبِيَّ الْلَّوْنِ ، يَذُوبُ كَالصَّمْغِ ،  
 قَبْلَ الْمُضِيِّ ، لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيَا . قَالَ : فَوْزَنَهُ ، ثُمَّ قَعَدَ وَقَعَدَتْ ، وَجَرَدَ  
 وَجَرَدَتْ ، حَتَّى اسْتَوَفَيْنَاهُ ، ثُمَّ قُلْتَ : يَا أَبَا زَيْدٍ مَا أَحْوَجْنَا إِلَى مَاءِ  
 يُشَعَّمُ بِالثَّلْجِ لِيَقْمَعَ هَذِهِ الصَّارَةَ ، وَيُفْتَأِ هَذِهِ الْلَّقَمَ الْحَارَةَ ؛ اجْلَسْ

الْمَدْنَةَ : آثار الدار المجوورة والمقصود قبره . الْبَدَارَ : المبادرة  
 أي السرعة . الصِّدَارَ : قبيص قصير بلا كمين . بِجُنْحِيِّهِ : بعقبة يده . نَشَدْتَكَ اللهُ :  
 استخلفك بالله . اسْتَفَرَتْهُ : استهونه ، ودعته للاستجابة ، حَمَّةُ الْقَرْمَ : الحمة ابنة  
 المقرب ، والمقصود هنا الشدة . والقرم الميل الشديد إلى اللحم . الْلَّقَمَ : اللرمة  
 في الأكل . جَوَادَابَاتُهُ : جمع جَوَادَابَةٍ ، وهي كلمة غير عربية معناها رغيف يخبز ثم يوضع  
 تحت اللحم يتلقى الدهن السائل . انْصَدَ : دَمَ . السَّمَاقَ : ماء السماق قليل انه نقبيع  
 ثمر ، وتقليله نقبيع حب احمر حامض . زُبْدَةِ تَوْرِهِ : افضل ما يشوى على موقده .  
 مَانِبُسَ : ما تكلم ، ما نطق . اسْتَوَفَيْنَاهُ : اتبنا على آخره . الْلُّوزِ يَنْجِعُ : نوع من  
 الحلوى يحشى بالجوز ويُسقى بدمن اللوز . جَرَدَ : شمر كعبه  
 للطعام . يُشَعَّمُ بِالثَّلْجِ : يخلط به . الصَّارَةَ : المطش . يَفْتَأِ : يخفف حدة الحرارة .

أبا زيدٍ حتى آتاك بسقاءً يائيك بشربة ماءٍ . ثم خرجت وجلست بحِيثُ  
أراه ولا يراني ، أنظر ما يصَّمع ، فلما أبطأْت قام السوادي إلى حماره ،  
فاغتنق الشواء يازاره ، و قال : أيَّنْ ثَمَنْ مَا أَكَلْتَ ؟ فقال أبو زيد : أكلته  
ضيّقاً ، فلَكَمَهُ لِكْمَةً ، وَثَمَنَ عَلَيْهِ بِلْظَّمَةِ ، ثُمَّ قال الشواء : هَاهُ ! وَمَتَى  
دَعَوْنَاكَ ؟ زَنْ يَا أَخَا الْفِقْحَةِ عِشْرِينَ ! فَجَعَلَ السوادي يَتَكَبَّرُ وَيَحْلُّ عَقْدَهُ  
يَأْسَنَاهُ وَيَقُولُ : كَمْ قُلْتَ لِذَلِكَ الْفَرِيدِ : أَنَا أَبُو عَبَيْدٍ ، وَهُوَ يَقُولُ أَنَّ  
أَبُو زَيْدٍ » .

أَعْمَلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَةٍ لَا تَقْعُدَنَّ بِذَلِّ حَالَةٍ  
وَانْهَضْ بِكَلِّ عَظِيمَةٍ فَالْمَرْءُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَةٍ

### ايضاح وتحليل :

حكى عيسى بن هشام في هذه المقامات قصة قصيرة رواها في ثلاثة مشاهد ، وكان هو بطلها :

قال في المشهد الأول : كنت أمشي في شوارع بغداد ، وقد اشتد بي  
الجوع ، وخلت يدي وخلا جنبي من النقود ، فصرت أبحث عن وسيلة ادفع  
بها جوعي ، وأسد رمقي ، وانتهى بي المسير إلى الكرخ الغربي بغداد ، وهنالك  
وجدت أحد القرويين قادما إلى المدينة يسوق حماره ، وقد كثرت في أطراف  
ازاره عقد ربطها على نقوده ، فهرعت إليه وكانتني أندفع إلى صديق أعرفه  
واخذت أسائله وأحاوره ، والاحقه بالسؤال وبالجواب حتى عرفت اسمه ،  
وعرفت أن إباه قد توفي منذ أيام بعيد، فتظاهرت بالحزن، وتصنعت الإسى  
لهذا الخبر المؤلم ، ثم عدت إلى قصدي من اصطياد هذا القروي الساذج فدعوته  
إلى الفداء معى ، ولما وجدت منه استجابة وتلبية للدعوة خيرته بين الذهاب  
إلى الدار أو إلى أحد مطاعم السوق ، ثم بادرته بتفضيل الذهاب إلى السوق  
لأنه أقرب ، وطعمه أطيب ، واصطبغت وذهبنا إلى أحد المطاعم .

هاله : اسم فعل أمر يعني خذ . الفحة : سوء الأدب . زن عشرين : اعط وزن  
عشرين درهما . القريد : تصغير لكلمة قرد . المحالة : العيلة .

وقال في المشهد الثاني : دخلت واياه مطعمها يقدم الشواء والحلوي ، وطلبت من الشواء قدرا يكفيانا ويزيد ، وطالبت الشواء بالاهتمام والانتقان ، حتى اذا حضر الطعام أقبلنا عليه في صمت ، والتهمناه في سرعة ، ثم طلبت رطلين من الحلوي الطازجة ، وبعد ان تناولناهما استاذنت القروي لاحضر سقاء يأتينا بما يخفف من حرارة هذا الطعام ، وانصرفت وتركت القروي في المطعم .

وقال في المشهد الثالث : ظل القروي ينتظرني ، وطال انتظاره ، ولم اعد اليه ولما مل الانتظار قام لينصرف ، فتقدمنا اليه الشواء يطلب ثمن الطعام والحلوى ، فذكر له القروي انه كان ضيفا ، ولكن الشواء ظنه يحتال بهذا القول فلكمه ثم لطمته وشتمه ، وطلب منه دفع الثمن ، فجعل القروي يبكي ، ويحل عقده بأسنانه ، وابخرج التقدود ، ودفع الثمن ، وادرك انما كانت حيلة وانه كان صيدا لمحثال – اما انا فبعد ان نلت بغيتي ، وملايت معدتي هربت من القروي ، واختبات غير بعيد لاراقب ما يحدث بين القروي والشواء وكنت مسرورا بنجاح حيلتي ، وأخذت اردد بيتن من الشعر يدعوان المرء الى ان يعمل كل حيلة للحصول على الرزق .

### دراسة أدبية :

هذه المقامة قصة خيالية قصيرة ، دارت أحدها حول الاحتيال للتكسب ، والمخادعة من أجل الحصول على لقمة العيش . وهذا اللون الأدبي قد شاع في القرن الرابع المجري انعكاسا للظروف الاجتماعية في ذلك العصر حيث كان التفاوت الاجتماعي والطبقي بيده واضح ، كما كان للعناصر غير العربية في الدولة اثر في فساد القيم الأخلاقية العربية .

وهذا النص من مقامات بديع الزمان قد مثل لك هذا الفن الأدبي اذ صور جانبا اجتماعيا من حياة عصره هو الاجوء الى الاحتيال كوسيلة لكسب الرزق . وجاء اسلوب النص اسلوبا مصنوعا يعتمد على حشد لكثير من المفردات اللغوية العربية ، واكتار من المحسنات البدعة والألوان البهائية ، وابرار بعض الاشعار ، وتلك كلها من خصائص اسلوب هذا الفن الكتابي « المقامات » .

وقد تضمن النص ثلاثة مشاهد جاءت متتابعة ، مشتملة على عناصر القصة من عرض لاحادث توصل الى عقدة يأتي بعدها الحل ، وان كان النقاد لا يعدون المقامات قصة فنية لما فيها من قصر ، وقد الى اظهار البراعة اللغوية ، الا انهم يعترفون بأنها كانت محاولة طيبة في سبيل القصة الفنية .

وقد وفق بدبيع الزمان في تحديد سمات كل شخصية من شخصيات المقامات ، وجعل اسلوب كل منها ملائماً يتمشى مع الدور الذي تؤديه في الموضوع .

وهذا اللون الأدبي عند بدبيع الزمان قد سلك طريقه ، ونسج على منواله عدد من الكتاب بهذه كالحريري ونصيف اليازجي ، وغيرهما .

### دراسة بلاغية :

على الرغم من ان اسلوب المقامات يكون في العادة مصنوعا الا ان اسلوب هذه المقامات جاء غير ضعيف ، وغير مسرف في التكلف والصنعة ، وذلك راجع الى ان المقامات كانت لا تزال في بداية امرها والادب كان لا يزال ناهضا راقيا ، هذا الى جانب بلاغة بدبيع الزمان وتمكنه من ناصية القول . وانما لنرى اسلوب هذه المقامات قد تتوزع بين الخبر الذي هو اليق وانسب ما يكون في مواقف السرد وحكاية الاحاديث ، والإنشاء الذي يأتي في موقف الحوار والسؤال مثل قوله : « من اين اقلت ؟ اين نزلت ؟ كيف حال ابيك ؟ اين ثعن ما اكلت ؟ » وقوله في الطلب : « هلم الى البيت ، افرز لابي زيد من هذا الشواء ، زن له من تلك الحلوى ، اعمل لرزقك كل حيلة ، لا تقدمن » الى غير ذلك .

كما نرى الخيال قد ادى دورا في اثارة الشوق ، وتوضيح الافكار ، وكان من ذلك التشبيه في مثل : « جعلها كالكحل سحقا ، لؤلؤي الدهن ، ينوب كالصمغ ». والاستعارة في مثل : « ظفرنا بصيد ، استفزته حمة القرم ، عطفته عاطفة اللقم ، يقعع هذه الصارة ». والكتابة في : « نبت الربيع على دمنته » ، فهذا التعبير كتابة عن الموت منذ زمن بعيد .

اما جانب اللفظ فقد نال من الكاتب اهتماما بالغا وحظي من عنايته بقدر كبير ، نرى ذلك في اشتمال النص على السجع الذي يكاد يكون ملتزما في المقامات كلها ، او يغلب على اسلوبها ، وقد جاء في بعض التعبيرات مقصودا متلکفا تقوله : « اشتهرت الازاد ، وانابيقداذ - ليس معه عقد ، على نقد - طمع ،

ولم يعلم انه وقع ». كما جاء في بعضها الآخر سهلا مقبولا ك قوله : « متى وافيت ، هلم الى البيت - السوق اقرب ، وطعمه اطيب » ، الى غير ذلك مما هو غالب على النص. كذلك نرى اشتمال النص على الجناس في الفاظ غير قليلة مثل : « عقد ، نقد ، البدار ، الصدار ». وجاء ايضا الطياب في : « اراه ، لا يوانني ». والمقابلة في : « اشاب كعدي ام شاب بعدي - رفيق القشر ، كثيف الحشو ». وهذه الانواع من المحسنات ساعدت على وضوح المعنى وطلاؤة الاسلوب ، وحسن الواقع في السمع .

وقد اتي الكاتب في المقامات بعدد من الكلمات التي لا تتناولها الالسنة ، ولا تتناولها التعبيرات كثيرا من مثل : « الازاد ، القرم ، السماع ، الصارة ».

واخيرا فان الشعر الذي انهى به بديع الزمان مقاماته على لسان عيسى بن هشام يدعو الى الكد والسعى والجد في طلب الرزق من ابوابه المشروعة ، وطرقه الشريفة ، وليس كما استدل به الكاتب على عموم العمل والكسب من اي وجه مهما كان ، حتى ولو لم يتناسب مع الدين الكريم ، والطبع السليم .

### مجمل القول

بديع الزمان الهمذاني : عالم لغوي واديب ، كتب وشعر ، الا ان شهرته في تاريخ الادب صنعتها له مقاماته التي جعلها لنا اديبا .

والمقامات ظهرت في القرن الرابع الهجري ، وهي حكايات خيالية لها بطل خيالي واسع الحيلة يقوم بادانتها ، ورواية خيالي يحكى اخبار هذا البطل .

وتتصاغ المقامات باسلوب مصنوع يبدو فيه تكلف الزخرف اللغظي ، وكترة الصور البيانية ، والقصد الى استعمال غريب اللغة ، الى جانب تفصين النص بعض الأمثال والاشعار ، وموضوعها عادة يدور حول استعمال الحيلة ، واللجوء الى المخادعة في سبيل الحصول على العيش .

وهذا النص الذي درسناه نموذج واضح لفن المقامات ، تتجلى فيه كل الخصائص الفنية لاسلوب المقاومة واهماها حشد الالفاظ اللغوية والاكثر من المحسنات البدوية ، كما يعطي صورة واضحة عن ثقافة الكاتب ، ومقدرته الادبية ، ويطلعنا على جانب من الحياة اليومية والظروف الاجتماعية للعصر الذي قيل فيه ، ومدى تأثير الفناصر غير العربية على القيم والمثل العليا للعرب في ذلك العصر .

## **المناقشة :**

- 1 - كم مشهداً تضمنت هذه المقامة ؟
- 2 - لمن رمز الكاتب بشخصية عيسى بن هشام في هذا النص ؟
  - لخص الحوار الذي دار بين عيسى والقروي ، واذكر ما انتهى اليه أمرهما في هذا المشهد .
- 3 - قص بعباراتك ما حذث في مطعم الشواء ، واذكر كيف هرب عيسى بن هشام من القروي .
- 4 - ما الذي حدث بين الشواء وبين القروي ؟ وبم انتهى الامر بينهما ؟
- 5 - ما مدى الترابط بين افكار النص ؟ وما الذي تلحظه في الاسلوب الفنى الذي كتب به ؟
- 6 - ختمت المقامة ببيتين من الشعر - ما غرض الكاتب من ايرادهما في هذا المجال ؟ وما رأيك فيما اتجه اليه بهما ؟ وضع ..
- 7 - هل يمكن اعتبار المقامة قصة فنية ؟ ولماذا ؟ وضع ما ترى .
- 8 - ادى الخيال دوره في هذه المقامة - استخرج من النص مثلاً لشكل من التشبيه والاستعارة والكلنائية ، واشرحه .
- 9 - ما ابرز الخصائص الفنية في كتابة المقامة ؟
- 10 - اشرح فقرة من النص ، ثم وضع الفرق بين اسلوب المقامة ، واسلوبك الذي شرحتها به .
- 11 - المقامة بصورتها المعروضة دليل على ثقافة الكاتب ومقدراته الادبية ، اشرح ذلك .
- 12 - علام تدل هذه المقامة من حياة المجتمع في العصر الذي قيلت فيه ؟

## **المقالة الأدبية :**

— اكتب مقالاً عن فن المقامات تضمنه أهم ما تميز به هذا الفن بين فنون الأدب ، وتوضح رأيك في هذا اللون الأدبي .

## **السؤال الكتابي :**

— من مقامة بديع الزمان : « فقلت : هل الى البيت نصب غداء ، او الى السوق نشتري شواء ، والسوق اقرب ، وطعامه اطيب ، ( فاستفزته حمة القرم ) ، وعطفته عاطفة اللقم ، وطعم ، ولم يعلم انه وقع ، ثم اتبنا شواء يتقاطر شواوئه عرقا ، ( وتسايل جوزذاته مرقا ) .. » .

- ١ - اشرح ما جاء بين قوسين في العبارة السابقة .
- ب - « فقلت .. » من القائل ؟ ومع من يتكلم ؟
- ح - استخرج من العبارات السابقة استعارة ، ووضاحتها .
- د - ما رأيك في الاسلوب الذي كتبت به العبارة ؟

بِسْمِ الْمَرْكُتِ الْعَلْمِ

« حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطَارِحِ الْفَزْرِيَّةِ مُجْتَازًا فَإِذَا أَتَأْتَ بِرَجُلٍ يَقُولُ لَاخْرَ : يَمْ أَدْرَكَتَ الْعِلْمَ ، وَهُوَ يَجِيبُهُ قَالَ :

مَلَبِّتُهُ فَوْجَدْتُهُ بَعِيدَ الْمَرَامِ ، لَا يَصْطَادُ بِالسَّهَامِ وَلَا يُقْسِمُ بِالْأَزَلَامِ ، وَلَا يَرَى فِي الْمَنَامِ ، وَلَا يُضْبِطُ بِاللِّجَامِ ، وَلَا يُورَثُ عَنِ الْأَعْيَامِ ، وَلَا يُسْتَعَارُ مِنَ الْكَرَامِ ، فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِاِفْتَرَائِشِ الْمَدِيرِ ، وَاسْتَنَادِ الْحَجَرِ ، وَرَدِ الْضَّجَرِ ، وَرَكْوَبِ الْخَطَرِ ، وَإِدْمَانِ السَّهَرِ ، وَاصْطِحَابِ السَّفَرِ ، وَكُثْرَةِ النَّظَرِ ، وَإِغْمَالِ الْفَكَرِ ، فَوَجَدْتُهُ ثَيَّبًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْغَرْسِ ، وَلَا يُعْرِسُ إِلَّا فِي النَّفْسِ ، وَصَنِيدًا لَا يَقْعُ إِلَّا فِي النَّدَرِ ، وَلَا يَنْشَبُ إِلَّا فِي الصَّدَرِ ، وَطَائِرًا لَا يَخْدُعُهُ إِلَّا قَنْصُ الْلَّفْظِ ، وَلَا يَقْلُقُهُ إِلَّا شَرَكُ الْحَفْظِ ، فَحَمَّلْتُهُ عَلَى الرُّوحِ ، وَحَبَسْتُهُ عَلَى الْعَيْنِ ، وَأَنْفَقْتُ مِنَ الْعِيشِ ، وَخَرَّنْتُ فِي الْقَلْبِ ، وَحَرَّزْتُ بِالدَّرْسِ ، وَاسْتَرَخْتُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى التَّحْقِيقِ ، وَمِنَ التَّحْقِيقِ إِلَى التَّقْلِيقِ ، وَاسْتَعْنَتُ فِي ذَلِكَ بِالتَّوْفِيقِ .

فَسَيِّئَتْ مِنَ الْكَلَامِ مَا فَنَقَ السَّمَعَ ، وَوَصَلَ إِلَى الْقَلْبِ ، وَتَنَلَّعَ فِي الصَّدَرِ ، فَقَلْتُ : يَا فَتَى ! وَمِنْ أَيْنَ مَطْلُعُ هَذِهِ الشَّمَسِ ؟ فَجَعَلَ يَقُولُ : «

اسْكَنْتَ دِرِيَّةً دَارِيَ لَوْ قَرَّ فِيمَا قَرَارِي  
لِكِنْ شَّالِشَّا مَلِي وَبِالْعِسْرَاقِ نَهَارِي

## تعريف وتمهيد :

الكاتب هو الأستاذ الرئيس « أبو الفضل محمد بن الحسين » المعروف « بابن العميد » ، ( وكلمة العميد لقب لابيه ) ، وهو فارسي الأصل ، ولد في مطلع القرن الرابع الهجري ، ونشأ في بيت ادب وثقافة ، وعلم وكتابة ، فالماء بالوالان الثقافة التي كانت في عصره المام الحافظ لها الوعي لضروبها ، المدرك لفنونها حتى استحق أن يسمى بالأستاذ ، وليلقب بالجاحظ الثاني .

وقد عمل كاتباً عظيماً ، ووزيراً أيام الدولة البوئية ، فقد تقلد الوزارة سنة 328 هـ في عهد ركن الدولة بن بويع ، وأوسع مجلسه للعلماء والأدباء والشعراء ، ومنهم وأغدق عليهم وظل في وزارة آل بويع حتى اعتلت صحته ، ومات سنة 360 هـ بعد أن حَلََّ طريقة خاصة في الكتابة استحق بها ذلك القول الشهير : « بُيَتَتِ الْكِتَابَةُ بَعْدَ الْحَمِيدِ ، وَخَتَّمَتِ بَابِنِ الْعَمِيدِ » .

وكان ابن العميد صديق أبى عبد الله الطبرى ، وكانا يتبادلان الرسائل الدالة على الصداقة والمحبة والود ( وهي من النوع الذي يُعرف في الأدب بالرسائل الأخوانية ) . وهذا النص الذى بين يديك رسالة بعث بها ابن العميد إلى صديقه أبى عبد الله الطبرى ردًا على رسالة كان قد تلقاها منه .

## الفصل :

( ١ )

كتابي وأنا بحالٍ لو لم ينتفعها الشّرُوقُ إلينك ، ولم يُرقِّ صنوفها التّزُوّعُ تَخوَكَ ، لمَدَّتها من الأحوالِ الجَليلَةِ ، وأغَدَّتها حَطَّليَّ منها في التّغَمِّ الجَليلَةِ ، فقد جَمِعتُ فيها بَيْنَ سَلَامَةِ عَامَةِ ، وَنِعْمَةِ تَامَةِ ، وَحَظِيتُ

بنقص : ينق : يقدر ويذكر . التزوع : الميل . حظيت : فزت وظفرت .

مِنْهَا فِي جَسْمِي بِصَالَحٍ ، وَفِي سَعْيِي بِنَجَاحٍ ، وَلِكُنْ مَا يَقِيَ أَذْيَاصُفُو لِي  
عَيْشٌ مَعَ بَعْدِي عَنْكَ ، وَيَخْلُو دَرْعِي مَعَ خُلُوِي مِنْكَ ، وَيَسْوَغُ لِي مَطْعَمٌ  
وَمَشْرَبٌ مَعَ اِنْفَرَادِي دُونَكَ ، وَكَيْفَ أَطْلَمُ فِي ذَلِكَ وَأَنْتَ جُزْءٌ مِنْ نَفْسِي  
وَفَاطِمٌ لِشَمْلِ أَنْسِي ، وَقَدْ حِرْمَتْ رُؤْيَاكَ ، وَعَدِمْتُ مَشَاهِدَكَ ، وَهَلْ  
تَسْكُنْ نَفْسٌ مُسْتَقِبَةٌ ذَاتُ اِنْقِسَامٍ ، وَيَنْفَعُ أَنْسٌ يَسْتَبِّلُ بِلَا نِظامٍ .

( U )

وَقَدْ قَرَأْتُ كِتابَكَ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ - فَامْتَلَأْتُ سُرُورًا ،  
بِسْلَاحَةٍ خَطِيكَ ، وَتَأْمُلُ تَصْرِفَكَ فِي الْفَظِيكَ ، وَمَا أُفْرِظُمُّا ، فَكُلُّ خَصَالِكَ  
مُقْرَضٌ عِنْدِي ، وَمَا أَمْدَحُمُّا كُلُّ أَمْرٍكَ مَمْدُوحٌ فِي ضَمِيرِي وَعَقْدِي ،  
وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ حَقِيقَةً أَمْرِكَ مُوَافِقَةً لِتَقْدِيرِي فِيكَ ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ  
وَإِلَّا فَقَدْ عَطَى هُوَكَ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصَرِي .

دراسة أدبية:

هذا النص «رسالة إخوانية» من ذلك النوع الذي يتبادله الأصدقاء وقد حَمَّلَها ابن العميد فكرتين اساسيتين تكونهما معانٍ جزئية اما الفكرية الأولى فهي وصف حاله وأنه في نعمة كاملة وصحة وافرة ، الا أن إحساسه بالليل الى ذلك الصديق ، وشوقه الى لقائه ، ورغبته في رؤيته يكدر عليه عيشه ، ويُغضّن من قيمة ما هو فيه من نعمة وصلاح ، وأنه بسبب هذا البعد لا يهنا له طعام ولا شراب ، وأتى له ان يهنا ونفسه موزعة في جمرين متبعدين .

**واما الفكرة الثانية** فيمبر فيها لصديقه عن سروره بما لاحظ في الرسالة من خط جميل ، وتعبير أنيق ، واخرا يقول له : كل امرك في نظري جميل وممدوح ، وارجو ان تكون حقيقة امرك موافقة لرأيي فيك ، والا يكون حبي لك قد صرفني عن إدراك حقيقة ما انت عليه .

**يخلو فرعى :** المقصود يفرغ قلبي من الهم . يسوع : يهنا ويطيب . شمل انسى : الكمال سادنى . بلا نظام : النظام خطب ينظم فيه المؤذنون نحره ، والمراد هنا اجتماع الشمل . الفرظها : امدهما . عقدي : عقدي . لطفي هواد على بصرى : حجت محبتك عنى منه فـ **حقيقة امرأك** .

والرسالة على هذا النحو متسللة الأفكار ، متراقبة المعاني ، تُعَمِّلُ  
في وضوح عن غرضها الذي هو بَثُ الشوق واظهار المودة . وعاطفة الكاتب  
تبدو صادقة كل الصدق في التعبير عن الحب الأخوي ، والشوق الزائد ،  
والالم من البعد والفارق .

ثم إن طريقة ابن العميد في الكتابة كانت انعكاساً طبيعياً لحياته المترفة  
التي عاشها في ظلال الإمارة ، وزخارف الرئاسة ، ولذا جاءت كتابته صورة  
للأسلوب المنمق المسجوع العاشر بالمحسنات البديعية ، والصور البيانية ،  
مع الميل الى الترداد والإطناب ، والعنابة الفائقة بتخيّل الالفاظ ، وهذا  
الاتجاه كان من نتائج التأثر الشديد بالطبع الفارسي في فن القول .

ومن الرسالة نتبين إخلاص كاتبها ووفاءه لصديقه ، وجُزْصَه على  
أن يكون في كل أمره مثلاً أعلى للصديق المثالي . وتحمل الجملة الاعتراضية  
الداعية ( جعلَنِي اللَّهُ فَدَاءَكَ ) معنى كريماً يتضمن الحب والوداد .

اما قول ابن العميد في ختام الرسالة : « إِلَّا فَقَدْ غَلَى هُوَاكَ . وَمَا أَلْقَى<sup>١</sup>  
عَلَى بَصَرِي » ، فإنه مأخوذ من قول عَزْوَةَ بْنِ أَذْبَانَ الَّذِي يَغْزِلُ فِي قَوْلٍ :

قَالَتْ وَأَبْشَسَهَا كَجْوِيَ وَبَحْثَ يَهُ      قَدْ كُنْتَ عِنْدِي تُحِبُّ السَّرَّ فَأَشْتَرِ  
أَلْسُنَتَ تُبَصِّرُ مِنْ حَوْلِي ؟ فَقَلَّتْ لَهَا :      عَطَى هُوَاكَ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصَرِي

وقد أصبح ابن العميد بتلك الخصائص في كتابته إمام طريقة واستاذ  
مدرسة جَرَى على نهجها ، ونسج على منوالها عدد من الكتاب بعده من  
امثال أبي بكر الخوارزمي ، والصاحب بن عباد ، وبديع الزمان ، ...  
وقد اطلق على كتابتها ( أسلوب السجع والمحسنات ) ويفاصلها ( أسلوب  
التَّرَشِّل ) الذي عَرَفَتْهُ عند ابن المقفع والجاحظ .

وتتجدر الإشارة الى أن اهتمام ابن العميد بالجانب اللغطي لم يَصُرْ فَه  
عن الاهتمام بجانب المعنى لكن الأمر تَغَيَّرَ بعد ابن العميد فَعُنِيَ بعض الكتاب  
بالجانب اللغطي وحده ولو على حساب المعنى ، وهذا الاتجاه كان ذا أثر سيني  
على أفكار الكتاب وادبهم . فلا عجب بعد هذا أن يقال : بُدِّلتِ الْكِتَابَةُ بِعَيْدِ  
الْحَمِيدِ ، وَخُتِّمَتْ بِإِبْنِ الْحَمِيدِ .

## دراسة بلاغية :

اسلوب هذه الرسالة خيري في معظمها لأن الكاتب كان يصف حاله لصديقه ، وبين اثر البعد فيه . وجاء الاسلوب **النشالي** قليلا كما في مثل : « وكيف اطعم .. ؟ وهل تسكن نفس متشعبه .. ؟ » والقصد من الاستفهام الاول **الإنكار والاستبعاد** . ومن الثاني **النفي** .

وقد جاءت الرسالة صورة واضحة لطريقة ابن العميد في الكتابة التي يحفل فيها بالتصوير كالتشبيه في مثل : « انت جزء من نفسى » ، والاستعارة في مثل : « ينفصها الشوق - يصفو لي عيش » . والكتابية في مثل : « يخلو ذرعى مع خلوى منك - غلى هواك على بصرى » .

وتقوم طريقة الكاتب ايضا على الاهتمام بالسجع وتوافق اواخر الجمل مثل « الاحوال الجميلة ، والنعم الجليلة - سلامه عامه ، نعمه تامة - بصلاح ، بنجاح - نفسي ، انسى » ، وعنى الكاتب ايضا بالجناس مثل : « الجميلة ، الجليلة - عامه ، تامة » .

وهذه الالوان البدوية اعانت الكاتب على نقل احساسه في تعبير انيق ، حسن الواقع والموسيقى .

وكذلك مال ابن العميد الى التراويف والإطناب في مثل : « لم ينقص لم يرتفق ، يصفو لي عيش ، يخلو ذرعى ، يسونع لي مطعم ومشرب - ما اقرؤهما ، ما اهددهما » .

وكذا يمكننا القول : إن طريقة ابن العميد التي لا حظناها في هذا النص كانت تقوم على اساس الاهتمام الكبير ، والعنابة الفائقة بجانب الالفاظ التي يتألق في اختيارها . وينتائب في نظمها وتنسيقها ، و يجعلها دالة على معناها . مؤثرة بموسيقاها .

## جمل القول

الاستاذ الرئيس ابن العميد ، زعيم كتاب العصر العباسي الثاني ، كان لسعة ثقافته وترف معيشته اثر في توجيهه كتابته ، وإخراجها على طريقة اعجبت الكتاب فقلبوه فيها ، وإن ملامع هذه الطريقة وخصائصها تتضح لنا في رسالته هذه التي تعتمد على وضوح الفكرة ، وصدق الشعور ، وحسن التصوير ، والإكثار من السجع ، والاهتمام بالمحسنات البدوية ، والميل الى الترافق ، والتلائق في اختيار الالفاظ وجودة السبك والتركيب .

ولكن بعض الكتاب الذين قلدوا طريقة ابن العميد في عصور تللت لم يكونوا في مثل ثقافته ومهارته ، فانحطت بذلك اساليبهم ، وأصبحت كتابتهم مجرد سبك للافاظ دون اهتمام بالمعنى القوي ، وال فكرة المبتكرة .

### المناقشة :

- 1 - من اي انواع الرسائل هذا النص ؟ ولماذا ؟
- 2 - كم يتحدث الكاتب في الفقرة (ا) من الرسالة ؟
- 3 - كيف وضح ابن العميد منزلة صديقه عنده ، وما عبارات النص التي تتضمن ذلك ؟
- 4 - ماذا تضمنت الفقرة (ب) من النص ؟
- 5 - كانت هذه الرسالة ردًا من الكاتب على رسالة وردت اليه من صديقه ، فمن اين تفهم ذلك ؟
- 6 - ما الذي اعجب الكاتب من رسالة ذلك الصديق ؟
- 7 - «كيف اطعم في ذلك ؟ هل تسكن نفس متشعبة .. » .  
ما الفرض البلاغي من الاستفهام في كل من العبارتين ؟

- 8 - وضع الصورة البيانية في قوله : « لَمْ يُرِّقْ صَفْوَهَا التَّزُوْعُ نَحْوَكَ » ، وبين قيمتها الفنية .
- 9 - تبدو في الرسالة عنابة الكاتب بالجانب اللغظى - اشرح ذلك مستشهدًا من النص .
- 10 - عبرت الفاظ الكاتب عن احساسه ، وابانت عن عواطفه ، ووضح ذلك ، واستدل لما تقول .
- 11 - ما اهم الخصائص الفنية التي تقوم عليها طريقة ابن العميد في كتابته ؟
- 12 - كانت كتابة ابن العميد انعكاسا لحياته ، وصورةً للبيئة التي يعيش فيها - ويُصح ذلك .
- 13 - اشتغلت رسالة ابن العميد على فكرتين اساسيتين - حَدِّهُما ، وضع لكل منها عنوانا مناسبا .

## تدريب

### المقالة الأدبية :

- اكتب رسالة الى صديق لك طال غيابه عنك ، واشتد بك الشوق اليه .
- السؤال الكتابي :
- وازن بين اسلوب ابن المفع ، وأسلوب ابن العميد في الكتابة .

### رَدُّ عَلَى رِسْالَةٍ

كتابه الى بعض اخوانه جوابا عن كتاب ورد اليه :

وَصَلَ مَا وَصَلْتَنِي بِهِ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ - مِنْ كِتَابِكَ، بَلْ نِعْمَتِكَ التَّامَّةَ،  
وَمِنْتِكَ الْعَامَّةَ، فَقَرَأْتُ عَيْنِي بِوْرُودِهِ، وَشَفَقْتُ نَفْسِي بِوْقُودِهِ، وَنَشَرَتُهُ  
فَحَكَى نَسِيمَ الرِّيَاضِ وَغَبَّ الْمَطَرِ، وَتَنَفَّسَ الْأَنْوَارِ فِي السُّحْرِ، وَتَأَمَّلَتُ  
مُفَسَّحَةً وَمَا اشْتَهَلَ عَلَيْهِ مِنْ لَطَائِفِ كَلِمَكَ، وَبَدَائِعِ حَكِيمَكَ، فَوَجَدْتُهُ  
قَدْ تَحَلَّ مِنْ فُنُونِ الْبَرِّ عَنْكَ، وَضَرَبَ الْفَضْلَ مِنْكَ، جِدًا وَهَزْلًا،  
مَلَا عَيْنِي، وَعَمَرَ قَلْبِي، وَغَلَبَ فِكْرِي، وَبَهَرَ لَبِّي، فَبَقِيْتُ لَا أَدْرِي :  
أَسْمُوْتَ دُرْ خَصَّصْتَنِي بِهَا، أَمْ عَقُودَ جَوَاهِرِيْ مَنْحَتَنِيْمَا ؟ كَمَا لَا أَدْرِي :  
أَبْكَرَأَ زَفَشَمَا فِيهِ، أَمْ رَوْضَةَ جَمَزَتَهَا مِنْهُ ؟ وَلَا أَدْرِي أَحْدُودًا ضَرِبَتْ حَيَاءَ  
ضَمِّنْتَهُ، أَمْ نُجُومًا طَلَعَتْ عِشَاءً أُودِعْتَهُ ؟ وَلَا أَدْرِي : أَحِدُكَ أَبْلَغَ وَالْطَّفُ،  
أَمْ هَذُلُكَ أَرْفَعَ وَأَظْرَفُ، وَأَنَا أُوكِلُ سَبِيعَ مَا انْطَوَى عَلَيْهِ نَفْسًا لَا تَرَى  
الْحَظَّ إِلَّا مَا اقْتَسَتَ مِنْهُ، وَلَا تَعْدُ النَّفْضَ إِلَّا فِيمَا أَخْدَتَهُ عَنْهُ، وَأَمْتَعْ  
إِتَّأْمِلُهُ عَيْنَا لَا تَقْرَأُ إِلَّا يُسْتَلِهُ، مِنَّا يَضْدُرُ عَنْ يَدِكَ، وَيَرِدُ مِنْ عَنْدِكَ، وَأُعْطِيهِ  
نَظَرًا لَا يَمْلِهُ، وَطَرْفًا لَا يَطْرَفُ دُونَهُ، وَاجْعَلْهُ مِثَالًا أَرْتِسْمَهُ وَاحْتِذِيهِ،  
وَأَمْتَسِعُ خَلْقِي بِسَرَوَانِقِهِ، وَأَغْدِي نَفْسِي بِيَمْجِيْهِ، وَأَمْزِجْ قَرِيبَتِي  
بِرِيقِهِ، وَأَشْرَحْ صَدْرِي بِقَرَاءَتِهِ، وَلَئِنْ كُنْتُ عَنْ تَحْصِيلِ مَا قُلْتَهُ عَاجِزًا،  
وَفِي تَعْدِيدِ مَا ذَكَرَتَهُ مُتَخَلَّفًا، لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ مَا سَمِعْتُ بِهِ مِنَ السُّحْرِ  
الْحَلَالُ.



## **الباب الثالث**

---

### **خصائص الأدب في العصر العباسي**

---

#### **اولا : الشعر**

- ١ - الشعر في العصر الأول ( 132 هـ - 334 هـ )
  - ٢ - الشعر في العصر الثاني ( 334 هـ - 656 هـ )
- 

#### **ثانيا : النثر**

- ١ - النثر في العصر الأول ( 132 هـ - 334 هـ )
- ٢ - النثر في العصر الثاني ( 334 هـ - 656 هـ )



# الشعر في العصر العباسي

العصر الأول : فنون الشعر في هذا العصر - الفنون القديمة التي تطورت - الفنون الجديدة التي ظهرت - خصائص الشعر في هذا الفصر . العصر الثاني : فنون الشعر في هذا العصر - خصائص الشعر في هذا العصر .

## أ - الشعر في العصر العباسي الأول

تمهيد :

نهض الشعر العربي العباسي نهضة لم يعرف مثيلها في جميع العصور ، وقد كانت تلك النهضة العظيمة لعوامل شئَّ اهمها :

1 - تطور الحياة الاجتماعية للعرب والمسلمين وانتقالها من البداوة الى الحضارة بسبب ما افاءه الله عليهم من خير وفير في البلدان التي اظلتها راية الإسلام ، وكذلك بسبب اختلاطهم بالام الاخري التي سبقتهم في ميادين الحضارة كالفرس والهنود وغيرهم . وقد شمل هذا التطور مظاهر الحياة المادية المتمثلة في انواع اللباس والرياش ، وفي صنوف الاطعمة ، وفي إنشاء الدور والقصور ، وفي إقامة الحدائق والبرك ، وغير ذلك ، وكان لهذا كله آثار واضحة في شعر العصر .

2 - رعاية الخلفاء والأمراء ورجال الدولة للشعر والشعراء ، وإغراق الجوائز الكبيرة عليهم ، فكانت هذه الرعاية مشاراً للقرائح والاذهان ، وحافزاً لها على الإجاده والإتقان .

3 - ازدهار حركة الترجمة والتأليف بفضل تشجيع الخلفاء ، وبذلهم الاموال الطائلة من اجلها ، وبفضل غنى اللغة العربية ، وقدرتها على احتواء تلك الثقافات العديدة التي ترجمت اليها ، والتعبير عنها بعرونة وكفاية ثلاثة من روح العصر ، وطبيعة الثقافات التي استبحرت فيه .

٤ - جهود الأدباء والرواة والعلماء والفقهاء ، منمن ترکوا إنتاجاً غزيراً متنوعاً أفاد منه الشعراء أعظم الفائدة ، ولذا وجدنا عدداً كبيراً من شعراء مصر يقبل على التأليف ، ويترك آثاراً قيمة فيه ، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر أبا تمام ، والبحتري ، وأبن المعز ، والشريف الرضي ، وأبا العلاء الغري (٤) .

## فنون الشعر في هذا الطور

تطورت فنون الشعر وأغراضه في العصر العباسي الأول تطوراً ملحوظاً ، وذلك لتطور الحياة العامة في جوانبها الاجتماعية والسياسية والثقافية كما رأينا . وقد اتخذ ذلك التطور شكلين بارزين : أولهما تناول الفنون القديمة من غزل ، ومدح ، وهجاء ، وفخر ، ووصف ، ورثاء ، وحكمة . وثانيهما تطور تمخصست عنه فنون جديدة هي الزهد والشعر التعليمي :

## ١ - الفنون القديمة التي تطورت

سنذكر فيما يلي كلمة موجزة عن الفنون والأغراض القديمة التي مسها التطور في هذا العصر :

**الفَزْل** : ظل الغزل يحتل مطالع القصائد لدى شعراء المصر العابسي الأول ، وكان منه المفيف الذي يعني بالصفات النفسية كما في غزل ابن العباس الاحنف ، وكان منه المادي يهتم بالصفات الجسدية على تفاوت بين الشعراء في ذكرها .

**الفخر** : يَعِيد الشاعر الى الفخر لإثبات مكانته ، وفَرَض احترامه بين الناس ولكن الفخر لم يعد قبليا كما كان من قبل ، بل اصبح فريديا بمجد فيه الشاعر نفسه ، وينسب اليها صفات الشجاعة والكرم وغلوّ التَّسْبِ عوَظمة الشاعرية .. واشتهر بالفخر شعراء كبار وابي تمام ، يَبْدُ ان اعظم شعراء الفخر في هذا العصر ، وفي جميع المصور هو ابو الطيب المتنبي ، الذي فخر كثيراً بنفسه ، وقدم مدح نفسه على مدح الآخرين ، ومن امثلة ذلك قوله :

(\*) الف ابو تمام كبا أشهرها كتاب العمارة . والفقير البكري كتابا سماء الحماة ايضا .  
والفقير ابن المطر كبا أشهرها البدع وطبقات الشعراء . والفقير الشريفي الرضي كتابا عديدة  
أشهرها مجازات القرآن ، ومجازات الحديث النبوي ، كما جمع خطب نوح البلاغة . والفقير  
المربي كتابا منها رسالة الملاكت ، ورسالة الملائكة ، ورسالة الغایيات .

وَنَفْسِي فَخَرَّتْ لَا يُجْدُودِي  
وَعَوْذُ الْجَانِي ، وَغَوْثُ الطَّرِيدِ  
لَمْ يَحْدُدْ فَوْقَ تَقْسِيمٍ مِنْ مَزِيدٍ

مَا بِقُومِي شَرُقْتْ بِلْ شَرُفْوَابِي  
وَبِهِمْ فَخَرْ كُلَّ مَنْ نَطَقَ الصَّادِ  
إِنْ أَكُنْ مُعْجِبًا فَمُجْبٌ عَجِيبٌ

وكانت الروح الشعوبية واضحة في فخر بعض الشعراء كشوار وأبي نواس ، وهي روح جاهلية منافية للإسلام ، لأنها قائمة على الفحش من شأن العرب ، وهم الذين حملوا مشاعل المهدية والنور إلى العالم .

**الوصف :** كان الوصف من قبل يكاد لا يتجاوز المظاهر الطبيعية وحدتها ، فما يتصدر هذا الطور يتعداها إلى مظاهر الحضارة والعمان ، وإلى تصوير مجالس اللهو والفناء ، وقد مر بك شيء من هذا الوصف في أثناء دراستك لآيات أبي نواس وأشعار البختري .. وقد يتراء في الوصف شعراء كثيرون كشوار وأبي نواس وأبي تمام والبختري والمتيني ، وكان لكل واحد من هؤلاء ميدانه الذي يَدْعُ فيه أقرانه ، لأسباب من ميلوه النفسية ، وظروفه الاجتماعية : فبشار أجاد في وصف العرب وفي وصف الروائع والطعوم ، وأبو نواس أجاد في وصف الخمرة ووصف مجالس اللهو والشراب ، وأبو تمام يَرْزُ في وصف الحروب ، وجمال الطبيعة ، والبختري أصبع شاعر الطيف والقصور ، وأبن الرومي أجاد في تصوير الحياة الاجتماعية ، ولا سيما حياة الفئات الشعبية الكادحة ، وأما أبو الطيب المتيني فهو شاعر الملائم والبطولة الذي لا يبارى .. وقد مررت بك نماذج لهؤلاء جميعاً ، وهناك نوع آخر من هذا الوصف الجديد لابن الرومي في وصف حَمَالَ اعمى :

رَأَيْتُ حَمَالًا مِيَنَ العَسَى  
يَعْتَرُ فِي الْأَكْمَمِ وَفِي الْوَهْدِ  
مُحْتَلِلًا ثِقْلًا عَلَى رَأْسِهِ  
تَضَعُفُ عَنْهُ قُوَّةُ الْجَلْدِ  
مِنْ بَشَرٍ كَامُوا عَنِ الْجَدِ  
بَيْنَ جِمَالَاتٍ وَأَشْبَاهُهَا  
أَوْ تَائِهَةَ اللَّبِّ بِلَا عَمَدٍ  
وَكَلْمَمْ يَصْدِمُهُ عَامِدًا

الصاد : اللسان العربي . هود الجناني : ملحاً من يركب جنابة أو ذنبها . غوث : اعنة ونجدة . الطريد : من يطارده الآخرون .  
مبين المعنى : ظاهر المعنى . الأكم : جمع أكمه وهي المكان المرتفع . الوهد : جمع وحدة وهي المكان المنخفض . - الجلد : الرجل القوي . - جمالات : جمع جمل . اللب : العقل .

وَالْبَائِسُ الْمِسْكِينُ مُسْتَسِلٌ  
أَذْلُّ لِلْمَسْكُرُوهِ مِنْ عَبْدٍ  
وَمَا اشْتَهَى ذَاكَ، وَلَكِنَّهُ  
فَرَّ إِلَى الْحَنْلِ، عَلَى ضَعْفِهِ  
مِنْ كَلْحَاتِ الْمُكْثِرِ الْوَغْدِ

**الرثاء :** كان بعضه عاطفياً مؤثراً يندفع اليه الشاعر بعامل الحزن على المرثي ، والوفاء لذكراء ، ومن هذا النوع رثاء أبي تمام لولديه ، ورثاء ابن الرومي لأولاده الثلاثة ، ويتميز هذا الرثاء بعمق العاطفة وصدقها ، وعُوقيته الأسلوب وابتعاده عن تكلف زخارف البديع والبيان .

وكان بعضه الآخر رثاء مناسبات ، أو رثاء مجاملة ، ينظمه الشاعر إكراماً للأحياء من أقارب الفقيد ، وطمعاً في رضاهما ، ولذا غالب العقل على العاطفة في هذا النوع من الرثاء ، فاندفع الشاعر إلى الإكثار من الحكم ، والبالغة في تعداد مناقب الفقيد ، وفي استخدام أساليب البيان والبديع لستر الضعف العاطفي ، ويعتبر أبو تمام وابن الرومي من أشهر شعراء هذا الفن .

**الحكمة :** كانت الحكمة فيما مضى خطرات فكر يهتمي بها الشاعر بتأملاته وتجاربه ، فأصبحت في العصر العباسي ثمرة لتلك التأملات والتجارب ولعامل آخر جيد هو عامل الثقافة الواسعة التي تشمل الدين والفلسفة والمنطق وحقائق العلوم الأخرى . وقد تجلت هذه الثقافة في حكم شعراء العصر ولا سيما عند حكيميه الشهورين أبي تمام والمتني . وكانت الحكمة تزيد في ثبات الأغراض الشعرية ، وخاصة في الرثاء والمدح ، والزهد ، وكانت أحياناً ترد على شكل قصائد مستقلة كأرجوزة أبي العناية التي بلغت أربعة آلاف بيت ، وتعرف بذات الأمثال ، وقد يقع منها أربعون بيت ووضع الباقي ، ومنها قوله :

حَسْبُكَ مَمَا تَبْتَغِيِ الْقُوَّتُ  
مَا أَكْثَرَ الْقُوَّتَ لِمَنْ يَمُوتُ  
مَا اتْفَعَ الْمَرْءُ يِمْثُلُ عَقْلَهُ  
وَخَيْرُ ذُخْرِ الْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ

- **اللؤم :** البخل الشديد والحرمان . **الجهد :** التعب والمشقة . - **كلاعات :** جمع كلحة وهي عبوس الوجه . **المثير :** الفتن ذو المال الكثير . **الولد :** اللثيم .  
**حسبك :** كافيك . **القوت :** الطعام .

## ب – الفنون الجديدة التي ظهرت في هذا العصر

شعر الزهد : وهو الشعر الذي يدعو أصحابه الناس الى الزهد في الدنيا لأنها دار قيام ، والعمل للأخرة وحدها لأنها دار بقاء ، وكان ظهور هذا النوع من الشعر بمثابة رد فعل لتيار من الهموم والمحاجن جرف الكثيرون من أبناء ذلك العصر ، فقام نفر من أصحاب الورع ، أو من تابوا الى الله يذكرون القوم بالأخرة ويدعونهم الى الإعراض عن متع الدنيا الثالثة ، واشتهر في ذلك جماعة على رأسها أبي العتاهية ، وأبو نواس بعد توبته الى الله . وقد سبق أن أشرنا الى ذات الأمثال لأبي العتاهية ، وهي من أشهر قصائده في الزهد قوله :  
وله كذلك في الزهد اشعار كثيرة كقوله :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدِيهِ  
تُهِينُ الْمُكْرِمِينَ لَهَا بِصُفْرٍ  
إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعْنَهُ  
عَذَابًا كُلَّمَا كَثَرْتَ لَدَيْهِ  
وَتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ  
وَخُذْ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ

ومن اجمل اشعار الزهد قول أبي نواس بعد توبته :

دَبَّ فِي السَّقَامِ سُفْلًا وَعُلُوًّا  
لَيْسَ تَمَضِي مِنْ لَحْظَةٍ بِي إِلَّا  
ذَهَبَتْ حِلْدَتِي بِحَاجَةٍ نَفْسِي  
قَدْ أَسَأْنَا كُلَّ الْإِسَاءَةِ، فَاللَّهُمَّ

وَنَذَرْكَ بـان جذور الزهد ممتدة في الثقافة الإسلامية من قبل ، وفي مصدرها الأساسيين ، وهما القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكذلك في الأقوال المأثورة عن الصحابة الكرام ، ولا سيما أقوال الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – ، لكن شعراء العصر كأبي العتاهية مثلا بالغوا

صغر : ذل . هانت : سقطت قيمتها . – دمه : اتركه . – السقام : المرض . – جزوا :  
اسهلها جزءا . – جدتي : قوتني وشبابي . حاجة نفسى : الميل الى الشهوات . نفروا :  
مغرولا ، ضعيفا .

كثيراً في فكرة الذهد ، فانحرفوا عن النهج السُّوِّيِّ الذي رسمته الآية الكريمة « وَابْتَغِ فِيمَا أَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا » ، كما انحرفوا عن الدستور القوي الذي بينه الرسول الكريم بقوله – صلى الله عليه وسلم – : « إِاعْمَلْ لِتَنْيَاكَ كَائِنَكَ يَعِيشُ أَبَدًا ، وَاعْمَلْ لِأَخْرَبَكَ كَائِنَكَ تَمُوتُ غَدًا » .

**الشعر التعليمي :** وهو الشعر الذي يتضمن مسائل العلوم والفنون تسهيلاً لحفظها بعد أن اتسعت في هذا العصر اتساعاً عظيماً . وهكذا نظمت مسائل الفقه والنحو ، والقصص والحكايات ، وغيرها . ومن أمثلة هذا الشعر قول أبيان اللاحقي المتوفى سنة 205 هـ في مستهل نظمته لكتاب كليلة ودمنة الذي كان ابن المفعع قد ترجمه من قبل :

هَذَا كِتَابٌ أَدِبٌ وَمُحْفَةٌ  
وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى كَلِيلَةً دِمْنَةً  
فِيهِ اخْتِيَالَاتٌ ، وَفِيهِ رُشْدٌ  
وَهُوَ كِتَابٌ وَضَعْثَهُ الْمُنْدُ  
فَوَصَفُوا أَخْبَارَ كُلِّ عَالَمٍ  
حِكَايَةً عَنْ أَلْسُنِ الْبَهَائِمِ

## خصائص الشعر في العصر العباسي الأول

ذكرنا جانياً من التطور الذي أصاب فنون الشعر وأغراضه في العصر العباسي الأول ، وما نحن نذكر تطوره من حيث المعاني والأفكار ، والأخلاق والأساليب ، والقوافي والأوزان ، وكذلك من حيث خطبة القصيدة أو منهاجاً العام .

**معانٰي الشعر :** عرفت فيما مضى أن العصر العباسي الأول كان عصر ازدهار ثقافي انتشرت فيه العلوم والأداب أعظم انتشار ، فاقبل الشعراء على الوان المعرفة يُعْبُّونَ منها ، ويُؤْلِفونَ فيها . وقد انعكست آثار هذه الثقافة الواسعة في معانٰي الشعر وأفكاره ، فامتازت بالعمق ، والاعتماد على مصطلحات العلوم والفنون ، والاستعانة بالإشارات التاريخية والأدبية ، كما رأيت في باتية أبي تمام وسينية البحترى . هذا وقد تفاوتت عنانٰية الشعراء بمعانٰיהם ، فبعضهم اولاًها محل الأول كأبي تمام وابن الرومي ، وبعضهم اولاًها محل الثاني كالبحترى .

**الالفاظ والاساليب :** في العصر العباسي مال الشعراء الى الكلام السهل الذي يفهمه الناس في غير مشقة ، ذلك ان هؤلاء الناس اعتادوا على خفض العيش فكان لا بد للشعراء من ان يسايروا ذوق العصر ، وطبيعة الحياة التي هيئت عليها رياح الحضارة من كل جانب ، ولا سيما فيما يتصل بالغزل والنسيب ووصف الحضارة وال عمران وباختصار فقد تحضرت الحياة في العصر العباسي فتحضر الشعر ، وقل استعمال الكلمات الغربية والهجورة ، ودخل فيه كثير من الالفاظ الاعجمية والفارسية ، وقد مر بك منها في سينية البحترى كلمات منها مثل : الإيوان ، الدبياج ، الدمقس وغيرها .

**الاخيلة والصور :** حين يتجاوز الشاعر اسلوب الحقيقة في التعبير عن افكاره ومعانيه الى اسلوب المجاز نراه يعتمد في ابراز تلك الافكار والمعاني على طائفة من الاستعارات والكتابات والتشبيهات ، وهو حيناً يستمد هذه الصور من بيئته المادية التي تقع عليها عيناه ، او مما وعنه ذاكرته من صور السابقين واخيلتهم . وفي العصر العباسي تغيرت بيئة الشعر العربي فلم تظل ساذجة بسيطة كما كانت في العصر الجاهلي والأموي ، بل أصبحت معقدة تزخر بالوان الحضارة والتَّرَف في كل مكان ، ولا سيما في قصور الخلفاء والوزراء ، والقادة والوجهاء والاغنياء ، فاستمد الشعراء صورهم واخيلتهم من هذه البيئة الفنية بمشاهدتها والوانها ، ومن هذه الصور المستمدَّة من الحياة العباسية المتحضرة قول البحترى في وصف بِرْكَةِ التَّوْكِل :

**كَانَمَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ سَائِلَةٌ**    مِنَ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا  
صورة السباتك الفضيحة المذابة اخذها الشاعر من بيته بغداد التي عاش فيها نصف قرن .

وكان الشعراء يخرجون في صورهم ، أحياناً ، عن اسلوب الأقدمين .  
ومن ذلك قول أبي تمام في أحد مددوهيه :

**رَقِيقُ حَوَاثِي الْحَلْمِ ، لَوْ أَنَّ حَلْمَهُ يُكَفِّيكَ مَا مَارِيَتِ فِي أَنَّهُ بِرْدٌ (\*)**

فتشبيه الحلم بالثوب الرقيق الحاشية صورة جديدة افادها الشاعر من بيئته الحضرية التي عرفت الوانا مختلفة من الثياب الرقيقة الحواشي ، وهو في هذه الصورة يخالف الشعراء القدامى الذين اعتادوا ان يشبهوا الحلم بالجبال لا بحواشى الثياب ، كقول الغزدق في بعض اشعاره : **أَخْلَامُنَا تَرْنَ الْجِبَالَ دَرَانَةً ...**

(\*) ماريَت : شَكَّتْ .

ثم إن فُشِّوَ التَّرَفُ ، واعتتماد الناس على المبالغة في كل شيء جعل الشعراء لا يهتمون بصور البيان وحدها ، بل دفعهم إلى العناية بصنوف البديع ولا سيما الطباق ، والجnas ، والتَّصْيِع ، ... وكان بعض الشعراء يبالغ في أخذه بأساليب الصنعة كأبي تمام ، وكان بعضهم الآخر يقتصر في تلك الأساليب كالبحتري وأبن الرومي .

**منهج القصيدة أو خطة الشاعر في بنائها :** للقصيدة العربية خطوة معينة قلماً يحييـ عنها الشعراء ، فهي تبدأ بالغزل ، ثم تصف الطريق الذي سلكه الشاعر في رحلته إلى المدح ، ثم تخلص بعد ذلك إلى الفرض الأساسي ، وهو إما مدح أو هجاء ، أو فخر .. ولم تكـ تخرج القصيدة العباسية عن الخطـة السابقة ، إلا إذا بداها الشاعر بحكمة مناسبة كما رأينا عند أبي تمام والمنبي ، ويلاحظ أن الشاعر العـباسـي أصبح يهتم في قصـيدـتهـ بالـانتـقالـ منـ غـرضـ إلىـ آخرـ ، فـنـرـاهـ يـمـهـدـ لـهـذـاـ الـانـتـقـالـ ،ـ وـقـلـماـ يـثـبـتـ إـلـيـهـ وـثـبـاـ كـماـ كانـ يـفـعـلـ الشـاعـرـ الجـاهـلـيـ مـسـتـخـدـمـاـ عـبـارـتـهـ التـقـليـدـيـةـ :ـ دـعـ ذـاـ ...ـ وـلـكـنـ القـصـيدـةـ العـباسـيـ ظـلـتـ مـعـ ذـلـكـ تـفـقـرـ إـلـىـ وـحدـةـ الـمـوـضـوـعـ لـأـنـهـ كـانـ تـعـتمـدـ عـلـىـ وـحدـةـ الـبـيـتـ دـوـنـ وـحدـةـ الـقـصـيدـةـ .

**الأوزان والقوافي :** في المـصرـ العـباسـيـ حدـثـ ثـورـةـ عـلـىـ أـوـزـانـ الـشـعـرـ العـربـيـ وـقـوـافـيـهـ ،ـ وـخـافـ اـصـحـابـ الـفـيـرـةـ عـلـىـ هـذـاـ الشـعـرـ مـنـ الضـيـاعـ ،ـ فـوـضـعـ الـخـلـيلـ بـنـ أـحـمـدـ عـلـمـ الـعـروـضـ لـصـيـانـةـ الـشـعـرـ مـنـ الـعـبـثـ وـالـخـتـالـ .

اما الأوزان فقد آثر الشعراء فيها اختيار أنواع القصيرة والمجزوءة وخاصة عندما يـنظـمـونـ فيـ مـوـضـوـعـاتـ الـفـنـاءـ وـالـلـهـوـ اللـذـينـ اـنـتـشـرـاـ فـهـذاـ العـصـرـ ،ـ وـكـثـرـ مـجـالـسـهـماـ ،ـ وـلـكـنـ هـذـاـ لـاـ يـعـنـيـ أـنـ الـأـوـزـانـ التـقـليـدـيـةـ قدـ اـخـتـفتـ وـزـالتـ .

وـاماـ الـقـافـيـةـ فـقـدـ عـرـفـتـ التـنـوـعـ وـالـتـعـدـدـ ،ـ وـاـكـثـرـ ماـ ظـهـرـ ذـلـكـ فـيـ الرـجـزـ ،ـ وـفـيـ المـزـدـوـجـ الـذـيـ تـغـيرـ فـيـهـ الـقـافـيـةـ مـنـ بـيـتـ إـلـىـ آـخـرـ كـقـصـيدـةـ أـبـيـ العـتـاهـيـةـ الـمـعـرـوـفـ بـذـاتـ الـإـمـاثـالـ ،ـ وـالـتـيـ أـوـرـدـنـاـ بـعـضـ أـبـيـاتـهـ مـنـ قـبـلـ .

## ب - الشعر في العصر العباسي الثاني

تمهيد :

يُطلق اسم العصر العباسي الثاني على الحقبة التاريخية التي امتدت من استيلاء بني بويه على بغداد عام 334 هـ ، وانتهت بسقوط هذه المدينة بيد المغول عام 656 هـ . ويقسم هذا العصر الى دورين هما : الدور البويمي ( 334 هـ - 447 هـ ) والدور السلاجوفي ( 447 هـ - 656 هـ ) وهذا التقسيم أمر اصطلاحي هدفه تسهيل الدراسة ، ولذا لا يجوز ان يُنظر اليه على انه حاجز حقيقي يفصل بين العصور التاريخية فصلاً تاماً ، ويجعل كلاً منها مستقلة عن الآخر كل الاستقلال ، ذلك أن حوادث التاريخ والمجتمع كثيرة التشابك والتعقيد ، فهي لا تخلق طفرةً بل تنشأ عن اسباب قريبة ، او بعيدة ممتددة الجذور في القديم . فالمتنبي مثلاً ( 303 هـ - 354 هـ ) ادرك العصرین الاول والثاني ، ولذلك تجد الدارسين يذكرونہ في اثناء حديثهم عن خصائص الشعر في كل من العصرین المذکورین .

وإذا كان العصر العباسي الأول هو عصر الترجمة والتاليف وتمازج الثقافات الأجنبية بالثقافة العربية فان العصر العباسي الثاني هو العصر الذي بلغت فيه تلك الثقافات غاية ما يمكن ان تصل اليه من نضج واتكمال ، ولا سيما القرن الرابع الهجري الذي يعتبره المؤرخون أزهى عصور الأدب العربي قاطبة ، وحسبك ان تعلم ان سماء هذا القرن قد اطلت اعظم شعراء العربية كالتنبي والشريف الرضي ، ومهيار الدينلي ، وأبى العلاء المعري ، حسبك ان تعلم ذلك ، لتويقن بصدق ما يقوله أولئك المؤرخون . وبعود ذلك الرقي الذي أصابه الشعر العربي الى عوامل منها :

1 - النضج الذي بلغته الثقافة العربية الإسلامية في هذا العصر ، ولذلك تجد معظم المؤلفات العلمية والأدبية القيمة ألقت فيه .

2 - تَنَدَّدُ الحاضر الأدبية ، فلم تَنَدَّ بغداد وحدها عاصمة للأدب والفن ، بل اصبح هنالك مراكز أدبية وثقافية أخرى تنافسها مثل حلب في أيام الحمدانيين ، والفسطاط في ظل الإخشيديين ، وشيراز في عهد البوهيميين .

3 - تشجيع أمراء الدوليات المستقلة لرجال الفكر والفن ، وإغداً لهم الجوائز الكبيرة على الشعراء ، لأن هؤلاء الامراء كانوا يفهمون الشعر ، ويشاركون فيه غالباً .

هذا وقد كان لكل بيئة ادبية طابعها المميز لها : فبيئة الشام غلب عليها شعر الحماسة لأنها كانت مسرحاً للحروب الطاحنة التي جرت بين المسلمين والروم أولاً ، ثم بين المسلمين والصلبيين ثانياً ، وببيئة العراق وفارس شاع فيها اللهو والمجون ، وتأثرت بالشعر الفارسي ثالثاً واضحاً ظهر في الألفاظ والمعاني ، بل في الأوزان والقوافي أيضاً ! وأما البيئة المصرية فقد غلب عليها وصف الطبيعة ، كما ظهر فيها اثر التصوف . وفيما يلي كلمة موجزة عن أغراض الشعر وخصائصه في هذا العصر .

## فنون الشعر في العصر العباسي الثاني

طرات على فنون الشعر في هذا العصر تطورات نجملها فيما يلي :

أولاً : يَقِيُّ الشِّعْرَاءِ يَنْظُمُونَ الشِّعْرَ فِي الْأَغْرَاضِ التَّقْلِيدِيَّةِ مِنْ مَدْحٍ وَهَجَاءٍ وَفَخْرٍ وَرَثَاءٍ وَغَيْرِ ذَلِكِ إِلَّا أَنْ بَعْضَ الْفَنُونَ الْآخَرَى كَالْفَلْسَفَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالشَّكْوَى وَالْمَجْوَنَ اصْبَحَتْ أَكْثَرَ انتِشَاراً وَرَوَاجًاً .

ثانياً : أصبحت الحكمة فناً يراد للذاته فأخذ يبدو في قصائد مستقلة بعد أن كان متناهراً في ثنايا الأغراض الأخرى ، وأشهر حكماء العصر المنبي وأبو العلاء المعري ، ومن حكم المنبي التي جاءت في قصيدة مستقلة قوله :

صَاحِبُ السَّاسَ قَبَلَنَا ذَا الرَّمَانَا وَغَنَّاهُمْ مِنْ أَمْرِهِ مَا عَنَّا  
وَتَوَلَّوْا بِعُصَمَةٍ كُلُّهُمْ مِنْهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا  
رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنْيِعَ لِيَالِيهِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الإِحْسَانَا

وكانت معانى الحكمة تتناول أخلاق الناس وعلاقتهم الاجتماعية وتعتمد على الإيجاز وقوة السبك .

---

عنهم : همهم وشنبل بالهم . - لقصة : الم وحرة . - الصنيع : الصنع ، العمل .

أخذ الشعراء يتناولون في أشعارهم كثيراً من القضايا الفلسفية الكبرى ، قضية وجود الله عَزَّ وَجَلَّ ، وصفاته ، وقضايا الغيب الأخرى كالرُّوح ، والبعث ، وعلاقة الإنسان بالقضاء والقدر ، ومصير الإنسان بعد الموت ، وغير ذلك ، وكان بعض الشعراء يمس هذه القضايا مسا ريقنا ، كالمتنبي الذي لخص اختلاف الفلاسفة في مصير النفس الإنسانية بعد موتها ، فقال :

تَخَالَفُ النَّاسُ حَتَّى لَا إِنْقَاقٌ لَهُمْ  
إِلَّا عَلَى شَجَبٍ، وَالخَلْفُ فِي الشَّجَبِ  
فَقِيلَ : تَخْلُصُ تَقْسُّسُ الرَّوْءِ سَالِمٌ  
وَقِيلَ : تَشَرُّكُ جِسْمِ الرَّوْءِ فِي الْعَطَبِ  
وَمَنْ تَكَرَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَبَهُ  
أَقَامَةُ الْفِكْرِ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ

وكان بعضهم الآخر يتسع في القضايا الفلسفية توسيعاً شديداً حتى ينظم في ذلك ديواناً من الشعر ، كالمعري في ديوانه اللزوميات ، ولذا ذُكر شاعر الفلسفه ، وفيلسوف الشعراء . ومن أمثلة شعره الفلسفى حدثه عن الدات الإلهية وإيمانه بوجودها :

أَبْتَأْتُ لِي خَالِقًا حَكِيمًا      وَلَسْتُ مِنْ مَغْشَرِ قَسَاءٍ  
وَحِدَّتِهِ عَنْ صَفَاتِ هَذِهِ الدَّاتِ بِطَرِيقَةِ الْفَلَاسِفَةِ لَا لِفَقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ :  
  
قُلْتُمْ : لَنَا خَالِقٌ حَكِيمٌ      قُلْنَا : صَدَقْتُمْ ، كَذَّا تَقُولُونْ  
رَعْتَمْمُوْهُ بِسَلَامَ زَمَانِي      وَلَا مَسْكَانِ ، أَلَا فَقُولُوا :  
مَعْنَاهُ : لَيَسْتُ لَنَا عُقُولُ      هَذَا كَلَامُ لَهُ خَبِيْهِ

شجب : هلاك ، موت . الخلف : الاختلاف . - العطب : الملاك ، الفناء .  
خببه : سر . يزيد المعري بهذه الأبيات الثلاثة أنه يؤمن بوجود الله تعالى وقوته وحكمته ، ولكنه لا يفهم وجوده تعالى مستقلاً عن الزمان والمكان إلا إذا اتفق مقتله ، لأن الشيء الذي ليس له زمان ومكان معدوم في ذمة أبي الملاء ، والحقيقة أنه سبحانه وتعالى غير محدود بزمان ومكان ، وهو قبل الزمان والمكان وبعدهما ، لأنه خالقهما ، وهذا رأي عامة فقهاء المسلمين .

رابعاً : كثُرت الشكوى لدى شعراء العصر كثرة ملحوظة . والشكوى حدت النفس البشرية عندما تضعف قدرتها عن احتمال الآلام والتوابع ، وعن الصبر على فساد الناس واضطراب الاحوال . وقد طفت اشعار المسيي وابي فراس والشريف الرضي والمغربي شكوى مريرة مؤثرة ، واليك هذه الزهرة التي اطلقها الامير الاسير ابو فراس الحمداني . وهو في بلاد الروم يفاسي آلام الاسر . وجراح الحرب . وغدر الاصحاب :

مُصَابِيْ جَلِيلٍ . وَالْعَزَاءَ جَمِيلٍ  
وَظَنِي بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُدِيلُ  
جَرَاحَ تَحَامَاهَا الْأَسَاةَ مَحَافَةً  
وَسُقْنَانُ : بَادِ مِنْهُمَا وَدَخِيلٌ  
وَأَرَى كُلَّ شَيْءٍ غَيْرَهُنَّ يَرْزُولُ  
وَأَسْرَ أَفَاسِيهِ . وَلَيْلٌ نُجُومُهُ  
تَطُوَّرُ بِي السَّاعَاتِ . وَهُنَّ قَصِيرَةٌ  
سَلَحَقَ بِالْأَخْرَى غَدًا ، وَتَحُولُ  
تَنَاسَانِي الْأَصْحَابِ إِلَّا عَصَابَةٌ  
وَإِنَّ الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْعَهْدِ مِنْهُمْ

خامساً : تَحَوَّلُ شعر الزهد الى تصوف له معاناته واساليبه ، وله مصطلحاته وشاراته . وانته بالتصوف جماعة . على راسهم عمر بن علي المعروف بابن الفارض ( توفي عام 632 هـ ) الذي يقول في احدى قصائده :

رَدَنِي بِقُرْطِ الْحَبِّ فِيكَ تَحْيِيَا  
وَأَرْحَمَ حَشَّا بِلَطْنِي هَوَالَّتْ تَسْعَرَا  
فَاسْسَخَ . وَلَا تَجْعَلْ جَوَابِيَّ : لَئِنْ تَرَى  
سَرَّ أَرْقَ مِنَ التَّسِيمِ إِذَا سَرَى  
فَعَدَوْتُ مَعْرُوفًا ، وَكُنْتُ مُنْكَرًا  
وَغَدَا لِسَانُ الْحَالِ عَنِي مُخْبِرًا

جَلِيلٌ : شديد ، ثقيل . الْعَزَاءُ : الصبر . ظَنِي : يُبَقِّنِي . بِدِيلٍ : يُفْرِجُ عَنِي  
وَتَسْرِي . - تَحَامَاهَا : ابْتَدَعَ عَنْهَا . الْأَسَاةَ : الْأَطْبَاءُ .  
عَصَابَةٌ : جماعة قليلة . تَحُولُ : تَنْتَهِي . - فَرْطُ الْحَبِّ : شدَّهُ . حَشَّا : جُونا . هَوَالَّتْ :  
نَارُ حَبَّكِ . تَسْعَرَا : توقد وتشتعل . سَرَى : سَارَ لِيَلَّا ، وَهُنَّ هَبَّ .

سادساً : ازدهر شعر الحرب في هذا العصر ، لأنه كان عصر صراع بين المسلمين والروم أولاً ، ثم بين المسلمين والصلبيين ثانياً ، أما القصائد التي تصور الحروب بين العرب المسلمين وبين الروم فأشهرها قصائد المنبي التي قالها في مدح سيف الدولة الحمداني وتصویر بطولاته النادرة ، وقد مر بك شيء منها .

واما تلك التي تصور الحروب التي جرت إبان اعتداء الصليبيين ، وجودهم في الشرق العربي ( 490 هـ - 690 هـ ) فأشهرها القصائد التي تصور شجاعة أبطال المسلمين مثل عماد الدين زنكي ، وابنه نور الدين ، وصلاح الدين الأيوبي ، ومن أجود تلك القصائد ما قاله ابن القيسرياني في الإشادة بانتصار نور الدين زنكي على الصليبيين في حصن آنب قرب مدينة حلب عام 544 هـ :

هَذِيَ الْعَرَائِمُ لَا مَا تَدَعِيِ القُضَبُ  
وَهَذِهِ الْهَمَّ الَّلَّا تَتَقَبَّلُ حَطِبَتْ  
تَعْرَثَتْ خَلْفَهَا الْأَشْعَارُ وَالْحَطَبُ  
صَافَحَتْ يَابْنَ عِمَادِ الدِّينِ ذَرْوَهَا  
بِرَاحَةٍ لِلْمَعَالِي دُونَهَا تَعَبُ  
مَا يَوْمٌ يَغْرِيَ بَعِيدًا ، لَا وَلَا كَثَبُ

ومن القصائد الشهيرة في الحرب بين المسلمين والروم تلك التي نظمها الشاعر المعروف بالشريف الجوانى حين استرد صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس من أيدي الصليبيين عام 583 هـ قال الشاعر المذكور :

أَنَّرَى مَنَامًا مَا يَعْيَنِي أَبْصِرُ ؟  
الْقُدْسُ يَقْتَحُ وَالْفِرْنَجَةُ تَسْكُرُ ؟  
وَقَمَامَةٌ قُسْتُ مِنَ الرِّجْسِ الَّذِي  
يُرَسِّ بِرَاسِهِ ، وَزَوَالَهَا يَتَطَمَّرُ  
وَمَلِيكُمُ فِي الْقَيْدِ مَصْفُودٌ وَلَمْ  
مَنْ كَانَ هَذَا فَتَحْهُ لِحَمَدٍ  
مَادَا يُقَالُ لَهُ ؟ وَمَادَا يُذَكَّرُ ؟

القصب : السيف ، والمفرد قضيب ، والمقصود أصحاب السيف أي المحاربون . - آنب : حصن منيع انتصر فيه نور الدين عماد الدين زنكي على الصليبيين . يوم يغرا : يوم آخر لل المسلمين على الصليبيين . كتب : قرب . الأيام دائمة : الأيام متغيرة ، كثيرة التقلب . - قمامه : زيل ، وسخ . - مصفود : مقيد .

سابعاً : اتجه الشعراء الى ما يسمى بالاخوانيات ، وهي الاشعار التي يتبارد لها الاصدقاء في المدح والشكرا والعتاب والتهنئة والتعزية وغير ذلك ، ومن أمثلتها قول الصابي مخاطباً الصاحب بن عباد :

لَسَا وَضَعْتُ صَحِيفَتِي  
فِي ضِمْنٍ كَفِ رَسُولَهَا  
قَبْلَهُمَا لِتَسْأَلَهَا  
يُمْنَاكَ عِنْدَ وَصْوَلَهَا  
وَتَسْوَدَ عَيْنِي أَنَّهَا  
أَقْرَأْتَ بِعَضِ فُصُولَهَا  
حَتَّى تَرَى مِنْ وَجْهِكَ  
الْمَيْمُونِ غَايَةً سُولَهَا

ثامناً : شاعت الفكاهة في هذا العصر ، وشاع معها المجون ، او ما يسمونه بالأدب المكتوف الذي لا يتقيد فيه أصحابه بالاعتبارات الخلقية والاجتماعية ، وجلى في هذا الميدان جماعة من الشعراء اشهرهم في العراق ابن سكرة ، الذي كان يرى السخف مذهباً لا بد منه للشاعر ، وفي ذلك يقول :

وَشَعْرِي سُخْفَةً لَا بَدْ مِنْهَا  
فَقَدْ طَبَّنَا وَزَالَ الْأَخْتَشَامُ  
وَهُلْ دَارُ تَكُونُ بِلَا كَتِيفٍ  
فِيمَكَنَ عَاقِلًا فِيهَا الْقَامُ؟!

وفي الشام اشتهر الواواء الدمشقي ، وأبو الرقمق الذي دعاه أصحابه الماجنون الى حفلة شراب فاقتصر عليهم ان يخيطوا له ثياباً ليتمكن من حضور تلك الحفلة :

أَصْحَابَنَا قَصَدُوا الصَّبُوحَ بِسُخْرَةٍ  
فَأَتَى رَسُولُهُمْ إِلَيَّ خِصِيصًا  
قَالُوا: أَقْتَرِخْ شَيْئًا نُعِذْ لَكَ طَبْخَهُ  
فُلْتُ: اطْبُخُوا لِي جُبَّهَ وَقَمِيصًا

تاسعاً : ومنذ اواخر القرن الرابع المجري انصرف الشعراء الى وصف كل شيء ، ولو كان تافهاً ، استجابة لذوق العصر ، فكان بعضهم كالشاعر المأموني يصف جميع انواع الاطعمة ، وكان آخرون يصفون ما في البيت من امثال . وأولئك نفر منهم بوصف السبحة ، والنارجيلة ، والشمعة ، وغير ذلك ، ومن أمثلة هذا الشعر قول السري الرفاء :

---

كيف : مرحاض ، بيت الخلاء . - الصبوج : الشرب من الصباح ، شرب الخمر . -

وَبَاكِيَةٌ لَيَمَّا كُلَّهُ  
تُحَاكِي الصَّبَاحَ بِصُبَاحِهَا  
بَصِيرَةٌ لَيْلٌ ، وَلَكِنَّهَا  
تُجَرَّ لِإِصْلَاجِهَا رَأْسَهَا

عاشرًا : ومنذ مطلع القرن السادس الهجري أخذت شمس الشعر العربي تدنو نحو المغيب رويداً رويداً ، فاسرف الشعرا في نظم الاحاجي واللغاز حتى استحال كثير من الشعر الى عبث فارغ ليس وراءه طائل ، ومن امثلة هذا الشعر قول ابن الفارض ملفوظاً في كلمة « ليف » :

مَا اسْمُ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ إِذَا مَا قَلَبْوْهُ وَجَدْتَهُ حَيَّا وَأَنَا

### خصائص الشعر في العصر العباسي الثاني

لم تكن خصائص الشعر الفنية واحدة في هذا العصر ، إذ وجدت فيه فترتان متباينتان كل التباين :

**الفترة الأولى** : وتشمل القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وفي هذه الفترة بلغ الشعر العربي غاية نضجه واتكاله للأسباب التي ذكرت من قبل ، وأشهر شعراء هذه الفترة المنبي ، وأبو فراس والشريف الرضي ، وأبو العلاء المعري ومهيار الديلمي . وقد مرت بك من قبل نماذج لبعض هؤلاء الشعراء عرَفت منها أن شعرهم يَتَسَمُّ بـ خصائص فنيّة جيدة منها عمقُ المعنى ، وصدقُ العاطفة ، ومتانةُ الأسلوب ، وسَقَةُ الخيال ، وعُذُوبةُ الوسيفَيَّ

هذا وقد درست فيما مضى شيئاً من شعر هذه الفترة ، وفيما يلي نماذج أخرى يسيرة تكشف لك عن الخصائص الفنية التي عرضنا لها بإيجاز ، وقد أثمننا أن تكون من شعر الحكمة :

قال المنبي يتحدث عن حكمة الموت ، ويصور الصراع الدائم بين الاجيال الماضية والآتية ، ويخلل قيمة الفضائل الإنسانية :

---

تحاكى : ثبه . — ضريرته : فاقدة البصر يريد أنها مقطأة .

سُقْنَا إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَوْ عَاشَ غَيْرُنَا  
تَمَلَّكَهَا الْأَتِي تَمَلَّكَ سَالِبٍ  
وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى

وقال أبو فراس الحمداني يصف الشيب والزمان وما يلاقيه الإنسان  
منهما :

وَقُلْتُ : الشَّيْبُ أَهْوَنُ مَا أَلَاقَيْ  
مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَهْوَنُ مَا أَدَارِي  
كَرِهْتُ فَرَاقَهُ بَعْدَ السَّرَّازِيرِ  
وَكُمْ مِنْ زَائِرٍ بِالْكَرْهِ مِنِي

وقال الشريف الرضي يشكو خيانة الزمان ، وتنكر الإخوان :

لَحَا اللَّهُ دَهْرًا خَاتَمِي فِيهِ أَهْلُهُ  
وَأَحْشَمْنِي حَتَّى احْتَسَمْتُ الْأَدَانِيَا  
فَلَمْلَمْتُ أَرَى إِلَّا عَدُوًّا مُكَاشِفًا  
وَلَنَسْتُ أَرَى إِلَّا صَدِيقًا مُدَاهِيَا

وقال المعري يتناول أصل الإنسان ، ويبين الموقف الذي ينبغي على  
العقل أن يقفه من هذا الكون الذي سيته咪 إلى الفساد والفناء :

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِّيَّةُ فِيهِ  
حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ  
وَاللَّيْبُ اللَّيْبُ مَنْ لَيْسَ يَعْتَرُ  
بِسَكُونٍ مَصِيرَهُ لِلْفَسَادِ

جيئه : مجيء . لهوب : ذهاب ، أي مننا من الحركة لكثره ما على وجه الأرض من  
البشر . شعوب : البشر ، الموت . - لخا الله : قبح الله . احشمي : اخجلني .  
احتسمت : اغضبت الآدانيا : الآقارب . - مكاشفا : مجاهرا بعاداته . مداهيا : مخادعا  
الحيوان المستحدث من جماد : هو الانسان الذي خلق من تراب ، والتراب جماد .

وقال مهيار الديلمي يذكر تجاربه في الحياة ، ويوضح آثار تلك التجارب في عقله وتفكيره :

بَلْوُتْ هَذَا الدَّهْرَ أَطْوَرَهُ  
وَبَسَرَّتِي كَيْفَ أَخْلَاقَهُ  
تَجَارِبٌ كَشْفَنَ أَخْبَارَهُ  
فَصِرْتُ لَا أُنْكِرُ إِحْلَاءَهُ  
عَلَيَّ طَسْوَرًا، وَمَعِي تَارِهُ  
يَوْمًا، وَلَا أُنْكِرُ إِمْسَارَهُ

**الفترة الثانية :** وتشمل القرن السادس ونصف القرن السابع المجريين ذلك ان الشعر العربي اخذ يضعف شيئا فشيئا منذ بداية الغزوات الصليبية (عام 490 هـ) لاسباب كثيرة منها قلة الحكام الذين يفهمون الشعر ويكرمون اصحابه ، ومنها غلبة اليأس على النقوس من جراء الاحتلال الصليبي ، وما رافقه من فساد في الاحوال الاجتماعية والثقافية ، فاصبح الشعر سطحي المعانى ، ضيق الخيال ، ضعيف الاسلوب ، غارقا في قشور الصنعة الثقيلة التي أخدمت انفاسه او كادت ، ولهذا لم يستطع شعراء هذه الفترة ان يخلدوا الانتصارات الرائعة التي احرزوا القادة المسلمين على جيوش الصليبيين ، بل إنهم لم يستطيعوا ان يقولوا شيئا يذكر في مدينة بغداد عندما خربها المغول عام 656 هـ ، كما استطاع ابن الرومي ان يخلد مأساة البصرة عندما نكبتها الزنوج عام 257 هـ . وقد مررت بك من قبل امثلة من شعر الغزوات الصليبية ، تحمل في ثناياها مظاهر الضعف التي ذكرناها آنفا . واليك فيما يلي هذه الآيات التي قالها الشاعر شمس الدين محمود الكوفي في رثاء مدينة بغداد التي دمرها المغول عندما سقطت باليديهم عام 656 هـ :

إِنْ لَمْ تُقْرِحْ أَدْمُعِي أَجْفَانِي !  
إِنْسَانٌ عَيْنِي مُذْتَنَأَتْ دَارُكُمْ  
مَا رَاقَهُ نَظَرٌ إِلَى إِنْسَانٍ !  
يَا لَيْشِي قَدْ مِتْ يَوْمَ فِرَاقُكُمْ  
وَلِسَاعَةِ الشَّوَّدِيمِ لَا أَخْيَانِي

تقرح : تخرج من البكاء ، اجهاني : الاول جمع وهو غطاء العين ، واجهاني الثانية فعل ماض لانشاء التعبير وهو من الجفاء بمعنى قسوة القلب ، وبين الكلمتين جناس . انسان العين : هو منطقة الرؤبة منها . والهـ : اعجمي . انسان : واحد الناس . وبين الكلمتين جناس .

لا شك في أنك لستَ التكفل الشديد في هذه الأبيات ، حشد الوان الجناس بين «أجفاني» الأولى و «أجفاني» الثانية والجناس بين كلمة «بعد» و «بعد» ، و «إنسان» العين ، والإنسان الذي هو واحد الناس ، والطبق بين «مت» وبين «أحياني» .

والخلاصة ان الشعر العربي قد مُنِي بالضعف منذ اواخر القرن الخامس المجري للأسباب التي قدمناها ، وكان هذا الضعف يزداد قرنا بعد قرن ، وقد بلغت كارثة هذا الشعر اقصاها فيما يسمونه بعصور الانحطاط ، وهي العصور التي امتدت من سقوط بغداد عام 656 هـ ، وانتهت عام 932 هـ ، فاصبح الشعر فيها أشبه شيء بالآلية الفارغة : ظهر زاهيا ، وبطنا خاويَا ، ولم تذبّ فيه الحياة من جديد إلا فيما يسمى بعصر النهضة الحديثة .

---

# النشر في العصر العباسى

فـ الطور الاول : الكتابة وفنونها الادبية - الخطابة .

فـ الطور الثاني : الكتابة - الخطابة .

## أولاً : النشر العباسى في الطور الأول

( 334 - 132 م )

س : ما أهم فنون النشر في العصر العباسى ( الطور الاول ) ؟ وما عوامل ازدهارها ؟

ج : اشتهر من نشر العصر العباسى ( الطور الاول ) نوعان : الكتابة والخطابة .

### ١ - الكتابة

عوامل ازدهارها : اهم الاسباب التي تعاونت على النهوض بالكتابة هي :

(1) الاستعنان بحفظ القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وخطب النبي صلى الله عليه وسلم ، وخطب الخلفاء الراشدين ، وبخاصة خطب الإمام علي كرم الله وجهه .

(2) تشجيع الخليفة العباسين ، وعلو مكانة الكتاب عندهم ، ووصول بعضهم الى مرتبة الوزارة وقد افسح ذلك المجال لمن اراد الارتقاء في هذا الميدان .

(3) كان للثقافة الأجنبية آثارها ، فقد انتشرت العلوم والمعارف مترجمة وغير مترجمة ، وقد ترجم ابن المقفع وغيره في اول هذا العصر عددا من كتب الادب الفارسي واليوناني ، وكان لذلك آثاره في اختيار الكتاب لمعانיהם وأساليبهم .

## فنونها الأدبية

تعدد فنون الكتابة الأدبية ، وتنوعت وانقسمت الى خمسة انواع :

**النشر القصصي** : ازدهر الفن القصصي في العصر الإسلامي في ظل القصص القرآني الذي أفاد منه الكتاب ، وفي العصر العباسي ( الطور الاول ) تأثر الأدب العربي بما نُقل اليه من قصص ( كليلة ودمنة ) ، وبما كتب الجاحظ من حكاياتٍ ونَوَادِرَ عن البخلاء . وفي ترجمة الجاحظ نموذج لذلك اللون من النثر .

**النشر الاجتماعي** : شاع هذا اللون من النثر في العصر العباسي على يد أمثال ابن المفعع ، ومن أغراض هذا النشر توجيه المجتمعات ، وعلاج مشكلاتها ، وإشارة النصح لها بالبحث على الفضائل والتمسك بالمبادئ العالمية . وقد مر بك نموذج لذلك في ( وصف الصديق ) لابن المفعع .

**الرسائل الإخوانية** : تكتب في غرض شخصي ، ويتبادلها الأصدقاء فيما بينهم ، ومن موضوعاتها الشوق والمعتاب والتهمة والتغريب وغير ذلك .

**الرسائل الديوانية** : تكتب في غرض رسمي لتشبيه شؤون الدولة ، وتصدر عن الحكام والولاة لتوطيد دعائم الحكم ، ومعالجة المشكلات ، وتصور الرسائل الديوانية الحياة الاجتماعية في ذلك العصر ، وما كان يعتريها من ثورات . ومن أمثلتها رسالة ( عمر بن مسعود ) التي كتبها على لسان الخليفة العباسي ( المأمون ) الى ( نصر بن شبت ) الشائز على المأمون ، وفي ختامها يقول مهدداً إياه : « فَوَعَالَمَ السِّرَّ وَالْجَهَرَ فَإِنَّ لَمْ تَكُنْ لِلْطَّاغِيَةِ مُرَاجِعًا ، وَبِهَا حَانِعًا ، لَتَشْتُوِيلَنَّ وَحَمَّ الْعَاقِبَةِ ، ثُمَّ لَأَبْدَأَنَّ يَكْرَهَ عَمَلَهُ ، فَإِنَّ قُرُونَ الشَّيْطَانِ إِذَا لَمْ تُفْطِعْ كَانَتْ فَتْنَتَهُ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادًا كَبِيرًا ، وَقَدْ آغَدَرَ مَنْ أَنْذَرَ ، وَالسَّلَامُ » .

**التوقيعات** : شاعت في العصر العباسي الاول ، وقد دعت اليه السرعة في انجاز الأمور ، وتصريف شؤون الناس ، كما ان العصر كان عصر ازدهار لغوي وأدبي . وتمتاز التوقيعات بالإيجاز القائم على قوة التعبير ، ولطف الإشارة ، وجمال التصوير . ومن أمثلتها :

١ - وَقَعَ الرَّشِيدُ إِلَى وَالِي خَرَاسَ ، وَقَدْ تَذَمَّرَ مِنْهُ النَّاسُ : « دَأْوِيْ جَزْحَكَ لَا يَتَسِعُ » .

ب - وَقَعَ أَيْضًا فِي ظِرْفِ الْقَضَاءِ عَلَى الْبَرَامِكَةِ الَّذِينَ كَانُوا وِزَارِءَهُ : « أَنْبَتُهُمُ الطَّاغِيَةَ ، وَحَصَدَتُهُمُ الْمَفْسِيَةَ » .

ج - وَقَعَ الْمُؤْمِنُ فِي شَانِ احْدَادِ وَلَاتِهِ الَّذِينَ كَثُرَتِ الشَّكْوَى مِنْهُمْ : « قَدْ كَثُرَ شَاكُولَةُ ، وَقَلَ شَاكِرُولَةُ فَإِمَّا اغْتَلَتْ ، وَإِمَّا اغْتَرَلَتْ » .

س : مَا مَدَاهِبُ النَّشْرِ فِي الْطُّورِ الْأَوَّلِ الْعَبَاسِيِّ ؟

ج : تَعْدَدَتْ مَدَاهِبُ النَّشْرِ الْأَدْبَرِيِّ فِي هَذَا الْعَصْرِ ، وَبِلْفَتِ الْكِتَابَةِ الْأَدْبَرِيِّ غَایَةَ رَفِيعَةَ ، وَالْيُكَمَلَ مُوجَزًا لَاهِمَ الْطُّرُقَ الْكِتَابَيَّةِ الَّتِي شَاعَتْ فِي هَذَا الْطُّورِ :

**طَرِيقَةُ ابْنِ الْمَقْعُودِ :** كَانَ اهْتِمَامُ ابْنِ الْمَقْعُودِ مُنْبَصِّطًا عَلَى الْمَعْنَى : فَانْكَارَهُ وَاضْحَى سَهْلَةً ، وَمَعَانِيهِ دَقِيقَةً ، يَسْتَخْدِمُ الْعِلْمَ وَالْفَلْسَفَةَ وَالْمَنْطَقَ لِلْوُصُولِ إِلَى النَّتَائِجِ وَالْأَحْكَامِ فِي سَبِيلِ الْإِقْنَاعِ ، وَهُوَ يُخْتَارُ الْلَّفْظَ ، وَيُنْتَوِعُ الْعِبَارَةَ ، وَيَقْلُلُ مِنْ السُّجُوعَ ، كَمَا يَهْمِلُ الْأَلْفَاظَ الْفَرِيقِيَّةَ وَالْمُبَتَدَّلَةَ . وَقَدْ سَبَقَ إِنْ درَسَتْ لَهُ نَمْوَذْجُ ذَلِكَ فِي ( وَصْفِ الصَّدِيقِ ) .

**طَرِيقَةُ الْجَاحِظِ :** وَيَنْصَبُ اهْتِمَامُ الْجَاحِظِ عَلَى تَحْلِيلِ الْمَعْنَى ، وَاستِقْصَاءُ الْفَكْرَةِ فِي اسْلُوبٍ جَزِيلٍ وَاضْعَفَ ، ذِي جَمْلَ صَفِيرَةٍ مُتَعَادِلَةٍ غَالِبَةً ، يُحَلِّيْهُ السُّجُوعُ غَيْرُ الْمُتَكَلِّفِ ، كَمَا يَعْيَلُ الْجَاحِظُ فِي كِتَابِهِ إِلَى الْاسْتِطْرَادِ فِي كِتَارَ وَيُطْبِئُ ، وَيُكْثِرُ مِنَ التَّرَادِفِ ، وَيَذَكُرُ كُلَّ مَا لَهُ صَلَةٌ بِمَوْضِعِهِ مِنْ أَخْبَارٍ طَرِيقَةً ، وَمُلَحَّ وَنَوَادِرَ مُمْتَعَةً ، كَمَا يَقْتَبِسُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ، وَاقْوَالِ الْمَةِ الْبَيَانِ مِنْ شِعَرَاءِ وَادِبَاءِ ، وَتُعَدُّ طَرِيقَةُ الْجَاحِظِ امْتَدَادًا وَتَطْوِيرًا لِطَرِيقَةِ ابْنِ الْمَقْعُودِ .

## ب - الخطابة

ازدهرت الخطابة في هذا الطور لاهتمام الخلفاء العباسيين بها ، واعتمادهم عليها في تكوين الدولة ، وتوطيد أركانها ، وقد استخدموها في الدعوة إلى الجهاد ، ومحاربة الخارجيين والثائرين ، كما كانت عمادهم في الترحيب بمقدم الوفود ، وتوجيه الناس وإرشادهم .

ومن أبرز خطباء هذا العصر : أبو جعفر المنصور ، والمهدى ، والرشيد ، والأمويون ، وقائد جيشه عبد الله بن طاهر ، وغيرهم . وكان من هؤلاء خطباء بلقاء ، ملوكوا أزمام الفصحاء وأساليب البيان .

ومن أمثلة الخطابة في هذا العهد قول عبد الله بن طاهر ينصح جنوده ، ويعرضهم على قتال نصر بن شبت وأتباعه الخارجيين على الخليفة الأموي :

« . . . فَلِيَكُنِ الصَّابِرُ مَعْقِلَكُمُ الَّذِي إِلَيْهِ تَتَجَهُونَ ، وَعَدَّتُكُمُ الَّتِي بِهَا تَسْتَظْهِرُونَ ، فَإِنَّهُ الْوَزَرَ الْمَيْعُ الَّذِي دَلَّكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالْجُنَاحُ الْحَصِينَةُ الَّتِي أَمْرَكُمُ اللَّهُ بِلِيَاسِهَا . غَضِبُوا أَبْصَارَكُمْ ، وَأَخْفَتُوا أَصْوَاتَكُمْ فِي مَصَافِكُمْ ، وَأَنْضَوُا قَدْمًا عَلَى بَصَارِكُمْ ، قَارَبُوهُنَّ إِلَى ذُنُوبِ اللَّهِ وَالْإِسْتِغْفَارِ بِهِ كَمَا أَمْرَكُمُ اللَّهُ ، فَلَيَهُ يَقُولُ : (إِذَا آتَيْتُمْ فِتَّةً مَأْبُوثًا ، وَأَذْكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ، أَيْدِكُمُ اللَّهُ بِعِزِّ الصَّابِرِ ، وَوَلِيَّكُمُ بِالْجِيَاطَةِ وَالْتَّصْرِ ( ) » .

ويلاحظ في ضوء هذه الفقرة أن الخطابة كانت تعتمد على الترتيب المنطقي في أفكارها ، كما يستشهد فيها بآيات من القرآن الكريم ، ويستعن على تقوية المعنى بالوان البيان كالتشبيه في قوله : الصبر معلكم - إنه الوزر المنيع ، والجنة الحوسينة .

(١) تستظهرون : تستعينون . الوزر : الهم ، العناء . الجنة : الوناعة . غضبوا أبصاركم : نعموا ، انفسوا قدما : سروا إلى الأمام الحياة : الحفظ .

## ثانياً : النثر العباسي في الطور الثاني

( 656 - 334 م )

### ١ - الكتابة

من : كيف كانت حال النثر في الطور الثاني من العصر العباسي ؟  
وما مذاهب النثر التي شاعت في هذا الطور ؟

ج : حال النثر :

تطورت طرق الكتابة الفنية في هذه الفترة ، واهتم الكتاب باللغاظ  
والأساليب فاكثروا من الزيينة اللغوية ، والمحسنات البدعية من سجع ،  
وجناس ، وطبق ، ولم يتمموا بالأفكار والمعاني ، وقد شاع في هذا الطور  
بعض الاتجاهات الفنية التي برزت في ثلاثة مذاهب :

**طريقة ابن العميد :** كان ابن العميد زعيم كتاب المسر الثاني العباسي ،  
وكان واسع الثقافة ، يعتمد في كتابته على وضوح انكاره وصدق شعوره ،  
والاهتمام بالألوان البيانية ، والإكثار من السجع والمحسنات البدعية ،  
والميل الى الترداد ، والتائق في اختيار الألفاظ ، وجودة السبك والتركيب ،  
وتضمين كتابته بعض النوادر التاريخية والاستشهاد بالنظم في ثنابا النثر .  
وقد من بك دراسة رسالته الإخوانية .

**اسلوب المقامات :** شاعت المقامات في هذا الطور ، وتعتبر في اسلوبها  
امتدادا لطريقة ابن العميد الفنية في الكتابة ، ومن خصائصها ، : التزام  
السجع ، والإسراف في استخدام المحسنات البدعية ، وحشود الغريب  
من الفاظ اللغة ، كما تجمع بين الشعر والنشر ، ويندو فيها التصنع والتلكلف ،  
واظهار المقدرة اللغوية ، وتعتبر المقامات باعتمادها على الحكاية والحوار من  
صور القصة العربية التي تطورت على مر السنين . وقد درست من نثر  
المقامات المقاومة البغدادية لبديع الزمان المدائني .

**طريقة القاضي الفاضل** : التزم القاضي الفاضل نهج ابن العميد ، ولكنه بالغ في استخدام السجع مهما كان متكلفا ، وكذلك تطرف في استخدام المحسنات البدعية من طباق وجناس وتوريه ، واهمل في سبيلها المعنى ، ولم تزد الكتابة بعد القاضي الفاضل عن مجرد الفاظ منمقة ، لا أهمية فيها لفكرة او احساس . ومن نثر القاضي الفاضل قوله في رسالة تهنئة باستعادة المسلمين ( بيت المقدس ) من الصليبيين على يد صلاح الدين الآيوبي :

« نَصَرْنَا اللَّهُ بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَوِّمِينَ ، وَأَوْلَائِنَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُدَى مُوهَبَةٌ مُدَهَّبَةٌ ، وَمَنْقَبَةٌ لَا تَبْلُغُ إِلَى وَصْفِهَا بِلَاغَةً مُوجَرَةٌ لَا مُسْمَبَةٌ ، وَتَوْبَةٌ مَا بَعْدُهَا لِلإِسْلَامِ تَوْبَةٌ ، وَخَطْوَةٌ فِي مَدَاقِ أَهْلِ التَّقْوَىِ وَالْمُفْرَّقَ حُلْوَةٌ ، وَبُشْرَى تَجْلُوا الْوُجُوهُ بِيُشْرِهَا ، وَتَضُوعُ مَهَابُ الْمُحَاجَّةِ بِيُنَشِّرِهَا ، وَيَعْرُفُ أَهْلُ الشَّرْقِ وَالْغَربِ بِسَجَالِ غَرِيبِهَا . . . » ( ١ ) .

## ب - الخطابة

انحدرت الخطابة في هذا الطور لعدم الحاجة إليها بعد استقرار الدولة ، وكذلك نتيجة لجمود القرائع ، وكانت كثرة المسؤولين في الدولة من الترك مما أضعف شأن الخطابة ، وجعلها مقصورة على المناسبات الدينية كالجمعة والميدان ، وقد سادت الخطابة كتابة الرسائل والنشرات ، ولم يسجل التاريخ الا العدد القليل من خطباء هذا الطور كالخطيب التبريزى ، والخطيب البغدادي .

( ١ ) **السومين** : المسلمين بعلامات تميزهم . **مذهبة** : غالبة كالذهب . **منقبة** : منفحة . **التبوة** : من نبا ينبو السيف اذا لم يقطع . والراد ان المسلمين لن يدخلوا بعدها . **تضوع** : تفوح . **الهاب** : مواضع المبوب . **المحاب** : الاماكن المحبوبة . **النشر** : الرائحة الزكية . **سجال** غربها : السجال هنا المساجلة ، والغرب : الدول المنظمة ، والراد انهم يعرفون قوتها ، وفيض عطائها .

# الباب الرابع

## الأدب الاندلسي

### لغة تاريخية عن بلاد الأندلس

#### بلاد الأندلس وحياتها السياسية :

كان يطلق اسم بلاد الأندلس على مساحة كبيرة مما يعرف في تاريخنا المعاصر باسبانيا والبرتغال ، وهي عبارة عن شبه جزيرة تقع في الجنوب الغربي من أوروبا<sup>(1)</sup> ، وكانت قديماً تسمى جزيرة (الوندال) ، والوندال هم قبائل غزت بلاد اسبانيا في القرن الخامس الميلادي ، وأطلق اسمهم على المنطقة التي احتلوها ، فلما جاء الفتح العربي سنة 92 هـ / 711 م على يد ( طارق بن زياد ) أخذ العرب من كلمة وندال كلمة ( أندلس ) وأطلقوا اسم الأندلس على جميع البلاد التي فتوحوها .

وقد حكم العرب بلاد الأندلس أكثر من ثمانية قرون ، وتولّ الحكم فيها سلالات متعددة ، وكانت مراحل الحكم خلال الفترة كما يلي :

(1) **عهد الولاية :** ( 92 / 138 هـ ) وقد بدأ هذا العهد بولايته طارق بن زياد ، وانتهى بيوسف بن عبد الرحمن الفهري. وفي هذا العهد كان الولاة يحكمون البلاد باسم الخلفاء الامويين في دمشق .

(2) **العهد الاموي :** ( 138 / 422 هـ ) وقد بدأ هذا العهد بمؤسس دولة بني أمية في الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الذي استطاع أن ينجو من بطش العباسيين في الشرق ، وفر إلى الأندلس ، وساعدته الخلافات بين اليمنية والمصرية على ارتفاع عرش قرطبة بمساعدة اليمنية ، ومنذ ذلك الحين نشر عبد الرحمن علّم بنى أمية ، ولقب بالداخل ، كما لقبه أيضاً أبو جعفر المنصور بنصر قريش ، وتعاقب من بعده على عرش الأندلس أبناءه وكانت فترة الحكم الاموي آرضاً لفترة الحكم الإسلامي في الأندلس ، وأرقى مرحلة بلغت فيها النهضة العلمية والأدبية ملفاً عظيماً ، إلا أن الحكم في أواخر هذا العهد دُبِّ بينهم الخلاف الذي فرق كلمتهم ، واضعف قوتهم ، فانقسمت الدولة إلى دولات صغيرة .

<sup>(1)</sup> انظر الخريطة ص. 214 .

(3) عهد ملوك الطوائف : ( 403 / 484 هـ ) وفي هذا العهد كانت بلاد الأندلس مقسمة إلى إمارات يحكم كلّاً منها ملك ، حيث كانت الدولة الزيرية في غرناطة ، والدولة الحموية في مالقة ، والدولة المودية في سرقسطة ، والدولة العاميرية في بلنسية ، والدولة العبادية في أشبيلية ، دولة بني الأفطس في بطليوس ، ودولة بني جهور في قرطبة . وكانت هذه الإمارة في خصم دائم ، وزراع مستمر ، واستعانا بهم بعضهم بالأجانب ضد بعضهم الآخر ، فاوهمن ذلك قوّتهم ، وأزال هيبتهم حتى هددهم المرابطون الذين وفدو من شمال إفريقية وهاجموا البلاد ، واستولوا على تلك الإمارات ، غير أن التنافس الكبير الذي كان بين ملوك الطوائف عاد بالخير في استمرار النهضة الأدبية والعلمية ، وتشجيع الأدباء والعلماء .

(4) عهد المرابطين والموحدين : ( 484 / 620 هـ ) المرابطون هم قبائل صنهاجة التي فتحت المغرب واحتازته إلى بلاد الأندلس فاستولت عليها والموحدون هم سلالة ملوك من البربر في المغرب غلبو المرابطين على أمرهم في كل من المغرب والأندلس ، واستولوا على الملك . وفي عهد المرابطين والموحدين تم القضاء على ما كان يسود الأندلس من فوضى واضطراب ، كما أبعد مؤقتا خطراً الإسبان الذي كان لا يفتاح يهدد البلاد . أما اللغة العربية فقد عاشت في هذا العهد غريبة حُكْمَى لا تجد لها نصيراً ولا تعرف لها سبيلاً .

(5) عهد بنى الأحمر : ( 629 / 898 هـ ) وبنو الأحمر سلالة إسلامية ملكت غرناطة وجنوب إسبانيا وفي عهدهم انتعشت اللغة العربية ، واستعادت بعض مكانتها ، ولكن بفرار آخر ملوكهم ( أبي عبد الله محمد بن علي ) من غرناطة انتهى عهد العرب والعربية بالأندلس التي سقطت في يد ( فردان الخامس ) و ( إيزابلا ) الكاثوليكيتين ، وأصبحت البلاد إسبانية .

### الطبيعة الاندلسية

بلاد الأندلس بلاد تربتها خصبة ، وارضها مُزَهرة ، وأشجارها مثمرة ، وبها أنهار جارية ، وسفوح جبالها تغص بالزرع والشمار ، وسهولها خضراء ، وقصورها بيضاء ، وحدائقها غناء ، الجو فيها جميل ، والخير فيها وفير . فلا عجب أن تكون بعد الفتح العربي مليمة الشعراً ، وابكرة البلابل الصداحة من المغنيين والمغنيات ، وأن يُنعم أهلها برفاقيه العيش ، وطيب الحياة .

لما وجد العرب بعد الفتح ما في بلاد الاندلس من جمال ، وما تفيف به من خيرات هرعوا الى تلك البلاد ، وامتزجوا بالاسبان ، وتأثروا ببعض عادتهم وطرق معيشتهم ، ونظام حياتهم ، كما تأثر اهل البلاد بالعرب الواقفين حيث وجدوا فيهم عدلاً ورحمة ، ولمسوا منهم كل الشمائل النبيلة الإسلامية الجميلة ، وكان من خير ما اعجب الاسпан ان العرب الفاتحين لم يترفعوا عليهم ، ولم يتعصبو لجنسهم ، وانما مدوا للقوط اسباب الاتصال ، ومهدوا الاندماج ، وحرروا اقنان الارض من العبيد الذين دخلوا في الإسلام ، من العبودية . فكان من نتيجة ذلك كله ان تلاقى الطرفان على صداقة ثم على زواج ومصاهرة ، ونشأ جيل عربي جديد يجمع بين صفات العرب وصفات الاوربيين ، وان كان يتميز بنوع خاص في التفكير والخيال . وهكذا تكون الشعب الاندلسي الجديد من العرب الفاتحين ومن القبائل المختلفة من سكان البلاد الأصليين. غير أن حقائق التاريخ تشير الى ان العرب في الاندلس ظلوا يتطلعون الى الشرق يسرون على نوره ، ويقلدون حكامه العباسيين ، . وينافسون في كثير من المجالات حتى لقد سَمُّوا خلفاءهم وشعراءهم ومدنهم باسماء خلفاء الشرق وشعرائه ومدنه .

وفي هذا المجتمع العربي الاندلسي الجديد شاع الترف واللهو ، وانتشرت مجالس الفناء التي اقبل عليها الناس اقبالاً عظيماً . وبحكم الموقع الجغرافي لبلاد الاندلس الذي جعل منها صلة بين الشرق والغرب نهضت فيها التجارات ، وانتشرت في ارجاء البلاد معامل الزجاج والورق والحاياكة والصباغة كما شُيِّدَتْ في انهائها المدن العاشرة والقصور الفخمة ، والمساجد الرائعة ، والحمامات والبرك والجسور ، وغير ذلك مما لا تزال آثاره حتى اليوم شاهداً على ما بلغه اولئك القوم في مضمون الفن وما وصلوا اليه من رقي وحضارة مما كان الها ما للشعراء يُطْعِقُهُمْ بمحاسنه ، ويُوحِي إليهم التفني بآيات فنه ، وروعة الإبداع فيه .

## الحياة العقلية والفكرية :

حظيَتِ الاندلس خلال الحكم العربي بحركة فكرية وثقافية راقية بعيدة الاثر ، فقد اقتبس الاندلس كثيراً من الثقافة والتواهي الفكرية من العرب في المشرق واهتم الأمراء بارسال البعثات الى الشرق لجلب النافع من الكتب ، حتى لقد اجتمع في الخزانة الملكية بقرطبة وحدها نحو اربعين ألف مجلد ، كما كانت البلاد تزخر بمعاهد العلم ومجالس العلماء ، ومرافق الإشعاع العقلي في قرطبة وأشبيلية فانتشرت الثقافة والمعرفة ، كما وفرت الطلاب من اواسط أوروبا على قرطبة يلتقطون فيها الحكمة والعلم حتى غدت بلاد الاندلس جسراً يعبر عليه الفكر العربي والثقافة الإسلامية الى بلاد أوروبا . وقد أنجبت الاندلس كثيراً من عظماء المفكرين ، من امثال ابن رشد ، وأبن حزم ، ومحى الدين بن عربي ، وغيرهم .

على أن هذه النهضة الثقافية العلمية كانت توأكها نهضة أدبية تقوم على الفطرة العربية الصافية والخيال الخصيّب ، وعلى المشاهد الجميلة والمرئيات الرائعة الموحية ، وعلى تشجيع الملوك والأمراء وعنتفهم بالشعر ، وإجازال العطایا لرجاله ، وبخاصة زمن خلفاء بنى أمية .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا : انه الى جانب قصور الاندلس التي كانت تكتظ بالشعراء والعلماء كانت تقوم قصور الفنانة ومجالس اللهو ، وكان لذلك اثره الفعال في تطور شكل القصيدة العربية ، وظهورها في صورة جديدة عُرِفتْ في تاريخ الأدب باسم الموشح .

وإذا كان الأدب الاندلسي يَدينُ في نشاته وتكونته لادب المشرق فهو حاصلاً وتقليداً ومعيناً ومضموناً فإنَّ من الحق والإنصاف أن نقول: إن الأدب الاندلسي فيما بعد امتزج الى حد كبير بطبيعة البلاد وحياة أهلها ، وأصبح ذا مَيِّزَاتِهِ خاصة جعلته ادبًا مستقلاً يُمَتَّزُ عن بيئته ، ويتَّبرَزُ خصائص زمانه ومكانه . وستتضح لك ملامح هذا الأدب ومَيِّزَاتهِ فيما سنعرضه عليك من نماذج شعره ونشره .

## **الباب الخامس**

---

**نصوص من الأدب الأندلسي**

---

**أولاً : الشعر - ثانياً : النثر**



خرائط الأنجلو

## أسطول المعرز

ابن هانئ

15

تعريف وتمهيد :

الشاعر هو « ابو القاسم محمد بن هانئ الازدي الاندلسي » ( 326 - 363 هـ ) ، ولد في مدينة إشبيلية سنة 326 هـ ، ونشأ بها في عصر كانت تزخر فيه بالثقافة والحضارة ، فتثقف وتتعلم ، وحاكي والده في نظم الشعر حتى نبغ فيه ، واتصل بحاكم إشبيلية ، ومدحه ، فنان عنده الحظوظة إلا انه انهم بالزندة والاستهتار بالعقائد الدينية ، والأخذ بمذاهب الفلسفة ، ولما نقم عليه أهل إشبيلية اوعز اليه الحاكم بترك المدينة الى حين ، فخرج الى المغرب ، واتصل بجوهر الصقلي ، ومدحه ، وساعدته الحظ على الاتصال بالمعز لدين الله الفاطمي الذي اصطفاه وقربه ، وجعله شاعره ، ولما فتح جوهر مصر انتقل اليها الخليفة المعز ، وبعد مدة لحق به الشاعر ، ولكنه مات في الطريق سنة 363 هـ . ولما بلغ المعز خبر وفاته اسف عليه وحزن ، وقال : « هذا الرجل كنا نرجو ان نفاخر به شعراً المشرق فلم يقدر لنا ذلك ». ومن آثار ابن هانئ الادبية ديوان شعر اكثر قصائده في المدح ، وفيه هجاء ووصف ورثاء .

والقصيدة الآتية قالها ابن هانئ مدح فيها المعز لدين الله الفاطمي ، ويصف اسطوله الذي كان في ذلك العهد أقوى أسطول في البحر المتوسط ، والذي انتصر على الروم في معارك كثيرة .

النص :

( ١ )

**لَكَ الْبَرُّ وَالْبَخْرُ الْعَظِيمُ عَابَةٌ فَيَئِنِ أَغْمَارًا تُخَاصُّ وَيَدُ  
أَمَا وَالْجَوَارِيِّ الْمُنْشَاتِ التِي سَرَّتْ لَقَدْ ظَاهِرَتْ هَمَاءُدَّةٌ وَعَدِيدٌ**

العليم عاباه : ذو الوج العظيم التلامم . سيان : مثلاً ، والمفرد سـ . اغمار : جمع غير اي كثير . تخاصي : تشق . بيـد : جمع بيـداء وهي الصحراء . الجواري : جمع جارية ، وهي السفينة . المشـات : التي رفعت قلومها . ظاهرتها : ساعدتها . عـدة : ما أعد لجلب النـصر . الصـيد : الكـثير . والمقصود كـثرة الجنـد .

رِقَابٌ كَمَا تُزْجِي الْقِبَابُ عَلَى الْمَهَا  
وَاللهِ مِمَّا لَا يَرَوْنَ ، كَتَابٌ  
أَطَاعَ لَهَا أَنَّ الْمَلَائِكَ خَلْفَهَا  
وَأَنَّ الرِّيَاحَ الْعَارِيَاتِ كَتَابٌ

ولَكُنَّ مَنْ ضَمَّتْ عَلَيْهِ أَسْوَدٌ  
مَسَوَّمَةً تَخْدُو بِهَا وَجْنُودٌ  
كَمَا وَقَتَتْ خَلْفَ الصَّفَوفِ رَدُودٌ  
وَأَنَّ النَّجُومَ الطَّالِعَاتِ سَعُودٌ

( ب )

تَشَرَّ أَعْلَامُ لَهَا وَبَسُودٌ  
لَهُ بَارِقَاتُ جَمَّةٌ وَرَعُودٌ  
لِعْزِيمَكَ بَاسٌ أَوْ لِكَفِيكَ جَسُودٌ  
يَنَاءٌ عَلَى غَيْرِ الْعَرَاءِ مَشِيدٌ  
وَمَا رَأَعَ مَلْكَ الرُّومِ إِلَّا اطْلَاعُهَا  
عَلَيْهَا غَمَامٌ مَكْفُورٌ صَيْرَهُ  
مَوَاحِرٌ فِي طَاهِي الْعَمَابِ كَأَنَّهَا  
أَنَافَتْ بِهَا أَغْلَامَهَا وَسَمَالَهَا

( ح )

فِيهَا قِنَانٌ شَمْخٌ وَرِبُودٌ  
فَلِيسَ لَهَا إِلَّا النُّفُوسَ مَصِيدٌ  
مِنَ الرَّاسِيَاتِ الشَّمَّ لَوْلَا اتَّقَالَهَا  
مِنَ الطَّئِيرِ إِلَّا أَنَّهُنَّ جَوَارِحٌ

**فيَبَاب :** جمع قبة وهي ما كان ينصب للنساء فوق الجمال عند نقلهن والمقصود هنا السفن . **تَرْجِي :** تساق . **الْمَهَا :** بقر الوحش ، مفرده مهَا ، والمقصود هنا النساء الجميلات . **كَتَاب :** جمع كتبة وهي الفرقة من الجيش . **مَسَوَّمَة :** مملمة . **تَحْدُو بِهَا :** تقني لها ، تدفعها . **أَطَاعَ لَهَا :** طوع لها النصر واتاحه لها . **رَدُودٌ :** جمع رد وهو ما يرد به الخطير . **الْلَادِيَات :** المثيرات الفبار ونحوه . **سَعُودٌ :** فيها السعادة ، اي أنها دلائل الخير والنصر . **رَاعٌ :** أخاف وافزع . **اطْلَاعُهَا :** ظهورها . **الْبَنُود :** جمع بند وهو اللم الكبير . **فَهَامٌ مَكْفُورٌ صَيْرَهُ :** المقصود من القمام الدخان ، والكافر الاسود من السحب ، والصביר السحاب الابيض المجتمع ، والمقصود دخان المذوقفات النارية . **بَارِقَاتُ :** لامات . **جَمَّةٌ :** كثيرة . **مَاوَاحٌ :** سفن تقطع البحر ، مفرده ماخرة . **طَاهِي :** طامي العباب : البحر الكثير الماء والوج بais : شدة وقوه . **أَنَافَتْ :** علت وارتفعت . **مَشِيدٌ :** مقام وبنى . **الرَّاسِيَاتِ الشَّمَّ :** الجبال العالية . **قِنَانٌ :** جمع قنة وهي أعلى الجبل ، شمْخٌ : جمع شامخة اي عالية . **وَبِيُودٌ :** جمع رد وهو القطعة البارزة في عرض الجبل . **جَوَارِحٌ :** الجوارح من الطير ما يعيش على الصيد واكل اللحوم .

فَلَيْسَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُمُودٌ  
 كَمَا شَبَّ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ وَقُوْدٌ  
 دِمَاءٌ تَلْقَتْهَا مَلَائِكَةُ سُودٍ

من القادحاتِ النَّارَ تُضْرِمُ لِلصَّلَى  
 إِذَا زَفَرَتْ غَيْظًا تَرَأَتْ يَمَارِجَ  
 لَهَا شَعْلٌ فَوْقَ الْغِمَارِ كَأَنَّهَا

( ٤ )

تَضَنَّ بِهِ الْأَنْوَاءُ وَهِيَ خُمُودٌ  
 فَأَنْتَ لَهُ دُونَ الْأَنْسَامِ عَقِيدٌ

أَلَا فِي سَيْلِ اللَّهِ تَبْذُلُ كُلَّ مَا  
 فَلَا غَرَوْ أَنْ أَعْزَزَتْ دِينَ مُحَمَّدٍ

### ايضاح وتحليل :

في أبيات المجموعة ( ١ ) يخاطب الشاعر الخليفة المعز ، ويمدحه بالقوة والسيطرة على البر والبحر ، وأنه بهذه القوة قد أصبح في حصن الأمان لا يبالي قطع البحار او طي القفار ، ثم يتوجه الشاعر الى إظهار قوة المعر البحريية منها الى ذلك بكلمة « أما » ومقسما بالسفن العظيمة السريعة على أن هذه السفن قد اعدها المعز ، وأمدتها بما يحتاج اليه النصر من أدوات وسلاح وجند ، ثم إن سفن هذا الأسطول مرتفات كأنها القباب ، وحين تُساق تبدو كهواجر النساء المرتحلات التي تُساق الى مقاصدهن ، غير أن هذه القباب تحتها رجال كالأسود الفيضان ، وقد أمد الله هذا الأسطول بالتاييد والقوة ، وارسل لهذه السفن من ملائكته جنداً مدرّبين بعضهم يرمون بيد الله فيحققون النصر المبين ، وبعضهم يقفون وراء جند المعز يحملون ظهورهم كالجحشن المني ، وجعل الريح كذلك تساعد الأسطول على النصر ، وتكون في خدمته كأنها كتائب تمده بالعون ، والنجوم تطلع وتلمع بدلائل إسعاده ونصره .

القادحات : الشعلات . . تضرم : توقد . الصلى : مقاساة حر النار ، الاحراق . خمود : انطفاء . زفرت : اخرجت نفسا طويلا حارا . تراحت : رمت وطرحت . المارج : الشعلة من النار ذات اللهب الشديد . شب : اشعل . الغمار : المياه الكثيرة ملائكة : جمع ملحة وهي ما تلتحف به المرأة من ملادة ونحوها . تضن : تخيل . الاتواد : جمع نوء وهو المطر . لا غزو : لا مجب . اعززت دين محمد : ناصرت الاسلام وجعلته عزيزا مكرما . هقيـد : معاهـدـ نـفـسـكـ عـلـىـ نـصـرـتـهـ .

وفي أبيات المجموعة (ب) تتحدث الشاعر عن فَزَعِ الروم فيقول : إن ملك الروم قد استولى عليه الْهَلَعَ حين رأى السفن الضخمة ترفرف على الأعلام ، ومن فوق تلك السفن تتعقد سُحبَةٌ من دخان كثيفٍ ، تَكْتُبُهَا وتحلّلها قد ائنَّ يأخذ بِرْزَقَهَا بالابصار ، وَبَيْلَدُ دَوِيهَا أَمْنَ القلوبِ . إنها سفن تشق البحر العظيم في قوةٍ كانها عَزْمُ المعز وقوته ، وفي سرعة تدققٍ كانها كَرْمُهُ وَسَخَاءُ بَدْرِهِ . لقد ارتفعت الأعلام مُرَفِّفةٌ فوق تلك السفن التي أَحْكَمَ تَشْيِيدُهَا ، وأَتَقَنَّ صَنْعَهَا ، وعلا بناوتها فوق الماء الجاري لا فوق الفراء الياسِ .

وفي أبيات المجموعة (ح) يصف الشاعر هذه السفن مشيراً إلى أنها تشبه الجبال الشامخة إلا أنها تتحرك على سطح الماء ، وتحول من مكان إلى آخر وأنها في سرعتها تشبه الطيور الجارحة غير أنها تميّز بأنَّ صَيْدَهَا لا يكون إلا أَنْفُسُ الأَعْدَاءِ ، حيث تَقْذِفُهُمْ بِنَيْرَانٍ كثيفٍ شديدةٍ ، أَغْرَمَتْ لِحرافِهم فَهُمْ لَا تَخْمَدُ حِينَ يلتقي الجمعان أو تهدا ، بل تظلّ بهمِها الرهيب مُزْمَحَةً تَمْيِيزَ غَيْظَهُ ، وهي تَصْلِيَ العدو بِلَظَاهَا الْمُسْتَهْرِ ، وتتلاحق شَعْلَاهَا مارقةً فوق الماء ، وحوّلها دُخَانٌ كثيفٌ ، فتبعدُ وهي تَسَاقِطُ على الأَعْدَاءِ كَدَمَاءٍ مَلْتَحِقَةٌ بِالسَّوَادِ !

وفي المجموعة (د) يقول الشاعر : إن تلك القوة الرهيبة التي أحسنت إعدادها ، وبذلت في سبيل ذلك ما لا تجود بمثله الأمطار ، ليست للأعداء أو الطفيان ، وإنما هي مُعَدَّةٌ لِتُرْهِبُ بها عَدُوَّ الله وعدُوَّكم ، فلا عجب أن انتصر في عهده الإسلام ، واعتبر بك المسلمين ، فكانوا بقيادتك حماة للحق والعدل ، ومن هنا كان النصر حليفك ، لأنك – دون غيرك من الناس – قد صنعت العزم ، وعاهدت الله على أن تجاهد في سبيل نصرة الحق ، وإعلاء كلمة الإسلام ، وإعزاز دين محمد – عليه السلام .

## دراسة أدبية :

في هذا النص يمدح الشاعر الخليفة الفاطمي بسعة الملك ، وشدة الباس ويتحذّل من وصف اسطوله سبيلاً إلى مدحه ، فيربط بذلك بين بعثه الاسطول بالأعداء ، وبين سخاء المعز وبأسه الشديد ، وقد أبدع الشاعر في تصوير هذا الاسطول الذي قهر الرومان ، وأوقع بهم أكبر البزائم ، في معركة تاريخية ، دارت رحاها فوق مياه البحر المتوسط ، فقد وصف سفنه بعدة صور حية تُبَرِّزُ لنا بعثَّتها بالأعداء ، فهي شامخة كالجبال ، مجهزة

بافتك الدخائر واقوى المعدات وبها جنود بواسل كالأسود . وحينما يصور الشاعر حركة السفن وسرعة اقتصاصها على الاعداء بجوارح الطير ، يوحى اليك برهبتهم وفزعهم ، وبأنها لا بد قاضية عليهم ، بما تصليهم من نار ، وبما ترميمهم من لهب ، وبذلك تم للعمز الانتصار ، لدين الله ، ورفع لواء الإسلام عاليا خفاقا .

وأفكars النص في مجموعها مرتبة متدرجة ، غير أنك تلاحظ عودة الشاعر الى المدح الذي استهل به القصيدة ، ليذكر المدوح بسخانه وعطائه ، فتدرك أن الشاعر يرمي من وراء مدحه الى التكسب ، ولكنه يعرض أفكاره في قالب مشع ، وصور موحية ، فيجعلك تلمس براعته في دقة التصوير ، وجذب الخيال ، وتحس عاطفة إعجاب الشاعر بمدوحه سارية فيما ساقه اليها من صور توحى بأجواء تلك الموقعة العربية التي ارهبت قيسر الروم ودارت عليه وجنوده دائتها .

والنص على هذه الصورة ينبي عن مدى ارتباط الأدباء والشعراء بحياة مجتمعهم ، ومدى تفاعلهم مع أحداث عصرهم ، وتسجيلهم لتاريخ امتهن ، كما يطلعنا على ما امتاز به الاندلسيون من اهتمام كبير بالوصف ، وإجاده للتصوير ، واستقصاء لكل جوانب الموصوف .

### دراسة بلاغية :

لما كان موضوع النص وهدفه الواضح فيه هو وصف الاسطول غالب في الآيات استعمال الأسلوب الخبري الذي يتلاءم وعرض الوصف . ولقد استعان الشاعر على توضيح أفكاره وإبراز عواطفه بإبراز صور خيالية رائعة كالتشبیه في قوله : قباب كما ترجى القباب على المها - الرياح الذاريات كتاب - كأنها لعزمك بآس أو لكفت جود - من الراسيات الشم - الى غير ذلك . وهناك تشبیه لم يوفق فيه الشاعر لضعف وجه الشبه في المشبه به عنه في المشبه ، وذلك في تشبیه شعل النار المتأيرة على الماء بدماء على ملأ حف سود . ومن الوان البيان أيضا الاستعارة التصريحية في قوله : ترجى القباب على المها ، والاستعارة المكنية في : ذفرت غيطا التي تعبّر عن مدى حقد السفن على العدو ، والقوة في توجيه الضربات اليه .

وفي الآيات من البديع : الطلاق بين كثير من كلمات القصيدة مثل : البر ، البحر - أغماده ، بيد - المها ، أسود - آس ، جود . والجنس الناقص بين : عدة ، عديد .

وقد وفق الشاعر في اختيار الالفاظ المناسبة لفكاره والترجمة عن عواطفه ، والمعبرة في دقة عن قصده كاستعماله في المدح كلمات : لك البر والبحر ، بأس ، جود ، تبذل ، اعززت . واستعماله في وصف سفن الاسطول كلمات : المنشآت ، قباب ، عليها غمام ، بارقات ، رعد ، الراسيات الشم ، الطير الجوارح ، القاوهات النار ، زفرت غيطاً ترامت بمارج .

وإذا كانت تبدو في النص بعض المبالغة فذلك أمر مقبول في هذا الفرض الذي يحتاج إلى التفحيم ، ويقوم على المبالغة والتعظيم .

وقد استخدم الشاعر أسلوب القصر في قوله : لك البر والبحر ، بتقديم ما حقه التأثير ، وقوله : ما راع ملك الروم إلا اطلاعها ، باستعمال النفي والاستثناء ، وكان قصد الشاعر من استخدام اساليب القصر الدلالة على الاختصاص وقوية وتأكيد المعنى المراد .

### مجمل القول

الشاعر ابن هانئ الاندلسي من أكثروا من وصف الجيوش والمعارك وجاء «شعره» فيها جَزاً قوياً . وهو في قصيده هذه يمدح الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ، ويصف اسطوله البحري الهائل ، وقد عرض ذلك في الفkar جزئية جاءت على الترتيب التالي :

- 1 - مدح الخليفة ،
- 2 - إشادة بالاسطول ،
- 3 - فزع الروم ،
- 4 - وصف السفن ،
- 5 - مدح وتمجيد .

وهو ترتيب محكمٌ ودقيق تبدو من خلاله عاطفة الشاعر ، وإعزازه لل الخليفة ، وإعجابه بقوة الاسطول الهائل .

وقد عرض الشاعر ذلك في أسلوب غَلَبَ عليه النوع الخبري مستعيناً بعديد من الصور الرائعة المتنوعة إلا أنه جانبه التوفيق في تلك الصورة التي عقدتها بين شعل النار المتناثرة على الماء وبين الدماء المتناثرة على الملحف السوداء . وقد استعمل الشاعر انساب الالفاظ والتعابير للمضمنون دقة وفخامة ، ومتانة وجزالة ، كما استعان باسلوب القصر في بعض تعبيراته ليؤكّد مضمونها وينقوي معناها . والقصيدة من البحر الطويل ، وتفعيلاته .

فمولن مفاعيلن فولن مفاعيلن فولن مفاعيلن

## المناقشة :

- 1 - في أي غرض قيلت هذه القصيدة ؟
- 2 - ماذا تضمنت أبيات المجموعة (١) ؟
- 3 - ما قيمة التعبير بكلمة « أما » في مقدار البيت الثاني ؟ وعلام يدلّ  
القسم بسفن الاسطول ؟
- 4 - كيف صور الشاعر سفن اسطول المعز ؟ ولم استدرك في الشطر الثاني  
من البيت الثالث ؟
- 5 - ذكر الشاعر ان هذه السفن تهبات لها كل عوامل النصر ، اشرح  
ذلك وحدد من النص الآبيات التي تضمنته .
- 6 - من فزع ملك الروم ؟ وما امارات قوة الاسطول التي تضمنتها أبيات  
المجموعة (٢) ؟
- 7 - اشرح بأسلوبك صورة السفن التي عبر عنها البيت الثامن ، ثم  
استغل مهاراتك اليدوية وذوقك الفني في رسم لوحة لها .
- 8 - كانت السفن محكمة الصنع ، وفيرة العدد ، شديدة القوة . اذكر ما  
عبر به الشاعر عن كل من هذه المعاني .
- 9 - ما المضمون العام ل أبيات المجموعة (٣) ؟
- 10 - بم وصف الشاعر سفن الاسطول في كل بيت من أبيات هذه المجموعة ؟
- 11 - بم مدح الشاعر الخليفة المعز في المجموعة (٤) ؟ وما رأيك في المبالغة  
التي تضمنها البيت السادس عشر ؟
- 12 - تبدو في أبيات النص روح دينية ، وتأثير بالقرآن الكريم ، اين تجد  
ذلك ؟ وما الانفاظ القرآنية التي استعملها الشاعر ؟ وما المعانى  
الدينية التي تأثر بها ؟
- 13 - في البيت السادس تشبيه - اشرحه ، ووضع قيمته في المعنى .

- 14 - « ما راع ملك الروم الا اطلاعها » ما القيمة التي تعود على المعنى من استعمال هذا التركيب بهذا الترتيب ؟
- 15 - « زفت غيظاً » اشرح هذه الصورة البلاغية ، وبين اثر التصوير في المعنى .
- 16 - كيف ترى عاطفة الشاعر من خلال هذا النص ؟ وما مدى ملاءته بين المعاني والالفاظ ؟
- 17 - ما الذي يوحى به هذا النص من حياة المسلمين في عصره ؟
- 18 - يكشف هذا النص عن بعض الخصائص الفنية للشاعر - وضع ذلك مستشهاداً .
- 19 - ضع للنص عنواناً مناسباً ، وحدد في إيجاز فكرته العامة .

### **تدريب تطبيقي**

#### **المقالة الأدبية :**

— اللغة العربية قادرة على التعبير عن مستحدثات كل عصر ، اذا ادرك المنتسبون اليها أهمية الدور الحضاري الذي يمكنها القيام به - اكتب موضوعاً حول ذلك .

#### **السؤال الكتابي :**

— قال الشاعر :

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبْلُلُ كُلَّ مَا تَهِنُّ بِهِ الْأَتْوَاهُ وَهِيَ خُمُودٌ  
فَلَا غَرُوْ أَنْ أَغْزَى نَّذِيْنَ مُحَمَّدٍ فَانَّ لَهُ دُونَ الْأَنَامِ عَقِيدٌ

- ا) انشر هذين البيتين بأسلوبك .
- ب) استخرج منها لنا بياناً وآخر بديعياً ، وبين اثرهما .
- جـ) علام يدل تعبير الشاعر : انت له دون الانام عقيد ؟
- دـ) ما الجانب الهام الذي عنى الشاعر ببرازله في البيتين ؟

## أ - المدح والوصف

وجه المعز قائد جوهرا لفتح مصر ، فقال ابن هانى يمدحه ، ويدرك  
توديعه عند خروجه من القيروان ويصف الجيش ، وخروجه للتشبيع :

وَقَدْ رَاعَنِي يَوْمٌ مِنْ الْحَسْرِ أَرَوْعَ  
فَعَادَ غَرْبُ الشَّمْسِ مِنْ حَيْثُ تَلْطُعُ  
وَلَمْ أَدْرِ إِذْ شَيَّعْتُ كَيْفَ أَوْدَعَ  
وَإِنِّي بِمَنْ قَادَ الْجَيْشَ لَمُولَعٍ  
تَحْبُّ الْمَطَايَا فِيهِ عَشْرًا وَتَوْضِعُ  
وَتَسْجُدُ مِنْ أَذْنَى الْحَفِيفِ وَتَرْكُعُ  
وَكُلَّ لَهُ مِنْ قَائِمِ السَّيفِ أَطْوَعُ  
وَيَقْدِمُهُ رَأْيُ الْخِلَافَةِ أَجْمَعُ  
كَسَاهُ الرِّضا مِنْهُنَّ مَا لَيْسَ يَخْلُمُ  
يَقَادُ عَلَيْهِنَّ التَّضَارُّ الْمُرَصَّعُ  
وَحَجَابَهُ تَدْعَى لِأَمْرِ فَتُسْرِعُ  
وَأَعْنَاقُهُمْ مِيلٌ إِلَى الْأَرْضِ خَصَّعُ  
وَجَمَّ الْعَطَّاِيَا ، وَالرِّوَاقُ الْمُرْفَعُ  
فَلَا سَيِّدٌ مِنْهُ أَعْزَّ وَأَمْنَعُ

رَأَيْتُ بِعَيْنِي فَوْقَ مَا كَنْتُ أَشْمَعُ  
غَدَاءَ كَانَ الْأَفْقَ سَدَّ بِمِثْلِهِ  
فَلَمْ أَدْرِ إِذْ سَلَّمْتُ كَيْفَ أَشَّتِعُ  
وَكَيْفَ أَخْوُضُ الْجَيْشَ ، وَالْجَيْشُ جَلَّهُ  
فَلَا عَسْكَرٌ مِنْ قَبْلِ عَسْكَرِ جَوْهَرٍ  
تَسِيرُ الْجَيْلُ الْجَامِدَاتُ لِتَسِيرِهِ  
لَقَدْ جَلَّ مَنْ يَقْتَادُ ذَا الْخَلْقَ كُلَّهُ  
تَحْفَ بِهِ الْقَوَادُ ، وَالْأَمْرَ أُمْرَهُ  
بُرُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَرُودَهُ  
وَبَيْنَ يَدَيْهِ خَيْلَهُ بِسَرْوِجِهِ  
وَأَعْلَامَهُ مَنْشُورَةً ، وَقِبَابَهُ  
مَلِيكٌ تَرِي الْأَفْلَاكَ دُونَ سَاطِلِهِ  
تَحْلَلَ يَسُوتُ الْمَالِ حَيْثُ مَحَلَّهُ  
وَتَعْنُو لِهِ السَّادَاتُ مِنْ كُلِّ مَعْشِرٍ

---

دافتني : افرعنى . اروع : اعظم ، واسد هولا . - اشبع : اودع . - لجة : بحر ، اي  
مثل البحر في عظمته ، وكثرة عدده . - قطب : سير الغرب ، وهو نوع من السير الرابع  
وكذلك توسيع اي تسرع . المطاييا : دواب السفر . عشرها : اي عشر ليال . -  
التضار : الدعم الخالص . - ميل : جمعAMIL بمعنى مائل .

## ب - الرثاء والحكمة

قال يرثي ولدا صغيرا لإبراهيم بن جعفر بن علي أحد مددوحيه :

رَبَّمَا جَادَ بِخِيلٍ فَحَسَدْ  
يَسِدِ شَيْئًا لَقَاءَ يَسِدْ  
تُعَرِّفُ الْأَيْسَاءَ مِنْهُ وَالنَّكَدْ  
وَإِذَا مَا طَيَّبَ السَّرَّازَادَ تَفِيدْ  
وَلَقَدْ نَبَّهَ مَنْ كَانَ رَقَدْ  
إِنَّ خَصْمِي فِي حِيَاتِي لَأَلَدْ  
عَرَبَّ نَوَّرَ لَا نُعْطِي فَوَدْ؟  
غَلَبَ النَّوْرُ عَلَيْهِ فَاتَّقَدْ!  
لِيسَ فِي أَبْنَائِهِمْ مَنْ لَمْ يَسُدْ  
وَرَأَى مَوْضِعَ حِقدِ فَحَقَدْ  
فَسَوَى الْفَدَرَ لَهُ يَوْمٌ وُلِدْ  
قَوْلِ مَنْ قَالَ : إِلَى اللَّهِ الْمَرَدْ  
غَيْرَ أَنَّ الْحَرَثَ أَوْلَى بِالْجَهَدْ  
دَامَتِ النَّعْمَاءُ وَالْعِيشُ الرَّغَدْ  
حَازِمٌ يَأْخُذُ مِنْ يَوْمٍ لَفَدْ

وَهَبَ الدَّهْرَ تَقِيسًا فَاسْتَرَدْ  
إِنَّمَا أَغْطَى فَوَاقِي نَاقَةَ  
خَابَ مَنْ يَرْجُو زَمَانًا دَائِمًا  
فَإِذَا مَا كَشَرَ الْعَيْشَ نَمَّا  
فَلَقِدْ أَذْكَرَ مَنْ كَانَ سَهَّا  
قَلْ لَمَنْ قَالَ يَقُلْ مَا شَاءَهُ  
أَوْ مَا يَعْجَبُ مِنَّا أَتَّا  
مَاتَ مَنْ لَوْ عَاشَ فِي يَزِبَالِهِ  
سَيِّدُّ قَوِيلَ فِيمِ مَفَسَرِهِ  
نَافَسَ الدَّهْرَ عَلَيْهِمْ يَعْرِيَا  
هَابَ أَنْ يَبْخَرِيَ عَلَيْهِ حَكْمَهِ  
يَا أَبَا أَحْمَدَ ، وَالْحِكْمَةُ فِي  
لَا مَلُومُ أَنَّتَ فِي بَعْضِ الْأَسَى  
وَالْمَبْنَى أَنَّتَ إِذَا دُمْتَ لَهَا  
وَهِيَ الْأَيْتَامُ لَا يَأْتِنَمَا

**فوالي ناقه :** الفواد مقدار ما بين الحلبتين ، وذلك ان تحطب الناقه ثم ترك سوبعة يرضها الفضيل لندر ثم تحطب . وأراد الشاعر فصر المدة . - نور : نظم ، او يقتل لنا قبل ولا ندرك ثراه . - القود : الدبة ، او قتل القاتل . - يا ابا احمد : نداء لوالد الطفل الفقيد . - الجلد : الصبر .

## تعريف وتمهيد :

الشاعر هو «أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي» (394 - 462 هـ)، ينتهي لأسرة شريفة، وقد ولد بقرطبة سنة 394 هـ، ونشأ بين أسرته التي كانت تشتغل بالعلم نشأة علمية أدبية، فذاعت شهرته، وأوصله نبوغه إلى مرتبة الوزارة حيث قربه إليه «أبو العزم بن جهور» أحد ملوك الطوائف بالأندلس، واستوزره، فوزر له الشاعر، ولكن الوزير «ابن عبيوس» أوغر عليه صدر الملك فسجنه، وظل ابن زيدون يستعطف الملك ولكنه لم يظفر بعفوه، ففر من السجن، واختفى بقرطبة وعاش في حماية «الوليد بن جهور» فترة، غير أنه لم يأمن على نفسه، فلجأ إلى «المقصود بن عباد» صاحب إشبيلية الذي القى إليه مقاليد الوزارة، ولما صار الملك إلى ابنه «المعتمد بن عباد» وزر له أيضاً، وقضى في إشبيلية بقية عمره حتى مات بها سنة 462 هـ بعد حياة لقي فيها أمجاداً كما لقى أيضاً حساداً وأحقاداً . ولله ديوان شعر شرحه وحققه الاستاذان : كمال كيلاني ، وعبد الرحمن خليفة . ( وستانى ترجمة مفصلة لحياة ابن زيدون ) .

وقد وقع ابن زيدون في حب «ولادة بنت المستكفي» التي كانت على جانب كبير من الجمال والشهرة الأدبية ، والتي بادلت ابن زيدون الحب ، وقد جر عليه ذلك الحب متاعب وأهواه إذ دبر له منافسه مكايده أوصلته إلى السجن ، ولكنه بعد فراره من سجنه والتحاقه بإشبيلية عاوده الحنين لحبيته ، واستبدل به الوجع ، فبعث إليها بقصيدة غزلية رقيقة يعبر فيها عن عواطفه ويتنفسن بذكرياته ، ويؤكد لها بقاءه على المعهد ، ويطلب منها دوام الود . وهذا النص أبيات من تلك القصيدة :

النَّصْ :

(١)

أَضْحَى التَّنَاهِي بِدِيلًا مِنْ تَدَانِنَا  
وَنَابَ عَنْ طِيبٍ لُقِيَّا نَاجَفِينَا  
شَنُوقًا إِلَيْكُمْ ، وَلَا جَفَّتْ مَاقِنَا  
بِنَسْمٍ وَبِنَّا فَمَا ابْتَلَتْ جَوَانِحُنَا  
نَكَادَ حِينَ تُناجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا  
يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسْرَى لَوْلَا قَاتِلِنَا

(٢)

حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَامًا فَفَدَتْ  
سُودًا ، وَكَانَتْ بِكُمْ يِضْنًا لِيَأْلِيَنَا  
وَمَوْرَدَ اللَّهُو صَافِ مِنْ تَصَافِنَا  
قُطُوفُهَا فَجَنَّبَنَا مِنْهُ مَا شِينَا  
كَنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رَيَاحِينَا  
لِيَسْقَعَ عَهْدَكُمْ عَهْدَ السُّرُورِ فَمَا

(٣)

مَنْ مُبْلِيَنَ الْمُبْسِيَنَا بِاتِّزَاجِهِمْ  
حَزَنًا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَنْلَي وَيَبْلِيَنَا  
إِذَ الزَّمَانَ الَّذِي مازَالَ يَضْعِحُنَا  
أَنْسًا بِقَرْبِكُمْ قَدْ عَادَ يَعْكِيَنَا  
مَا حَقَّنَا أَنْ تُقْرُوا عَيْنَ دِي حَسْدٍ  
بِنَّا وَلَا أَنْ تَسْرُوا كَاشِحًا فِينَا  
غِيظَ الْعِيدَى مِنْ تَسَاقِنَا الْهَوَى فَدَعَوْنَا

بِأَنْ نَفَصَ ، فَقَالَ الدَّهْرُ : آمِنَا

الثَّنَاهِي : الابتعاد . تَدَانِنَا : تقاربنا . تَجَاهِفِنَا : انقطاع الوصال بيننا . بِنَنَا : بعدم وبعدنا . ابْتَلَتْ : شفت . جَوَانِحُنَا : الجوانح جمع جانحة وهي الفرع ، والمعنى هنا ما تفسه الفرع من القلب وألحانا . المَالِقِي : جمع موق وهو زاوية العين المجاورة للأنف . تُناجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا : تذكركم قلوبنا . الأَسْرَى : الحزن . النَّاسِيُّ : التبله والتصرير . حَالَتْ : تحولت . هَصَرَنَا : املأنا اليينا . دَانِيَةُ الطَّوْفَهَا : قربة نمارها . مَا شِينَا : ما شئنا . لِيَسْقَعَ عَهْدَكُمْ : دماء بالخزي لل أيام السابقة . الْمُبْسِيَنَا : اسم فاعل من البس اي الدين البسا . الانتراخ : الرحل والافتراق لا يلي : لا يفني . ان تقرروا حين ذي حسد : ان تسرعوا الحاسد . الكائِنُ : الذي يضرر المداواة . نَفَصَ : يفترض في حلقتنا شيء مما نتساقاه .

فَالْجَلَّ مَا كَانَ مَقْوِدًا بِأَقْسِنَا  
وَقَدْ نَكُونُ وَمَا يَخْشَى تَفَرَّقُنا  
فَالْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقِنَا

(٤)

رَأَيْتَ وَلَمْ تَقْلِدْ غَيْرَهُ دِينًا  
إِنْ طَالَّا عَيْنَ النَّاسِيَ الْمُجِيَّنَا  
مِنْكُمْ ، وَلَا انْصَرَفَ عَنْكُمْ أَمَانِنَا  
وَلَا اسْتَفَدْنَا حَبِيبًا عَنْكَ يَشْتَيْنَا  
لَمْ نَعْتَدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا السَّوْفَاءَ لَكُمْ  
لَا تَعْبُوا تَأْيِكُمْ عَنَّا يَغْيِرُنَا  
وَاللهِ مَا طَلَبْتُ أَهْوَأُنَا بَدْلًا  
فَمَا اسْتَعْضَنَا خَلِيلًا مِنْكَ تَحْجِسْنَا

(٥)

مَنْ كَانَ صِرَافَ الْهَوَى وَالْوُدُّ يَسْقِيَنَا  
مَنْ لَوْعَةَ الْبَعْثُو حَيَا كَانَ يَعْجِيَنَا  
يَا سَارِيَ الْبَرْقِ غَادِ الْقَصْرِ فَاسْتِيَ بِهِ  
وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِيقَ تَحِيَّتَا

### دراسة أدبية :

هذه القصيدة من روائع الشعر الاندلسي ، وهي في غرضها الأساسي تصور حب ابن زيدون لولادة ، وحرقة أسراه على بعادها . وقد عرض الشاعر ذلك في عدة أفكار جزئية جاءت على الترتيب التالي : الاسى لبعادها والحزن لفارقها ، ذكريات عهد الوصال ، مقارنة بين سعادة الماضي وتعاسة الحاضر ، تعاظء على المهد وتبانه على الحب ، الدعاء لها بالخير ، وإرسال التحية إليها . وقد جاء ترتيب الأفكار على هذا الوجه منطقياً متسللاً حيث يعرض الشاعر ماضي أيامها ، ثم ينتقل ليعرض تعاسة حاضره التي يتحملها في صبر ووفاء منه لمحبوبته . والمعانى سهلة واضحة ، لا غموض فيها ولا تعقيد ، ولكنها ليس فيها مستحدث ولا جديد .

ابت : انقطع . صرف الهوى : صافي الحب وحاله . الصبا : ربيع ثهب من جهة الشرق وطبة تعش النغوس .

اما عاطفة الشاعر فهي ذوب قلب ، وفيفض مشاعر ، وحرقة الالم ،  
ومراة حياة عاشها الشاعر في نفسه ، وفاقت على لسانه في تلك الأبيات  
الرائعة .

ومن جو القصيدة ، ومعرفتنا بحياة كل من ولادة ابن زيدون تلمع  
دلالتين :

اولاًهما : ان المرأة الاندلسية كانت مشاركة في الحياة الفكرية ، فولادة  
كانت لها مجالس مع الأدباء ، ومجادلة مع العلماء ، ومساجلة مع الشعراء ،  
وكانت دارها ناديا من أندية العلم والأدب في قرطبة .

ثانيتها : ان الخلفاء والملوك والامراء في الاندلس قلدوا حكام المغاربة  
ثم نافسونهم في العناية بالعلم والاهتمام بالأدب والشعر ، وتقريب رجالهم ،  
وإغداق العطايا عليهم ، فال الخليفة المستكفي جعل من داره ناديا للعلم والأدب ،  
وابن زيدون ما نال بعض الحظ ، وما وصل الى رتبة الوزارة إلا ل مكانته  
الأدبية التي قربته من الحكام .

واخيراً فانك تدرك من النص ان الشاعر لم يتبدل في غزله ، لانه لم يتوجه  
إلى وصف ظواهر الجمال الحسي ، والفتنة الجسمية ، وإنما كان في حديثه  
متخصصوناً مهدباً يعبر عن السعادة بلقاء المحبوبة ، وعما يتحمله من بعادها ،  
ثم يستحوذها للوصال ، ويحمل النسيم تحباته إليها ، إلى غير ذلك .

### دراسة بلاغية :

غلبت في النص الأساليب الخبرية لأن الشاعر في موقف يحدث فيه  
محبوبيته عن ذكريات سالفة ، ويصف لها ما يعاني من فراقها ولذا كان كثير  
من هذه الأخبار دالا على الحسرة والأسى ، وكان من الأساليب الإنسانية  
القليلة في النص الأمر الذي قصد منه الدعاء في : ليُشْقِعْ عَهْدُكُمْ ، والاستفهام  
الذي قصد منه التمني في : من مبلغ الملسينا بانتراهم حزنا .. ؟ والنهاي  
الذي قصد منه الالتماس في لا تحسبوا نأيكم عننا يغرننا ، والأمر الذي قصد  
منه التمني في كل من : غاد القصر ، بلغ تحيتنا . وجاء اسلوب القصر الذي  
يدل على الحصر والتخصيص في : ما كنتم لارواحنا إلا رياحينا ، لم نعتقد  
بعدكم إلا الوفاء لكم .

اما الخيال فقد ادى دوره كاملا في إبراز المعنى وإيصاله كما هو الحال  
دائما في الشعر ، وبخاصة في الشعر الاندلسي الذي يقوم فيه التصوير  
بدور واسع وجليل ، وكان من ذلك في النص التشبيه في : ما كنتم لارواحنا

إلا رياحيننا ، والاستعارة في : مَوْرِدُ الْهُوَ صَافٌ : من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم حزنا ، قال الدهر آمنينا ، من كان صِرْفُ الْهُوَ الْوَدِ يُسْقِنَا . والكتابية في : ما ابْتَلَتْ جوانحنا ، ولا جَقَّتْ مَاقِنَا ، أَنْ تُقْرِئُوا عَيْنَ ذِي حَسْدِ بَنَا . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصُورِ الْبَيَانِيَّةِ .

وأما عبارة النص فقد جاءت صافية رقيقة ، بعيدة عن الفراقة ، حافلة بالتطابقات التي توضح المقارنة بين حال الشاعر في الماضي والحاضر من مثل قوله : التَّنَائِي ، تَدَانِيَنَا ، طَبِيبُ لَقِيَانَا ، تَجَافِينَا ، الْأَسِي ، تَأْسِيَنَا ، سُودَا ، بِيَضَا ، يَضْحَكَنَا ، يَبْكِيَنَا . والمقابلة في : ما يَخْشِي تَفْرِقَنَا ، مَا يَرْجِي تَلَاقِنَا .

وقد أوحَتِ الْأَلْفَاظِ بِمَشَاغِرِ الْإِبْتِهَاجِ حِينَ عَبَرَ الشَّاعِرُ عَنْ عَهْدِ الْوَصَالِ مُسْتَعْمِلًا لِكَلْمَاتٍ : طَلْقٌ ، تَالَفَنَا ، الْهُوَ ، صَافٌ ، الْأَنْسُ ، عَهْدُ السَّرْوَرِ ، رِيَاحِينَا . وَأَوْضَحَتِ مَشَاغِرِ الْيَأسِ وَالْبُؤْسِ حِينَ عَبَرَ الشَّاعِرُ عَنْ عَهْدِ الْبَعَادِ ، وَشَمَائِلَ الْحَسَادِ مُسْتَعْمِلًا لِكَلْمَاتٍ : حَزَنَا ، يَبْكِيَنَا ، ذِي حَسْدٍ ، كَاشَحًا ، غَيْظُ الْمَدَا ، نَفْصُ ، انْهَلُ ، مَا يَرْجِي تَلَاقِنَا .

### — مجمل القول —

هذه قصيدة غزلية قالها ابن زيدون في ولادة بنت المستكفي ، وبعث بها من إشبيلية إليها في فرطبة حيث كانت تقيم ، يبتهل فيها لواقع الشوق ، وينذكِرُها بما فاضي وصالِهَا السعيد ، ويتنفس العرقه والوجد لبعادها ، ويؤكد وفاءه لها وإقامته على حبها ، ثم يدعُ بالخير لها ، ويرسل التحيَّة إليها . وقد وردت هذه الأفكار في النص مرتبة واضحة ، وإن كانت كلها مالولة معروفة قد في الشاعر من تقدمه . وكانت عاطفة الشاعر صادقة في التعبير عن أحاسيس الألم ، وحرارة الشوق للقاء ، وتمنى ساعة الوصال . وقد تمكن الشاعر من إبراز معانيه ، والتعبير عن انفعالاته بإبرادها في عدة صور جاءت محكمة التاليف ، وافية الدلالة على المقصود منها ، كما جاء أسلوب الشاعر صافياً رقيقة ، والفاظه عذبة سهلة تلائم الموضوع ، وتناسب الحالة النفسية لدى ابن زيدون ، وقد كثرت في النص عبارات المطابقة لحاجة الشاعر إليها في الموازنة بين ماضيه السعيد بالوصال وحاضره الالمي بالبعد والفرار .

والقصيدة من البحر البسيط ، وتفعيلاته :  
مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

## المناقشة :

- 1 - ما الفكرة التي عبر عنها الشاعر في الابيات الثلاثة الاولى ؟
- 2 - كان بعد المحبوبة اثر على الشاعر ، ووضح ذلك الاثر ، واذكر الاساليب التي عبرت عنه في الابيات .
- 3 - ماذا عرض الشاعر من ذكريات ماضيهما في ابيات المجموعة (ج) ؟
- 4 - تبدو في ابيات هذه المجموعة روح النشوة وملامح السرور ، فما العبارات افادت بذلك ؟
- 5 - بم دعا الشاعر لمهد السرور ؟ وما رأيك في مثل هذا الدعاء ؟
- 6 - ماذا يتمنى الشاعر في صدر ابيات المجموعة (ح) ؟ وما الخبر الذي ي يريد أن يبلغه لمحبوبته ؟
- 7 - عبر الشاعر عن تبدل حالهما بالفارق ، فماذا قال ؟
- 8 - ماذا طلب الشاعر من محبوبته فيما يخص موقفها من العاذلين ؟ وبم برر ذلك ؟
- 9 - ذكر الشاعر في المجموعة (د) انه مع بعد باق على الود ، مقيم على المهد ، ووضح ذلك مبينا الوسائل التي أكد بها قوله . وعلام يدل إلجاج الشاعر على هذا المعنى في أكثر من بيت ؟
- 10 - ماذا طلب الشاعر في المجموعة (ه) من كل من السحاب والنسيم وعلام يدل ذلك من موقفه تجاه محبوبته ؟
- 11 - هات من الابيات صورة بيانية ، ومحسننا بدعيها ، ثم بين قيمة كل منها في التعبير .

- 12 - « ما كنت لارواحنا إلا رياحينا » ما أجزاء اسلوب القصر في هذا التعبير وما اثر استعمال هذا الاسلوب على المعنى ؟
- 13 - « من مبلغ الملسيينا بانتراهم حزنا » ما الغرض البلاغي من هذا الاستفهام وما الصورة التي تضمنتها العبارة ؟
- 14 - ما الفكرة العامة لهذا النص ؟ وما مدى الترابط بين أفكارها الجزئية ؟
- 15 - اترى الشاعر ، فيما تناوله من أفكار ، مقلدا أم مجددا ؟ ووضح رأيك .
- 16 - كان الشاعر يعبر عن انفعال صادق ، ووضح ذلك ، واستدل عليه من النص .
- 17 - بهم تعلل غلبة الاسلوب الخبري على النص ؟
- 18 - حفلت القصيدة بأسلوب الطلاق ، فهل ترى لذلك ما يبرره ؟ ووضح مع استشهادك بمثالين .

### تدريب

#### السؤال الكتابي :

— يتميز شعر الفرزل برقة اللفظ ، وعذوبة الكلمة ، اكتب مقالا تستدل فيه على صحة هذه القضية مستعينا بما درست من نصوص في هذا الفرض .

#### المقالة الأدبية :

— برع ابن زيدون في تصوير احساس المحبين ، وما يتحملون من اسى وتمذيب ، ووضح ذلك في ضوء ما عرفت من هذا النص .  
لابن خفاجة

قال ابن زيدون مخاطباً ولادة ، واصفاً شوقة إلى لقائهما ، معاذياً إياها :

وَالْأَفْقُ طَلْقٌ، وَوِجْهُ الْأَرْضِ قَدْ رَاقَا  
كَائِنَهُ رَقَّ لِي فَاعْتَلَ إِشْفَاقًا  
كَمَا شَقَقَتِ عَنِ الْلَّبَاتِ أَطْسَوَاقًا  
بِتَنَا لَهَا حِينَ نَامَ الدَّهْرُ سُرَاقًا  
جَالَ النَّدَى فِيهِ حَتَّى مَالَ أَعْنَاقًا  
بَكَّتْ لِمَا بَيْ فَجَالَ الدَّمْعُ رَقَرَاقًا  
فَازْدَادَ مِنْهُ الضَّحَى فِي الْعَيْنِ إِشْرَاقًا  
وَسَنَانُ ، نَبَّهَ مِنْهُ الصَّبَحُ أَخْدَاقًا  
إِلَيْكِ لَمْ يَعْدُ عَنْهَا الصَّدْرُ أَنْ ضَاقًَا  
فَلَمْ يَطِرْ بِجَنَاحِ الشَّوَّقِ خَفَاقًا  
وَافَاكُمْ يُفْتَنُ أَضْنَاهُ مَا لَاقَى  
لِكَانَ مِنْ أَكْرَمِ الْأَيَّامِ أَخْلَاقًا  
مَيْسَدَانَ أَنْسِيَ جَرَينا فِيهِ أَطْلَاقًا  
سَلَوْتُمْ ، وَبَقِينَا نَحْنُ عَشَاقًا

إِنِّي ذَكَرْتُكَ بِالزَّهْرَاءِ مَشْتَاقًا  
وَلِلنَّسِيمِ اعْتِلَالٌ فِي أَصَائِيلِهِ  
وَالرُّوْضَ عَنْ مَا يَهِيَ الْفِضَّيِّ مُبَشِّمٌ  
يَوْمٌ كَأَيَّامِ لَدَائِنَا انْصَرَمْتُ  
لَهُمْ بِمَا يَسْتَمِلُ الْعَيْنَ مِنْ زَهْرٍ  
كَأَنَّ أَغْيَيْتُهُ إِذْ عَانَتْ أَرْقَيِ  
وَرْدٌ تَالَّقَ فِي ضَاحِي مَنَاطِقِهِ  
سَرَى يَنْافِحَةً نَيْلُوْفَرْ عَيْقَ  
كُلَّ بَهِيجٍ لَنَا ذَكْرِي تَشَوَّقُنَا  
لَا سَكَنَ اللَّهُ قَبَّا عَنْ ذَكْرِكُمْ  
لَوْ شَاءَ حَمْلِي نَسِيمُ الصُّبْحِ حِينَ سَرَى  
لَوْ كَانَ وَفَى الْمُنْتَى فِي جَمِيعِنَا يَكُمْ  
كَانَ التَّجَارِي بِمَحْضِ الْوَدْ مَذْ زَمْنٍ  
فَالآنَ أَخْمَدُ مَا كُنَّا لِعَهْدِكُمْ

**الزهراء** : ضاحية جميلة من ضواحي قرطبة . - **اللبان** : جمع لبة وهي موضع القلادة من الصدر . **الأطاوی** : جمع طوق ما يحيط بالمنق من الثوب . - **نيلوفر** : نبات مائي له ورق كبير ، وزهر جميل ، طيب الرائحة . - **اطلاقا** : اشواطا ، والمفرد طلق بفتح الطاء **واللام** .

## ب - المدح والاستعطاف

قال ابن زيدون ب مدح أبا الحزم بن جهور أمير قرطبة ويستعطفه ، وقد  
بعث اليه هذه القصيدة من السجن :

مَحْضُ الْعِيَانِ الَّذِي يُعْنِي عَنِ الْخَبِيرِ  
بِرْقَ الْمَشِيبِ اعْتَلَى فِي عَارِضِ الشَّعْرِ  
وَلِلشَّيْئِيْةِ غَصْنٌ غَيْرُ مُهْتَصِرٌ  
نَازَ الْأَسَى ، وَمَشِيبِي طَائِرُ الشَّرَرِ  
أَتَيَ مُعْنَى الْأَمَانِي ، ضَائِعُ الْخَطَرِ  
هَا إِنَّهَا لَوْعَةٌ فِي الصَّدِرِ قَادِحَةٌ  
لَا يُعْنِي الشَّامِتُ الْمُسْرَاتُ خَاطِرُهُ  
هُلْ الرِّيَاحُ يَنْجِمُ الْأَرْضُ عَاصِفَةٌ  
أَمْ الْكَسْوَفُ لِغَيْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمِرُ ؟

إِنْ طَالَ فِي السَّجِنِ إِنْدَاعِي ، فَلَا عَجَبٌ  
قَدْ يَوْدَعُ الْجَفَنَ حَدَّ الصَّارِمِ الْذَّكَرِ

وَإِنْ يَبْثِطْ أَبَا الْحَزْمِ الرِّضا قَدَرٌ  
عَنْ كَشْفِ ضَرِيْ ، فَلَا عَتْبٌ عَلَى الْقَدَرِ

مَا لِلذُّنُوبِ الَّتِي جَانِيَ كَبَائِرُهَا      غَيْرِي يَحْمَلُنِي أَوْزَارُهَا وَزَرِيْ ؟ !  
ذَوُ الْشُّيْمَةِ الرَّسَلِ إِنْ هِيَجُتْ حَفِيظَتِهِ

وَالْجَانِبُ السَّهْلِ ، وَالْمُسْتَعْتَبُ الْيَسِيرِ  
وَزِيْرُ سَلْمٍ كَفَاهُ يَمْنُنْ طَائِرِهِ  
شَوْمَ الْحَرَوبِ ، وَرَأَيَ مُحَمَّدُ الْمَسَرِ

ثَبَ : قرب . غَيْرُ مُهْتَصِرٌ : غَيْرُ مُكْسُورٌ . - الْمَعْنَى : الْمَلْدُب ، التَّعْب . الْخَطَرُ : الْمَكَانَةُ . -  
النَّجَمُ : مَا نَجَمَ أَيْ طَلَعَ مِنَ النَّبَاتِ عَلَى غَيْرِ سَاقٍ وَهُوَ خَلَافُ الشَّجَرِ ، وَالْاسْتِهْمَانُ لِلنَّفَيِ . -  
الصَّارِمُ الْذَّكَرُ : الْبَفُ الْقَاطِعُ . - يَبْثِطُ : يُبَطِّدِي . - جَانِيَ كَبَائِرُهَا : مُرْتَكِبُ ذُنُوبِهَا  
الْكَبِيرَةِ . أَوْزَارُهَا : ذُنُوبُهَا وَالْمَفْرَدُ وَزَرُ . وَزَرِيْ : مَلْجَنِي . - الشَّيْمَةُ : الْخَلْقُ . الرَّسَلُ :  
الْسَّهْلُ ، الْكَرِيمُ . حَفِيظَتِهِ : غَصْبُهُ . الْيَسِيرُ : الْسَّهْلُ ، الْلَّيْنُ . - مُحَمَّدُ الْمَرْدُ : حُكْمُ  
الْفَتْلُ ، أَيْ دَائِي قَوِيٍّ سَدِيدٍ .

يَاهْجَةَ الدَّهْرِ حَيَاً ، وَهُوَ - إِذْ فَيَتْ  
 حَيَّهُ - زِينَةُ الْأَثَارِ وَالسِّيرِ  
 هَلْ مِنْ سَبِيلٍ ، فَمَاءُ الْعَقْبِ لِي أَسْنُ ،  
 إِلَى الْعَدُوبَةِ مِنْ عَبَّاكَ وَالخَصَرِ ؟  
 نَذَرْتُ شَكْرَكَ ، لَا أَنْسَى الْوَفَاءَ بِهِ  
 إِنْ أَسْفَرْتَ لِي عَنْهَا أَوْجَهَ الْبُشَرِ  
 لَا تَلِهَ عَنِّي فِلْمُ أَسَالَكَ مُعْتَسِفًا      رَدَّ الصِّبَا بَعْدَ إِيْفَاءِ عَلَى الْكِبَرِ

### ج - الشكوى والحكم

نَظَمَ ابن زيدون في سجنه قصيدة مؤثرة ، ضمَّنَها شكواه وارسلها الى صديقه الوزير الأديب أبي حفص بن برد ليشفع له عند أمير قرطبة ابن جهور :

مَا عَلَى ظَنِّي بَاسُ      يَجْرِحُ الدَّهْرُ وَيَأْسُو  
 رُبَّمَا أَتَشَرَّفُ بِالْأَنْزَرِ      عَلَى الْأَمَالِ يَاسُ  
 وَلَقَدْ يُنْجِيكَ إِغْفَارًا      لُّ ، وَيُرْدِيكَ احْتِرَاسُ  
 وَلَكُمْ أَجْنَدَى قُعُودًا      وَلَكُمْ أَكْدَى التِّمَاسُ !  
 وَكَذَا الدَّهْرُ : إِذَا مَا      عَزَّ نَاسُ ذَلَّ نَاسُ

العتب : العتاب ، النسب : اسن : من غير ، فاسد ، عتابك : رضاك ، الخصر : برودة الماء . البشر : الاخبار المفرحة .

ما على ظني باس : لا خوف على . ياسو : يداوي . واصلها ياسو . - ياس : اصلها ياس - الفلاح : عدم اهتمام وحدك . احتراس : اهتمام وبقنة . - اجدى : نفع . اكدى : خاب ولم ينفع .

مِنْ سَنَا رَأَيْكَ لِي فِي  
 لَا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرَدَا  
 مَا تَرَى فِي مَعْشَرِ حَا  
 أَذْوَبُ هَامَتْ بِلَخْسِي  
 كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ حَا  
 إِذْ قَسَا الدَّهْرُ فَلِمَّا  
 وَلَئِنْ أَمْسَيْتَ مَجْمُو  
 وَبَنُو الْأَيَّامِ أَخْيَا  
 ثَلَبَسَ الدُّنْيَا ، وَلِكُنْ  
 يَا أَبَا حَفْصٍ ، وَمَا سَا  
 غَسَقَ الْخَطْبِ اقْتِبَاسُ  
 إِنَّ عَهْدِي لَكَ أَسْ  
 لُوا عَنِ الْعَهْدِ وَخَاسُوا ؟  
 فَاتِّهَاشُ وَانِتَهَاسُ  
 لِي ، وَلِلَّذِي اعْتِسَاسُ !  
 إِمَّنِ الصَّخْرِ ابْجَاسُ  
 سَأَ فِلْغِيَثِ اخْتِبَاسُ  
 فَ سَرَّاهُ ، وَخَسَاسُ  
 مُتَعَّثِّةً ذَالِكَ الْبَسَاسُ  
 وَاكَ فِي فَهْسِ إِيَّاسُ

سنَا رايِك : من نور رايِك . غسَقَ الْخَطْبِ : ظلمة الامر الشديد . اقتِبَاسُ : استفادة . — لا يكنْ عهْدكَ كالورود في سرعة المذبول ، فانْ عهْدي لك دائم كالأس الذي لا تدبّل اوراقه أبدا . — حالوا : تغيروا . خاسُوا : نقضوا العهد . — انتِهَاسُ : نهش وغض اخياف : مختلفون . سَرَّاهُ : اشراف . خَسَاسُ : حقيرون . — ايَّاسُ : هو قاض زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وكان آية في المذاكاة .

## في وصف الجبل ومناجاته

لابن خفاجة

تعريف وتمهيد :

الشاعر هو « أبو إسحق إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة » ولد سنة 450 هـ ببلدة « شقر » الأندلسية من أعمال « بلنسية » ( وهي أرض ذات طبيعة ساحرة ، ومنظور فاتنة ) ، ونشأ بين أحضان تلك الطبيعة يتنقل بين ربها وحتمائها ، ويتجلّى روعتها وحسن مشاهدها فتسبّب وفيه عشق للطبيعة ، يتأمل جمالها ، ويحب مناجاتها ، وقد برع في الشعر ، وأجاد في النثر ، ولكن نثره لم يلحق بشعره في الجودة والإتقان ، وكانت حياته في عهد ملوك الطوائف ، وفي أثناء دولة المرابطين ، ولكنه لم يحرص كثيراً على الاتصال بهم ، والتعرض لليل منهم وعطياتهم وإنما قضى صباحاً لاهياً يعيش في ترف ونعمة ، حتى إذا ادركه الكبر أفلّ عن لهوه ، وعاش مع الطبيعة التي وجد فيها إلهاماً لشاعريته إلى أن توفي سنة 533 هـ عن عمر يجاوز الثمانين عاماً . ومن آثاره الأدبية ديوان شعر يضم قصائد المدح والعتاب والرثاء والشكوى والوصف وغيرها إلا أن شعر الوصف هو الغالب على أدب الشاعر .

وهذا النص أبيات مختارة من قصيدة للشاعر يصف فيها الجبل ، ويقف أمامه وقفه تأمل يستنطقه الشكوى ، وينتزع منه العبرة ، ولذا بعد هذا النص نموذجاً لأدب الطبيعة الذي اولع به الاندلسيون ، وأجادوا القول فيه .

**النص :**

(١)

وأَرْعَنَ طَمَّاحَ الدُّؤَابَةِ بَاذْخٍ يُطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ بِغَارِبٍ  
يَسْدَ مَهَبَ الْرِّيحِ مِنْ كُلِّ وِجْهٍ وَيَرْحَمُ لَيْلًا شَهْبَةَ بِالْمَنَاكِبِ

وادهن : درب جبل طويل القم ، فيه برود واضح . طماح : كثير الارتفاع . اللوابة : مقدم الشيء ، والمقصود بطماح اللوابة على القمة . باذخ : مرتفع . يطاول : يباري وينافس في الطول . اعنان السماء : جيانتها ونواحيها . غارب : الغارب ما بين عنق البعير وسنامه ، والمقصود هنا الظهور أو الكاهم أي أعلى الجبل . شهب الليل : المقصود كواكب المناكب : جمع منكب ، وهو ملتقى الكتف والمضد ، والمقصود بالمناكب الأعلى .

وَقُوْرٌ عَلَى ظَهَرِ الْفَلَّةِ كَأَنَّهُ  
طَوَالَ اللَّيَالِي مُفْكِرٌ فِي الْعَاقِبِ  
يَلْكُوثُ عَلَيْهِ الْقِيمَ سُودَ عَمَائِمٍ  
لَهَا مِنْ وَمِيسِ الْبَرْقِ حَمْرٌ ذَوَابٌ

( ب )

فَحَدَثَنِي لَلَّيلُ السَّرَّى بِالْجَاءِبِ  
وَمَسْوَطِنَ أَوَّلَمْ بَتَّلَ تَائِبِ  
وَقَالَ يَظْلِي مِنْ مَطِيرٍ وَرَاكِبٍ  
وَزَاحِمٌ مِنْ خَضْرِ الْبَحَارِ غَوَارِبِيِّ  
وَطَاهَثُ بَهْمَ رِيحُ النَّوْى وَالْتَّوَابِ  
وَلَا نَوْحٌ وَرْقِيَ غَيْرَ صَرَخَةِ نَادِبِ  
نَزَفَتْ دَمَوْعِي فِي فَرَاقِ الصَّوَاحِبِ  
أَوْدَعَ مَنْهُ رَاحَلَةً غَيْرَ آبِ؟  
يَمْسَدُ إِلَى نُعْمَاكَ رَاحَةً رَاغِبِ

أَصَحَّتْ إِلَيْهِ وَهُوَ أَخْرَسْ صَامِتٌ  
وَقَالَ : أَلَا كَمْ كَتْ مَلْجَأً قَاتِلٌ  
وَكَمْ مَرَّ بِي مِنْ مَذْلِعٍ وَمَؤَوِّبٍ  
وَلَاطَّمْ مِنْ نُكْبِ الرِّبَاحِ مَعَاطِفِيِّ  
فِيمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طَوَّنَهُمْ يَدَ الرَّدَّى  
فِيمَا خَفَقَ أَيْكَيِّ غَيْرَ رَجْفَةً أَضْلَعُ  
وَمَا غَيَّضَ السَّلْوَانُ دَمْعِيَ وَإِنَّمَا  
فَحَتَّى مَتَّ أَبْقَى وَيَطْعَنُ صَاحِبُ  
فَرَحْمَكَ يَا مَوْلَايَ دُعْوَةً ضَارِعِ

( ج )

فَقُلْتُ وَقَدْ نَكَبْتُ عَنْهُ لِطِيَّةً سَلَامٌ إِنَّا مِنْ مُقِيمٍ وَذَاهِبٍ

وفور : ثابت ورزين . الفلاة : الصحراء . يلوث : يلف وبعصب . وميس : لمان . اصخت : استمنت . السرى : السير ليلا . اواه : عابد كثير الدعاء . تبتل : انقطع عن الدنيا وانصرف للعبادة . مذلح : سائر في الليل . مؤوب : سائر جمع النهار ، او عائد . قال : فعل ماض مضارعه يقيل ، ومني قال يظلي : اقام في ظلي وقت القيلولة عند الظهر . مطري : دواب ، مفرد مطية . لاطم : لطم . نكب الرياح : النكب جمع نكبات وهي الريح التي تقع بين ربعين تهبان من جهتين مختلفتين . معاطفي : انوابي ، جمع معطف ، والمراد جوانبي . خضر البخار : يقصد امواج البحر التي تضرب سفحه . غواربي : جمع غارب وهو اعلن الكتف والمقصود اظهوري او جوانبي . الرودي : الملاك . النوى : البعد والفرار . التواب : المصائب جمع نابية . خفق : تحرك واهتزاز . ايكي : اشجارى المتنفس . درجة : اهتزاز . نوح : بكاء . ووللي : حمالني ، جمع ورقاء وهي الحشمة التي فيها بياض وسوداد . نادب : اسم فاعل من « ندب الميت » اي بكاء . فيض : نقص وخفف . السلوان : النسبان . نزفت دموعي : سكتها بكثرة حتى نفدت . يطعن : يرتحل . آب : راجع . رحمةك : رحمنك . ضارع : خاشع . الواحة : باطن الكف . نكبته عنه : ملت عنه وانصرفت . الطية : الحاجة والقصد ، وجهة المسافر .

## الماقشة :

- 1 - ما الفكرة العامة لآيات المجموعة (١) ؟
- 2 - بم وصف الشاعر الجبل في هذه الآيات ؟ وبم صوره ؟
- 3 - ما الصورة التي عرضها الشاعر للجبل في آيات المجموعة (ب) ؟
- 4 - في هذه الآيات أضفى الشاعر على الجبل صفات الإنسان ، اذكر ثلاثة منها ، والآيات التي تضمنتها .
- 5 - ماذا في الآيات من حديث الجبل عن نفسه ؟ والى اي مدى عبر الجبل عن الدور الذي يقوم به في الحياة ؟
- 6 - ضاق الجبل بحياته ، وسُئم حاله ، وتضرع الى الله ان يريحه مما يعانيه ، اي آيات النص عبر عن ذلك ؟ وهل يمكن القول : ان الشاعر استنطق الجبل بما يحسه هو من تلك الاحوال ؟ وضح .
- 7 - بم انهى الشاعر حديثه مع الجبل في المجموعة (ح) ؟ وما رأيك في هذا الختام ؟
- 8 - تزدحم الصور البينية في آيات المجموعة (١) وضع ذلك .
- 9 - في البيتين العاشر والحادي عشر حسن تعليل ، اشرح .
- 10 - ورد في الفقرة (ب) بعض المحسنات البدوية ، اثر اليها .
- 11 - استخرج اسلوبين من اساليب القصر الواردة في النص .
- 12 - استخرج اسلوباً إنشائياً ، واذكر الغرض البلاغي له .
- 13 - الى اي مدى عبرت اساليب الشاعر عن افكاره ؟
- 14 - تعد هذه القصيدة من الادب الذي يصف الطبيعة ، اشرح ذلك .
- 15 - القصيدة نموذج صادق لاتحاه الشعر في العصر الاندلسي ، وضع ذلك معللاً .
- 16 - هذه القصيدة من البحر الطويل ، قطع البيت الاخير منها ، واكتبه كتابة عروضية .

## تدريب تطبيقي

### المقالة الأدبية :

— تفني شعراً الاندلس بوصف الطبيعة ، وافتنتوا في تشخيصها وبث الحياة فيها . اكتب مقالاً أدبياً في ذلك .

### السؤال الكتابي :

— اكتب عن الجيل فقرة بأسلوب على مرة ، وأسلوب أدبي مرة أخرى ثم بين الفرق بين الأسلوبين .

### مماذج من شعر ابن خفاجة :

#### آ - الوصف

#### وصف الطبيعة :

عن صفحٍ تَنْدَى منَ الأزهارِ  
أَخْلَافٌ كُلِّ غَمَامَةٍ مِنْ دَرَارِ  
دَرَرَ النَّدَى ، وَدَرَاهَمَ النُّوَارِ  
حَلْيَنَ الْجَبَابِ سَوَالِفُ الْأَنْهَارِ  
جَذْلٍ ، وَحَيْثُ الشَّطْطُ بَدْءُ عِذَارِ  
وَالظَّلَلُ يَنْفِضُ أَوْجَهَ الْأَشْجَارِ  
مِنْ رِدْفِ رَايَةٍ ، وَخَضْرِ قَرَارِ  
وَالصَّبَّحُ يَسْفِرُ عَنْ جَيْنِ نَهَارِ  
خَلَعَتْ عَلَيْهِ مَلَاءَةُ الْأَنْوَارِ

وَكِنَامَةٌ حَدَرَ الصَّبَاحُ قِناعَهَا  
فِي أَبْطَاحِ رَضَقَتْ ثَغُورُ أَفَاجِهِ  
تَرَثَ بَعْجُرُ الْأَرْضِ فِي وَيَدِ الصَّبَابِ  
وَقَدِ ارْتَدَى غَصَنَ النَّقا ، وَتَقَدَّتْ  
فَحَلَّتْ حِيتَ المَاءُ صَفَحةً ضَاحِكِ  
وَالرِّيحُ تَفَضُّلْ بَكْرَةً يَلْمَمُ الرَّبِيِّ  
مَسْقَمَ الْأَلْحَاظِ بَيْنَ مَحَاسِنِ  
وَأَرَاكَةِ سَجَعَ الْمَدِيلُ بَقْرِعَهَا  
هَرَّتْ لَهُ أَعْطَافَهَا ، وَلَرَبِّا

كمامة : غطاء الزهر . — ابطع : الابطع هو المسيل الواسع . — النقا : القطمة من الرمل العدوية . — فساحك : شخص يضحك . — جبل : فرج . — عدار : العدار هو الشمر الذي يحيادي الأذن . — لغم الربى : الامتصاص النابتة على الثلال . — واللم جمع له وهي الشمر المعاور شحمة الأذن . — سواراكه : الاراكه نوع من الاشجار طول الساق كثير الاوراق والاغصان ، تتخله منه المساوية . — المدبل : فرج الحمام . — اعطافها : جوانبها ، والمفرد مطف . — ملادة : الملادة هي التوب . — الانوار : جمع مفرده نور وهو الزهر الابيض خامسة .

ب - الفرزل والشـ كوي

أَنِي أَصَابُ وَكَفُ الدَّهْرِ تَزْمِيكِ  
لَكُنْتَ مَهْمَا عَرَّا حَطْبٌ أَفْدِيكِ  
أَوْ أَسْتَسْيِغُ شَرَابًا لِيسَ يَرْزُوِيكِ ؟  
مَا بَالُ طَرْفِي ، وَمَا يُدْرِيكِ ، يَنْكِيكِ  
عِلْقًا أَغَالِي بِهِ أَرْخَضْتُهُ فِيكِ  
أَوْ احْتَواكِ حِجَابٌ فِيهِ يُقْصِيكِ  
رَسُولُ شَوْقِي أَتَى عَنِي يُحِيطِكِ  
أَخْرَى الظَّلَامِ فِيَاتِ الطَّئِفِ يَدْنِيكِ

يَا مُنْيَةَ النَّفْسِ حَسْبِيْ مِنْ تَشْكِيْكٍ  
وَلَوْ تَسَامَحَ خَطْبٌ فِي فِدَائِكَ بِي  
وَكِيفَ أَغْفِي بِلِيْلٍ تَسْهِيْنَ بِهِ  
هَنَيْدَ ! أَوْجَعْتَ قَلْبًا مُذْأَقْتَ بِهِ  
فَرَبَّ لُؤْلُؤِ دَمْعٍ كَنْتَ أَذْخَرَهُ  
وَإِنْ نَأَى بِكِ رَبْعُ غَيْرٍ مُقْتَرِبٍ  
فَإِنَّ كُلَّ تَسِيمٍ خَاصَّةً أَرَجَّ  
وَرَبِّما شَفَعْتَ لِي غَفْوَةً نَسْخَتْ

عرا خطب : نزلت معيية شديدة : . - طرفى : ميني . - الآخره : اخيه . علقا :  
شينا لمينا . - ناي : ابتدء . احتواله : سمك . - اوج : الارج هو الراحة الطيبة  
نسخت اخرى لللام : ازالتها .

## وصف بركة قصر المنصور

لابن حمديس الصقلي

### تعريف وتمهيد :

الشاعر هو محمد بن عبد الجبار بن حمديس الأزدي الصقلي ، ولد بمدينة ( سرقوسة ) في جزيرة ( صقلية ) سنة 447 هـ ، وقال الشعر مُنذ حداثته ، ونبغ فيه ، وأجاد بصفة خاصة في وصف الطبيعة التي كانت جميلة ساحرة في صقلية مُنذ فتحها العرب زَمِنَ الخليفة المأمون ، وظهر فيها كثير من الرجال المشتغلين بالعلم والأدب ، حتى اذا انتهى حكم العرب في صقلية سنة 471 هـ واستولى عليها النormanيون تركها ابن حمديس الى الاندلس ، وقصد اشبيلية ، واتصل بالمعتمد بن عباد الذي قربه اليه ، ولما تُوفي ابن عباد الى المغرب تبعه الشاعر الى منفاه ، ولما مات ابن عباد اقام ابن حمديس في ( المهدية ) ثم انتقل الى جزيرة ( ميورقة ) بشرق الاندلس ، وعاش بها الى ان توفي سنة 527 هـ بعد ان كُفَّ بصره . ومن آثار ابن حمديس الادبية ديوانٌ شعر يضم قصائد الوصف البارع ، وشكوى الإخوان ، وندب الزمان ، والزهد ، واكثر ما فيه وصف لحسن الطبيعة .

ولقد اقام العرب في شمال افريقيا دولة ذات مجد وحضارة وقد عني اماؤها بالتشييد والعمان فأنشئوا القصور والحدائق والتماثيل واليرك الصناعية ، وغيرها مما جعل الطبيعة فاتنةً أخاذة ، وهما ذا ( المنصور بن الناصر بن أعلى الناس ) أمير ( بجاية ) قد انشأ قصراً جمل فيه يُوكَه جليلة ، وحين وَفَدَ عليه ابن حمديس ، ورأى هذه البركة التي راعته انشأ في وصفها قصيدة التي اخترنا لك منها هذه الابيات :

النص :

(١)

وَضَرَاغِمْ سَكَنْتْ عَرِينَ رِئَاسَةً  
فَكَانَتْ غَشِيَ النُّفَارُ جُسُومَهَا  
أَسْدٌ كَانَ سَكُونَهَا مُتَحَرِّكٌ  
وَنَذَرَكَتْ فَتَكَاتِهَا ، فَكَانَتْ  
وَتَخَالُهَا وَالشَّمْسُ تَجْلُو لَوْنَهَا  
فَكَانَتْ سَلْتَ سَيْوَقَ جَدَادِيلِ  
وَكَانَتْ نَسَحَ النَّسِيمَ لِيَائِمِ

تَرَكْتْ خَرِيرَ الْمَاءِ فِي زَئِيرَا  
وَأَذَابَ فِي أَفْوَاهِهَا الْبَلَّوْرَا  
فِي النَّفَسِ لَوْ وَجَدَتْ هُنَاكَ مُثِيرًا  
أَقْعَثَ عَلَى أَدْبَارِهَا لِشُورَا  
كَارَا وَأَسْنَهَا اللَّوَاحِشَ نُورَا  
ذَابَتْ بِلَا نَارَ فَعَدَنَ غَدِيرَا  
دُرَعًا فَقَدَرَ سَرَدَهَا تَقْدِيرَا

(٢)

وَبِدِيعَةِ الْمَرَاتِ تَعْبُرُ نَحْوَهَا  
شَجَرَةِ ذَهَبَيَّةٍ نَزَعَتْ إِلَى  
كَدْ سُرَّجَتْ أَعْصَانُهَا فَكَانَتْ  
وَكَانَتْ تَأْبِي لِوَقْعِ طَيْرَهَا ،  
مِنْ كُلَّ وَاقِعَةٍ تَرَى مِنْقَارَهَا  
خُرْسٌ تَعْدُ مِنَ الْفِصَاحِ إِنْ شَدَتْ

عَيْنَايِ بَحْرَ عَجَابِ مَسْجُورَا  
سَحْرِيُّؤْنَرِ فِي النَّهَيَ تَأْيِيرَا  
قَبَضَتْ بِعِنَّ مِنَ النَّفَاءِ طِيُورَا  
أَنْ تَسْتَقْلَ بِنَهْضَهَا ، وَتَطِيرَا  
مَاءَ كَسْلَسَالِ الْلَّجَنَ نَمِيرَا  
جَعَلَتْ تَفَرِّدَ بِالْمِيَاهِ صَفِيرَا

ضرالم : جمع ضرمام وهو الاسد . عرين : بيت الاسد ، والمقصود بعين الرئاسة قصر النصور . النصار : الدهب الصاق . فتكاتها : افتراسها . العت على ادبارها : قعدت على اذنابها . سل السيف : اخرجه من غده . الدو سردها : احكم حلقاتها . مسجورا : مسلوها وساكتا . النهي : العقول ، جمع نهية . سرجت : وضعت فيها . الدرج اي المصايد . وفع : جمع وافع او دائمة وهي الطيور التي تسقط على اغصانها . اللجين : الفضة ، وهي اسم مصفر لا يكبر له . نعيها : ماء صافية .

لَأَنَّ فَارِسِلَ خَيْطُهَا مَجْرُورًا  
 فَوْقَ الزَّبْرِجَدِ لَوْلُؤًا مَشْوَرًا  
 جَعَلَتْ لَهَا زَهْرُ النُّجُومِ نَفْسُورًا

وَكَانَتْ فِي كُلِّ غُصْنٍ فَضَّةٌ  
 وَتُرِيكَ فِي الصَّمْرِيجِ مَوْقِعَ قَطْرَهَا  
 ضَحِكَتْ مَحَايِنُهُ إِلَيْكَ كَانَتْ

### ايصال وتحليل :

يصف الشاعر في أبيات المجموعة (ا) تماثيل الاسود التي تحيط بالبركة ، والتي يندفع الماء من أفواها لينصب في تلك البركة فيقول : ورب اسود اتخذت لها عرينا في قصر الامير المنصور وربضت حول بركته ، ينساب من أفواها الماء فتسمع لتدفقه خريرا كانه زئير تلك الاسود .

وحين تتأمل تلك التماثيل تراها ذهبية اللون ، بينما ترى الماء المنصب من أفواها كانه البلور بياضا وصفاء ! إنها اسد ساكنة جامدة ، ولكن يخيل لم يراها ان لديها قدرة على الحركة لو وجدت من يستثيرها لذلك . وكانتها تذكرت طبيعتها الوحشية ، وزنعتها الافتراضية فقدت على مؤخرتها تاهبا للوثوب ، واستعدادا للمهجوم . وانك حين ترنو اليها تحت ضوء الشمس تدهش وتعجب حيث يهيا لعينيك أنها نار ، وأن السننها من الماء نور . وذلك الماء الصافي المتدفق من أفواها المندفع نحو البركة يشبه سيوفا سلت من الأغماد ذاتية من غير أن تمسمها النار ، وقد تجمع ذوبها فصار غديرا ، ثم ان هبوب النسيم على تلك البركة يحدث في سطح مائها تعابيد تشبه حلقات الدرع ، فكان النسيم نسج لماء تلك البركة درعا أحکم نسجه ، وأتقن صنعته .

ثم ينتقل الشاعر في أبيات المجموعة (ب) ليصف حديقة ذلك القصر وما تحويه من جميل الصور وعجب المشاهد فيقول :

ورب حديقة وقعت عليها عيناي حين تجاوزت البركة الى ما حولها ، شاهدت فيها عجبا حيث ابصرت اشجارا ذهبية اللون ، بدعة الشمر ، تبهر الانظار ، وتسحر القنول ، ومما يزيد من روعة تلك الحديقة ان اشجارها قد علقت بها مصابيح على هيئة طيور تخيل لم يراها ان الأغصان

الصريح : حوض الماء . الزبرجد : اسم لنوع من الاجمار الكريمة الثمينة تكون اخضر اللون ، والمقصود منه هنا الارض الخضراء بالزورع . نهر النجم : الثلاثة الزاهية .  
 نفود : جمع نفر ، وهو مقدم الاسنان او الفم .

قد قبضت على تلك الطيور ومنعها من الطيران لتنعم بتغريدها الحلو ، وشدوها الجميل . ومن أفواه تلك الطيور يندفع ماء صاف كأنه فضة مداة ، ولهذا الماء صفير يشبه التغريد ، وهذا الأمر مما يجعل الإنسان يظن التمايل طيورا حقيقة ناطقة . وذلك الماء حين يسيل من بين غصون الشجر يشبه خيوطا أو أسلاما فضية تسقط على أحواض الزرع الأخضر فتبعد قطرات الماء فوق الزرع كأنها لؤلؤ منثور . وتضفي على ذلك الزرع بهاء ورواء ، حيث تلمع فوقه قطرات وكأنها نجوم زاهية تصنع ثغور الزرع باسم الجميل .

### دراسة أدبية :

تضمن النص فكرتين أساسيتين ، صور الشاعر في أولاهما لوحة رائعة لبركة القصر وما يحيط بها من تماثيل مرمرة الماد ؛ ذهبية اللون لاسود يخرج الماء من أفواهها صافيا لاما كأنه الفضة الذائبة ، وينصب في البركة التي يلعب النسيم بسطحها ، ويصنع ما يشبه الحلقات بظاهر مياها . وصور في ثانيةهما لوحة رسمت فيها عبارته ما يجاور تلك البركة من حدائق ذات أشجار وتمار ، وقد علقت بتلك الأشجار مصابيح على هيئة طيور يندفع الماء من أفواهها ، وكان خريره تغريدة يصدر عنها ثم ان ذلك الماء ينحدر نحو زرع أخضر يرويه ويمبلله فإذا هو نام مزدهر .

وائل لتلحظ أن الأفكار عادية ، ولكن الشاعر قد عرضها بشكل تصويري الف فيه بين أجزاء كل صورة في فن ومقدرة جعلا بعض النقاد يشبهونه بابن الرومي .

ويبدو من النص أن الشاعر كان مأخوذا بعجب ما عاصر في صدق عن أحاسيس الدهشة من جمال القصر ، وروعة ما احتواه .

ويجدر بنا أن نقف هنا هنا وقفة تؤكد فيها من جديد أن الطبيعة في هذه البلاد بما جبها الله من جمال وما أحدثت بها يد الفن والحضارة من سحر وروعة كانت ملهمة الشعراء ، تبهر عيونهم ، وتأسر قلوبهم ، وتمتلك عليهم نقوسهم ، فتنطلق بأياتها السنتهم ، ويصف فنتتها بيانهم ، ولذا فقد ازدهر في ذلك العصر شعر الوصف ، وحظيت منه الطبيعة باوفى نصيب .

وثمت شيء آخر يلفت النص نظرنا إليه هو أن الأمراء والحكام في هذه المنطقة العربية كانوا يعنون بشؤون العمارة ، وتشييد القصور ، وتجمل المنشآت والبنيات شأنهم في ذلك شأن الحكام في المشرق العربي .

## دراسة بلاغية :

كان موقف الشاعر في هذه الأبيات موقف المدرك للمشاهد ، الحاكي للمناظر ، المخبر عن دقائقها وسحر جمالها ، ولذا نجده قد عبر بالأساليب الخبرية في وصفه لما أثار اعجابه ، ونال اعظماته مما رأى وأحسن من تلك الصور الرائعة .

وقد اعتمد الشاعر في ابراز افكاره على عرض مشاهده ومرئياته دون ان يكتفي بالمعظمة التي هي عليها ، وإنما جللها من تصويره بثوب من الجمال ، واضفى عليها من نفسه روعة الخيال ، متقصيا اجزاء كل صورة ، يجمع دقائقها ، وينسق الوانها ، ويبيت الحركة في اوصالها كأنه فنان مبدع ، ترى ذلك جليا في اللوحات الفنية التي عرض بها صورة الاسود الرابضة حول البركة معبرا عن شكلها وصوتها وهيئتها وطبيعتها ، وصورة المياه المتداقة مبرزا صفاءها وصوتها وتأثير النسيم على سطحها ، وصورة الحديقة ذات الشجر المثمر والأغصان الجملة بمصابيح تمثل طيورا ينحدر من مناقيرها الماء على الزرع الأخضر فإذا هو ناضر وجميل الى غير ذلك من الصور الجذابة والمناظر الخلابة .

وقد حفلت عبارة النص بالصور البينية التي منها التشبيهات في مثل قوله : « تركت خرير الماء فيه ذئبا ، تخالها والشمس تجلو لونها نارا ، والسنها نورا ، ماء كسلسال الالجين » ، وغيرها من صور التشبيه العديدة في النص . والاستعارات في مثل قوله : « نسج النسيم لسانه درعا ، تعبر نحوها عيناي بحر عجائب ، تربك فوق الزيبرجد لولوا ، ضحتك محاسنه » ، وغير ذلك . والكتابية عن الحديقة في قوله : « وبديعة الشمرات » ، وعن جمال منظرها في قوله « نزعت الى سحر » .

وكانت عبارة النص رائفة مشرقة ، سهلة واضحة ، يحسنها الطيال غير المتكلف في قوله : « سكونها ، ومتحركه - خرس ، وفصاح » ، ويجملها الجناس في مثل : « نارا ، نورا » .

وقد أجاد الشاعر اختيار اللفاظ الملائمة لفكرته ، المعبرة عن احساسه فجاءت فخمة قوية في حديثه عن الاسود ، رقيقة عذبة في حديثه عن المياه ، زاهية ناضرة في حديثه عن الحديقة وزروعها ، والأشجار وغضونها .

## مجمل القول

ابن حمديس من مشهوري شعراء الاندلس ، الذين عرفوا بالوصف  
وأجادوا بنوع خاص وصف الطبيعة التي صوروها لوحاتٍ فاتنةً ،  
وأحالوها رسوماً واشكالاً حيةً نابضةً .

وهذا النص نموذج لشعر ابن حمديس في وصف الطبيعة ، عرض  
فيه لوحتين رائعتين استمد صورهما من قصر أمير بجاية ( المنصور  
ابن الناصر بن أعلى الناس ) ، أحدي اللوحتين تصور بركة هذا  
القصر ، والآخر حديقته ، وإذا كانت الأفكار التي وردت في النص  
الكارا عادية فإن إعجاب الشاعر وتأثيره بما رأى من روعة الفن  
وجمال القصر جعله يبرز تلك الأفكار العادية في شكل طريف أخاذ ،  
وجمال القصر جعله يبرز تلك الأفكار العادية في شكل طريف أخاذ ،  
المريئة بصورة خيالية بلية تتسع بين تشبيه واستعارة وكناية ،  
ويعبر عن ذلك كلُّه بتراتيب صافية مشرقة ، يجعلها بعض الزخرف  
البديعي المناسب ، واستعمال اللفظ في مكانه الذي يصلح فيه . وهكذا  
يبدو لنا أن ابن حمديس في وصفه وتصوирه يشبه - إلى حد كبير -  
ابن الرومي كما ذهب إلى ذلك بعض النقاد .

والقصيدة من البحر الكامل ، وتفصيلاته :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

المناقشة :

- 1 - عمَّ يتحدث الشاعر في أبيات المجموعة ( ١ ) ؟
- 2 - ماذا قال عن صوت الماء الذي ينصب في البركة ؟ وماذا قال عن لونه ؟
- 3 - تحدث الشاعر عن تماثيل الأسود حول البركة ، فعرض للونها ، وهبنتها ، وطبعها - اذكر من النص ما عبر به عن كل من هذه الأمور .

- 4 – ما الصورة التي رسمها الشاعر للأساد تحت ضوء الشمس ؟ وما الصورة التي رسمها لمياه البركة حين يهب عليها النسيم ؟
- 5 – ماذا يعني الشاعر بقوله : أسد كان سكونها متحرك في النفس ؟
- 6 – اثر أبيات هذه المجموعة بعبارة ادبية .
- 7 – ما ال أبيات التي تضمنت وصف حديقة القصر ؟ ماذا قال الشاعر عن أشجار تلك الحديقة ؟ وعن المصايب العلقة في أغصانها ؟ وعن تعانيل الطيور الثبيرة بها ؟ وعن الماء التدفق من أفواهها ؟ امسك بقلملك ، وارسم صورة لتلك الحديقة كما تصورتها بعد فهم النص .
- 8 – استخرج من ال أبيات لونا بيانيا ، وآخر بديعيا ، ووضح اثر كل منها في التعبير .

9 – يرى بعض النقاد ان ابن حمديس كان من اعظم وصاف الطبيعة ، كما يرى بعضهم انه يشبه ابن الرومي في استقصاء كل اجزاء الموصوف – اذكر رايتك في كل من هاتين القضيتين ، واستشهد لما تقول من النص .

## تدريب

### المقالة الأدبية :

— خرجت أصيل يوم الى شاطئ النهر ، ووقفت تتأمل تدفقه ، والزرع الاخضر على شاطئه وتنظر الشمس عند الغروب – صف هذه المناظر الخلابة في عباره ادبية .

### السؤال الكتابي :

— ماذا يصور هذا النص من ظروف عصره ، وبيئته العربية في شمال افريقيا ؟

## أ - الوصف

وصف برقة النصوص صاحب بجاية :

وَزَرَافَةٌ فِي الْجَوْفِ مِنْ أَنْبُوْهَا  
مَرْكُوزَةٌ كَالْرُّمْحِ حِيثُ تَرَى لَهُ  
وَكَانَمَا تَرَمِي السَّمَاءَ يَسْدُقُ  
لَوْ عَادَ ذَاكَ الْمَاءُ نَفْطًا أَحْرَقَتْ  
فِي بِرَكَةٍ قَامَتْ عَلَى حَافَاتِهَا  
كَرَعَتْ إِلَى ظُلْمِ النُّفُوسِ تُفُوسُهَا  
وَكَانَمَا الْحَيَاةُ مِنْ أَفْوَاهِهَا  
وَكَانَمَا الْحِيَاتُ إِذْ لَمْ تَخْشُهَا

مَاءُ يَرِيكَ الْجَرَيِ فِي الطَّيْرَانِ  
مِنْ طَعْنَهِ الْحَلَقِ اغْطَافَ سِنَانِ  
مُسْتَبْطِ مِنْ لَوْلُقِ وَجْمَانِ  
فِي الْجَوَّ مِنْهُ قَيْصِ كُلُّ عَنَانِ  
أَسْدُ تَذَلُّلُ لِعَزَّةِ السُّلْطَانِ  
فَلَذَلِكَ أَتَزَعَّتْ مِنَ الْأَبْدَانِ  
يُطْرَحُنَ أَنْفُسَهُنَّ فِي عَدْرَانِ  
أَخْدَثَ مِنَ الْمَصْوُرِ عَمَدُ أَمَانِ

## ب - الرثاء

قال ابن حمديس يرثي صقلية بعد سقوطها بأيدي الروم ، وسرقوسة  
بعد سقوطها بأيدي النورمان :

عَادَلْ دَعَنِي أَطْلِقْ الْعَبْرَةَ الَّتِي  
فِيَنِي امْرُؤٌ آوِي إِلَى الشَّجَنِ الدَّيِ  
تَعَوَّذْ أَرْضِي أَنْ تَعُودَ لِقَوْمِهَا  
وَعَزِيزٌ فِيهَا النَّفَسُ لَمَّا رَأَيْتُهَا

عَدِمْتُ لَهَا مِنْ أَجْمَلِ الصَّبَرِ حَابِسًا  
وَجَدْتُ لَهُ مِنْ حَبَّةِ الْقَلْبِ نَاخِسًا  
فَسَاءَتْ ظُنُونِي ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ يَائِسًا  
تُكَابِدُ دَاءً ، قَاتِلُ السُّمِّ ، نَاحِسًا

الحلق : الدرع . سنان : رأس الرمح . جمان : لوز ، والفرد جمانة . هنان : العنان  
هو السحاب وكل ما ارتفع من السماء . نزعت الى ظلم النفوس : مالت الى ظلمها .  
تعودت ارضي : دعوت الله ان يحفظها ، ورجوت ان تعود لقومها .

مَسَاجِدُهَا أَيْدِي النَّصَارَى كَنَائِسًا! ا  
مَعَ الصَّبْحِ وَالْإِمَاءَ فِيهَا النَّوَاقِسَا  
وَكَانَتْ عَلَى أَهْلِ الرَّمَانِزِ مَحَارِسَا  
وَكَانَتْ بَطِيبَ الْأَمْنِ مِنْهُمْ نَوَاعِسَا  
وَكَانَ يَقْوُمِي عِزَّهُ مَتَقَاعِسَا  
فَاضْحَى لِذَاكَ الْخَوْفِ مِنْهُ لَا يُسَا  
يَرُوْرُونَ بِالدَّارِيْنِ فِيهَا التَّوَاوِسَا  
وَمَا مَارَسُوا مِنْهَا أَيْيَا مُمَارِسَا  
إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَجَادِثِ أَسْدًا عَوَابِسَا  
بَخْتَرَ فِي أَرْجَائِهِ الدَّجَبِ مَائِسَا

وَكَيْفَ وَقَدْ سَيَّمَتْ هَوَانًا، وَصَيَّرَتْ  
إِذَا شَاءَتِ الرَّهَبَانُ بِالضَّرْبِ أَنْطَقَتْ  
صَقْلَيْهُ كَادَ الرَّمَانِزِ بِلَادِهَا  
فَكَمْ أَعْنَى بِالْخَوْفِ أَمْسَتْ سَوَاهِرًا  
أَرَى بِلَدِي قَدْ سَامَهُ الرَّوْمُ ذِلَّةً  
وَكَانَتْ بِلَادُ الْكُفَّرِ تَلْبَسُ خَوْفَهُ  
وَأَضْحَتْ لَهُمْ سَرْقُوْسَهُ دَارَ مَنْعَةً  
مَشَوَا فِي بِلَادِ أَهْلِهَا تَحْتَ أَرْضِهَا  
وَلَوْ شَقَّتْ تِلْكَ الْقَبُورَ لَأَنْهَضَتْ  
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْغِيلَ، إِنْ غَابَ لَيْسَهُ

## ج - الشِّكْوَى

ولابن حمديس من قصيدة يندب فيها الزمان ويشكو الإخوان .

خِيَانَةَ دَهْرِيَّ أَوْ خِيَانَةَ صَاحِبِيَّ  
ضَرَائِبُهُ إِلَّا خِلَافَ ضَرَائِبِيَّ  
وَقَدْ كَانَ يُسْقَى عَذْبَ مَاءِ السَّحَابِ  
وَقَدْ تُجْهَلُ الْأَشْيَاءُ قَبْلَ التَّجَارِبِ  
فَقَسَى بِخَلَافِ الظَّنِّ عَنْدَ الْمَشَارِبِ  
أَتَجْبِتُمُهُ وَأَخْتَرْتُ وَحْدَةَ رَاهِبٍ

أَتَخْسِبَنِي أَنْتَسِي وَمَا زَلْتُ ذَاكِرًا  
تَغْذَى بِالْخَلَاقِي صَغِيرًا وَلَمْ تَكُنْ  
وَيَارِبَّ بَنَسْتِ تَعْرِيَهُ مَرَارَةً  
عَلِمْتُ بِتَجْرِيَيْ أَمْوَارًا جَهَنَّمَهَا  
وَمَنْ ظَنَّ أَمْوَاهَ الْخَضَارَمَ عَدْبَةً  
وَلَمَّا رَأَيْتَ النَّاسَ يُرْهَبُ شَرَهَمْ

---

كاد الزمان بلادها : رماها بسکيدة وشر . متقاусا : ثابت ، منيما . التواوسا : مقابل  
النصاري خاصه ، وهي حجارة منقرفة يحملون فيها موئدهم . سرقوسة : هي بلد الشاعر  
في جزيرة صقلية . الفيل : غابة الاسد . صراب : جمع ضربة وهي الطبيعة التي ينشأ عليها المره . الخصارم : البحار .

## من الموسحات الاندلسية

لابن سهل

تعريف وتمهيد :

الشاعر هو ابراهيم بن سهل الاندلسي الإشبيلي ( 605 - 649 ) ، من شعراء الاندلس البارزين ، ولد سنة 605 هـ ، ونشأ في احضان بيته غنية بالعلم والثقافة ، مترفة بالمال والجاه ، عاش زمانبني هود و زمن المرابطين الذين وندوا من شمال افريقيـة ، وحكموا الاندلـس ، وقد تلقـى ثقافـته على ايدي علمـاء اللغة والأدب في عـصره ، ثم اتصـل ( بـابـن خـلاصـ) صاحـب ( سـبتـة ) وكتـب لـه ، وـكان يـدين بـاليـهودـيـة ، ويـقال : انه اـسلـم فـي اـواخر حـيـاته ، وـقد مـات غـرـيقـا مـع ( بـابـن خـلاصـ) سـنة 649 هـ .

ولابن سهل ديوان شعر اكثـره فـي الغـزل ، ويـضم مع ذـلك الفـرض اـشعـارـا فـي الرـثـاء ، والمـدـح ، والـوـصـف ، والـزـهـد .

ومن المعلوم ان الشـعـر العـربـي القـديـم التـزم التـمسـك بـوـحدـة الـوزـن والـتـقـافـية فـي كـل اـبيـات القـصـيدة ، فـلـمـا فـتـح العـرب بلـاد الانـدلـس ، وـاقـامـوا بـهـا سـارـ شـمـراـؤـهم عـلـى هـذـا الدـرـب ، وـسـلـكـوا هـذـا النـهـج إـلـى أـن تـأـثـرـوا بـالـفـنـاء الشـعـبـي الأـسـبـانـي المـتـحرـر فـمـن قـيـود الـوزـن والـتـقـافـية ، إـلـى جـانـب ما تـولـد فـي نـفـوسـمـ من رـقة وـمـيل إـلـى الدـعـابـة وـالـعـبـث بـالـشـعـر ، وـالـتـرـنـم بـالـفـنـاء ، فـعـنـد ذلك شـاعـر فـي الانـدلـس فـنـ جـديـد من النـظـم عـرـف ( بالـموـشـحـات ) .

وقد ظـهـر هـذـا الفـنـ المـبـكـر أـولـاـ ما ظـهـر عـلـى يـد ( مـقـدـمـ بنـ مـعـافـرـ الفـريـريـ ) واـخـدـه عـنـه ( أـبـو عـبدـ اللهـ بنـ عـبـدـ رـبـهـ ) صـاحـب ( العـقدـ الفـريـدـ ) ، وـلـكـنـ مـوـشـحـاتـهـما لـم تـلـقـ رـوـاجـاـ كـثـيرـاـ حتـى جاءـ ( عـبـادـةـ الفـراـزـ ) شـاعـرـ ( المـعـتـصـمـ بنـ صـمـادـحـ ) فـأـحـيـا هـذـا اللـونـ مـنـ النـظـمـ ، وـبـرـعـ فـيـهـ ، وـشـاعـ بـعـدـهـ عـلـى السـنـةـ الكـثـيرـينـ مـنـ الشـعـرـاءـ الـذـينـ اـسـتـعـمـلـوهـ فـيـ اـغـرـاضـ الشـعـرـ المـخـلـفـةـ ، وـبـقـيـتـ المـوـشـحـاتـ فـتـرـةـ غـيرـ قـلـيلـةـ فـيـ مـسـتـوـى لـغـويـ لـاثـقـ ، فـصـيـحةـ اـسـلـوبـ قـوـيـةـ التـرـكـيبـ ، ثـمـ اـصـابـهاـ اللـحنـ وـهـبـطـ مـسـتـوـاـهـاـ إـلـىـ الـعـامـيـةـ ، وـشـاعـتـ عـلـىـ السـنـةـ السـوقـةـ ، وـنـشـأـ بـذـلـكـ مـاـ يـسـمـىـ ( بالـأـزـجـالـ ) .

فالوشحات اذا لون من الوان الشعر العربي استحدثه الاندلسيون وبرعوا فيه ، والوشح عبارة عن منظومة شعرية تتالف من عدة وحدات ، كل وحدة منها لها قافية مستقلة مع وجود لازمة تسمى القفل يبتدىء بها المنشد غالبا ، وتتكرر بوزن وقافية ، وعدد أبيات ثابتة مع وحدات المنظومة كلها ، ثم تجعل اللازمة او القفل خاتما للمشح .

وهذا النص منظومة لابن سهل صاغها في الفزل على شكل موشحة :

النص :

فَلَمْ دَرَى ظَبَّيُ الْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى  
قَمْهَا فِي حَرَّ وَخَفْقٍ مِثْلَمَا  
قَلْبٌ صَبَّتْ حَلَّهُ عَنْ مَكْنِسٍ  
لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَّا بِالْقَبَسِ

( ١ )

غُرَرَا تَسْلُكُ بِي نَهْجَ الْفَرَرَةِ  
مِنْكُمُ الْحُسْنُ وَمِنْ عَيْنِي النَّظَرِ  
وَالْتَّيْذَادِي مِنْ حَيْبِي بِالْفِكَرِ  
كَالْتَّوَبَى وَالْعَارِضِ التَّبَحِسِ  
وَهِيَ مِنْ بَهْجِيمَا فِي عُرُسِ

يَا بُدُورَا أَشْرَقَتْ يَوْمَ السَّوَى  
مَا لِقْلَيْ فِي الْهَوَى ذَنْبٌ سِوَى  
أَحْتَنَى اللَّدَائِتْ مَكْلُومَ الْجَوَى  
كُلَّمَا أَشْكُوْهُ وَجَدِي بَسَّا  
إِذْ يَقِيمُ التَّقْطُرُ فِيهَا مَأْتَى

( ٢ )

أَيْهَا السَّائِلُ عَنْ جُرْمِي لَدَيْهِ  
لِي جَزَاءُ الدَّنِّ وَهُوَ الدُّنْبِ  
مَشْرِقًا لِلشَّمْسِ فِي مَغْرِبِ

**ظبي الحمى** : المقصود محبوبة الشاعر التي يشبهها بالظبي . صب : عاشق ولهمان .  
 حله : نزل به ، وسكن فيه . مكنس : بيت الظبي . الخلق : اضطراب القلب . القبس : الشملة التي تؤخذ من نار عظيمة . النوى : الفراق . غروا : بعض الوجوه . القرد : الخداع ، التعرض للخطر . مكلوم : مجروح . الجوى : حرقة الصب وشدة الامه . بالذكر : بالتفكير فيه والذكر له . الوجود : شدة الحب . الريا : جمع ربيوة وهي الأرض . المرتفعة يوجد فيها الزرع والزمر . العارض البنحس : السحاب الذي يمطر منه الماء . القطر : المطر . جرمي : جريعتي وذنبي .

ذَهَبَ الدَّمْعُ يَأْشُوَاقِي إِلَيْهِ  
يَبْتَسِعُ الْوَرَدُ يَنْتَرِسِي كُلُّمَا  
لَيْتَ شِعْرِي أَيْ شَيْءٍ حَرَمَـاً

وَلَهُ خَدُّ يَلْحَظِي مُذْهَبُـ  
لَا حَنَّتَهُ مُقْلَتَيِ فِي الْخَلَسِـ  
ذَلِكَ الْوَرَدُ عَلَى الْمُقْتَرِسِـ ؟

(ج)

كَلْمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حُرَقِي  
تَرَكَتُ الْحَاظِفَةَ مِنْ رَمَسِي  
وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِيمَا بَقِي  
فَهُوَ عِنْدِي عَادِلٌ يَانَ ظَلَمَتَا  
لَيْسَ لِي فِي الْأَمْرِ حُكْمٌ بَعْدَمَا

غَادَرَتِي مُقْتَاهُ دَفَقَا  
أَثَرَ النَّمَلِ عَلَى صُمَّ الصَّفَا<sup>١</sup>  
لَسْتُ أَلْحَاهُ عَلَى مَا أَتَلَفَّا  
وَعَذْوَلِي نُطْقُهُ كَالْغَرَسِ  
حَلَّ مِنْ تَفْسِي مَحْلُّ النَّفَسِ

دراسة أدبية:

هذه المنظومة موضوعها الأدبي هو الفزل ، وقد تضمنت عدة أفكار منها تشبيه الشاعر محبوبته بالظبي ، وأن حبها سكن قلبه فجعله في حر وخفق ، وأنها تبدت مع اترابها يوم الفراق بدرأ تحيطه البدور ، وأن جمالها سباء وسحره فلا ذنب له في حبها ، وأنه اذا جاءها شاكيا ووجهه تبسمت وتدللت عليه ولم تعبا بشكواه ، فمثلها معه كمثل وجه الرابية يشرق بانهمار المطر ، ثم يعود ليذكر انه لا ذنب له في ذلك ، فان طلعتها الرائعة ، ووجنتها المتوردين قد أوقدت نار الحب في قلبه ، وأنه استشفع لديها بدمعه الذي ارسله اليها رسول شوق فلم يظفر منها بغير الإعراض ، كما يذكر انه كلما اختلس النظرات اليها احمر وجهها خجلا يوحى بالاستحياء من ذلك . ويعجب الشاعر من ان يحرم عليه التمتع

**مذهب** : في لون الذهب . **مقاتي** : عبني . **الخلس** : اشراق النثرات في خفة وسرعة . **ليت شعري** : تعبير للتعجب يقصد به ليت احساس يدلك على جواب لما **بلي** ، او ليتن اشعر . **هولفي** : حرقة شوقى . **دنقا** : مشرقا على الملاك ، مريضا ضيقا . **رمقى** : ما يبقى في من حياة ضئيفة . **صم الصفا** : الصخر الملاع . **العاد** : أعيشه والرمه . **علوبي** : من يلومني في حبه .

يُفرس تعهده ورعاه ، وبعد ذلك يكرر الشاعر انه كلما أضناه الحب وشكاه  
اليها ما يعانيه نظرت اليه بعينيها الساحرتين ولم تستجب لشكواه  
فيزداد ذلك عناؤه ، واخيرا يقرر انه مع كل هذا لا يستطيع لومها ،  
بل يقدم الشكر لها ، ويعتبر ظلمها عدلا ، ولا يسمع للعاذلين في أمر حبها  
قولا ، حيث سكنت قلبه ، وجرى حبها من نفسه مجرى النفس من  
جسمه .

وانت تلاحظ ان الشاعر وصف من محبوبته جمالها الحسي مقتضرا  
في ذلك على نمرة الوجه وسحر العينين ، وتورد الخدين . كما عرض  
آثار الحب عليه ، شكوى وجده ، وسقام جسم ، وبكاء عين .

وهذه المعانى كلها مألوفة ، وهذا النمط في الغزل قديم طالما تناوله  
ورددده من قبل شعراء الغزل في قصائدتهم .

اما عاطفة الشاعر فلا نكاد نحس منها صدق الشعور ، او نلمس  
فيها لهيب الانفعال ، وانما الذى نحسه من قوله ان الالفاظ خالية  
من الروح ، وقد شف فيها الشاعر بالاسلوب اكثر من شففه بالمحبوب  
ما يحملنا على القول : ان هذه المنظومة كانت مداعبة غزلية لا تعبّر عن  
تجربة شعورية .

على ان الجديد في هذه المنظومة هو صوغها في شكل الموشح بتقسيمها  
إلى عدة مقطوعات متنوعة الفافية مع وجود الازمة التي تكررت مع  
كل مقطوعة حيث سار الموشح كما يلي :

بيتان قافيتهم حرف السين ، مقطوعة من ثلاثة أبيات قافيتهم  
حرف الراء ، بيتان قافيتهم حرف السين ، مقطوعة من ثلاثة أبيات  
قافيتهم حرف الباء ، بيتان قافيتهم حرف السين ، وهكذا الى نهاية  
الموشح . ويمكن بذلك اعتبار البيتين اللذين قافيتهم حرف السين هما  
اللزمة او القفل لهذه المنظومة الموسحة .

واننا لنلمع من هذا النص أن الشعراء في الاندلس كانوا الى حد  
كبير مرتبطين بتراث المشرق وتقليده فهذا شاعرنا حاول التجديد ، ولكنه  
لم يصل الى ما يريد ، ووقفت غاية التجديد عند الشكل ، ولم تستطع  
ان تتجاوزه الى المعنى والمضمون .

ومما يجدر بنا ان نؤكد هنا ان الموشحات نشأت في هذا العهد استجابة لحياة الاندلسيين المنطلقة ، ونقوsem الحرة ، وتلبية لحاجة الفناء والموسيقى اللذين اولع بهما الناس ولما كبيرا .

## دراسة بلاغية :

الشاعر في هذه المنظومة يروي قصته مع محبوبته التي هام بها - حسب ما ادعاه - ومنحها قلبه حتى أضناه الحب ، ولكن لم يظفر منها بغير الصد والمرجران ، ولذلك نجد الاسلوب الغربي المعب عن الإعجاب أحيانا ، وعن الشكوى أحيانا أخرى هو الاسلوب الفالب على النص ، وأن الاسلوب الإنساني قليل ، ومنه : الاستفهام الذي يدل على التساؤل والخبرة والتمني في قوله : هل درى ظبي .. ، والنداء الذي قصد منه التلميح في قوله : يابدورا اشرقت يوم النوى ، والاستفهام الدال على التعجب في قوله : أي شيء حرم ذلك الورد على المفترس ؟

وقد تمثل الخيال كثيرا في النص بكل أدواته من تشبيه واستماراة وكناية ، فكان من التشبيه قوله : فهو في حر وخفق مثلما لعبت ريح الصبا بالقبس ، كما أشکوه وجدى بسم كالربا والعارض المنجس - نطقه كالخرس - حل من نفسي محل النفس . وكان من الاستعارة قوله هل درى ظبي الحمى - يابدورا اشرقت يوم النوى - يقيم القطر فيها مائما - أي شيء حرم ذلك الورد على المفترس ؟ جاءت الكناية عن حمرة الخدين وتوردهما في البيت التاسع «أخذت شمس الضحى .. البيت » ، والكناية عن ضالة الرمق الذي أبقاء المحبوب له في البيت الرابع عشر « تركت الحافظه .. البيت » ، والكناية عن الانصراف عن اقوال الماذلين وعدم المبالغة بهم في قوله : عذولي نطقه كالخرس . الى غير ذلك من الصور العديدة ، والاخيلة غير الجديدة التي وردت في تصوير الشعراء السابقين الذين كانوا في مثل ظروف الشاعر وموافقه .

اما التعبير والتركيب فقد غلت عليها الصنعة حيث اسرف في الزخرف البديعي واكثر من المحسنات اللفظية كالطباقي في : اشکوه وجدى ، بسما - مائما ، عرس - مشرقا ، مغربا - ما بقي ، ما اتلف - عادل ، ظالم - نطقه ، خرس .

والجناح بين : حمى ، حمى - غرر ، غرر - ذهب ، مذهب - نفس ، نفس . وهذه العناية الشديدة بالمحسنان لم تضف على النص جمالا ، وإنما اقلته بقيود التكلف والصنعة والتقليد .

ولكن من الإنفاق أن نقول إن الشاعر التزم **الالفاظ العربية** ، واختار الكلمات السهلة الموجبة ، واستعملها في مدلولها المناسب ، وصاغها صياغة جميلة ، ذات موسيقى ساحرة .

### مجمل القول

الموشح منظومة شعرية ابتدعها الاندلسيون استجابة لبيتهم الجديدة ، وظروفهم الطبيعية ، وحياتهم الاجتماعية . والموشح يقوم عادة على عدة مقطوعات مختلفة الفافية ، تتكرر مع كل مقطوعة منها لازمة تسمى القفل ، وهذه الازمة ذات وزن وفافية وعدد أبيات ثابتة غالباً ما يفتح بها الموشح ، ولكنها دائماً تكون خاتماً له .

وموشحنا هنا لابن سهل نظمه في الفزل ، وضممه وصف جمال محبوبته ، وأثر ذلك الحب عليه من معاناة حرقة الحب ، وألام التدلال والصد والهجران ، وقد جاءت هذه المعانى ترديداً لما سبقه به شعراء الفزل من قبل دون أن يضيّف إليه الشاعر جديداً . وقد بدأ عاطفة الشاعر في حالة من الفتور الشعوري الذي لا يبدل على صدق الإحساسات عنده ، ولا يشف عن عمق الانفعالات في داخله .

أما الصورة البيانية والأخيلة فقد كثرت في النص وتنوعت ، وازدحم بها الأسلوب ، ولكنها فقدت عنصر الجدة والطرافة ، فقد جاءت موافقة لخيال وتصوير غيره من الشعراء السابقين .

كما أن الشاعر أجهد نفسه في الزخرفة اللغوية التي انتلت الأسلوب بقيود الصنعة والتكلف وأن كان قد أحسن كثيراً في اختيار الالفاظ ، وانتقاء الكلمات السهلة المعبرة ، واحتفظ للموشح بالمستوى الفصيح من الكلام .

والمنظومة من بحر الرمل ، وتفعيلاته :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن

## **المناقشة :**

- 1 - ما موضوع هذه المنظومة ؟ وما النسق الذي سار عليه الشاعر في نظمها ؟
- 2 - كيف صور الشاعر محبوبته في الستين الاول والثاني ؟ وكيف صور قلبه في معاناة آلام الحب ؟

## **في المقطوعة (أ) :**

- 3 - من الذين يناديهما الشاعر ؟ وماذا يحكى لهم من أمره ؟ وما رأيك فيما يبرر به وقوعه في الحب ؟
- 4 - ذكر الشاعر موقف محبوبته منه حين يأتيها شاكيا - فماذا قال ؟ وما الصورة التي عرضها لتوضيح ذلك الموقف ؟

## **وفي المقطوعة (ب) :**

- 5 - يعود الشاعر لتبرير وقوعه في شباك الحب ، فماذا يقول ؟ وما الذي يصوّره من جمال محبوبته ؟ وماذا يشكو من أمرها معه ؟
- 6 - ما رأيك في كل من الصورتين : ذهب الدمع باشواقي اليه ، ينبت الورد بغرسي - وضع معللاً ما تراه .

## **وفي المقطوعة (ج) :**

- 7 - علام يدل تعبير الشاعر بقوله : كلما اشكو ... وكيف صور موقف محبوبته من شكواه في هذه المرة ؟ وماذا ذكر من اثر ذلك عليه ؟
- 8 - كيف ينظر الشاعر الى تصرف محبوبته معه ؟ وما موقفه من اقوال العاذلين ؟

**وفي النص (كله) :**

- 9 - ما الأفكار الأساسية التي دار حولها النص ؟ وهل يتضح فيه بصورة أكمل جانب الفزل أو جانب الشكوى ؟ وضع مستدلاً .
- 10 - أتري للشاعر فيما أورده من المعانى تجديداً وابتكاراً ؟ اذكر رأيك مع الاستشهاد له . في البيت الرابع اسلوب قصر - وضع اجزاءه والغرض البلاغي منه .
- 11 - عرض الشاعر كثيراً من الصور البيانية ، فماذا كان حظ تلك الصور من الطرافة ؟ ولماذا أيد قوله بالأمثلة .
- 12 - حفلت المنظومة بالمحسنات البدوية - اذكر نوعين سنتين منها ، ومثل لها .
- 13 - ما مدى صدق الشاعر في التعبير عن عاطفته ومشاعره ؟
- 14 - ما المقصود بالموشحة ؟ وما الظروف التي ساعدت على ظهور المoshحات في الاندلس ؟

**تسليط**

**المقالة الأدبية :**

— الحب الشريف العفيف عامل كبير من عوامل تحقيق العز والعلا .

**السؤال الكتابي :**

— كان من عوامل انهيار الدولة الاندلسية انفصال الناس في الترف والمجون ، وميلهم الى الانحلال الخلقي . وضع ذلك .

## نماذج من شعر ابن سهل :

٦ - الفصل

فِهِيَ الَّتِي جَلَبَتِ إِلَيَّ مَنْسُونِي  
يَقْتَادُنِي مِنْ نَظَرِي لِقُتُونِي  
حَكَمَتْ عَلَيْنَا بِالْمَوَى وَالْمُوْنِي  
حَتَّى تَكَلَّمَ فِي تَجْمِيعِ شُؤُونِي  
كَادَ الْمُرِيبَ يَأْنُ يَقُولُ : خُذُونِي  
وَرَاسُ مَسْكِنِهَا أَسْوَدُ عَرَبِينَ  
فَالطَّيْفُ لَا يَسْرِي عَلَى تَأْمِينِ  
مِنْهُمْ مُبَرَّأَةً بِرَجْمٍ ظَنُونِي . . .  
أَأَعْرَتَنِي قَلْبًا لِيَحْمِلْ شَجُونِي  
كَيْفَ السَّيْلُ إِلَى اقْتِضَاءِ دِيُونِي  
أَنْ لَوْ بَعْثَتْ تَعْثَةً تُخْسِيَ  
وَتَصْدِيقِي مِنْهُ عَلَى الْمُسْكِينِ  
مَا قَلَّ يَكْثُرُ مِنْ نَوَالِ ضَنِينِ  
فِي غَيْرِ دَارِ الْخُلْدِ حُورَ الْعَيْنِ  
فِي الْعَالَمِينَ شَهَادَةً يَسِينِ ١

يَا أَبِي جُفُونْ مُعَذَّبِي وَجَفُونِي  
مَا كُنْتُ أَحْسَبَ أَنَّ جَفَنِي قَبْلَهَا  
يَا قَاتِلَ اللَّهِ الْمُيُونَ لِأَنَّهَا  
وَلَقَدْ كَمْتُ الْحُبَّ بَيْنَ جَوَانِحِي  
هَيَاهَا لَا تَخْفِي عَلَامَاتُ الْمَوَى  
وَيَمْحَتِي الْحَاظَ ظَبَّيَةً وَجَرَّةً  
سَدَوَا عَلَيَّ الطُّرُقَ حَوْفَ طَرِيقِهِمْ  
أَوْمَا كَفَاهُمْ مَنْعِمُهُمْ حَتَّى رَمَوَا  
يَا عَاذِلِي ذَرْنِي وَقَلْنِي وَالْمَوَى  
يَا ظَبَّيَةَ تَلْسُوِي دِبُونِي فِي الْمَوَى  
مَا كَانَ ضَرَكِي يَا شَقِيقَةَ مَهْجَعِي  
زَكِيَّ جَمَالًا أَنْتِ فِيْ غَيْثَيَةِ  
مُنْيِي عَلَيْهِ وَلَوْ بُطِئَ طَارِقِي  
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ حُبِّكَ أَنَّ أَرَى  
قَسَّاً بَحْسُنِكَ مَا بَصَرْتُ بِشَلَهَ

**مثوبي** : مولى . **شووفني** : مجرى دموعي ، والمفرد شان . **الربيب** : المذنب . **وجرة** : اسم موضع في الجغرافيا العربية بين مكة والبصرة . **تلوي ديوبي** : لا تونفيها .

## ب - الزهد

أَسْعِدَ الْوَجْهَةَ يَدْمِيَ وَكَفَّا  
لَسْتُ بِدَمْنِي غَرِيقًا إِنَّمَا  
جَادَ غَيْثُ الدَّمْعِ مِنْ بُعْدِكَ فِي  
ذِكْرِكَ الْأَعْطَرُ يُنْكِنِي دَمًا  
أَكْتُ أَشْكُو فِي الْهَوَى وَالْيَوْمَ قَدَّ  
لَا تَقُولُ لِلَّدَمْعِ حَسْبِيْ وَكَفَّا  
جَسَدِي خَفَّ ضَنِّي حَتَّى طَفَّا  
مُقْلَتِي رَسْمُ الْكَرَى حَتَّى غَفَّا  
رَبِّيْ مِسْلِكِ شَذَّاهَ رَغَفَّا  
مُبْتُ ، يَعْفُو اللَّهُ عَمَّا سَلَفَّا

---

بعض وكلها : جرى وسال والمزارع يكف . والالف للطلاق . حسيبي : كفاني . كفي : الحنف عن غيره ، والمزارع منه يكفي . فني : سقما وهرالا . الکری : النوم .

20

## وصيَّة للابناء

لابن الخطيب

تمهيد :

حب الآباء للبنين غريزة أودعها الله نفوس الآباء ، فجعل قلب كل أبي عامراً بالمحبة والمطاف على ابنائه المقربين على حياة لا يعرفون من أمرها كما يعرف أبوهم المثير عنها .. وهكذا حُفِّلت كتب الأدب والتاريخ بكثير من الوصايا بوجهها الآباء إلى الابناء ، لتكون لهم خطة عمل ، ودُستور حياة .

وقد كانت وصيَّة لسان الدين بن الخطيب لابنائه من أشهر الوصايا التي عرَّفها الأدب العربي . والليك فيما يلي مقتطفاتٍ يسيرةً من هذه الوصية القيمة التي اشتهر أمرها ، وذاع خبرها ، وتناقلتها الأجيال جيلاً بعد آخر .

الفصل :

( ۱ )

اغْلَمُوا — هَدَاكُمُ اللَّهُ تَعَالَى — أَنِّي مُؤْدِعُكُمْ وَإِنْ سَأْلَنِي الرَّدَى ، وَمُفَارِقُكُمْ وَإِنْ طَالَ الرَّدَى وَلَا أَقْلَى اللَّهِ بِالْحِسْبِ الْمُوْدَعِ مِنْ وَصِيَّةٍ مُخْتَصِّرٍ وَعَجَالَةٍ مُفْتَصِّرٍ ، وَرَتِيمَةٍ تُعَقَّدُ فِي خَنْصَرٍ ، وَنَصِيحَةٍ تَكُونُ نَشِيدَةً وَاعِزَّ مُتَبَصِّرٍ ، تَسْكَلُ لَكُمْ يَحْسَنُ الْعَوَاقِبُ مِنْ بَعْدِي ، وَتُوَضِّحُ لَكُمْ مِنَ الشَّفَقَةِ وَالْحَنْقُوقَ قَضِيَ .

رابع التعريف بابن الخطيب في القسم الخاص بالترجمات الأدبية .

محترف : اسم مفعول من احتضر بمعنى حضره الوفاة . مجالة محترف : المجالة ما تجلبه من كل شيء . وليةمة : خطب يُعقد في الامسيع للتدليل .

( ب )

وَاعْلَمُوا أَنِّي قَطَعْتُ فِي الْبَحْثِ زَمَانِي ، وَجَعَلْتُ النَّظَرَ شَانِي ، مُنْذُ  
بِرَانِي اللَّهُ وَأَنْشَانِي ، مَعَ نُبْلِي يُعْتَرِفُ بِهِ الشَّانِي ، وَإِذَا كُلِّي يُسْلِمُهُ الْعَقْلُ  
الإِنْسَاني ..

( ج )

وَتَسَكُّوا بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى حِفْظًا وَتَلَوَةً ، وَتَفَكَّرُوا فِي آيَاتِهِ وَمَعَانِيهِ .  
وَامْتَشَلُوا أَوْاِمَرَهُ وَنَوَاهِيهِ ، وَلَا تَتَأَلَّوْهُ ، وَلَا تَمْلُوا فِيهِ ، وَأَشَرَّبُوا  
قُلُوبَكُمْ حَبَّ مَنْ أُنْزِلَ عَلَى قَلْبِهِ . وَصُونُوا شَعَائِرَ اللَّهِ صَوْنَ الْمُحْترَمِ ،  
وَاحْفَظُوا الْقَوَاعِدَ الَّتِي يَتَبَيَّنُ عَلَيْهَا الإِسْلَامُ حَتَّى لَا يَتَخَرِّمُ .

( د )

وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ أَمْرًا رَفِيقًا ، وَأَنْهُوَا عَنِ الْمُنْكَرِ نَهِيًّا حَرِيًّا بِالْإِعْتِدَالِ  
حَقِيقًا ، وَأَطْبِعُوا أَمْرَ مَنْ وَلَاهُ اللَّهُ مِنْ أُمُورِكُمْ أَمْرًا ، وَلَا تَقْرُبُوا مِنَ الْفُتُنَّةِ  
جَنَّرًا ، وَلَا تُدَاخِلُوا فِي الْخِلَافِ زَيْدًا وَلَا عَنْرًا . وَعَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَهُوَ  
شَعَارُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَهْمَّ مَا أَصْرَى عَلَيْهِ الْآبَاءُ أَلْسَنَةُ الْبَيْنِ . وَإِيَّاكُمْ وَالسَّكِينَ  
فَهُوَ الْعَوْرَةُ الَّتِي لَا تُوَارِى ، وَالسَّوَاءُ الَّتِي لَا يُرِتَابُ فِي عَارِهَا وَلَا يَسْمَارِى .  
وَعَلَيْكُمْ بِالْكِمَانَةِ ، فَالْخِيَانَةُ لُومٌ ، وَفِي وَجْهِ الْقِيَانَةِ كُلُومٌ . وَحَافِظُوا عَلَى  
الْحِشْمَةِ وَالصِّيَانَةِ وَلَا تُوْجِدُوا لِلْفَدْرِ فَبُولًا ، «وَأَفْعُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ

النظر : البحث والتأمل . شانى :

شانى او حالى وعادى . برانى : خلقنى . الشانى : الشانى وهو البعض مع  
عداؤه وسوء خلق . امتنلوا : اطيموا واتبعوا . ولا نقولوا : ولا تتجاوزوا الحد الذي يقبله  
العقل والشرع . شعائر الله : معلم دينه ، والكلمة جمع مفرده شعيرة . ينخروم : يذهب  
او يضيع . دهليقا : فيه رفق وسمولة . حريا : جديرا او مناسبا . اغري عليه : اغرى  
به وغض عليه . توادى : تستر وتحفى بالبناء للمجهول . لوم : لوم وهو البخل وخسة  
الاصل . كلوم : جروح ، والمفرد كلم . التمسوا : اطلبووا . العشمة : الادب والجهاه .

كَانَ مَسْؤُلًا » ، وَلَا تَأْكُلُوا مَالَ الْيَتَمِّ بَعْدَ حَقِيقَتِهِ ، وَانْزَعُوا الْطَّمَعَ ،  
وَالْتَّمِسُوا الْحَلَالَ . وَإِنَّكُمْ وَالظُّلْمَ ، فَالظُّلْمُ مَمْكُوتٌ بِكُلِّ لِسَانٍ ، مُجَاهِرٌ  
الله تَعَالَى بِصَرِيحِ الْعِصَيَانِ . « وَالظُّلْمُ ظُلْمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » كَمَا وَرَدَ فِي  
الصِّحَاحِ الْجَسَانِ . وَقَابِلُوا نِعَمَ اللَّهِ بِالشُّكْرِ ، وَلَا تَنْطَفُوا فِي النِّعَمِ فَتَسْقَرُوا  
عَنْ شُكْرِهَا ، وَتُلْفِكُمُ الْجَهَالَةُ بِسُكْرِهَا ، وَتَتَوَهَّمُوا أَنَّ سَعْيَكُمْ جَلَبَهَا وَجَدَكُمْ  
حَلَبَهَا فَالله خَيْرُ الرَّازِقِينَ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

( ه )

وَالله الله لا تنسوا الفضل بيتكُم ، ولا تذهبوا بذها به زينكم . وليلشزم  
كلّ واحد منكم لأخيه ما يشد به توأخيه ، بما أمكنه من إخلاص وبر ،  
ومراغع في علانية وسر ، ولا تنافسوا في العظوظ السخيفة . . وإذا كان  
رزق العبد على المؤلئ ، فالإجمال في الطلب أولى ، وليرجع معاداة  
الرجال ، ومزالات الإذلال ، وفساد الخيال . .

( و )

وليانكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً ، واستظهاراً على الخطوب  
وغلاباً ، فذلك ضرر بالمرءات والأقدار ، وداع إلى الفضيحة والعار ، ومن  
امتعن بهما منكم اختياراً أو أجيراً عليهما إكراماً وإثناراً ، فليستلق  
وغلائقها بسعة صدره ، وينبذ فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات  
رفته ومخنة ، وأسر واحنة ، وهي بين إخطاء سعادة ، وإخلال بعبادة ، ونون

مقوت : مبغض اشد البغض . الصحاح العسان : الاحديث النبوية الصحيحة .  
جدكم : حظكم . حلها : انى بها . الفضل : الاحسان الى الامل وغيرهم . المؤل : الله  
مز وجل . الاجمال في الطلب : الاعتدال وعدم الافراط . استجلابا : طلا ، والماضي :  
استجلب . استلهارا : استهانة ، والماضي منه استظر . غالبا : مقابلة ، والماضي غالب .  
ايثارا : تفضيلا له على غيره والفضل اثر بمعنى اختيار وفضل . سعة صدره : حلمه .  
دون فهو : اقل من قيمته . اهنة : حد . اخلال بعبادة : تقصير فيها .

عَزَّلَهُ وَإِدَالَةُ، بِإِذَا هُوَ يَبْعَثُ حَلَقَةً بِهَوْلٍ وَمَزَّلَةً قَدَمَ، وَاسْتَبَاعُ نَدَمٍ. وَمَآلُ الْعُمُرِ  
كُلَّهُ مَوْتٌ وَمَعَادٌ، وَاقْتِرَابٌ مِنَ اللَّهِ وَأَبْتِعَادٌ. جَعَلَكُمُ اللَّهُ مِنْ نَفْعَهُ بِالتَّبَصِيرِ  
وَالشَّيْءِ، وَمِنْ لَا يُنْقَطِعُ بِسَبِيلِ عَمَلِ أَيِّهِ.

(ن)

هَذِهِ - أَسْعَدَكُمُ اللَّهُ - وَصِيتَيِ الَّتِي أَصْدَرْتُهَا ، فَتَلَقَّوْهَا بِالْقَبُولِ لِنَصْحَاجَهَا  
وَالْاهْتِدَاءِ بِضُوءِ صَبْحَهَا ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ مِنْ حَسِيبِكُمُ الْمَوْدَعُ، وَالدِّكْمُ  
مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطِيبِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَّ كَاتِبِهِ .

### ايصال وتحليل :

هذه مقتطفات يسيرة من وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده الثلاثة عبد الله ومحمد وعلى حين عزم مغادرة الاندلس في اواخر حياته !

يخاطب الكاتب اولاده في القسم الاول من وصيته قائلا لهم : اعلموا بالباقي  
هذاكم الله تعالى الى الخير الذي سأموتونهما طالت مدة حياتي . وأقل ما  
يفعله المحب من اجل احباب يوَدُّهم وَصَيْةٌ يُترَكُها لهم من بعده ، تُنَذَّرُهُمْ  
بما يمكن ان يَنْسَوُهُ من الامور الهامة ، وَنَصِيحَةٌ يُحرِصُ علىَها العاقل لتضمن  
له سلامه العاقب في شؤونه كلها .

وفي القسم الثاني (ب) يُنِيَّةُ صاحب الوصية بقيمة النصائح التي جاءت  
في وصيته ، لأنها نصائح صدرت عن رجل ناضج العقل ، واسع الخبرة  
والتجربة ، قضى حياته كلها في البحث والدرس والتأمل حتى أحرز مكانة  
عالبة اعترف له بها العدو الصديق ..

وفي الفقرة (ج) يتناول الكاتب أمراً جليلاً ، وهو القرآن الكريم فيدعوه  
ابناءه الى التمسك به ، ويطالبهم بحفظه وقراءته ، واتباع أوامره ونواهيه ،  
من غير مبالغة في تفسيره بما لا يُفْلِهُ العقل والدين ، ويوصيهم بمحبة النبي  
- صلى الله عليه وسلم - والمحافظة على شعائر الله تعالى التي هي معالم دينه  
أو علماته الدالة على وجوده ، كالصلوة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ،  
والجهاد في سبيل الله ، فإنها قواعد الدين التي تحفظ بقاءه ، وتضمن  
استمراره وخلوده .

ادلة : غلبة ، وهو مصدر الفعل ادال بمعنى نزع منه الدولة والسلطة . مآل العمر :  
مرجمه ونهايته وهو مصدر مبني من آآل يؤول . التبصير : التعليم ، وهو مصدر الفعل يصر .

وفي الفقرة (د) يوصي ابن الخطيب اولاده بجملة صالحة من الأخلاق الحسنة والخلال الطيبة ، فيطلب منهم أن يأمروا بالمعروف من غير شدة ، وأن ينهاوا عن المنكر من غير إسراف ، وأن يطيعوا أمر الحاكم الذي ولاد الله أمور المسلمين ويوصيهم بالابتعاد عن الفتنة ، والخلافات الشخصية ، والسياسية ، وبخضمهم على التزام الصدق رأس الفضائل ، وينهاهم عن الكذب رأس الرذائل ، ويأمرهم باتباع الأمانة وأداء الامانات إلى أهلها ، ومجانبة الخيانة لأنها تدل على لوم صاحبها وخسارة أصله . وينصحهم بالمحافظة على الأدب والأخلاق ، والبعد عن الغدر وأكل مال اليتيم ، والطمع . ويدعوهم إلى طلب الرزق عن طريق الحال ، والى ترك الظلم ، والى مقابلة نعم الله بالشكر ، لأن الشكر خير وسيلة لزيادة النعمة ..

وفي الفقرة (هـ) يوصي ابن الخطيب اولاده بالإحسان إلى أهلهم وإخوانهم عن طريق المساعدات المادية كتقديم المال وغيره ، أو عن طريق المساعدات المعنوية ، كالإخلاص للأهل والإخوان ، والمحافظة على مودتهم في الفيفية والحضور ، والسترة والعلانية . وينهاهم عن التنافس في حطام الدنيا ومطالبتها لأنها أشياء حقيرة ، لا تستحق منافسة ، فالرزق من عند الله لا من عند الناس ، وهو قسمة عادلة قسمها الله بين عباده ، ولذلك كان على المؤمن العاقل لا يبالغ في إجهاد نفسه من أجل الحصول على المال والجاه ، فإن هذه المبالغة لا تزيد رزقه ، ولا تخفف من حزنه . . ثم يحذر الكاتب ابناءه من معاداة الرجال لأنها تجر عليهم المذلة والهوان .

وفي الفقرة (و) يحذر ابن الخطيب ابناءه من الجري وراء الوظائف العالية ، أو من السعي للوصول إلى الحكم طلباً للجاه والعز ، واستعانته به على خطوب الدهر وتواصبه ، فإن هذه المناصب العالية تضر بشرف أصحابها وأقدارهم ، وقد تسبب لهم الفضائح ، وتجلب عليهم العار ويطلب منهم إذا اختبروا لها ، أو أجروا على قبولها ، أن يصرفوا الأمور بحلم وحكمة ، وأن تكون تصرفاتهم دليلاً على أن الوظيفة أدنى قيمةً وأقل قدرًا من قيمة صاحبها وقدره ، ويزهدهم في الولايات لأنها فتنه ومحنة وسجن ، ومجلبة للعداوة والحسد ، لأن أصحابها إنسان شقي سيئ الحظ ، وأنه يتعرض لصنوف البلاء ، وتشغلهم مهاته الكثيرة عن القيام بواجب العبادة ، وأنه يظل في فلق شديد من أجل مصرير يتهدده العزل في كل لحظة ، كما يتهدده الأعداء والخصوم العاملون على هدم مكانته ونفوذه ، وناهيك عن فلقه خشية الوقوع في أخطاء تريل فيها قدمه فيندم حين لا ينفعه الندم . . وال عمر قصير ، نهايته الموت ، والعودة

إلى الله ، ليلقى كل أمرئ ما قدمت يداه ، إن خيراً فخير ، وإن شرًّا فشر ، ثم يدعو الكاتب لأولاده أن يكونوا من العاقلين الذين ينتفعون بالوعظ والتعليم ، والصالحين الذين تكون أعمالهم الطيبة استمرارا لعمل أبيهم الطيب .

وفي الفقرة الأخيرة يختتم الكاتب وصيته بدعوة أولاده إلى التزام ما جاء في وصيته من نصائح وإرشادات ، ويودعهم وداع محب يهمه أمر أحبابه الذين رحل عنهم .

### دراسة أدبية :

هذه الفقرات التي مرت بك هي جزء يسير من فصل بلigh مؤثر كتبه لسان الدين بن الخطيب على شكل وصية لأولاده حين بلغت حالته النفسية درجة بعيدة من السوء من جراء كيد الخصوم والأعداء ، ويأتي في مقدمة أولئك الخصوم والأعداء صديقه اللذان تَنَكَّرَا له ، وهما تلميذه ومعاونه في الوزارة الكاتب ابن زمرك ، وصديقه القاضي النباхи قاضي قضاة غربناطة . ويقول بعض الباحثين إن ابن الخطيب كتب وصيته هذه عام 772 هـ قبيل مغادرته الأندلس بصفة نهائية ، أي قبل وفاته باربعة اعوام .

وللوصية غرض أساسى أو فكرة عامة هي ضمان سعادة الأولاد الذين كتب الوصية من أجلهم عن طريق تقديم طائفة من النصائح والإرشادات الهامة . وقد سلك الكاتب لبلوغ غرضه ما يلى :

1 - في الفقرة (أ) : نهى صاحب الوصية نفسه إلى أولاده في مستهل وصيته ليُثير في نفوسهم كوابن الحزن على دُنُوِّ أجل والدهم ، فيزداد إقبالهم على الوصية ، وانتفاعهم بها .

2 - وفي الفقرة الثانية (ب) : نَهَى الكاتب بشأن الذي صدرت عنه الوصية ليزداد حرص الموصى بهم على العمل بها كذلك مادامت هذه الوصية قد صدرت عن رجل عالم ، حكيم ، مُجْرَب ، فاضل ، كابيهم .

3 - وفي الفقرة الثالثة (ج) يطلب من أولاده أن يتمسكون بكتاب الله ، وأن يحبوا رسوله الكريم ، ويحافظوا على شعائر الدين .

4 - وفي الفقرة الرابعة (د) يسوق اليهم طائفة صالحة من الإرشادات على شكل أوامر ونواهٍ : فنأمرهم بالمعروف ، والتزام الصدق ، وأداء

الأمانة الى اهلها ، والمحافظة على الادب واللائقة ، وطلب الحال ، ومقابلة نعم الله بالشكر عليها . وينهانهم عن المنكر والكذب ، والخيانة ، والغدر ، وأكل مال اليتيم ، والطعم ، والظلم ..

5 - وفي الفقرة الخامسة (هـ) يوصي ابن الخطيب اولاده بالإحسان الى الأهل والاقارب ، إن كان ذلك الإحسان عن طريق القول أو عن طريق العمل .

6 - وفي الفقرة السادسة (و) يتناول ابن الخطيب أمور السياسة ، والتطلع الى المناصب الكبيرة ، فيوصي اولاده بالبعد عن السياسة تجنبًا لصائبها الكثيرة .

7 - وفي الفقرة السابعة (ز) يطلب صاحب الوصية من اولاده أن يعملوا بوصيته ، ثم يودعهم ...

هذه هي الانكارات التي جاءت في وصية ابن الخطيب لاولاده ، فهي كما ذكرنا وصية مطولة ملأت بعض عشرة صفحة .. وقد أراد ابن الخطيب أن تكون وصيته هذه دستوراً عاماً يلتزم به اولاده ليحظوا بالسعادة والنرجاست في دنياهم وأخرتهم ، ولذا جاءت شاملة لكثير من الأمور المتصلة بالعقيدة والعبادة والأخلاق ، والمعاملات ، وغير ذلك :

ففي جانب العقيدة يوصي ابن الخطيب اولاده بالإيمان بكتاب الله ، والإيمان بهذا الكتاب الكريم يقتضي الإيمان باركان العقيدة الإسلامية ( الإيمان بالله عز وجل ، والإيمان بملائكته ، وكتبه ، ورسله واليوم الآخر ..).

وفي جانب العبادة تحض الوصية على صيانة الشعائر الإسلامية لأن هذه الشعائر هي قواعد الدين الذي لا تقوم له قائمة بغير المحافظة عليها .

وفي جانب الأخلاق يأمرهم بالمعروف ، وينهانهم عن المنكر ، ويدرك طائفة من الأخلاق الحسنة التي لا بد من التخلص بها ، كالصدق والأمانة ، والحياء ، والآدب وغير ذلك ، كما يذكر طائفة من الأخلاق السيئة التي لا بد من التخلص منها كالكذب والخيانة وغيرها مما من اضداد الفضائل السابقة .

وفي جانب المعاملات يوصي ابن الخطيب اولاده بالمحافظة على مال اليتيم ، وبالبعد عن الطمع ، وطلب الرزق الحلال من غير مبالغة في الطلب ، ويوصيهم كذلك باتباع العدل ، والإحسان الى الأهل وغيرهم ، وتجنب معاداة الرجال ، والزهد في السياسة ومناصبها ..

وتميز افكار ابن الخطيب بوضوحها ، وصحتها ، وشمولها لكثير من جوانب الحياة الروحية والمادية ، كما تمتاز باعتمادها على التعليل المنطقى فى كثير من المواطن : فابن الخطيب مثلاً يوصى أولاده لانه راحل عنهم ، ولا بد للراحل من توديع من يغافلهم .. وهو يوصيهم بالمحافظة على شعائر الدين حتى لا يذهب الإسلام بتركها ، ويطالبهم بملازمة الصدق لانه شعار المؤمنين ومحاجبة الكذب لانه المورأة التي لا توأزى ، والسوأة التي لا يُرتَأَ في عارها ولا يُتَمَّرَى الخ ...

وافكار صاحب الوصية هي حصيلة ثقافته الواسعة ، وتجاربه الكثيرة ، وخبراته العديدة التي اكتسبها في حياة وفَقَهَا على البحث والنظر ، وعلى الدرس والتأمل .. وهي افكار مطروفة نجدها في كثير من الوصايا السابقة ، ونستشف ملامحها في الثقافة الإسلامية ومصادرها ولا سيما القرآن الكريم ، والحديث الشريف . لكن ابن الخطيب استطاع ان يُضفي على هذه الافكار المعروفة طابعه الخاص وأسلوبه الذي عُرِفَ به ، فَقَدْتُ ملِكَهُ الَّذِي لَا يُنَازِعُ فيه ، وهكذا بدت الوصية شديدة الصلة بشخصية ابن الخطيب وبالعصر الذي عاش فيه : فابن الخطيب ، في هذه الوصية ، هو رجل الثقافة الواسعة والرُّؤُسِرِ الإسلامية الصادقة ، وهو رجل السياسة الأول ، الذي لم يُأْرِزِ الأدوار على مسرح سياسة العصر .. فكل ذلك يبدو بجلاء في الفقرات السابقة من الوصية ، ويحدثنا التاريخ أن ابن الخطيب لَقِيَ من السياسة ومكايدتها ما لم يُلْقِه شخص من معاصريه ، إذ تعرَّض للعزل من الوزارة ، وصودرت أملاكه ، وُنْفِيَ من وطنه ، كما اُضْطُرَّ قبيل كتابة الوصية التي مرت بك الى الهرب من الاندلس الى المغرب والجزائر ، فلا عجب ، بعد ذلك ، أن يُوصي ابن الخطيب أولاده بِمَجْرِي السياسة طلباً للعافية ، وإثارة للسلامة .. ولكنَّه ، وبِالأسف لم ينجُ في منفاه بالمغرب من كيد الأعداء ، فقتل في سجنه بعد كتابة هذه الوصية باربعة أعوام ..

وعاطفة الكاتب في هذه الوصية هي عاطفة الآبوبة الحانية ، والمحبة الصادقة ، والشقة الشديدة ، والخلق القويم .. ولكنها عاطفة مشوهة بكثير من الحزن والشكوى والمرارة ، ولا سيما في الفقرة السادسة حيث أَرْخَى الكاتب لقلمه العنان في الحديث عن السياسة وعما تجره على أصحابها من ويلات ونكبات ..

## دراسة بلاغية :

ابن الخطيب كاتب من الطراز الأول ، وقد استطاع بقوه قلمه ، وسحر بيانه أن يصل الى مرتبة الوزارة ، والفترات التي مرت بك من قبل تُقْيِّمُ عن بلاغة الكاتب وقدرته على الإنشاء والتصرف في فنون القول . فاسلوب النص يدل على محصول لغوي وفيه يسمع لصاحبه ان يُفْتَنَ في التعبير عن افكاره افتانا ، ويظهر شدة اعتماد ابن الخطيب على الترادف ، والتوازن ، والسبع وغير ذلك من خصائص الاسلوب الادبي الذي ساد في عصر الكاتب وهو القرن الثامن للهجرة .. فالنص ، من اوله الى آخره ، قائم على الخصائص المذكورة ، ولا سيما السبع ، ولذا غلب عليه الإسهاب . وإذا ألقىت بعض الجمل غير مسجونة في بعض فقرات النص فَمَرَّاً ذلك الى تصرفنا بتلك الجمل ، ولو انك عدت الى الوصية الأصلية لو جدتها كلها مسجونة ، الا اننا لا نشعر غالبا بتتكلف السبع بسبب قوة طبع الكاتب ، وسعة ثقافته وغزارته انكاره ، ومقدراته الانسانية الأصلية . وكثير من عبارات النص جاء باسلوب إنساني ، وبخاصة اسلوب الامر والنهي ، وهذا شيء متوقع في وصية قائمة على جملة من الأوامر والنواهي . فالسبع كثير يطالعك منذ العبارة الاولى ، ويطالعك معه الترادف والتوازن كقول الكاتب في مستهل الوصية : « إنِّي مُؤْتَعِّنُكُمْ وَإِنِّي سَالِمُنِي الرَّأْيَ وَمُفَارِقُكُمْ وَإِنِّي طَالَ الْمَدِي .. ». الخ . وال اوامر والنواهي كثيرة هي الأخرى ك قوله : « اعملوا ، تمسكوا ، امتلوا ، اشربوا ، صونوا .. ولا تناولوا ، ولا تغلوا .. ». الخ ..

وفي النص اقتباس من القرآن الكريم كقول الكاتب : « لَا تُوْجِدُوا لِلْفَدَرْ قُبُولا ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا ». وفيه اقتباس من الحديث الشريف : « وَالظَّلْمُ ظَلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». ويلاحظ استخدام الجمل الاعترافية التي اريد بها الدعاء ، كقوله : « اعملوا - هداكم الله - اني مودعكم وقوله : هذه - اسعدكم الله - وَصَيَّتِي التي اصدرتها ..

والالفاظ سهلة ، واضحة ، قلما تقع فيها على غريب ، مثل « رتيمة ، كلوم ، إخنة .. » وهي دقيقة ، ذات صلة شديدة بموضوع الوصية وبأفكارها ، مثل كلمات : وصية ، ونصيحة ، كتاب الله ، حفظ ، تلاوة ، شعائر الله الصدق ، الحياة .. الخ . وتمتاز التراكيب بر صانتها وجزالتها ، ومتانة تأليفها ، وقوة دلالتها على براعة الكاتب الادبية .

اما المحسنات البديعية فكثيرة جدا ، اشرنا ، من قبل ، الى عدد منها كالسجع ، والترادف ، والتوازن ، والاقتباس . وتلقي نظرك هنا الى شیوع الجناس ، كما في الكتاب : وجعلت النظر شانی ، منذ برااني الله وانشانی ، مع نبل يمترض به الشانی .. قوله : لوم ، وگلوم .. قوله : شكرها وسکرها الخ .. وقد دفعه حرصه على الجناس الى تسهيل المهمزة في معظم الكلمات السابقة ، وهي شانی والاصل شانی ، وانشانی الاصل انشانی ، والشانی والاصل الشانی ، لوم ، والاصل لوم .. وهناك الطلاق في قوله : اوامرہ ونواہیه ، والمحترم ، وینخرم .. والمقابلة بين قوله : وأمرروا بالمعروف ، قوله : وانهوا عن المنكر ، قوله : عليكم بالأمانة ، قوله فالخيانة لوم .. الخ

واما المحسنات البيانية فتتمثل في طائفة من التشبيهات والاستعارات والكلنيات ، ومن تلك المحسنات قوله : سالمي الرَّدَى ، وهو من قبيل الاستعارة ، شبه فيها الردى بعدوا بحارب ويسالم .. ومنها التشبيه البليغ في قوله : واياكم والكلب ، فهو العورۃ التي لا تواری ، والسوأۃ التي لا يزتاب فيها ولا يتمازی .

وصور الكاتب السابقة تدل على خيال قريب ولا ضئلاً عليه في ذلك ، فالملامح في الوصية مقام نصيحة وإرشاد ، والكلمة الاولى فيه للعقل لا للخيال .

### جمل القول

النص الذي مر بك مقتطفات يسيرة من وصية شهيرة كتبها لسان الدين بن الخطيب لأولاده في آخر مقامه بالأندلس ، وقد تضمنت نصائح قيمة وإرشادات ثمينة تكفل لن يتبعها حسن العاقبة في الدنيا والآخرة . فقد دعت الوصية الى المحافظة على كتاب الله ، والقيام بشعائر الدين ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والتحلي بالزرايا الفاضلة ، والتخلي عن الصفات السافلة ، وكانت مرآة لثقافة الكاتب الواسعة ، وعصره الذي عصفت به اعراض السياسة ، كما كانت دليلاً على مواهيه الأدبية ، وعلوّ كعبه في التراث والإنساء ، وقد جمعت هذه الوصية من المزايا الفنية ما جعلها نموذجاً جيداً لادب الوصايا الذي عرفه الأدب العربي منذ العاهليه ، كما عرفه في سائر عصوره الأخرى .

## المناقشة :

- 1 - يَمِّنْ بَدَا ابْنُ الْخَطِيبِ وَصَبَّتْهُ لَأَوْلَادِهِ ؟ وَمَا الْأَثْرُ الَّذِي يَتَرَكُهُ ذَلِكُ الْبَدْءُ فِي نَفْوسِهِ ؟
- 2 - مَا الْفَكْرَةُ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا الْفَقْرَةُ (ب) ؟ وَمَا الْفَرْضُ الَّذِي أَرَادَهُ صَاحِبُ الْوِصِّيَّةِ بِهَا ؟
- 3 - أوصَى الكاتبُ أَوْلَادَهُ بِالتَّمْسِكِ بِكِتَابِ اللَّهِ ، كَمَا أَوْصَاهُمْ بِمُحْبَّةِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ . اذْكُرِ الْأَثْارَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي تَرْتَبُ عَلَى هَذَا الْجُزْءِ مِنْ الْوِصِّيَّةِ .
- 4 - اخْتُرْ طَائِفَةً مِنْ وَصَايَا الكاتبِ ، وَفَصِّلِ الْقَوْلَ فِيهَا .
- 5 - لِمَ خَصَّ الكاتبُ صَفَاتَ الصَّدْقِ وَالْكَلْبِ ، وَالْأَمَانَةِ وَالْخِيَانَةِ وَالظُّلْمِ بِشَيْءٍ مِنْ الشَّرْحِ وَالْبَيَانِ ؟
- 6 - ذَكِّرِ الكاتبُ أُسْسًا مُعِينَةً لِعَلَاقَاتِ الْفَرَدِ بِمُجَمَّعِهِ . وَضُعِّفْ تَلْكُ الْأَسْسُ ، وَبَيْنَ أَثْرِهَا فِي حَيَاةِ الْفَرَدِ وَالْجَمَاعَةِ .
- 7 - مَاذَا طَلَبَ الكاتبُ مِنْ أَوْلَادِهِ الْاعْتِدَالَ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ ؟ وَلِمَ حَدَرَ مِنْ طَلَبِ الْوِلَايَاتِ ؟
- 8 - بِمَاذَا خَتَمَ ابْنُ الْخَطِيبِ وَصَبَّتْهُ ؟ وَهُلْ كَانَتِ الْخَاتِمَةُ مُوفَّقَةً ؟ وَلِمَاذَا ؟
- 9 - قَسَّمَ النَّصُّ إِلَى أَفْكَارَهُ الْاَسَاسِيَّةِ ، وَضَعَ عَنْوَانًا مُنَاسِبًا لِكُلِّ فَقْرَةٍ مِنْ فَقْرَاتِهِ .
- 10 - مَا أَهْمَ الخَصائِصُ الَّتِي امْتَازَتْ بِهَا أَفْكَارُ الْوِصِّيَّةِ ؟
- 11 - مَا الْعَاطِفَةُ الَّتِي سَادَتْ هَذِهِ الْوِصِّيَّةَ ؟ وَضُعِّفَتْ تَلْكُ الْعَاطِفَةُ وَبَيْنَ آثَارِهَا فِي أَسْلُوبِ الكاتبِ .

- 12 - لمَ غالب على هذه الوصية اسلوب الإنشاء دون اسلوب الخبر ؟ اذكر لونين مختلفين من أساليب الإنشاء التي مرت بك ، وبين الفرض المقصود في كل منها .
- 13 - قال ابن الخطيب : عليكم بالأمانة ، فالخيانة لوم .. في هاتين العبارتين خبر وإنشاء ، ووضح ذلك .
- 14 - في النص آثار واضحة من القرآن الكريم ، والحديث الشريف . حَتَّىْ ذَلِكَ الآثار ، وَبَيْنَ قيمتها في بلاغة اسلوب الكاتب .
- 15 - في النص أمثلة عديدة للسجع والجناس . استخرج بعضها ، وَبَيْنَ ما هو عَفْوٌٰ منها وما هو متلكف .
- 16 - وهل في النص صور بيانية غير التي ذكرت في الدراسة الأدبية ؟ استخرج بعضها وبين أثرها في جمال اسلوب النص .
- 17 - هل تجد علاقة بين حياة الكاتب والوصية ؟ وضع تلك العلاقة من النواحي السياسية والأدبية والثقافية .
- 18 - هل تجد صلة بين النص وعصر الكاتب ؟ ووضح هذه العلاقة .
- 19 - ما الأثر الذي تركته هذه الوصية في نفكك بعد قراءتك لها ؟

### تدريب

— قارن بين وصية لسان الدين بن الخطيب ووصية ذي الاصبع المدواني التي عرفتها في العام الماضي .

أولاً : النثر

١ - رسالة لشيخه أبي عبد الله بن مرزوق (الفقيه المغربي)

« سَيِّدِي ، بَلْ مَالِكِي ، بَلْ شَافِعِي ، وَمُنْتَشِلِي مِنَ الْمَفْوَةِ وَرَافِعِي ، وَعَاصِمِي عِنْدَ تَجْوِيدِ حُرُوفِ الصَّنَائِعِ وَنَافِعِي ، الَّذِي بِجَاهِهِ أَجْزَلَ الْمَنَازِلِ فَرَأَيَ ، وَفَضَلَّ أُولَائي - وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى - أُخْرَائِي ، وَأَصْبَحْتُ وَقُولُّ الْحَسَنِ (١) هَجِيرَائِي (٢) : »

عَلِقْتُ بِعَبْلُو مِنْ جِبَالِهِ مُحَمَّدٌ  
أَمْتُ بِهِ مِنْ طَارِقِ الْحَدَّانِ  
تَعَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظَلِّهِ جَاهِهِ  
فَلَوْ تَسَّأَلَ الْأَيَّامُ مَا اسْبَيَ مَا دَرَّتْ ؟  
فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي  
وَأَيْنَ مَكَانِي ؟ مَا عُرِفَنَ مَكَانِي

وَصَلَّتْ مَكْنَاسَةَ حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى حَدَّانِي حَدَّوْ نَدَاكَ ، سَحَابَ لَوْلَا  
الْخِصَالُ الْمُبْرَأُ قُلْتُ : يَدَاكَ ، وَكَانَ الْوَطْنُ لَاغْيَابِهِ بِجَوَارِي ، أوْ مَا وَآهَ  
مِنْ اِنْتِيَابِ (٣) زُوَّارِي ، أوْ غَرَّ إِلَى بُعْدِي يَقْطَعُ الطَّرِيقَ ، وَأَطْلَعَ يَدَهُ عَلَى  
الْتَّفَرِيقِ ، وَأَشَرَّقَ الْقَوَافِلَ مَعَ كُثْرَةِ الْمَاءِ بِالْبَرِيقِ ، فَلِمَ يَسْعَ إِلَى الْمَقَامِ أَيَّامًا  
قُعُودًا فِي الْبَرِّ وَقِيَاماً ، وَاخْتِيَارًا لِلْضَّرُوبِ الْأَئْسِ وَاعْتِيَاماً (٤) ، وَرَوَاتِ بَلَدَهُ  
مَعْرِفَهَا أَعْلَامُ ، وَهُوَأُوْهَا تَرِزْدَ وَسَلَامُ ، وَمَحَاسِنُهَا تَعَمَّلُ فِيهَا أَلْسَنَةُ وَأَقْلَامُ ،  
فَحَيَا اللَّهُ تَعَالَى سَيِّدِي فَلَكُمْ مِنْ فَضْلِ أَفَادَ ، وَأَنْتِي أَحْيَاهُ وَقَدْ بَادَ ،  
وَحَفِظَ مِنْهُ عَلَى الْأَيَّامِ الدُّخْرَ وَالْعَتَادَ ، كَمَا مَلَكَهُ زِمَامُ الْكَمَالِ فَاقْتَادَ ، وَأَنَا  
أَطْلَارَحَ عَلَيْهِ فِي صِلَاتِ تَقْدِهِ ، وَمَوْلَاؤْهُ يَدِهِ ، مَهْمَا خَاطَبَ مُعْتَبِرًا بِهِذه  
الْجَهَاتِ ، وَيَصْحَبُهُ مِنْ مَا صَحَّتْهُ بِكُؤُوسِ مَسَرَّةٍ يُغْمِلُ فِيهَا هَالَ وَهَات  
فَالْعَزُّ يُعِزَّهُ مَفْقُودٌ ، وَالسَّعْدُ بِوْجُودِهِ مَوْجُودٌ ، وَمَنْهُلُ السُّرُورِ بِسُرُورِهِ  
مَوْجُودٌ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَ يُبَقِّي نَفَاءَ الدَّهْرِ ، وَيَجْعَلُ حَبَّةَ وَظِيفَةَ التَّسْرِيَّ وَحَمْدَهُ  
وَظِيفَةَ الْجَعْرِ ، وَيَحْفَظُ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ زَمَنِهِ زَمَنَ الرَّهْرِ ، وَيَصِلُّ لَنَا تَحْتَ  
إِيَالِتِهِ (٥) الْعَامَ بِالْعَامِ ، وَالشَّهْرَ بِالشَّهْرِ ، آمِينَ آمِينَ . »

(١) الحسن : هو الحسن بن هاني المشهور بابي نواس . (٢) هجيرا اي : هادني .

(٣) انتياب : زيارة . (٤) اعتياما : اسطفاء و اختيارا .

(٥) ايالته : حكمه وسيادته .

## ب - من رسالة الى الشعب في البشارة بفتح اطيرية الاسبانية

كتب لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانه الفنى بالله يبشر الشعب  
بفتح اطيرية قائلًا :

« يا ايها الناس ! ضاءُ الله تعالى بمعزيده النعم سروركم ، وتكلّل  
بلطفه الخفي في مثل هذا الشطر الغريب أموركم ، أبىتكم بما كتب به  
سلطانكم التعميد اليكم ، المتراوحة بيمنه وسعادته نعم عليكم ، أمنع الله  
تعالى الإسلام ببقاءه ، وأيده على اعدائه ، ونصره في أرضه بعلائقه سمائه ،  
وأن الله تعالى فتح له الفتح المبين ، وأغزى بحرمة جهاده الذين ، وبيتض وجوه  
المؤمنين ، وأظفرا باطيرية اللواء الذي تجعَّل المسلمين بأشرهم فحِيقَةٌ ثُبُرَ  
الحقيقة ، وتحركَ الشَّفَسَ الآية ، فائتمَ الله تعالى منهم على يده ، وتلَفَّه  
استئصالهم غاية مقصده ، فصدق من الله تعالى لأولئكه وعلى اعدائه الوعدُ  
والوعيد ، وحكم بإبادتهم المبدئي المعيد ، « وَكَذَلِكَ أَخْدُرَتِكَ إِذَا أَخَدَ الْفَرَى  
وَهِيَ ظَلَمَةٌ ، إِنَّ أَخْدَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » وتحصلَّ من ستبيه بعد ما رويت السُّيُوفُ  
من دمائهم لاف عديدة ، لم يستمع بوثلها في المدو المدينة ، والمعهود بعيدة ،  
ولم يصب من إخواتكم المسلمين عدُّ يذكر ، ولا رجل يقترب ، فتح هنيء ،  
وضُمِّنَ سينيه ، ولطف خفيه ، ووقد ورقه ، فاستبشرروا بفضل الله تعالى  
ونعمته ، وفروا عند الافتقار والانقطاع لرحمته ، وقابلوا نعمته بالشكرا  
يزدكم ، واستئصروا في الواقع عن دينكم ينصركم ويؤيدكم ، واغتنموا بهذه  
الدولة المباركة التي لم تقدموا من الله تعالى معها عيشاً حصيناً ، ولا رأياً  
مصيباً ، ولا نصراً عزيزاً ، ولا فتحاً قريباً ، وتصرّعوا في بقائهما ، ونصر لوانها  
إلى من لم يزال سويعاً للثّعاء مجيئاً ، والله عز وجَّلَ يجعل البشائر الفاشية  
فيكم عادةً ، ولا يغدوكم ولا أولي الأمور منكم توقيعاً وسعادةً ، والسلام الكريم  
يخصكم ، ورحمة الله تعالى وبركانه من مبلغ ذلك فلان . »

## ح - فصل في ذم الكسل ، واغتنام الأيام

« وَنَحْنُ نَجْلِبُ بَعْضَ الْأَمْثَالِ فِي ذَمِّهِ ، مَمَّا يَسْهُلُ حَفْظُهُ ، وَيَحْبُّ لَحْظَهُ ،  
فَمِنْ ذَلِكَ : الْكَسْلُ مَرْلَقَةُ الرِّبْعِ ، وَمَسْخَرَةُ الصُّبْعِ . إِذَا رَفَدَتِ النَّفَسُ فِي  
فِرَاشِ الْكَسْلِ اسْتَعْرَفَهَا نَوْمُ الْفَقْلَةِ ، « لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ تَعْقِلُ مَا كَنَّا فِي أَصْحَابِ  
الْتَّوْبِيِّ » . النَّدَامَةُ فِي الْكَسْلِ كَالْسَّمَّ فِي الْعَسْلِ . الْكَسْلُ آفَةُ الصَّنَاعِرِ ،

وَأَرَضَهُ ) في البَضَائِعِ ، الصُّبْجُ وَالكَسْلُ يَفْتَحَانِ الْخُمُولَ وَلَا تَسْلَ . الفَلَاحُ  
إِذَا مَلَّ الْحَرَكَةَ عَدِيمُ الْبَرَكَةِ :

ظَهْرًا فَوْلَانِي لَا يُنْلَعَانِي الْمَرْءُ إِنْ رُكِبَ بَابَ السَّعَادَةِ ، ظَهْرُ الْعَجْزِ وَالْكَسْلِ

وَفِي اغْتِنَامِ الْأَيَّامِ : مَنْ أَضَاعَ الْفُرْصَةَ تَجْرِيَ الغَصَّةَ . إِنْ كَانَ لَكَ مِنَ  
الزَّمَانِ شَيْئًا فَالْحَالُ ، وَمَا يَسُواهُ فَمُحَالٌ ، ثَارُوكَ أَمْرُهُ إِلَى غَدَرٍ ، لَا يُقْلِعُ لِلْأَبْدِ .  
الإِنْسَانُ إِنْ سَاعَيْهِ فَلَيُحِظِّهَا مِنْ إِضَاعَتِهِ . الشَّتْوِيفُ سُمُّ الْأَعْمَالِ ، وَعَدُوُّ  
الْكَمَالِ . لَمْ يَخْرُمِ الْمُبَايدُ ( ) إِلَّا فِي النَّادِرِ . مَا دَرَجَتْ ( ) أَفْرَاجُ ذُلُولِ إِلَّا مِنْ وَثْرَ  
ظَمَاءَعَهُ ، وَلَا بَسَقَتْ ( ) فُرُوعُ نَدَمِ إِلَّا مِنْ جُرْجُومَةِ إِضَاعَتِهِ . الْعَزَمُ سُوقٌ ،  
وَالْتَّاجِرُ الْجَسُورُ مَرْزُوقٌ . مَنْ وَقَقَ يَعْهُدَ الرَّمَانَ عَلَقَتْ يَدَاهُ بِخَبْلِ الْحَرْمَانِ .  
الرِّبَعُ فِي ضَفْنِ الْجَسَارَةِ ، وَالْمُضْيَعُ أَوْلَى بِالْخَسَارَةِ .

وَمِنْ أَشْتَالِهِمْ فِي نَظَرِ الإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِهِ ، قَوْلُهُمْ : اعْلَمُ  
أَنْ كُلُّ حَكْمٍ صَانِعٍ إِذَا فَكَرَ فِي أَمْرِهِ ، وَنَظَرٌ فِي الْعَوَاقِبِ عِلْمٌ أَنَّهُ لَا يَدْرِي يَوْمًا  
أَنْ يُخْرِبَ ذِكَارَهُ الَّذِي هُوَ مَخْلُوقٌ لِضَاعَتِهِ ، وَتَنْحَلَّ أَنْقَاضُهُ ، وَتَكِيلَ أَدْوَاتُهُ ،  
وَتَسْقُطُ فُؤُلُونَهُ ، وَتَذَهَّبُ أَيَّامُ شَبَابِهِ ، قَعْنَ بَادَرَ وَأَجْتَهَدَ قَبْلَ حَرَابَ الدُّكَانِ ،  
وَاسْتَغْنَى عَنِ التَّسْعِيَ ، فَلَيْلَهُ لَا يَخْتَاجُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى ذِكَارِهِ أَخْرَى ، وَلَا إِلَى أَدَوَاتِهِ  
مُجَدَّدَةٍ ، فَلَيَسْجُرِي بِمَا افْتَنَاهُ ، وَيَتَسْقُلُ بِالْإِتْقَاعِ وَالْإِلْتِذَادِ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ ؟  
وَهَلْوَهُ حَالَةُ التَّعْشِي بَعْدَ حَرَابِ الْجَسَدِ . قَبَادِرُ وَأَجْتَهَدَ وَآخِرُهُنَّ وَاسْتَفْحَلُ ،  
وَتَرَوَذُ قَبْلَ حَرَابِ دُكَانِكَ ، وَهَدَمَ بُنْيَتِهِ ، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّرَادِ التَّغْوَى ، قَالَ  
الشاعر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِرَادِهِ مِنَ التُّقَى وَأَبْصَرْتَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَنْ قَدْ تَرَوَذَ  
تَوْمَتْ عَلَى أَلَا تَكُونَ كَمِيلِهِ وَلَمْ تَرْسَدْ مِثْلَ مَا كَانَ أَرْصَدَا

قال أبو الفرج الطَّبِيب البَعْدَادِيُّ في أَغْيَنَامِ الْوَقْتِ فِي كِتَابِهِ « فِي التِّيَاسَةِ  
وَالْأَرَاءِ الْفَاغِلَةِ » : يَحِبُّ أَنْ تُبَعِّدَ وَتُنْتَهِ ، ثُمَّ الْفَكْرُ تَمْضِكُتْ مُمْشِوَشَةً  
يَكْتُرُهُ تَوَازِعُ النَّفْسِ وَأَخْتِلَافُ قُوَّاهَا ، وَالْعَقْنِي فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، فَإِذَا سَنَحَ  
لِلنَّفْسِ وَقْتٌ فَاضِلٌ بِصَعَاءِ جَوْهَرَهَا ، وَأَبْرَمَتْ قَانُونًا أَوْ صُورَةً مُتَوَسِّطَةً  
قَاضِيَةً ، يَحِبُّ أَنْ يُقْبَلَ إِلَيْكَ وَقْتٌ سَعِيدٌ رُبَّمَا لَا يُعَاوِدُهُ أَوْ يُعَاوِدُ . »

( ) أَوْقَتَهُ : الْأَرَضَةَ دُودَةُ حَمَراءُ سَفِيرَةُ تَاكِلِ الشَّيَابِ وَالْكِتبِ . ( ) الْمُبَايدُ : الَّذِي بَرَعَ إِلَى  
قَضَاءِ امْرُوهُ وَلَا يُؤْخِرُهُ . ( ) درجت : مشيت . ( ) بَسَقَتْ : ارْفَعْتَ وَطَالَتْ ، ويقال  
ذلك لِفَصَانِ الْأَشْجَارِ .

ثانياً - الشعر

## أ - مدحه للنبي - صلى الله عليه وسلم :

إِذَا فَاتَتِي ظُلْلُ الْحَسَنِ وَنَعِيمَهُ  
وَمَا شَفَنِي بِالْقَوْدِ قَدْ مَرَأَحُ  
وَلَا سَهَرَتْ عَيْنِي لِبَرْقِ ثَيَّسَةَ  
بَرَانِي شَوْقَ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدَ  
أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَادَاكَ ضَارِعَ  
إِذَا مَا حَدَّيْتَ عَنْكَ جَاءَتْ بِهِ الصَّبَا  
أَيْجَمَرْ بِالْجَحْوَى وَأَنْتَ سَمِيعُهَا  
وَتَغْوِزُهُ السُّقِيَا وَأَنْتَ غِيَاثُهُ  
نُورُكَ، نُورِ اللَّهِ، فَذَ أَشْرَقَ الْهَدَى  
لَكَ الْحُلْقُ الْأَرْضِيُّ الَّذِي جَلَّ ذَكْرُهُ  
يَجْلُ مَدَى عَلَيْكَ عَنْ مَذْحَ مَادِرَ  
وَعَنْدِي إِلَى آنْصَارِ دِينِكَ نِسْبَةَ  
عَدَتْنِي بِأَقْصَى الْقَرْبِ عَنْ تُرِيكَ الْوَدَى  
أَجَاهَدَ مِنْهُمْ فِي سَلِيلِكَ أُمَّةَ  
فَلَوْلَا اغْتَنَيْتَ مِنْكَ يَا مَلْجَأَ الْوَرَى  
فَلَا تَقْطَعُ الْحَبْلَ الَّذِي قَدْ وَصَلَتْهُ  
وَأَنْتَ لَنَا الْعَيْثُ الَّذِي نَسْتَدِرُهُ  
عَلَيْكَ صَلَةُ اللَّهِ مَا ذَرَ شَارِقَ

**شفني** : يقال شفه الهم او المرض اذا اضنه . مرفع : متبايل . وجرة اسم مكان في الجزيرة العربية . ديمه : غرلانه . موهنا : بعد منتصف الليل . اشيمه : انظر اليه . يسوم : يكلف . برحه : الله وعذابه . الصبا : الربيع الشرتقية . شجاه : احزنه . العثيث : الربيع . التجوى : الحديث الخفي . موسى : غنى . هفتني : سرفتني ومنتنى ما لد شارق : ما طعن نجم من جهة الشرق ، وما مصدرية ظرفية .

## ب - مدحه للسلطان أبي حمو سلطان تلمسان :

فِي أَخْرِ سَنَةِ أَرْبِعِ وَسَعْيْنَ وَسَعْمَائِةِ هِجْرِيَّةِ وَجَهَ لِسانُ الدِّينِ بْنِ  
الْخَطِيبِ إِلَى السُّلْطَانِ أَبِي حِمْوَ سُلْطَانِ تَلْمِسَانِ أَبِيَاَتِا لِزُومِيَّةِ فِي غَرْضِ  
الْهَنْثَةِ وَهِيَ :

رَغِيْأَ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ إِخْسَانٍ  
شُكْرٌ لِرِيَاضِ لِعَارِضِ الْيَسَانِ  
لَمْ يَخْتِلْ فِي حُكْمِهَا نَسَانٌ  
مِنْدَانَ تَهْرِكَ فَارِسَ الْفَرْسَانِ  
لِعُلَالَكَ بَيْنَ صَحَافِعِ وَجِسَانِ  
لَمْ تَشْقِ لِسِوَالَكَ مِنْ إِنْسَانٍ  
وَلَأَنْتَ أَوْلَى بِالْتَّشْيِعِ شِيمَةً  
الشَّمْسُ أَنْتَ ، قَدْ اَنْهَرْتَ ، وَهَلْ يُرَى  
بَيْنَ السَّوَرَى فِي مَطْلَعِ شَمَسَانِ؟

وَشَدَا بِشُكْرِ اللَّهِ كُلُّ لِسَانٍ  
وَعَلَثَ فَقَرَأَ أَمَامَهَا النَّحْسَانِ  
عَنْ أَيِّ وَجْهٍ لِلرِّضَى حَسَانٍ  
بِمُضَاعِفِ الْإِلَئَامِ وَالْإِخْسَانِ  
تَشَابَ بَابَكَ مِنْهُ فِي أَرْسَانِ  
طَيْبًا يُعْرَفُ الْمُؤْدِ وَالْبَلْسَانِ  
جِيرَثٌ يَجْبَرِكَ كُلُّ نَفْسٍ حَرَقَةً  
وَبَدَثَ سَعْوَدَكَ مُسْتَقِيمًا سَيْرَهَا  
فَأَسْتَقْبِلُ السَّعْدَ الْمُعَاوِدَ سَافِرًا  
وَابْنُ الْمَزِيدَ يُشْكِرِ رَتِيكَ ، وَلَتَشِقَّ  
فَالشَّكْرَ يَقْتَادُ الْمَزِيدَ رَكَابًا  
ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَزْرِي عَزْفَهُ

روبا : محافظة . اوپیت : ثدت و صنت . العارض اليسان : للصحاب المطر في شهر  
نيان وهو المعروف أيضا باسم ابريل . أنا شيعة لك : أنا من انصارك وابنامك .  
تشاجرت الرماح : اشتبت . الشيع : الجبة والولاء . سعوده : نجوم سعدك وهي  
من الآقدمين : المشتري والزهرة . والتحسان : هنا زحل والمريخ في زعمهم . والتحسان  
مثنى نحس وهو الجهد والضر ، وضده سعد . وجه حسان : جبل جدا . التزيد : أي  
المزيد من النعم ، والممنى ماخوذ من قوله تعالى « لئن شكرتم لازيدنكم ». تنتاب : تزور .  
ارسان : جميع روسن وهو مقود الدابة . يزوري هوفه . . الغ : خط رانحته الطيبة من  
قيمة رانحة المؤود والبلسان المشهورين برانحتما الطيبة .

## أولاً : الشعر

س : كيف كانت حال الشعر في الاندلس ؟  
ج : كانت حال الشعر في الاندلس على الوجه الذي سنتناوله فيما يلي :

### حالة الشعر وعوامل نهضته في الاندلس :

من خلال دراستك للنصوص السابقة تدرك أن الشعر في الاندلس كان راقياً رائعاً ، وراثتنا ممتداً . وقد ساعده على ذلك أمور منها :

1 - أن العرب الذين وفدو إلى الاندلس ، واستقر مقامهم فيها فتنوا بجمال الطبيعة الجديدة التي أوحى إليهم القول في كل فن ، فراحوا يوقون شعرهم على الحانها ، ويتفنون به بين رياضها .

2 - أن عرب الاندلس عاشوا في بيئتهم الجديدة أول الأمر يقلدون المغاربة ، ويصوغون أشعارهم على نمط ما تعلموه في الشرق ، ثم أخذ الشعراء بعد ذلك يتخلصون تدريجياً من عادة التقليد ، ويمثلون بيئتهم الجديدة وحياتهم التي يعيشونها حتى غدت أشعارهم صورة لأندلسهم ، ونافسوا شعراء الشرق في ميادين القول ، وفنون الشعر .

3 - أن المجتمع الأندلسي كان يعيش حياة ترف اشاعت بين أهله مجالس الفنان فاقتضى الأمر أن يكتب الشعراء من قول الشعر ليكون مادة هذا الفنان ، وقد دفعهم ذلك إلى التجويد والإتقان ، وساعدهم على بلوغ غاياتهم انتشار الثقافة ، واتساع آفاق المعرفة .

4 - أن الخلفاء والأمراء والوزراء كانوا مولعين بالشعر ، فأخذوا يقربون الشعراء ، ويجزلون لهم العطاء الأمر الذي شجع الشعراء على زيادة انتاجهم ، وأحسان قولهم .

ومع ان الشعر الاندلسي قد بدأ مقلداً شعر المشرق الا انه كان له من طبيعة ارضه ، وظروف بيئته ما اكسبه ملامح جديدة جعلته مرآة مجتمعه ، ومميزته عن غيره . وسنجمل لك القول فيما يلى . عن أهم تلك الملامح والمميزات .

### أغراض الشعر وفنونه في الاندلس :

س : ما اهم أغراض الشعر الاندلسي ؟ وما الاغراض التي هُجِّرَ القولُ فيها ؟  
و ما اهم ما حظي من الأغراض بالقول والابتكار فيه ؟

ج : لقد نظم شعراء الاندلس اشعارهم في كل الأغراض والفنون التي عرفت عند شعراً المشرق ، واتوا فيها بالمعانى والافكار التي لا تقل كثيراً عما كان عند المغاربة ، الا أنه كانت هناك بعض الاغراض التي قصروا فيها كالهجاء ، والحكمة والفلسفة ، والزهد ، ومرد ذلك الى انهم كانوا مناصرين الى التمتع بحياة الترف والتقلب في النعمة ، وكانوا يعتبرون الشعر مظهراً من مظاهر التسلية لا شأن له بالتفكير ولا بقضايا المنطق والتأمل في الحياة – على أن الاندلسيين قد زاد اهتمامهم ، وفاقت عنايتهم بعض الاغراض التي افتتوا فيها وابتكرموا حتى بدوا المغاربة ، وتفوقوا عليهم ، وكان من تلك الأغراض :

### ١ - الوصف :

لقد كثُرَ شعر الوصف كثرة جعلته يتناول الحياة الاندلسية في شتى مظاهرها ، ويرسم صورة حية لها ولقد زاد الاهتمام بوصف مظاهر الطبيعة ، والمشاهد الجميلة التي ملكت على الشعراء احساسهم من وديان وجبال ، ورياض ونمار ، وطيور وازهار ، وعيون وأنهار ، كما وصفوا المعارك والجيوش ، ومجالس اللهو والرقص والفناء .

ولقد بلغ من ولعهم بالوصف ان بعض الشعراء استهلاوا به تصائدهم وأحلوه محل النسيب في مطالعها ، وانك لتحس وانت تقرأ شعرهم في الوصف ان كلماته وابياته ترسم لك صورة الموصوف ، وتتجسد لهينك وتريك ملامح البيئة الاندلسية كحقيقةها في واقع الحياة . ومصداق ذلك ما رأيته فيما مر بك من وصف اسطول المعز لابن هانئ ووصف الجبل لابن خفاجة ، ووصف بركة لابن حمدين .

## ب - وثاء المالك الزائلة :

كانت دولة العرب في الاندلس ثابتة الاركان ، شامخة البنيان يوم ان كان امرها مجتمعا ، حتى اذا دب الخلاف بين ابنائها ، وداخلتهم المطاعم حل بينهم النزاع ، وكثرت التقلبات السياسية ، وأدى ذلك الى ضياع مدن ، والقضاء على ممالك ، سواء حدث ذلك عن طريق غلبة العرب ببعضهم على بعض ، او عن طريق تطلب اعدائهم الذين اخذوا يقتطعون البلاد ، وينتقضون اطرافها ، الامر الذي جعل الشعرا يكترون من رثاء المدن والمالك ، ويرسلون اشعارهم بكاء على ارضهم ، وندبا لديارهم وبالادهم ، ومن امثلة ذلك قول ابن عبدون يرثي دولة بنى الانفطس وهي احدى دولات ملوك الطوائف بالاندلس :

الَّدَهْرُ يَقْبَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ  
فَمَا الْكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّورِ ١  
فَلَا تَغْرِنْكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَهَا  
فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنِيْهَا سَوَى السَّهْرِ ٢

وقول أبي البقاء الرندي <sup>إثر</sup> سقوط إشبيلية في يد الإسبان :

دَهَى الْجَزِيرَةَ أَمْرُرْ لَا مَرَدَ لَهُ  
فَاسْأَلْ بَلْنِسِيَّةَ مَا شَأْنَ مَرْسِيَّةَ  
وَأَيْنَ شَاطِيْبَةَ أَمْ أَيْنَ جَيَّانُ ٤  
وَأَيْنَ قَرْطَبَةَ دَارُ الْعُلُومُ ٥ فَكَمْ  
مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيمَا لَهُ شَانُ  
وَتَهَرَّهَا العَذْبُ فَيَاضُ وَمَلَانُ ٦  
وَأَيْنَ حِنْصُّ وَمَا تَعْوِيهَ مِنْ نَزَمٍ  
قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ الْيَلَادِ فَمَا  
حَتَّى الْمَحَارِبَ تَبَكِي وَهِيَ جَامِدَةً ٧

يفجع : يصيب ويعزن . بعد العين : بعد ذهاب الاصل ، والمقصود الاحباب . الآخر : ما خلفه او تلك الاحباب .

دهى الجزيرة : أصاب بلاد الاندلس . هوى : سقط . احد ونهلان : جبلان عظيمان بالحجاز . بلنسية ، مرسية ، جيان ، قرطبة ، حمص : مدن كبيرة كانت من اكبر مدن الاندلس ،

المغارب : جمع محراب ، وهو قبعة المسجد التي تكون عادة بجوار المبر .

## ح - الاستنجاد والاستفائية :

لقد كان هذا اللون من الشعر وليد ما شاع في البلاد من تناحر وضعف ، وتفرق وخوف ووقوع بعض البلاد تحت الحكم الأجنبي الأمر الذي جعل الشعراء يستنثرون الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويستشفعون الأولياء ، ويستجدون بملوك المسلمين . ومن ذلك قول لسان الدين بن الخطيب في مطلع قصيدة له وجهها إلى قبر النبي محمد عليه الصلاة والسلام :

إِذَا فَاتَنِي طَلْلُ الْحَمَى وَنَعِيمَهُ فَحَسِبَتْ فُؤَادِي أَنْ يَهُبَّ نَسِيمُهُ  
وقول أبي عبد الله القضاوي يستفيث بابي ذكرياء بن حفص للدفاع  
عن بلنسية :

أَدْرِكْ يَخْلِيكَ خَيلُ اللَّهِ أَنْدَلُسًا إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَنْجَاهِهِمَا دَرَسًا

## د - نظم العلوم والفنون :

كثر في الاندلس نظم العلوم والفنون ليسهل على المتعلمين حفظها ووعيها ، وإذا كان شعراء المشرق قد سبقوا في هذا الميدان فإن شعراء الاندلس قد اكثروا منه ، وكان من ذلك ارجوزة ابن عبد ربه في التاريخ ، وأخرى في العروض ، والفتية ابن مالك في النحو التي يقول فيها عند نظمها بباب المبتدأ والخبر :

مُبْتَدِأً زَيْدُ ، وَعَاذِرٌ خَبَرٌ إِنْ قَلْتَ « زَيْدٌ عَاذِرٌ مَنِ اعْتَدَرٌ »  
وَأَوَّلُ مُبْتَدِأً ، وَالثَّانِي فَاعِلٌ أَغْنَى فِي : أَسَارِ ذَانِ ؟  
ورالية الشاطبي ، ولا ميئنة في قراءات القرآن ورسم المصحف .

دوس : انمحى ، وذهب أثره .

## **خصائص الشعر الاندلسي**

س : ما أهم خصائص الشعر الاندلسي من حيث افكاره وأخياله ، وألفاظه وعباراته ، وأوزانه ؟

ج : خصائص الشعر الاندلسي نجملها فيما يلي :

### **ا - في المعاني والأخلاق :**

امتازت معاني الشعر الاندلسي وأفكاره بالسهولة والوضوح والبعد عن التكلف والتعقيد ، والخلو من المسائل والقضايا المدققة .

اما خيالاته وصوره فكانت مستمدة من طبيعة غنية بالجمال تؤثر في احساس الشاعر ، فإذا به يأتي في شعره بالخيال الرقيق اللطيف ، والصور البراقة الخلابة ، ويحشد من ذلك في قوله القدر الكبير .

### **ب - في الألفاظ والأساليب :**

لما كان العرب في الاندلس يعيشون بعيداً عن البداية ، وفي بيئه غير عربية الأصل ، ولما كانوا يعيشون حياة سهلة كثيرة الخيرات سلكوا في اشعارهم مسلك السهولة في اللفظ ، والوضوح في العبارات مهما كان الغرض الذي يقولون فيه الشعر ، كما تجنحوا الألفاظ الأعمجمية والكلمات الغربية .

### **ج - في الأوزان ونحو النظم :**

لقد درج الاندلسيون في نظم اشعارهم أول الأمر على نسق أهل الشرق ، ولكنهم كانوا يختارون الأوزان التي تطربهم موسيقاها ، حتى إذا اقتضت حياتهم المترفة اللاحية ، واحتاجت مجالس غنائهم إلى الاشعار السهلة والأوزان القصيرة ابتدع الشعراء أوزاناً جديدة ، وقوالب مستحدثة استمدوها من الموسيقى الشائعة في بلادهم ، وكان من صور ذلك الوشحات ( وهي نظم لا يتلزم فيه بقافية واحدة ) التي انتشرت واستعملها الشعراء في كل الأغراض . وقد مر بك نموذج لها في موسحة ابن سهل التي قالها في الغزل .

## **خاتمة : الشعر بين الأندلسين والعباسيين**

يمكن القول في ختام هذه الخصائص : ان الشعر الاندلسي كان شبيها الى حد كبير بالشعر العباسي في اغراضه ومقاصده قوله ، الا ان البيئة الاندلسية وظروفها السياسية والاجتماعية اقتضت ان يتذكر الشعراء اغراضا لم يقل فيها المغاربة ، وان يهجروا اغراضا اخرى لم تهيئهم لها حياتهم الجديدة .

كذلك كانت معاني شعراء الاندلس واضحة سهلة ، وتکاد لو ضوحتها وسهولتها تعد سطحية بينما كانت المعاني في شعر المغاربة دقيقة عميقه . ويرجع ذلك بطبيعة الحال الى حياة كل مجتمع منهما وظروفه الثقافية والحضارية .

اما الالفاظ فقد اتت في شعر الاندلس عذبة رقيقة في جميع الاغراض ولكنها عند المغاربة كانت رقيقة عذبة حينا ، قوية جزلة حينا آخر ، بحسب اغراض الشعر وموضوعات القول .

واذا كان الاندلسيون قد تجنبوا – ما امكن – المحسنات البدوية اكتفاء بسعة الخيال وجمال التصوير ، وعذوبة اللفظ فان المغاربة قد اثروا من المحسنات – وبخاصة في العصر العباسي الثاني – قصد اظهار البراعة والمهارة ، والقدرة على التحكم في المعنى والتفنن في المبارزة .

### **تدريب تطبيقي**

- 1 - ما اهم ما تميز به الشعر الاندلسي في كل من المعاني والاساليب ؟
- 2 - وازن بين شعر الاندلس ، وشعر المغاربة من حيث الاغراض والافكار والاخيلة ونوع القصيدة .

## ثانياً : النثر

### س : كيف كانت حال النثر في الأندلس ؟

ج : سلك النثر الاندلسي مسلك النثر في المشرق العربي ، واقتفي أثره ، فتطور كما تطور النثر العباسي وتناول من الأغراض والفنون ما كان عند المغاربة ، الا انه على عهد الولاة وصدر المهد الاموي لم يكن للنثر الفني الاندلسي اثر يذكر ، اذ كان مقصورا على الخطب الوعظية الداعية للجهاد ، وعلى الرسائل المتبادلة بين الولاة والحكام ، وكان القائمون على هذا الأمر هم العرب الوافدون من المشرق . فلما زادت عناية الامويين بنشر الثقافة ، ونهضوا بالعلوم والآداب ، وشجعوا أصحاب المواهب الأدبية ، وذوي المهارة في الخطابة والكتابة بائناد مناصب الوزارة اليهم نهض النثر الأدبي ، وعني به الاندلسيون ، وحاکموا المغاربة ، ثم نافسوا بهم ، فكانت قرطبة تباري بغداد ، وبهذا نما النثر الفني وازدهر ، واستمر ذلك حتى نهاية عهد ملوك الطوائف ، حتى اذا كان عهد المرابطين وما بعده شغل الحكام بمشكلات البلاد السياسية ، وفقدت اللغة عاملا كبيرا من عوامل نهضتها ، ومصدرا منها من مصادر قوتها ، فدب في النثر ذبذب الضعف والانحطاط ، وفقد نضارته ، وذوى عوده ، وظل يرزح تحت وطأة التصنّع والتتكلف الى ان سقطت البلاد في يد الاسپان .

### فنون النثر وخصائصها

#### س : ما اهم فنون النثر الاندلسي ؟ وما خصائص كل منها ؟

ج : كان من ابرز الوان النثر التي شاعت في الأندلس : الخطابة ، والرسائل ، والتصنيف . وستتناول فيما يلي عرضا لبعض خصائص كل لون منها ، وايضا لظروف التي تأثر بها في ظل الحكم العربي للأندلس .

#### ١ - الخطابة :

عاشت الخطابة اعواماها الاولى بعد الفتح تدعو الى الجهاد ، والصبر على القتال في سبيل الدفاع عن الارض ، واستبقاء الحكم ، ونشر الامن في ربوع البلاد ، وقد تعدد ذلك في بعض الاحيان الى تأييد المذهبية القبلية في الخلاف الذي نشب بين اليمنية والمقرية .

وكان خطابة هذه المرحلة واضحة المعاني ، جزءاً من اسلوب قوية التأثير .  
ولما اتسعت آفاق المعرف ، وانتشرت العلوم ، تنوّع اغراض الخطابة  
واستعملت في المناقشات والمناظرات ، وظهر من المثقفين من يرتجل الخطبة  
في مقدرة واجادة ، وبدت العناية بأسلوب الخطبة فتجلى فيه الرقة ،  
وظهر فيه السجع وتنسيق العبارة .

وحين جاء عهد المرابطين والموحدين قلت دواعي الخطابة واستعيض عنها  
بمرسومات تعلن للناس وتقرأ عليهم ، وانحصرت الخطابة في نطاق الوعظ .  
المسجدي ، فهو يبطّل مستواها ، وغلبت عليها الصنة المقيدة والسجع المتكلف .

وما وصل اليه من آثار الاندلسيين قليل ، يمكنك الرجوع الى شيء  
منه في كتاب نفح الطيب .

## ب - الرسائل :

سار الاندلسيون في هذا الفن النثري الأدبي على درب المشارقة طوال  
القرن الأول من الفتح العربي وكانوا يستعملون الرسائل في اغراض محددة  
يعبرون فيها بأسلوب موجز عن معانٍ واضحة جلية .

فلما أظلمهم الحكم الأموي وحكم ملوك الطوائف وعمتهم الثقافة أصبح الترسل  
فنا مستقلًا ينهض به أدباء بارزون ، وكتاب بارعون ، عدداً وأفراضاً ،  
ونوعاً وأساليبه . غير أن الرسائل الديوانية ظلت قاصرة على ما يجري بين  
الأمراء والعمال من مكاببات ، وما تدعى الحاجة إليه من منشورات ، وكان  
أبرز خصائصها عدم الفلو في تعظيم الملوك والأمراء على غير ما كان يفعل  
المشارقة ، والإطناب في عرض مضمون الرسالة . أما الرسائل الأدبية فقد  
حظيت بإقبال الكتاب عليها وانصرافهم إليها ، يتناولون في موضوعاتها  
المناقشات والمناظرات والمقامات والوصايا إلى جانب الأغراض الأخرى  
من شوق واعتذار وعتاب ، وما إلى ذلك ، وقد تجلّى في هذا النوع من  
الرسائل كثرة الوصف وغلبة الخيال الشعري ، وتابع الصور البلاغية ،  
والبالفة في اقتباس الحكم والأمثال والقرآن والشعر ، والميل إلى سرد  
الحوادث التاريخية ، وبعض القصص والحوارات الذي يعرض على السنة  
الحيوان والبلدان والنبات والجماد ، كل ذلك في عبارة طيلة تشبع فيها  
المحسنات البدوية المقبولة .

وفي القرنين الأخيرين من عمر الدولة الاندلسية أغرم الادباء والكتاب بالإطناب والإسهاب والزخرف اللغظي المتهافت ، أظهروا مهارتهم بعرض المعاني في صور غريبة ، وتلميح بعيد .

والنص الذي درسته للسان الدين بن الخطيب يمثل لك ما اشرنا اليه آنفا من خصائص كتابة الاندلسيين في عصره .

## ح - التصنيف :

انقضى عهد الولاة دون ان يكون للتصنيف والتاليف شأن يذكر ، وعلى عهد الحكم الاموي وما اعقبه بدا تدفق الثقافة على الاندلس من الشرق العربي فأخذ التصنيف يدرج خطاه في ساحة الحياة ، ثم اتسع مداء فاستوعب الفنون والعلوم من لغة وآداب ونقد وتاريخ وجغرافية ورياضية وعلوم طبيعية ودين وفلسفة . وكان من تلك المؤلفات التي ينخر بها عرب الاندلس ويتعززون بانها حفظت قيمتها على الزمن ، كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه وهو كتاب ادبي اخلاقي اجتماعي ، وكتاب الامالي لابي علي القالي وهو كتاب في اللغة والنواود والامثال ، وكتاب قلائد المقيان للفتح بن خاقان ، وكتاب الذخيرة لابن بسام وهما كتابان في التاريخ ، وكتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي ، وكتاب رحلة ابن جبير لابن جبير وهما كتابان في الجغرافيا ، وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لابي القاسم الزهراوي وهو كتاب في الطب والجراحة ، وكتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد وغير ذلك من المؤلفات التي ينتلمذ عليها الكثيرون من الدارسين عبر الازمان والقرون .

وكان اسلوب الكتابة الذي جرى عليه المؤلفون في اول الأمر جزلا بلغا ، قليل المحسنات ولكنه ما لبث ان صار نسيجا من الزخرف البديعي المتلطف الحاقد بالاستعارات والتشبيهات وأنواع المجاز . وفي العهد الأخير للدولة ظهر في المؤلفات طابع التكلف والصنعة اللذين لا يرتضيهما ذوق ادبي .

## تدريب تطبيقي

— اكتب مقالا تضمنه الحديث عن حال النثر في الاندلس ، واهم فتونه ، والخصائص التي تميز كل فن منها .



## **الباب السادس**

---

### **الترجم الأدبية**

---

**الجاحظ ، التنببي ، ابن زيدون ،  
ابن الخطيب .**



## الجاحظ

- نسبة ونشاته - مصادر ثقافته - شخصيته وصفاته -
- عوامل نبوغه - نماذج من أدبه - خصائص فنه -
- منزلته الأدبية .

### نسبة ونشاته :

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الفقيهي البصري ، الملقب بالجاحظ لجوحه عينيه أي بُرُوزِهِمَا ، وكان هذا اللقب لا يعجبه ، وكان يقال له الحَلَقَيَّ أيضاً ، ويُسَبَّبُ الجاحظ إلى كنانة ، ورويَ أن أحد آجداده ( فَزَّارَةً ) كان جَمَالًا لَسْتَدَ من كنانة بالبصرة ( عمرو بن قلع ) .

ولِدَ الجاحظ سنة 160 هـ - 777 م بالبصرة ، ونشأ يتيمًا فقيراً ، مَيَالاً إلى العلم ، فكان يخالط طائفة من العلماء تجتمع في مسجد البصرة تارة ، كما كان يختلف إلى أحد الكتاتيب طوراً ، وقد أكَّبَ الجاحظ على تحصيل علوم العربية ، فأخذ اللغة والأدب عن أبي عبيدة والاصمعي وأبي زيد الانصاري وأخذ النحو عن الأخفش ، وأخذ علم الكلام عن شيخ التكلميين ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام ، وهو من أئمة المعتزلة (١) ، ومن ثمَّ أصبح الجاحظ بعد ذلك مُعَتَزِّلَيَا ، وله فرقه تسمى (الجاحظية) نسبة إليه ، ورحل الجاحظ إلى بغداد ، واتصل بكتاب علماء الدين وعلماء اللغة والأدب وأخذ عنهم

وعمل الجاحظ في ديوان الرسائل لل الخليفة المأمون ، ولكن معاملة الكتاب له ، وبخاصة سهل بن هارون لم تُفعَّل له البقاء أكثر من ثلاثة أيام ، واستقدمه الخليفة المتوكل ( المتوفى سنة 247 هـ ) لتأديب بعض وُلُودِه ، فلما رأه استبعض منظره ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وصرفه

(١) أحدى الفرق الإسلامية التي ظهرت في أوائل القرن الثاني الهجري ، وكان للمعتزلة آراء في أمور الدين والعقيدة تعتمد على العقل .

ومن اتصل بهم من الوزراء محمد بن عبد الملك الزيات الذي أقطعه أربعمائة جريب ( والجريب مكيال ) ، ويُطلق على الأرض التي تبلغ مساحتها مقدار ما يذر فيه جريب المكيال ( في الأعلى ) ، وتنقل الجاحظ في البلاد فعاش في بغداد زمناً ، ورحل إلى دمشق ومصر وأنطاكية وغيرها من الدول الإسلامية المتراصة الاطراف .

وكان الجاحظ خفيف الروح ، حسن العشرة ، ظريف النكبات ، محبوها لدى المجتمع الذي يعيش فيه ، يُقدّمُ إلى الولاة والأعيان ( من عرب وترك ) ما يؤلّف وينتُج من كتب ورسائل ، ويُجذّبون له العطاء ، حتى ملا صيغته جميع مدن العراق .

وللجاحظ مؤلفات عدّة بلغت عند بعض الرواية ستين وثلاثمائة كتاب ، وأكّد بعضهم أنها جاوزت ثمانين ومائة كتاب ورسالة . منها في موضوعات علم الكلام : كتاب في الرّد على النصارى ، وفي موضوعات السياسة والتاريخ : كتاب العرب والمعجم ، وفي الأخلاق كتاب البخلاء ، وفي النبات : كتاب الزرع وفي الحيوان : كتاب الحيوان ، وفي اللغة والأدب : البيان والتبيين . وقد قال أبو الفضل بن العميد عن تلك المؤلفات : « كُتب الجاحظ تعلّم العقل أولاً ، والأدب ثانياً » .

واستمر الجاحظ في كتابة الديوان مع محمد بن عبد الملك الزيات حتى قتل ، فعاد الجاحظ إلى البصرة وبقي فيها يُرضي رغبته في القراءة والكتابة والتأليف حتى أصيب بالفالج ، وكان يقول : ( اصطلح على جسدي الأضداد ، لأنّي أكلت بارداً أخذ برجلي ، وإنّي أكلت حارّاً أخذ برأسي ، وأشده ما علىّ سنتي وتسعون سنة ) ، ومع ذلك لم يقدر به مرضاً عن التأليف والكتابة ، وكثيراً ما كان يُحمل إلى بغداد ليحضر فيها مجالس العلم والأدب ، وبينما هو محمول في أحدى المرات تُوفي حوالي سنة 255 هـ / 869 م عن عمرٍ يتّجاوز التسعين .

## مصادر ثقافته :

1 - نشأ الجاحظ بالبصرة مَهْد العلم والأدب ، وتتعلم على يد آئمة القرن الثاني الهجري الأعلام ، وفي مقدمتهم : الأصممي ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد الانصاري ، فتعلم منهم الكثير من الأدب والفكاهة وغريب اللغة .

2 - اتصاله بشيخ المتكلمين أبي إسحاق النّظام وهو من فُحول الكلام ، ومن أئمّة المعتزلة ، فتخرج عليه الجاحظ في علم الكلام وأصبح من أئمته ، وأصحاب الرأي فيه .

3 - معرفة الجاحظ بالثقافة اليونانية عن طريق علماء اليونان ومشافهه لحنين بن أسحق وسلمويه ، وأمثالهما ، ويُحدّق الثقافة الفارسية من كتب ابن المقفع ، وأخذَه عن أبي عبيدة ، وتَوَسَّعَهُ في الثقافات كلها بما كان يقرأ من الكتب فيها .

4 - كان يُضْرِبُ به المثل في شفَّفِه بالقراءة ، فلم يكن يَدْعُ كتاباً إلا بعد أن يقرأه ويستوعبه ، وكانت البصرة حافلة بدور الكتب ، مما أتاح له إشباع نَهْمِه إلى الاطلاع والمعرفة ، ويُرَوَى أنه كان يُكْتَرِي (يستأجر) دكاكين الوراقين ، ويَبِيتُ فيها للاستيعاب والنظر ، وكان الكتاب - كما قال - خَيْرُ صاحب له ، وخير جليس ، يستفيد منه ويتعلم ، ولا يَمْلَأ صحبته .

5 - تعددت رحلات الجاحظ في سبيل المعرفة ، فعاش في بغداد زماناً ، ورحل إلى دمشق ومصر وأنطاكية ، وكثُرَ اختلاطه ببيئات اجتماعية مختلفة مما زادت معه معارفه وخبراته واتسعت آفاق تجاريه فقد خالط الناس جميعاً ، وأفاد منهم معرفة بطبعاتهم وأخلاقهم وطرق معايشهم ، وفضائلهم ورذائهم ، وصَبَّتْ كل هذه المعرف في كتبه ومؤلفاته حكمةً وفلسفه ، وأدباً من شعر ونثر ونكاهة .

### شخصيته وصفاته :

كانت عند الجاحظ ملاحظات قوية ، ومَلَكَةً انتباه راسخة وقد حَبَّأَهُ الله عقولاً تِيرَاً ، وجسناً مُرْهَقاً ، فكان سريع الاقتباس ، حادّ الذهن ، دقيق الملاحظة ، ينتبه لاقل شيء ، فيصوّره تصويراً ناطقاً ، وكان الى جوار ذلك دُؤوباً ، فما عزم على أمر إلا اتاه .

وكان الجاحظ عالماً بالأداب ، فصحيحاً ، بليناً ، مُصْنِفًا في فنون العلوم ، وكان من أئمّة المعتزلة ، وتلميد أبي إسحاق النّظام .

وما عُرِفَ عن الجاحظ بالإضافة إلى منزلته في الكتابة أنه كان شاعراً ، وقد أثَرَ عنه شعر قليل كقوله في فضل العلم والعلماء :

يَطِيبُ الْعَيْشُ أَنْ تَلْقَى حَكِيمًا  
غَذَاءُ الْعِلْمُ وَالْفَهْمُ الصَّيْبُ  
فَيُكْثِرُ فِيْكَ حَيْزَةً حَلِيلًا  
وَفَضْلُ الْعِلْمِ يَعْرِفُهُ الْلَّيْبُ

وقد عاش الجاحظ عصاميًّا يكتسب بيده ، وعُرِفَ بظرفه وفكاهته ، فقد رُوى أنه كان يأكل مع الوزير ابن الزيات ، فجاءوا بغالوذة ، فتولع ابن الزيات بالجاحظ ، وامر بأن يجعل من جهته ما رُتق من الجام ، فاسرع في الأكل ، فتنظر ما بين يديه ، فقال له ابن الزيات : أنتَ شئت سماوتك قبل سماء الناس ، فقال الجاحظ : لأنَّ غيمتها كان رقيقةً .

لقد اشتهر الجاحظ بذكائه ، وأنه صاحب ذاكرة واعية ، وصبر لا ينفَد ، شديد الحرص على القراءة والاطلاع ، حتى برع في علوم اللغة والأدب ، وكان نادرة زمانه .

### عوامل نبوغه :

1 - كان عند الجاحظ استعداد فطريٌّ . بما منح من ذكاء متوفَّد ، وقوّة حافظة ، وبصيرة نافذة ، وصبر نادر على استمرار الاطلاع والاهتمام ما يقرأ ، وتَحَمَّلُ المشقة في سبيل العلم ، ويُرَوَى أنه لم يقع بيده كتاب إلا استَوَى قراءته كائناً ما كان ، وكان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر .

2 - يُعَدُ العصر الذي عاش فيه الجاحظ عصراً ذهبياً للأدب العربي كما كان من أزهى عصور العلم واللغة ، فقد تَسْبَحَ فيه العلوم العربية والإسلامية ، وتوَجَّهَت كتب كثيرة في مُخْتَلِف أنواع المعرفة ، وشجع الخلفاء والولاة العلماء والأدباء .

3 - كانت نشأة الجاحظ بالبصرة موطن الأعلام ومهبط الأدباء ، وعلى مقربة منها ( المريد ) ذلك السوق الأدبي الذي كان يجتمع فيه الشعراء والأدباء وعلماء اللغة لعرض إنتاجهم ، وقد شرف الجاحظ بالذهاب إلى مريد البصرة لأخذ عن العرب شفافها .

4 - تتلمذ الجاحظ على يد صفة ممتازة من علماء عصره وأدبائه ، فأخذ اللغة والادب والرواية عن ائتها الكبار ( الاصمي وابي عبيدة وابي زيد ) ، ودرس النحو على يد شيخ البصرة ( ابي الحسن الاخفش سعيد بن مسعدة ) ، وتعلم الحديث على يد ( حجاج بن محمد وابي يوسف صاحب الإمام ابي حنيفة ) .

5 - اتصل الجاحظ بالثقافات الاجنبية اليونانية والفارسية عن طريق الترجمة ، كما اتصل بالمغتزلة ، على يد احد ائتها ( النظام ) ، وكان المغتزلة على علم واسع بالإسلام والديانات ، ومعرفة بالفلسفة وطرق الكلام والجدل وقوانين المنطق مما اثر في كتابه فامتازت بالتفكير المرتب ، والتسلسل المنطقي .

6 - تأثر الجاحظ بالحياة الواقعية في عصره ، وأفاد منها ، فلم يقع بصره على شيء الا جعله موضع الدراسة والتحليل ، ففضحـت لذلك قريحته ، وظهر اثر ذلك فيما ألف عن الحيوانات والنباتات ، والصناع ، والفكاهات ، والرحلات ، والبخلاء والكرماء ، والاغبياء ، والاذكياء .

## نماذج من أدب الجاحظ

كتب الجاحظ - كما أسلفنا القول - في كل ما وصل اليه علمه ، ووَقَعَ عليه بصره ، وقد مرّ بك نماذج من كتابته في مؤلفيه ( الحيوان ، والبيان والتبيين ) وهذه نماذج اخرى يمكن الاستعانة بها في رسم صورة متكاملة لشخصية هذا الاديب الكبير ، وتكوين فكرة واضحة عن اسلوبه ، وطريقة كتابته .

### 1. من كتاب البخلاء :

هذا الكتاب من أشهر كُتب الجاحظ ، جمع فيه اخبار البخلاء واظهر حرکاتهم ، وحلَّ انفعالاتهم ، وكشف نقائصهم ، فكأنها كتاب مفتوح . يقول الجاحظ في تصوير البخلاء على طريقته الساخرة المرحة :

« يَقُولُ الْمَوْزِيُّ (١) لِلزَّائِرِ إِذَا أَتَاهُ ، وَلِلْحَلِيسِ إِذَا طَالَ جُلُوسُهُ : تَعَدِّيَتِ الْيَوْمَ ، فَإِنْ قَالَ نَعَمْ ، قَالَ : لَوْلَا أَتَكَ تَعَدِّيَتْ لَعَدَيْتُكَ بِعَدَاءٍ طَيْبٍ ، وَإِنْ قَالَ لَا ، قَالَ : لَوْ كُنْتَ تَعَدِّيَتْ لَسَقِيْتُكَ خَمْسَةً أَفْدَاحٍ ، فَلَا يَصِيرُ فِي يَدِهِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ .

وَقَالَ ثَمَامَةُ (٢) لَمَّا أَرَ الدِّيَكَ فِي بَلْدَةٍ إِلَّا وَهُوَ لَافِظُ ، يَأْخُذُ الْحَبَّةَ يُمْنَاقِرُهُ ، ثُمَّ يَلْفِظُهَا قَدَامَ الدَّجَاجَةِ ، إِلَّا دِيَكَةً مَرْوَ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ دِيَكَةً مَرْوَ تَسْلُبُ الدَّجَاجَةَ مَا فِي مِنْقَارِهَا مِنَ الْحَبَّ ، قَالَ : فَعَلِمْتُ أَنَّ بِهِمْ سَيِّئَةً فِي طَبْعِ الْبَلَادِ ، وَفِي جَوَاهِرِ الْمَاءِ ، فَقِنْ ثَمَامَةَ عَمَّ جَمِيعَ حَيَوَانَهُمْ .

فَحَدَّثَتْ بِهَذَا الْحَدِيثَ أَحْمَدَ بْنَ رَشِيدٍ ، فَقَالَ : كُنْتُ عَنْدَ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ مَرْوَ ، وَصَبَّيَ لَهُ صَغِيرٍ يَلْعَبُ بِيَدِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ إِنَّمَا عَابِرًا وَإِنَّمَا مُمْتَحِنًا : أَطْعَمْتِنِي مِنْ خَبْرِكُمْ . قَالَ : لَا تُرِيدُهُ ، هُوَ مَرْوٌ ، فَقُلْتُ : فَاتَّسَقْنِي مِنْ مَائِكُمْ ، قَالَ : لَا تُرِيدُهُ ، هُوَ مَالِحٌ . قُلْتُ : هَاتِ لِي مِنْ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : لَا تُرِيدُهُ ، هُوَ كَذَا وَكَذَا ، إِلَى أَنْ عَدَدُتُ أَصْنَافًا كَثِيرَةً ، كُلُّ ذَلِكَ يَمْنَعُهُ وَيَبْعَضُهُ إِلَيَّ ، فَضَحِّكَ أَبُوهُ ، وَقَالَ : مَا ذَبَّنَا ؟ هَذَا مِنْ عَلَمَهُ مَا تَشَعَّ ؟ يَعْنِي أَنَّ الْبُخْلَ طَبْعٌ فِيهِمْ وَفِي أَعْرَاقِهِمْ وَطَبِيتِهِمْ » .

## 2. من رسالة التربیع والتدویر :

هذه رسالة وضعها الجاحظ في هجاء احمد بن عبد الوهاب ، وقال عنه :

« إِنَّهُ يَعْدُ أَسْمَاءَ الْكُتُبِ وَلَا يَفْهُمُ مَعَايِّنَهَا ، وَيُخْسِدُ الْعُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَلَّقَ فِيهِمْ بِسَبَبٍ ، وَلَيْسَ فِي يَدِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَدَابِ إِلَّا الْإِتْحَالُ لِالْأَسْمَاءِ الْأَدَبِيَّ . إِلَى عَيْنِ ذَلِكَ » .

(١) زَبَّةُ الْمَرْوَ وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ خَرَاسَانَ ( فَارِسَ ) . ( ٢ ) ثَمَامَةُ بْنُ الْأَشْرِسِ أَحَدُ زُعمَاءِ الْمُعْزَلَةِ .

وهذا نموذج من تلك الرسالة :

« قد علمنت — حفظك الله — أنك لا تخسر على شيء حسدك على حسن القامة ، وضخم الماءمة وعلى حور العين ، وجاذق القد ، فین غريب ما أعطيت ، وبديع ما أوريت أنا لم تر مقدوداً واسع الجفرة ( ما يجمع الصدر والجبيه ) غيرك ، ولا زعيقاً مشتفياً بالخاصرة سوالك ، فانت المديد ، وانت البسيط ، وانت الطويل ، وانت المتقارب ، فما شغلا جماع الأعاريض ، وما شخصاً جماع الاستدارة والطول : إن العيون لتخطيء ، وإن الحواس لتكلب ، وما الحكم القاطع إلا للدهن ، وما الاستيانة الصحيحة إلا للعقل » .

### 3. من كتاب الحيوان :

يقول في وصف الكتاب وبيان منافعه ومأثره :

« الكتاب وعاء مليء علماً وظرف حسي طرقاً ، وبستان يحمل في رذنه ، وروضة تقلب في حجز ، ينطق عن المؤني ، ويترجم عن الأحياء .. ولا أعلم جاراً أبداً ، ولا خليطاً أنصاف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا معلماً أخضر ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقل حناته ، ولا أقل إملاً وإنما ، ولا أزهد في جدال ، ولا أكفر عن قتال ، من كتاب » .

### خصائص فنه :

1 - كان الجاحظ دقيقاً في اختيار موضوعاته ، كما كان يستقصي اطراف الموضوع الذي يكتب فيه ، وقد اولع بتصوير مستوى الحياة لكل الطبقات ، وقدم افتخاره في اسلوب خصيب متعدد النواحي .

2 - ملك الجاحظ زمام البيان واللغة ، فكانت عبارته سهلة قوية ، يكثر من الجمل المتراوحة أحياناً تثبيتاً للمعنى كما يختار الالفاظ الملائمة لأنكاره وعواطفه .

3 - كان أسلوب الجاحظ ذا جُمل صغيرة متعادلة غالباً ، يُحَلِّيه السجع غير المتَّكَف ، كما يَوْيل إلى الاستطراد بذكر كل ما له صلة بموضوعه ، من أخبار طريفة ، ومُلْحٌ وَتَوَادِرٌ ممتعة ، تَرْزِيْهَا للنفس ، وتحريكاً للعقل ، كما كان يخلط أحياناً بين الحِدَّة والهزل ليبعد الملل عن القارئ .

4 - كان يقتبس من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ومن الشعر وأثر الأخبار والأقوال ، إقامة للحجّة وإياصحاً للبرهان ، ويلاحظ في أسلوبه اعتراض بعض الجمل الدعائية التي يقتضيها المقام .

5 - ينظم الجاحظ عبارته أحسن نظم ، ويكسوها أجزل لفظ ، ولم يقصر نفسه كغيره على الموضوع الذي يتكلم فيه ، وتقلب عليه النزعة الأدبية في كل ما كتب ، حتى في الحيوان ، فهو يختبر الألفاظ والعبارات ، ويحسن التأليف بينها في قوّة وأحكام .

6 - وللجاحظ أسلوب يمتاز به ، ولا يُنْسَب إلا إليه ، تظهر فيه شخصيته ، فهو في تأليفه قد تحرر من قيود كثيرة تقييد بها أدباء عصره ، تحرر من التزام الجد ، ونقل الفموض الذي كرهه من استاذه الأخفش ، وهو دائماً يخلط حِدَّاً بهزل ويسيفك اللقمة العجافه بكثير من الحلوى ، ويَحِّدَّ حتى إذا اعدك للبكاء رماك بنادرة تُمْعِنُ منها في الضحك ، ويأخذ بيذك حتى إذا كنت في أصعب موضوع ، وأعمق قرار فغر بك فجأة إلى السماء ، وحَدَّثَكَ حديثاً خفيفاً أنساكَ جهداً وعناءك .

### منزلته الأدبية :

كان الجاحظ أujeوبة الزمان ، وعقربيّ كل عصر وآن ، وحجّة من حجّع هذا البيان ، وينبوعاً من ينابيع الأدب ، وإماماً في علم الكلام والفلسفة ، ورواية واديباً ، ومؤرخاً وشاعراً ، وكاتباً وعالماً .

وحسيناً دليلاً على نبوغه ورسوخ قدمه ما قاله ابن العميد في وصف كتابه : «**كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً**» ، وما قاله المسعودي على ما بينه وبين الجاحظ من اختلاف : «**كتب الجاحظ - مع انحرافه - تجلو صداً الأذهان ، وتكتشف واصح البرهان ، لأنَّ نظمها احسن نظم ، ووصفها احسن رصف ، وكساها من كلامه أجزل لفظ**» .

ان تاريخ الجاحظ تاريخ قرن كامل ، وهو زهرة الدولة العباسية ، لانه ارتفى بالكتابه ورفع مكانتها ، وجمع في كتابته محاسن مَنْ سبقه من امثال عبد الحميد الكاتب ، وابن المفعع ، وامتاز عنهم بخفة الروح ، وجال العرض ، وسهولة العبارة .

ولقد أثرى المكتبة العربية كثيراً من مؤلفات الجاحظ التي بلغت عدتها اكتر من مائتي كتاب أشهرها «*البيان والتبيين* ، *والحيوان* ، *والبخلاء*» ، وفي أيام الجاحظ كان كل كاتب ناشئ يدرس كتبه تلك ، وقد نال الجاحظ حُفَّوةً عند عارفي فضله ، فتهافتوا على قراءة كتبه والاستفادة منها وطَبَقَتْ شهرته الآفاق اكثرة ما الف في كل فنون القول . وترجمت بعض آثاره الى اللغات الاجنبية فترجم شارل بلاكتابه *البخلاء* الى الفرنسية .

ويعتبر الجاحظ إماماً في الدين على مذهب الاعتزال ورواية بصيراً وأستاذًا مُوجِّهًا في الأدب ، وحسبه أن له طريقةً في الكتابة غيرَتْ به ، وعُرِّفتْ بها ، واحتذأها من جاءوا بعده من أئمة الأدب والكتابة !

لقد وجَّهَ الجاحظ ملاحظاته القوية ، وملكة انتباذه الراسخة في اسلوبه الخصيـبـ الـافـكارـ ، المتعددـ التـواـхиـ ، إلـىـ مـخـتـلـفـ الـظـواـهـرـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـادـبـيـةـ وـالـلغـوـيـةـ فـعـصـرـهـ ، وـكانـ اـسـلـوبـهـ وـطـرـيقـتـهـ مـثـالـاـ يـحـتـدـىـ إـلـىـ وـقـتـناـ الـحـاضـرـ .

### تدريب تطبيقي

#### المقالة الأدبية :

— الجاحظ صاحب مدرسة في الكتابة تميزت بخصائص معينة . اكتب في ذلك مع الاستشهاد بما درست له من نماذج أدبية .

#### السؤال الكتابي :

— ما اهم العوامل التي كونت شخصية الجاحظ : العالم الأديب ..

نسبة - نشاته وحياته - ثقافته - عوامل نبوغه -  
أغراض شعره - خصائص شعره - منزلته الأدبية .

## نسبة :

هو «ابو الطيب احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي» ، نسبة الى قبيلة جعفي اليمنية ، وجعفي هو جد المتنبي ، وهو جعفي بن سعد المشيرة بن مذحج بن كهؤان بن قحطان .

ولد المتنبي بالковفة سنة 303 هـ - 915 م في حي كندة ، ولذلك نسب الى هذا الحي او الى الكوفة ، فقيل له الكوفي الكندي ، ليست نسبة الاخيرة الى قبيلة كندة كما قد يتضاد الى الذهن ولكنها الى ذلك الحي الذي ولد فيه ، وأطلق على أبي الطيب لقب «المتنبي» لتعاظمه في بعض اشعاره ، ومحاولته الخروج على بعض الولاة في عصره .

ولم تصل اليانا معلومات وافية عن أسرة المتنبي ، ويبدو انها اسرة فقيرة مغمورة ، فابوه كان سقاء للماء بالkovفة ، وكان يعرف بعَيْدَان السقاَء ، ولم يعرف شيء عن امه ، ويبدو أنها ماتت وهو صغير ، أما جدته لامه فهي هَمَدَانِيَّة صحيحة النسب ، وقد حُصَّت من بين اسرته برثائه وتقديره ، ولم يكن المتنبي نفسه يعني بأن يعرف عنه الا انه الشاعر الذي لا يفخر بقبيلة ، إنما تفخر به القبيلة التي هو منها ، قال في إحدى قصائد الصبا :

ما يَقُومُ شَرْفَتْ ، بَلْ شَرُفُوا بِي      وِنَقْسِي فَخَرْتْ لَا يَجُدُودِي

وقال في رثاء جدته لامه :

وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدِ      لَكَانَ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَوْنُوكِ لِي أَمَّا

## نشاته وحياته :

نشأ المتنبي في اسرة فقيرة بالковفة ، وُعِرِفَ منذ طفولته بالذكاء وقوه الحفظ ، وقد ادخل مدارس الشيعة التي انتشرت بالkovفة حينذاك ، فتعلم دروس العربية شيئاً عن المذهب الشيعي وما كاد يبلغ العاشرة حتى ارتحل مع أبيه الذي ترك الكوفة الى بادية السماوة بين العراق والشام وظل يتابع تعلمه ، وينهل من ينابيع اللغة الفصحي بين قبائل الbadية مدة سنتين ، ثم عاد مع أبيه الى الكوفة وهو في الثانية عشرة من عمره ، ولكنه سرعان ما غادرها مرة اخرى عندما عاود القراءة الفارة عليها ، وشارك نفسه في مواجهة المغيرين ، وكانت رحلة المتنبي هذه الى بغداد ولم يمنعه موته - في هذا الوقت - من الاستمرار في تكوين نفسه علمياً وأدبياً ، فقد اتصل بالعلماء والأدباء ، واصحابهم ، ودرس عليهم ، ويبدو أن موهبته الأدبية قد تفتحت في هذه الفترة المبكرة من حياته ، فبدأ في نظم الشعر ، ومحاولات تحقيق آماله عن طريقه ، ويؤكد الرواة ان المتنبي « طلب الادب وعلم العربية ونظر في أيام الناس وتعاطى قول الشعر من حداته حتى بلغ الغاية التي فاق فيها أهل عصره وطاول شعراء وقته » .

احس المتنبي منذ نعومة اظافره بطاقةه الفنية تتفجر ومعها نفسُ أبيه ، وطموح الى معالي الامور ، لقد كان منذ صباح يبني المجد والسؤدد ويلمح بالملك ، ويبني صروح الامالِ الجسم ، وسجل ما يشير الى ذلك في اشعاره صباح فقال :

وَمَنْ يَبْيَغِي مَا يَأْبَيِي مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَّاَ      تَسَاوَى الْمَحَابِي عِنْدَهُ وَالْمُقَاتِلُ  
وَقَدْ يَعْتَبِرُ بَعْضُ النَّقَادِ ذَلِكَ الطَّمَوْحُ حُمْتاً ، وَلَكِنَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ شَاعِرُنَا :  
وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ بِكَارِاً      تَعَيَّبَتْ فِي مَرَادِهَا الْأَجْسَامُ

ومن أجل ذلك تعدد رحلات المتنبي الى بغداد وغيرها طلباً للمجد والسؤدد ورقة الشأن ، ومدح أمراء تلك العواصير ، ولكن امانيه العذاب لم تتحقق ، فقرر العودة الى بادية السماوة ، ويقول التعاليبي : « إنه بلغ من كبر نفسه وبعد همته انه دعا قوماً من رائشي نبله ، على العداية في سنها ، والفضاضة من عوده ، وحين كاد يتم امر دعوته تادى خبره الى والي البلدة ، ورفع اليه ما همَّ به من الخروج ، فامر بحبسه وتقييده » .

لقد كان حَبْسُ المتنبي - كما نصت عبارة الشاعري - بسبب محاولته الثورة والخروج على الوالي وليس لادعائه النبوة كما زعمت بعض الآراء ، وهو ما انكره المتنبي ونفاه عن نفسه .

لقد عاش المتنبي في فترة كانت فيها الدولة العباسية نهباً مُقسماً ورأى المتنبي في سكان الbadia سَذاجة في الطياع فجذبهم اليه بسحر بيانه وقوة عارضته ، ولم يجد اعداؤه تُهمةً يتخلصون بها منه إلا أن يُلصقوها به تُهمةً ادعاء النبوة .

وُسِّخَ شاعرنا ، واستمر في سجنه حتى استمعطف أمير حمصي فاطلقه ، وخرج ليستأنف نشاطه في سبيل تحقيق مأربه ، واستمر متنقلاً بين ولاة الشام وأمرائها مدة خمس عشرة سنة يمدحهم ولا يستفيد من مدحه إلا العطاء التَّنَزُّر ، على كثرة ما بالغ واحتفل ، ومن مدحهم بَدْرُ بن عمار أحد ولاة الشام الذين مدحهم بـشعر رائع .

واراد الله للشاعر الكبير أن يلقى مدوحه الكبير . فاتصل المتنبي بابي المشائير ، وكان سيف الدولة أمير حلب قدم أنطاكية وابو العشاريز بها ، فقدم المتنبي اليه ، وعرفه مكانته من الشعر والأدب ، فاحسن سيف الدولة استقباله وانزله من نفسه منزلة كريمة حتى أصبح المتنبي من خاصة المقربين اليه ، ورأى المتنبي في سيف الدولة الامير العربي الذي يجدر بذرره الغواوى ، وآياته الخالدات ، فانقطع اليه يمدحه ، ويقول في صحبته روانع اشعاره التي سجلت رحلاته ، ووصفت حروبه ومعاركه مع الروم ، واستمرت تلك الصحبة نحو تسع سنين نظم فيها شاعرنا الثاني عشر وخمسماة وalf بيت يضمها أكثر من سبعين قصيدة ومقطوعة ، ولا شك ان تلك الصالة بين شاعرنا واميره كانت مَذَكَّرَةً لعقربيته ، ومُذَكَّرَةً لصيبيه ، مما هي له اسباب الرضا والمجد ، واعانه على الدخول في زمرة الخالدين ، وكان له على خطوب الايام خير معين .

وما زالت تلك الصلة قائمة بين الامير وشاعره ، يجيء المتأدبون ثمارها اليائعة ، وقطوفها الدانية حتى دَسَّ له بعض الحاقدين عند سيف الدولة ، وحدثت بحنة بين الامير وشاعره ففضي عليه واضطر المتنبي الى ترك حلب ، وقلبه مَعْلَقاً بسيف الدولة كما يظهر من اشعاره في هذه الفترة ، ورحل الى دمشق ، وهناك زَيَّنَ له أحد اتباع كافور الإخشيدى حاكم مصر ان يَرْجِعَ اليه ، فاتجه الى مصر سنة 346 هـ ، والحق ان المتنبي قدم كافورا

يجذبه الطبع في أن ينال منه ولایة ، وصَدَهُ الْكِبْرُ اَنْ يَتَدَلَّ إِلَى مَدْحِ الْاَسْوَدِ ،  
وَإِنَا لِنُجْسَسْ هَذَا الشَّعُورَ مِنْ مَطْلَعِ اُولَى قَصِيدَةِ مَدْحِهِ بِهَا ، وَالَّذِي يَقُولُ  
فِيهِ :

**كَنَّى بِكَ دَاءً اَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًّا      وَحَسْبُ النَّاسَيَا اَنْ يَكُنَّ اَمَانِيَا**

وهو مما أخذه عليه بعض النقاد المتمسكون بقواعد المدح التقليدي .  
واستمر التنبی في مدح كافور ، ولما لم يتحقق حلمه عزم على ترك مصر ،  
وحاول كافور منعه ، ولكن خرج ليلة عيد الأضحى سنة 350 هـ . وكان  
قد مرض بالحمى ، وقال قصيدة طويلة في ذلك منها :

وَزَائِرَتِي كَانَ بِهَا حَيَاءً      فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ  
بَذَلَتْ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْخَشَايَا      فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عَظَامِي  
يَضِيقُ الْجُلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا      فَتُوسيَّعُهُ بِأَنْواعِ السَّقَامِ ( )

وهجا التنبی كافورا هجاء مرا ، وكانت وجهته هذه المرة الى الكوفة  
بلده ومسقط راسه بعد غيبة طويلة عدتها ثلاثون سنة ، وقد استغرقت  
رحلته من مصر الى الكوفة ثلاثة أشهر ، وليث ابو الطيب بالعراق ثلاث  
سنين ، ثم غادرها الى فارس فوصلها ومدح عضد الدولة بن بويه (324 هـ -  
372 هـ) أحد أمراءبني بويه المتغلبين على العراق وفارس والموصل ، وزيره  
ابن العميد الاديب المشهور ، وفي اثناء عودته الى بغداد تصدى له بعض  
الأعراب من يقطعون الطريق ومنهم « فاتك بن جهل الاسدي » خال  
« ضبة بن يزيد » الذي كان التنبی قد هجاه اقطع هجاء في قصيدة طويلة  
منها :

إِنْ أَوْحَشَتْكَ الْمَعَالِي      فَإِنَّهَا دَارٌ غَرْبَةً  
أَوْ آنَسَتْكَ الْمَخَازِي      فَإِنَّهَا لَكَ نِسَبَةٌ

وذاته : يزيد العم وكانت تأتيه بلا . المطاف : جمع مطرف وهو رداء من  
حرير ، والخشايا : جمع خشية وهي ما حشي من الفراش مما يجلس عليه . عافتها :  
رفقتها . السقام : الأمراض والألام .

فأراد فاتك الانتقام لابن اخته ، كما رغب في الاستيلاء على ما يحمله المتني من ثروة ، ودارت بين المتني وقطاع طريقه رحى معركة بذل فيها جهد طاقته ، ولكنه قتل مع ابنه « محسد » وغلامه « مفلح » عند مكان يسمى « الصافية » على بعد ستة عشر فرسخا من بغداد سنة 354 هـ وأخذوا جميع ما كان معه ، وكان في جملة ما أخذوا كتبه ودواوين شعره . وكانت وفاته في خلافة المطیع .

وممما عرف عن المتني طموحه وشجاعته وإندامه ، وعزه نفسه ، وترفعه عن الدنيا وصفائر الأمور ، فهو لا يشرب الخمر لأنه يذهب بالعقل ، وينقص من قدر شاربه ، كذلك اشتهر بالفروسية والتعصب للعرب والإسلام إلى غير ذلك من القيم والمبادئ التي كان لها أكبر الأثر فيما صدر عنه من شعر .

### مصادر ثقافته :

- 1 - صحب المتني الأعراب وأقام بالبادية ، فسمع اللغة ، وبلغ في العلم بها وبغربيها وبشواهدها مبلغا عظيما حتى صار إماما فيها .
- 2 - طلب المتني العلم والأدب منذ حданة سنه ، كما تعاطى الشعر في وقت مبكر ، حتى استقام له ، ونبغ فيه .
- 3 - كان المتني يكثر من ملازمته الوراقين ، ويستوعب كل ما لديهم من كتب ، وقد وبه الله حافظة نادرة اعانته على اكتساب المعرفة ووعي الأدب .
- 4 - تلقى العلم والأدب على يد أئمة من أمثال أبي بكر ابن السراج ، وأبي بكر محمد بن دريد ، وأبي على الفارسي وغيرهم من رجال اللغة والأدب .
- 5 - استفاد المتني كثيرا مما قام به من رحلات ، ومنمن لقى في أثناءها من علماء وأدباء ، ومنمن اتصل بهم من ملوك وأمراء ومما تعرض له من مواقف وأحداث .

## عوامل نبوغه :

1 - كان المتنبي ذا موهبة فطرية ، فبرع في نظم الشعر منذ نعومة اظفاره ، وقد أهان على ذلك ذكاء مفرط ، وحافظة قوية ، وبديهة حاضرة ، وفکر منظم ، وظهرت آثار ذلك كلها في اشعاره التي امتازت بتسلسل افكارها وترتيب معانيها ، وإحكام موضوعاتها .

2 - كان نبوغه الفكري نتيجة تخرجه في العلم والادب على يد علماء العراق والشام وادبائهما ، وإمامته بالعلوم الداخلية ، واطلاعه على الفلسفة اليونانية ، فاتسعت ثقافته ، ونضج تفكيره ، مما جعله في طليعة شعراء الحكمة بين سائر الشعراء ، بالإضافة الى عمق افكاره ، ودقة معانيه .

3 - وكان نبوغه اللغوي نتيجة إقامته بين قبائل البدية ، وخاصة بين قبيلة « كلب » في ارض السماوة ، فتلقي عنها اللغة ، وتعلم الفصاحة ، حتى ليقول بعض مؤرخيه : « كان ولد جباء عَذِي باللين ، ولم يطا الحضر ، ولم يعرف المدر ». .

4 - عاش المتنبي في ازهى العصور العربية علماً وادباً ، وكان للشعراء والأدباء مكانة رفيعة عند الحكام والأمراء من أمثال الأمير سيف الدولة ، الذي سجل المتنبي في معيته روانعه الشعرية الخالدة وقد عرف سيف الدولة بسماحة النفس ، وكرم الخلق ، فكان بحق شاعر المجد الذي سعد بصحبته شاعر اللّفظ والبيان ، وهذا ما أشار اليه المتنبي في بيته :

**شاعر اللّفظِ خُدْنَهُ شاعرُ المَسْجِدِ كِلَانَا رَبُّ المعاني الدِّقَاقِ**

5 - كانت للمتنبي فلسفة ونظارات صائبة في الحياة ، فهو يرى أن الحياة صراع ، والبقاء للأقوياء ، وقد انعكست آثار هذا الاتجاه على نفسه وحاول تحقيق مطالبه عن طريق القوة ، ولكن الظروف لم تكن في جانبه ، مما دفعه إلى السخط والتبرم بالناس وبالحياة ، وفاض ذلك في اشعاره ، قال في إحدى قصائده :

**وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَامَ مَعْرِفَتِي بِهَا      وَبِالنَّاسِ رَوَى رَمَحَهُ غَيْرَ رَاجِمٍ  
فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفَرُوا بِهِ      وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمْ بِأَتْمِ**

6 - كان المتنبي أبياً ، مُعْجِبًا بنفسه ، بعيد الهمة ، كما كان صريحاً في مواجهة الآخرين ، وقد سيطرت عليه تلك الأخلاق فجعلته متوفعاً عن شعراء عصره ، عزوفاً عن مسايرتهم في اللهو والمجونِ معتزاً بنفسه ، وادبه ومواهبه ، يقول :

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْنَى إِلَى أَدَبِي  
وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ يَهْ صَمْ  
أَنَّامُ مُلْءُهُ عَيْوَنِي عَنْ شَوَارِدِهَا  
وَيَسِّرْ الْحَلْقَ جَرَاهَا وَيَخْتَصِمْ

7 - كان المتنبي أنوفاً شجاعاً فارساً ، محباً للمغارات ، وكان فيه طوح للسيادة وكان يلحظ بالملك ، ويرى الوسيلة إلى تحقيقه هي الكفاح والقتال ومصارعة الخطوب ، كذلك امتلاء نفس المتنبي بحب العرب والتعصب لهم ، وكان ذلك من أسباب تعلقه بسيف الدولة والإشادة بأعماله بصورة من صور البطولة والقوة التي أرادها لنفسه ، وتمني لو استظل بها قومه وعشائره ، وكان المتنبي بالإضافة إلى اعتزازه بنفسه معتزاً بأشعاره ، ولم يكن يقبل النقد إلا مع سيف الدولة فإنه قبل منه تقده في البيت الآتي وهو من نص سبقت للك دراسته :

قال المتنبي :

وَكَانَ بِهَا مُثْلِ الْجَنُونِ فَأَصْبَحَتْ  
وَمِنْ حَيْفِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِلٌ

فقال له سيف الدولة :

قَلْ : وَمِنْ جَثَثِ الْقَتْلَى فَاسْتَجَابَ لِهِ الْمُتَنَبِّي ، وَقَبَلَ رَأْيَهُ .

8 - كان للمتنبي حсад كثيرون من فحول الشعراء وأعيان البيان ، يتسمون له المفوة ، ولذا عنى بمراجعة شعره وتنقيحه ، وقد روى أنه كان إذا نظم قصيدة يتغنى بآياتها بيتاً بيتاً ، وكلما توقف مرة بدأ يتغنى من أول القصيدة ، وكان يبذل جهداً كبيراً في الانتقال من جزء إلى آخر ، وهكذا كان يحتشد لكثير من قصائده ويغنى بها ، ويحتفل باختيار الفاظه ومعانيه .

9 - كان عند المتنبي حرص شديد على المال ينشده ليبلغ به غايته ، ويستعين به على تحقيق آماله الجسام ، وأحلامه الواسعة ، وفي سبيله تحمل الكثير من المشاق ، وقام برحلاته العديدة إلى حلب ومصر وفارس وغيرها ، وقد كان من آثار هذا الحرص الشديد شحذ همه ، ودفعه إلى الإجاداة والتفوق في شعر المدح والمناسبات .

## اغراض شعره :

تناول المتنبي في شعره كل الأغراض التي قال فيها الشعراء كالمدح والوصف والفخر والمجاهد والغزل والرثاء والحكمة . وقد اكثر المتنبي القول في بعض هذه الأغراض تبعاً للظروف التي مر بها كالمدح والوصف . وأما شعر الحكمة فقد كان المتنبي فارس ميدانه بما قدم من رواية الحكم الأخلاقية والاجتماعية واليک تفصيل القول في هذه الأغراض :

## الوصف :

وصف المتنبي المعارك الحربية ، وسجل أحداثها ، بعد أن شاهدها شان المراسلين الحربيين في الجيوش الحديثة ، وبعد شعر المتنبي في تلك المعارك تارياً ما لمرحلة هامة من مراحل الصراع بين العرب وأعدائهم ، كذلك وصف عدّد الحرب . والسفر ، والبادية . وكان أقدر على البيان في هذه الموضوعات من سواه حتى لا يجارى في الإبانة عنها .

والتفت المتنبي إلى الطبيعة فأبدع في وصفها ، ووصف نفسه ، وطموحه ولم ينس أن يتناول في وصفه طبائع الناس وغير أثرهم . ويمتاز وصف أبي الطيب في كل ذلك بالقوة والواقعية . وقد سبقت دراسة نموذجين من شعر الوصف عند المتنبي أحدهما في وصف معركة الحدث إحدى معارك سيف الدولة مع الروم ، والآخر في وصف جمال الطبيعة في شعب بوان . ومن خلال دراستك لهذين التصينين تدرك أن الوصف عند المتنبي يشهد بقدرته على الإبانة والبصر بإبراز المعاني الكثيرة في الفاظ قليلة .

## المدح :

كثر شعر المديح عند المتنبي . وقد وجد في سيف الدولة أمير حلب النموذج الواضح للصفات العربية الأصيلة . ودفعته حروب هذا الأمير وانتصاراته إلى الإشادة بفتحه . والتغني بملائمه . فمدحه بقصائد أطلق عليها الأدباء ( السيفيات ) ومن مدحهم أيضاً التنوخيون باللاذقية ، وبدر بن عمار الأسدى نائب ابن رائق في طبرية . وكافور الإخنطى حاكم مصر ، وعاصد الدولة بن بويه ، ووزيره ابن العميد بفارس . على أن المتنبي لم يكن

يُمَدِحُ إِلَّا عَنْ اقْتِنَاعٍ بِشَخْصِيَّةِ الْمَدُوحِ وَاعْجَابٍ بِهِ ، حَتَّى أَنْ لِي رُوِيَ أَنَّهُ  
أَبِي أَنَّ يُمَدِحُ بَعْضَ أَنَاسٍ لَأَنَّهُ لَمْ يَرْهُمْ أَهْلَ الْمَدِحِ ، وَمَا مَدْحُ كَافُورًا إِلَّا  
رَجَاءً عَوْنَهُ فِي تَحْقِيقِ مَطَامِعِهِ فِي السُّوْدَدِ وَالْجَاهِ .

وَيُمَتَّازُ مَدْحُ الْمُتَنَبِّيِّ بِالْتَّدْفُقِ وَالْتَّسَامِيِّ ، وَالْمَيلِ إِلَى الْحُكْمَةِ ، وَيَتَضَعُ  
ذَلِكُ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَدْحُ فِيهَا سِيفَ الدُّولَةِ ، وَقَدْ مَرَتْ بِكَ .

### الْحُكْمَةُ :

حَفَلَ شِعْرُ الْمُتَنَبِّيِّ بِالْحُكْمَةِ ، وَكَانَتْ نَابِعَةً عَنْ أَصَالَةِ ، وَنَاتِجَةً عَنْ تَجْرِيَةٍ  
وَخَبْرَةٍ ، وَمِنْ ثُمَّ تَرَدَّدَ عَلَى كُلِّ اسْمَانِ ، وَاسْتَقْرَرَتْ فِي النُّفُوسِ مِرْتَاحَةٌ  
إِلَيْهَا ، ضَنْبَنَةٌ بِهَا ، وَلَيْسَ لَابِي الطَّيْبِ مُمِثِّلٌ فِي هَذَا اللُّونِ مِنَ الشِّعْرِ ، فَقَدْ  
تَسَامَتْ حُكْمَتُهُ إِلَى درَجَةٍ لَمْ يَرْتَفِعْ إِلَيْهَا هَذَا الْفَنُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ فِي الْإِسْلَامِ .

وَنَجَدَ شِعْرُ الْحُكْمَةِ عِنْدَ الْمُتَنَبِّيِّ مُبْثُوْنَا فِي قَصَائِدِهِ ، وَقَدْ يُخَصِّ لَهُ  
بعْضُ الْقَصَائِدِ كَقُولَهُ :

صَحِّ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا      وَغَنَّامُهُ مِنْ أَمْرِهِ مَا عَنَّانَا  
وَتَوَلَّوْا بِغَصَّةٍ كَلْمُمْ مِنْهُ      وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْيَانَا  
رَبِّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لِيَالِيِّهِ      وَلَكِنْ تَكْدِرُ الْإِحْسَانَا  
وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْفَرُ مِنْ أَنْ      تَسْعَادَيِ فِيهِ وَأَنْ تَفَسَّانَيِ  
غَيْرَ أَنَّ الْفَتَنَ يُلَاقِي الْمَوَانَا      كَالْحَيَّاتِ وَلَا يُلَاقِي الْمَوَانَا  
لَعَدَدُنَا أَضَلَّنَا الشُّجَاعَانَا      وَلَوْ أَنَّ الْعَيَاةَ تَبْنَى لِحَيَّيِ  
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُتَوْتِ بَدَدُ      فِيمَ الْعَجَزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا

عَنْهُ الْأَمْرُ : أَهْمَهُ . تَوَلَّوا : ذَهَبُوا . الْفَصَّةُ : مَا غَصَّتْ بِهِ مِنْ هُمْ وَحْزُونٌ وَنَحْزُونٌ .

تَكْدِرُ : تَشُوبُ وَتَخْلُطُ .

## الفخر :

كثر الفخر في شعر المتنبي ، ويأتي في ثنایا قصائد المديح او الهجاء او الرثاء ، حيث يفخر بنفسه ، يعلن عن طموحها ، وعظمة ما تستمسك به من مبادئ ، ومن شعر الفخر قوله :

ما يَقُولُمِي شَرُوتُ بْلَ شَرَفُوا بِي  
وَبِنَفْسِي فَخَرَتْ لَا بِجَدْوَدِي  
وَبِهِمْ فَخَرَ كُلُّ مَنْ نَطَقَ الضَّا  
يَأْنَ أَكَنْ مَنْجَبَا فَعَجْبُ عَجِيبٍ  
لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدٍ  
وَسِيمَامُ الْعِدَى وَغَيْظُ الْحَسُودِ  
أَنَا تَرْبُّ التَّدَى وَرَبُّ الْقَوَافِي

## الغزل :

تحجب المتنبي الغزل في مطالع قصائده احيانا ، ولم يكن من اهل الغزل ، ولكنه حينما اراد ان يتغزل استطاع ببيانه القوي الذي طبع عليه ان يجيد في هذا الفن ، ومن امثلة ذلك قوله :

لِعِينَيْكِ مَا يَلْقَى الْفَؤَادُ وَمَا لَقِيَ  
وَمَا كُنْتُ مِنَ يَدْخُلُ الْعِشْقَ قَلْبَهُ  
وَلِلْحُبِّ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِي وَمَا بَقِيَ  
وَلِكُنَّ مِنَ يُنْصِرُ جُفُونَكِ يَعْشِقُ  
وَبَيْنَ الرِّضَا وَالسُّخْطِ وَالقُرْبِ وَالنُّؤِي

## مَجَالٌ لِدَمْعِ الْمُقْلَةِ الْمُتَرْقِرِقِ

ولم يكن اتجاه أبي الطيب الى الغزل مما يصرفه عن معالى الامور ، فقد كلف بالحرب ، واهتم بالقول فيها حتى تغزل بها ، فهو الذي يقول :

أَعْلَى الْمَسَالِكِ مَا يُبْنِي عَلَى الْأَسْلِ  
وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِيمِنَ كَالْقُبْلِ

---

من نقق المقاد : المرب . عوذ الجاني : بلجا اليهم من جنى جنابة . المعجب : الذي يعجب بنفسه . العجيب : الذي يعجب بغيره . ترب الندى : ترب الانسان من ولد منه في وقت . والندى : الحور . القوافي : يقصد النمر . السمام : جمع سم .  
الاسل : الرماح .

اتجه المتنبي الى شعر المهجاء نتيجة ظروف قاهرة جعلته يتبرم بالحياة ويضيق ذرعاً بالحياة ، وقد يرد على بعض شائطيه ، وتنقلب الحكمة على هذا اللون من الشعر ، كما يحمل طابع التهمك والسخرية اللاذعة بالهجاء ، ومن شعر المهجاء قوله في صباح يهجو القاضي الذهبي :

لَأَنِّي بَيْتَ فَكِنْتَ ابْنَانِي لِغَيْرِ أَبِي  
ثُمَّ امْتُحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبِ  
مُشْتَقَّةٍ مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ لَا الْدَّهَبِ  
مُلْقَبٌ بِكَ مَا لِقْتَ وَيْكَ بِهِ فَأَيُّهَا الْفَقْرُ الْمُلْقَيُّ عَلَى اللَّقْبِ

والمتنبي في هجاء كافور الاخشيدى قصائد متعددة ، ومن ذلك قوله :  
 يَا نَزَّلْتَ بِكَذَابِيْنَ ضَيْفِهِمْ  
 عَنِ الْقِرَى وَعَنِ التَّرَاحَالِ مَحْدُودَهُ  
 جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِيِّيْ وَجُودِهِمْ  
 مِنَ اللَّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الجُودُ  
 إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ تَشْهَداً عُودُ

الرثاء :

اختلت مواقف المتنبي في شعر الرثاء ، فبعض هذا الشعر يغلب عليه العقل ، وبعضه مؤثر يصدر عن عاطفة صادقة جياشة ، ومن خلال هذا وذاك تنطلق الحكمة ، وتبرز معانى العبرة ، ومن ذلك قصيدة التي يعزي فيها أبا شجاع عضد الدولة في عنته وقد توفيت ببغداد :

لَا يَقْبِلُ الْمُضْجَعَ عَنْ جَنْبِهِ  
 وَمَا أَذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ كَرْبَلَهِ  
 نَعَافَ مَا لَا بُدَّ مِنْ تُرْبَهِ؟  
 عَلَى زَمَانٍ هَنَّ مِنْ كَنْبِهِ  
 وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تُرْبَهِ  
 لَا بَدَّ لِلإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَهِ  
 يَتَسَّى بِهَا مَا كَانَ مِنْ عَجَبِهِ  
 نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى ، فَمَا بِالنَّاسِ  
 تَبْخَلُ أَيْدِيْنَا بِأَرْوَاحِنَا  
 فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَنَوْهُ

وبك : وبلك حفت اللام لكثره الاستعمال .

## خمسون شعرة :

شعر المتنبي صورة صادقة لهذا العبقرى وعصره ، وقد صدر عن اصالة ، وترجم عن شخصية قائله ، ونفيته وصفاته ، فهو طموح جريء ، مغامر ، حريص على تحقيق ما تصبو اليه نفسه من مكانة مادية ومعنوية ، وأما عصره فقد غض بالأمراء والولاة الذين قدروا العلم والأدب حق قدرهما ، فقربوا العلماء والأدباء ، واستمالوا الشعراء ، وأجزلوا لهم العطاء ، ومن ثم كثرت رحلات المتنبي – وتعددت .

وشعر المتنبي ذو طابع خاص يميزه في معانيه وأخياله والفاظهه وأساليبه وموسيقاه ، فمعانيه تتسم بالقوة والفحامة والتركيز ، وخياله يمتاز بالخصب وأحكام الصورة وقوه التأثير ، وأما الفاظه فجزلة ، وعباراته وأساليبه رصينة ، وموسيقاه قوية الجرس ، تلائم روحه ، وتتفق مع طبيعته دون اعتماد على الصنعة والزخرف .

ان ما خلفه المتنبي من ثروة شعرية بلغ ذروة الخلود في الأدب العربي ، ولقد نفع المتنبي في الأجيال المتعاقبة من سديد رايه وحكمته ، واستمتع عشاق الأدب على يد المتنبي بالمعنى البديع والنظم الحلو ، والكلمة الرشيقه ، والحكمة الرشيدة ،

## منزلته الأدبية :

بعد المتنبي أحد آئمه البيان في عصور العربية ، وهو ثالث ثلاثة أشاد بهم النقاد في العصر العباسي ، وقال عنهم ابن الأثير : أبو تمام والبحترى والمتنبي هم الذين ظهرت على أيديهم حسنات الشعر ومستحسناته ، وجمعت بين الأمثال السائرة ، وحكمة الحكماء وقد حوت اشعارهم غرابة المحدثين الى فصاحة القدماء .

« ولا ريب ان ابا الطيب يمتاز عن الشعراء ب موضوعات اكثرا الكلام فيها وافتني في تصوير معانيها حتى عدت من موضوعات شعره ، على حين يلم بها الشعراء الآخرون الماما ، لا يستوعبون استيعابه ، ولا يكلفون كلفه ، ولا يتعمقون تعمقه ، هذه الموضوعات ترجع الى الإباء ، والترفع عن الدنایا ، والطموح الى المعالى ، والإقدام ، ويجمعها « عظم النفس » ، والى الحكمة الأخلاقية والاجتماعية وقد ضمنت من سمو النفس وعلو الهمة والحكمة ما لا اعرفه لشاعر في الجاهلية والإسلام .

ليس لأبي الطيب ضرب في هذا الضرب من الشعر ، واني أسائل من  
من يرتاب في هذا .

اذا اردت ان تربى الشباب العربي على الاخلاق التي تمكنتهم من الثبات  
على زلزال هذا العصر ، واجتهدت ان ترويهم شعر شاعر يتخذونه اسوة ،  
فهل تجد بين امرئ القيس واحمد شوقي من يسامي ابا الطيب في هذا  
الشأن ؟ «(\*)

ولقد خلف المتنبي لغة الضاد مجدًا عظيمًا ، وترانا خالدًا تسامي  
بروائع الحكم وآيات البيان ، والمتنبي في تناول شعره كالملاك الجبار : يأخذ  
ما حوله قهراً وعنوة ، وكالشجاع الجريء : يهجم على ما يريده ولا يبالي  
ما لقى ، ولا حيث وقع .

ولقد حظى شعر المتنبي بالحكم والأمثال ، واحتضن بالإبداع في وصف  
مواقف القتال ، فاذا خاض في وصف معركة كان اسانه امضى من نصالها ،  
واشجع من ابطالها ، وهو خاتم الشعراء ، ومهما وصف فهو فوق الوصف  
والإطماء .

لقد اتبع للمتنبي مكانة رفيعة بين شعراء عصره ، وظل انتاجه الفني  
نموذجًا يحتذيه الشعراء في كل المصور ، لما امتاز به من معانى القوة  
والحيوية فهو يعبر في صدق ودقة عن التجارب الإنسانية ، ثم هو مصوغ  
صياغة فنية رائعة جعلت منه ادبًا جذابًا سارياً مسرى الأمثال . كما يمتاز  
شعره بتمثيله للمواقف المختلفة وبأنه يتمتع بسرار النفس الإنسانية  
وخلجاتها ، وقد عني علماء اللغة والقدر بهذا الشعر منذ عصر المتنبي الى  
اليوم ، فقد قامت دراسات توفر عليها اكتفاء من أمثل : «ابي بكر الخوارزمي  
المتوفى سنة 383 هـ والصاحب بن عباد المتوفى سنة 385 هـ ، وأبى  
الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة 392 هـ ، وابن القطاع الصقلي المتوفى  
سنة 515 هـ ، وأبى البقاء عبد الله بن الحسن المعروف بالمعكري المتوفى  
سنة 616 هـ والقاضي ابى الحسن الجرجانى صاحب الوساطة بين  
المتنبي وخصومه » ، وغيرهم كثير .

---

(\*) من كتاب ذكرى ابى الطيب المتنبي فى ألف عام . د. عبد الوهاب عزام . مطبعة العزيزية ،  
بغداد 1936 .

وانما ارتقى المتنبي الى تلك المنزلة الادبية بفضل نبوغه الشعري النادر ،  
وعبريته التي عزت على سواه في عصر كان يموج بالمجيدين من الشعراء .

### تدريب تطبيقي

#### المقالة الادبية :

— المتنبي شاعر الحكمة والمجد والطموح .  
اكتب مقالا اديب اتناول فيه هذه الجوانب .

#### السؤال الكتابي :

— ما الاسباب التي هيأت المتنبي للنبوغ في كل من شعر الوصف والحكمة ؟  
استشهد لما تقول بنماذج من شعره .

نسبة ونشاته - عوامل نبوغه - أغراض أدبه : أولاً : الشعر .

ثانياً : النثر - خصائص أدبه - منزلته الأدبية .

### نسبة ونشاته :

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله المَخْزُومِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الْقُرْطَبِيُّ الشَّهِيرُ  
بابن زيدون ، آخر شعراء بني مَحْرُوم ، واحد شعراء الاندلس  
وكتابتها المشهورين ، وزرائهم المعروفين بفنون الكتابة والشعر الذين  
ترَبَّعوا في مناصب الملك ، وتقلَّبُوا في مراتب الرئاسة .

ولد بقرطبة سنة 394 هـ / 1003 م ونشأ بين أسرته التي كانت  
تشتغل بالعلم ، فابوه من كبار قضاة قرطبة وأدبائها وعلمائها . ولذا نشأ  
ابنه ميالاً إلى تحصيل العلوم ، متفرغاً للدرس والبحث ، وأخذ العلم والأدب  
عن علماء قرطبة وأشهر رجال الأدب بها ، وكانت قرطبة غايةً بهم فقد  
جعلها بنو جَهُور حاضرة العلوم والفنون .

وعُرِفَ ابنُ زيدون بسَدَادِ الرأيِ وحسنِ التدبيرِ وقوَّةِ العزيمةِ فلم ينقطع  
للأدب بل كان يشتغل بالسائل العامة ، ويحسب من رجال السياسة ، فقد  
خاصَّ غمار الثورة التي قلت دولة بني أمية ، وكان من أشياع أبي الحزم  
جهور بن محمد الذي آتَاهُ ملُوكُ قرطبة فعمل ابن زيدون على تأييد ملكه ، وحكم  
بعده أبو الوليد محب الدين جهور فَقَرَبَ إِلَيْهِ ، وعلت منزلته لدِيهِ ، وجعله سفيره  
لدى أمراء الطوائف وغيرهم . وَفَوَّضَ إِلَيْهِ أمرَ الْمَلْكَ فَأَصْبَحَ صَاحِبَ مِسْتَوْرَتِهِ ،  
وقد اظهر من الحُكْمَ والدهاء ما رفع منزلته عند ابن جهور حتى اختص به ،  
وكان يرجع إليه في كل أمر من أمور الملك والسياسة ، فحسده منافسوه ،  
ووشوا به لدى ابن جهور ، وخوفوه عاقبة أمره ، وما زالوا به حتى أمر  
بسجنه ، وكان الوزير ( ابن عبدُوس ) في مقدمة من أوْغَرَ صدر الملك على  
ابن زيدون فقى سجيننا زينا طوبلا ، استعطف فيه ابن جهور بما يلين

الحديد ولكنه لم يظفر بعفوه ، فَقَرَّ من السجن ، واختفى بقرطبة الى ان شفع له الوليد بن جهور لدی ابیه محمد ، ولكن ابن زیدون لم يأْمِن بني جهور على نفسه فلجا الى (المُتَضَدِّبَنْ عَبَادَ) صاحب إشبيلية الذي القى إليه الوزارة ، وما صار المُلْكُ إلَى ابْنِهِ (المُتَضَدِّبَنْ عَبَادَ) صار وزيرا له ، وحين شبَّث الثورة على اليهود في اشبيلية ارسله المعتمد لتهديتها بما كان له من المنزلة عند الإشبيليين فسافر الى اشبيلية وهو مريض ، وكان قد شاخ ووهنت قواه فلم يطق الحاج المرض عليه فتوفي فيها سنة 462 هـ / 1071 مـ .

تَوَلَّ ابن زيدون الكتابة لابن جَهَّور حاكم قرطبة ، وابن عَبَاد حاكم اشبيلية ، وكان من كتاب الدواوين ، واشتهر في الكتابة الفنية الادبية برسالته : الجدية والهزليّة ، كما ان له ديوان شعر قام بشرحه وتحقيقه الاستاذان كامل الكيلاني وعبد الرحمن خليفة .

### عواصِل نبوغه :

1 - نشأ ابن زيدون في قرطبة وبين ربوع الاندلس بطبيعتها الساحرة ، ومناظرها الخلابة ، من حدائق غناء ، وازاهير فواحة ، وجداول رقراقة ، وبلايل صَدَاحَة ، وَجَوَّ صَافِي ، فنشأ متأملاً ما حوله ، مُحبًا للجمال في شَتَّى صوره ومظاهره .

2 - كانت قرطبة غَاصَّة بالعلماء والادباء وهي في اوج عَزِّها ، وقد جعلها بنو جَهَّور حاضرة العلوم والفنون ، فامتلات المجامع هناك بالأدباء والشعراء ، وانواع اللهو والطرب ، ومظاهر الترف والنعمة ، وكان لابن زيدون أدب جم وفضل مشهور فصار علما من اعلام قرطبة ، وَبَرَّ ادباء زمانه ، وذاع امره وانتشر .

3 - ثقف ابن زيون ثقافة ادبية ، وَشَبَّ على القراءة والدرس ، وحفظ كثيرا من الشعر والاخبار والسير والحكم والامثال ، وسائل اللغة ومباحثها ، وكان متقد الذكرة فامتلات نفسه بالمعاني التي فراها ، وقد نبغ في قول الشعر وهو في سن العشرين .

4 - عاش ابن زيدون في عصر ملوك الطوائف ، وارتقى في ظلهم ، ثم ما لبث ان سجن ، فاتجه الى شعر الاستعطاف ، واجاد القول فيه .

5 - تأثر ابن زيدون بأدباء المشرق كأبي تمام والبحترى والشريف الرضى من اشتهروا بالإجاده في وصف الطبيعة وظواهر العمران بين شعراء العصر العباسي ، كما تأثر في الترث بكتابه ابن العميد زعيم كتاب العصر العباسي الثاني .

6 - هام ابن زيدون حبا بالادبية الشاعرة ولادة بنت الخليفة المستكفي ، فاذكى هذا الحب من شاعريته وأهمه الإجاده في شعر الغزل .

### اغراض أدبه :

#### أولاً : الشعر

قال ابن زيدون الشعر في كثير من الأغراض ، وكان من ابرز تلك الأغراض التي اجاد القول فيها ما يلي :

#### 1 - الفخر :

كان ابن زيدون كثيراً ما يفتخـر بفضلـه ، وينـأـي بـنـفـسـه عنـ أـنـ يكونـ العـوبـةـ فيـ يـدـ الـحوـادـثـ ، ويرـىـ أنـ سـبـبـ شـفـائـهـ مـوـقـفـ اـعـدـائـهـ الـحـاقـدـينـ عـلـيـهـ بـسـبـبـ مـكـانـهـ مـنـ الـعـلـمـ وـالـفـضـلـ ، وـكـثـيرـ مـنـ فـخـرـهـ يـدـورـ حـوـلـ هـذـاـ الـعـنـيـ ، وـمـنـ ذـلـكـ قـوـلـهـ :

لَا يُهْنِي الشَّامَتَ الْمُرْتَاحَ خَاطِرُهُ  
هَلِ الْرِّيَاحُ بَنَجِمِ الْأَرْضِ عَاصِفَةٌ  
إِنْ طَالَ فِي السَّجْنِ إِيْدَاعِيْ فَلَا عَجْبٌ  
قَدْ كُتِّبَ أَجْبَبِيْ وَالنَّجْمَ فِي قَرَنِ  
أَنِّي مُعْنَى الْأَمَانِيْ ضَائِعُ الْخَطَرِ  
أَمِ الْكُسُوفُ لِغَيْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ  
قَدْ يُوَدِّعُ الْجَفْنَ حَدُّ الصَّارِمِ الذَّكَرِ  
فَقِيمُ أَصْبَحَتْ مُنْحَطًا إِلَى الْعَفَرِ

معنى : متعب بآماله . الخطر : قدر الرجل و منزلته . الجفن : جراب البف .  
الصارم : البف القاطع . سيف ذكر : ذو بريق . في قرن : في منزلة واحدة . العفر :  
التراب .

## 2 - المدح والاستعطاف :

مزج ابن زيدون بين المدح والاستعطاف والعتب ، وكثير من قصائده في استعطاف ابن جهور وهو في السجن تعد صورة من صور المؤس الذي فتق من لسانه وأثار في نفسه عاطفة الألم والحزن ، وقد بعث ابن زيدون بارحدى رسائله من السجن إلى أبي الحزم بن جهور يمدحه فيها ، ويشكو إليه حاله ، وفيها يقول :

مَحْضُ الْعِيَانِ الَّذِي يُعْنِي عَنِ الْخَبَرِ  
غَيْرِي يُحَمِّلُنِي أُوزَارَهَا وَزَرِي  
وَلَمْ أَتِ مِنْ تَجْنِيَةٍ عَلَى حَذَرِ  
وَالْجَابِ السَّهْلِ وَالْمُسْتَعْبِ الْيَسِرِ  
بَسَالُ مَرْأَى عَلَيْهِ سُرْزَةٌ مُخْبَرِ

مَنْ يَشَاءُ النَّاسَ عَنْ حَالِ فَشَاهَدُهَا  
مَا لِلَّذَنَوبِ الَّتِي جَانِي كَبَائِرُهَا  
مَنْ لَمْ أَزَلْ مِنْ تَائِيَةٍ عَلَى ثِقَةِ  
ذُو الشَّيْمَةِ الرَّسْلِ إِنْ هِيَ بَحْتُ حَفِيظَتِهِ  
مَنْ فِيهِ الْمُجْتَلِي وَالْمُبْتَلِي نَسْقًا

### وله أيضاً في الاستعطاف :

وَيَطْلُبُ ثَارِي الْبَرْقِ مُنْصَلَّتِ النَّصْلِ  
لَشَدُّبَ فِي الْأَفَاقِ مَا ضَاعَ مِنْ نَظْلِي  
لَأَلْقَتْ بِأَيْدِي الذُّلِّ لَمَّا رَأَتْ دُلَّيِ  
شَرَّتْ بِعَضِ الْحِلْمِ حَظًّا مِنِ الْجَهْلِ

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَكُنِي الغَمَامُ عَلَى مُثْلِي  
وَهَلَّا أَقَامَتْ أَنْجُومُ اللَّيْلِ مَائِمَا  
وَلَوْ أَنْصَفَتِي وَهِيَ أَشْكَالُ هَمَّتِي  
وَلَوْ أَنَّنِي أَسْطَعْتُ أَنْ أُرْضِي الْعِدَا

---

محض العيان : خالص المشاهدة . جاني كبارها : مرتكبها . أوزار : جمع وزر ، وهو الذنب . وزر : معين وملجا . الشيمه : الخلق والطبعية . الرسل : السهل . حفيظته : غضبه . اليسر : السهل . المجلبي : الناظر اسم فاعل من اجتلاء بمعنى نظر اليه . والمبتلي : اسم فاعل من ابتلاء بمعنى اخربه . النسق : ما كان على طريقة نظام واحد . السرو : الشرف .

### 3 - الغزل :

اشتهر ابن زيدون بشعر الغزل ، وقد أجاد القول فيه لأنّه يتناسب مع حياته الرغيدة ، وكان اتصاله بولادة بنت المستكفي من دواعي تفوقة في هذا الفرض الشعري وقد اكتُر ابن زيدون في غزله من الوصف ، وسجَّل مظاهر الجمال في الطبيعة ، ومن ذلك قوله يخاطب ولادة واصفًا شوقة إلى لقائها :

إِنِّي ذَكَرْتُكَ بِالرَّهْرَاءِ مُشْتَاقًا  
وَالْأَفْقُ طَلْقٌ وَمَرَأَى الْأَرْضِ قَدْ رَاقَا  
كَانَهُ رَقَّ لِي فَاعْتَلَلَ إِشْفَاقًا  
وَالرَّوْضُ عَنْ مَائِهِ الْفِضَّيِّ مُبْتَسِمٌ  
كَمَا شَقَقْتَ عَنِ الْبَسَاتِ أَطْوَاقًا

وَكثِيرٌ مِنْ غَزْلِ ابن زيدون يدلُّ عَلَى سُعَةِ خِيَالِهِ ، وَالْخَلَاصُ فِي الْحُبِّ ، كَمَا يَبْثُ فِي عَوَاطِفِهِ وَمَا يَجُولُ فِي نَفْسِهِ . وَقَدْ مَرَّتْ بِكَ قَصِيدَتِهِ الَّتِي قَالَهَا فِي الغَزْلِ بِولَادَةِ .

### 4 - المَوَسَّحَاتُ :

اهتمَّ ابن زيدون بنظم المَوَسَّحَاتِ فِي الْأَغْرَاضِ الْمُخْتَلِفَةِ لِلشِّعْرِ ، وَقَدْ قَالَ يَذْكُرُ فُرْطَبَةَ وَأَيَّامَ صَبَاهُ فِيهَا وَيَشْوُقُ إِلَيْهَا وَإِلَى الْأَمْكَنَةِ الَّتِي قَضَى فِيهَا :

أَقْرُطْبَةُ الْفَرَّاءُ هَلْ فِيكِ مَطْمَعٌ ؟  
وَهَلْ كَبْدُ حَرَّتِي لِبِينِكِ تَقْنَعُ ؟  
وَهَلْ لِلِّيَالِيِّ الْحَمِيَّةُ مَرْجُعٌ ؟  
إِذَا الْحُسْنُ مَرَأَيِ فِيكِ وَاللَّهُو مَسْمَعٌ وَإِذَا كَنْفُ الدَّنْيَا لَدِيْكِ، مُوطَّأُ  
نَهَارُكِ وَضَاحٌ وَلِيْكِ ضَحْيَانٌ  
وَتُرْبُكِ مَصْبُوحٌ وَغُصْنُكِ نَشْوَانٌ  
وَأَرْضُكِ تُكَسَّى جِينَ جَوْكِ عُرِيَانٌ  
وَرَيَالِكِ رَوْحٌ لِلنَّفُوسِ وَرِيَانٌ وَحَبْ الأَمَانِي ِظَلْكِ التَّفَيَا

تفَقْ تروي . كنف : جانب . موطا : مهد . فحيان : بارز ظاهر لا يُستره خلام لا ينه من الأضواء . التفيا : الذي يستظل به .

## ثانياً : النثر

كانت زعامة الادب في الشرق ، وظهر ابن العميد وغيره من الكتاب بأساليبم الطريفة التي تسرّبت إلى بلاد الاندلس ، وأعجب بها ابن زيدون وغيره من الكتاب الدين تعقووا بأسلوب الصناعة اللغوية ، ولكنه لم يُعْنِ بالسجع كثيراً ، لانه لم يكن كفيراً مدفوعاً إلى الكتابة بالرغبة في التأقق وإنما دفعته إليها الظروف التي عاشها ، والاحداث التي مرّ بها .

وقد اشتهر ابن زيدون في الكتابة الفنية الادبية برسائله الجديّة والهزليّة ، وهو من الرسائل النادرة في الادب العربي ، وقد عُنِي بهما الأدباء ، واحتفت بهما كتب الادب ، واظهر مميزاتهما امران :

الاول : ما تدلّان عليه من نفس كاتبها ، وآخلاقه ، وشيمه .

الثاني : كثرة ما فيهما من مقتبسات في الحكم والأمثال ، وحوادث التاريخ ، وأسماء الحكماء والعلماء والأدباء المشهورين .

### من الرسالة الجديّة :

١ - كتب ابن زيدون هذه الرسالة وهو في السجن يستعطف فيها ابن جهور وما جاء فيها قوله :

يامولي وسيدي الذي ودادي له ، واعتمادي عليه ، واعتدادي به ، وامتدادي منه ، ومن أبناء الله ماضي حمد المترّم ، واري زند الأمل ، ثابت عهد النعمه . إن سلبي - أعزك الله - لباس نعتايك ، وعطلتني من حلى إيتاسك ، وأظميتك إلى برود إشعافك ، وتفضّت بي كفّ حياتك ، وغضّضت عن طرف حمابتك ، بعد أن نظر الآعمى إلى تأميلي لك ، وسمع الأصم ثنائي عليك ، وأحش الجماد باشتادي إليك ، فلا غرّ قد يفصّل الماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفى به ، ويؤتي العلوز من مأميته ، وتكون مئنة التمني في أميتي ، والعين قد يسبق جهد العريص .  
**كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شمامه الحساد**

---

واري الزند : اسم فاعل من ورى الزند ، بري ( بالكر ) . وربا : خرجت ناره  
عطلتني من حلى إيتاسك : المراد حرمتني من سعادة الانس بك . برود : يقال ما برود :  
اي سانح للديد ، شب اسماه وعنه له بالاء البارد .

وَإِنِّي لَا تَحْلُدُ ، وَأُرِي الشَّامِتِينَ أَنِّي لِرَبِّ الدَّهْرِ لَا أَنْضَفَضُ فَأَقُولُ :  
هَلْ أَنَا إِلَّا يَدُ أَدْمَاهَا سَوَارُهَا ، وَجَبِينٌ عَضَّ بِهِ إِلْكَنْلَهُ ، وَمُشَرِّفٌ أَصْفَهَهُ  
بِالْأَرْضِ صَاقِلَهُ ، وَسَمْهَرِيٌّ عَرَضَهُ عَلَى التَّارِيْخِيَّةِ ، وَعَبْدُ ذَهَبَ بِهِ  
سَيْكَلَهُ مَدْهَبُ الدِّيْنِيَّ يَقُولُ :

**فَقَسَ لِيَزَدَجِرُوا ، وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقُسْ أَحْيَا نَعْلَمْ**

هذا القتب محمود عوافيه ، وهذه النبوة غمرة ثم تنجل ، وهذه  
النكبة سحابة صيف عن قليل تتشعّش ، ولأنَّ بريسي من ستدري أنَّ آنطا سبيبه ،  
أو تأخرَتْ غيمَةً ضئيلاً غناوةً فانطلاعَتْ الْقَلَاءَ تَيَضَّأَ اثْلَوْهَا ، وأُنْقَلَ السَّحَابَيْنَ أَخْفَلَهَا  
وأنعمَ الحَيَا مَا صَادَفَ جَذْبَاً ، وَاللَّهُ التَّرَابِ مَا أَصَابَ غَلِيلًا . . .

ـ من خلال الرسالة الجديدة نتبين أن ابن زيدون قد جمع فيها كل ما يمكن ان يقال في الاستعطاف والمدح بعبارات ممزوجة بالامثال والحكم ، واول ما يسترعى النظر في اسلوبها ان كثيرا من الفاظها وعباراتها مقتبس من كلام الحكماء والأدباء والشعراء ، وهذا وان لم يشهد ابن زيدون بقوه الابتكار فانه دليل على قدرته في تأليف الكلام ، والتنسيق بين اساليبه ، كما يدل على براعته في صناعة الكلام ، واطلاعه الواسع .

وقد جمع في هذه الرسالة بين قوة المعنى وجودة التركيب ، فهو يرق في مواطن الاستعطاف مستخدما الالفاظ المناسبة ، ويشتند ويقوى في موطن الفخر بنفسه ، والاعتزاد بها بالكلمات الجزلة . وتدور افكار هذه الرسالة حول عدة اغراض كالمدح والفخر والاعتذار ، وذم الزمان ، ولوم الاعداء ، والصبر والتجلد .

### من الرسالة الهرزية :

ـ كتب ابن زيدون هذه الرسالة على لسان ولادة بنت المستكفي للوزير ابن عبدوس تهجوه ، وقطع صلتها به . ومما جاء فيها قوله :

---

لا انضفع : لا اخضع ولا اذل . مشرق : سيف . سهري : رمح صلب متعدن .  
النبوة : الجفوة . سيبة : عطاوه . ضئين : بخيل . غناوه : فائدته . العيا : المطر

أَبْهَا الْمَصَابِ يَعْقِلُهُ الْمَوْرَطُ بِجَهْلِهِ ، الْبَيْنُ سَقَطُهُ ، الْفَاجِحُ غَلْطُهُ ،  
الْعَائِرُ فِي ذِيلِ افْتِرَارِهِ ، الْأَعْمَى عَنْ شَمْسِ تَهَاوِهِ ، السَّاقِطُ سُقُوطُ الدَّبَابِ  
عَلَى الشَّرَابِ ، التَّهَاوُتُ تَهَاوُتُ الْقَرَاشِ عَلَى الشَّهَابِ ، قَلَانَةُ الْعَجَبِ  
أَكْدَبُ ، وَمَعْرِفَةُ الْمَزْءُونِ يَقْسِمُهُ أَصْوَبُ ، . . . ذَلِكَ يَمَا فَدَمَتْ بَدَالَهُ ، لِتَدُوقَ  
وَبَالَّاً أَمْرُكَ ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ :

فَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَسْدُرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

ب - من خلال الرسالة الهزلية نتبين ما امتاز به ابن زيدون من قريحة  
وقادرة ، وذاكرة عجيبة حول اخبار العرب واعشارها وحكمها وأمثالها ،  
كما دلت على ثقافته الواسعة ، ولسانه السليط ، وهجائه الفاحش ، وتقده  
اللاذع .

ولقد وضعها على لسان ولادة للسخرية من ابن عبدوس الذي كان  
ينافسه في حبها فنالت منه هذه الرسالة كل مثال ، وجعلت منه اضحوكة  
في المجتمع الذي عاش فيه .

ولقد جمع ابن زيدون كل ما يمكن أن يقال في الذم والتهم وافرعه  
على ابن عبدوس في اسلوب خلاب يدل على تمكنه من التصرف في أساليب  
الكلام .

### خصائص أدبه :

نستطيع بعد قراءة ما تقدم من نماذج أدبية لابن زيدون أن نستخلص  
خصائصه الفنية والفكيرية على النحو التالي :

#### ١ - في الشعر :

لم يكن شعر ابن زيدون ضرباً من التقليد والمحاكا ، بل كان ناشطاً  
من نوع ملكة الشعر في نفسه ، ومن رغبته في التعبير عن كل ما يعيش في  
صدره ولم تلبث أحداث الزمان التي نزلت به أن هاجت من نفسه ، وولدت  
فيها تلك المعاني التي عبر عنها فجاء شعره صورة صادقة لنفسه وما  
يختلج فيها من آلام وأحزان وحب وغرام ، وقد امتاز شعر ابن زيدون  
بروعة ديباجته ، وحسن تصرفه في معانيه ، وكان غزله رقيقاً ، كما كان  
بارعاً في تصوير اختلالات النفس ، ولوحة الحب ، وقد مزج غزله بوصف

الورد بجهله : الساط بجهله في الملاك .  
المجب : الزهو والخباء . وبال أمرك : سوء عاقبتك .

الطبيعة حتى جعلها تشاركه في شعوره ، وتبكي للا به من الواقع الشوق ،  
وحرارة الفراق ، وكان ابن زيدون طويل النفس ، وقصائده الطوال تدل  
على مقدرة شعرية فائقة ، وكان كثير التصنّع والإغراب في مدحه .

أما الفاظ شعره فكانت مختاراً موحيّة معبّرة ، وكذلك جاءت عبارته  
جزلة متينة ، لها أناقتها ورونقها ، وفي شعره محاسنات ،  
فعبارته مُرسَلَةٌ سَمْحَةٌ حِينَا ، ومصنوعةٌ مُتَكَلَّفةٌ حِينَا آخر .

وقد تأثر ابن زيدون بمن سبّقه من الشعراء الجيدين من أمثال أبي  
تمام والبحيري فاقتبس بعض معانيهم وصورهم .

## ب - في النثر :

اتسم نثر ابن زيدون بما اتسم به شعره من الاستعانة بالصور الجميلة ،  
والعبارة الجَزْلَة الْمُونَقَة ، وكان متأثراً بطريقة ابن العميد وبديع الزمان من  
اكثر للمحسنات البدوية والتزام لأسلوب السجع ، كما كان يقتبس من  
القرآن الكريم وَيُضَمِّنُ فِتْرَةً أخْبَارَ الْأَرْبَابِ وَأَشْعَارَهُمْ وَجِكْمَهُمْ .

## منزلته الأدبية :

كان ابن زيدون كاتباً شاعراً ، ولكنه كان شاعراً أعظم منه ناثراً في  
فنون الشعر ، وأمتيازه في كثير من نواحيه ، وكانوا يلقبونه ببحيري الغرب  
لأنه كان ينسج على منوال أبي عبادة البحيري ، ويجاريه في خياله ، وحسن  
فنه ، وشرق صوره ، وجمال ديناجته ، وتصرفه في المعاني .  
وإننا لنلمع من خلال شعره وكتابته سعة أفقه ، وغزاره علمه ، وطول  
باعه ، وقدرته على النيل والسخرية من أعدائه .

ولابن زيدون ديوان شعر يمتاز بالرقابة والاتاقه ، ورسائل قوية واضحة  
يُطبّق فيها ، ويورد الحكم والأمثال والاشعار كأنها منسوجة منها .

## تدريب تطبيقي

### المقالة الأدبية :

— يلقب ابن زيدون ببحيري الغرب — فِيمَ استحق هذا اللقب ؟ وَضُعْ  
رأيك مؤيداً بأمثلة من شعره .

### السؤال الكتابي :

— اذكر خصائص كتابة ابن زيدون من خلال دراستك رسالته الجدية  
والهزيلة .

نسبة :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الخطيب السُّلْطاني ، نسبة إلى بني سليمان ، وهم حيٌّ يعني نزح إلى الأندلس بعد فتح المسلمين لها في أواخر القرن الأول المجري .

وقد استقرَّ بـنـو سـلـمـان ، اجـدادـاـبـنـالـخـطـيـبـ فـيـ قـرـطـبـةـ ، ثـمـ غـادـرـوـهـاـ إـلـىـ طـلـيـلـةـ لـاسـابـ سـيـاسـيـةـ ، ثـمـ هـاجـرـوـهـاـ مـنـ طـلـيـلـةـ بـشـمـالـ الـأـنـدـلـسـ وـنـزـلـوـاـ فـيـ جـنـوبـ بـعـدـيـنـةـ لـوـشـةـ التـرـيـةـ مـنـ غـرـنـاطـةـ عـاصـمـةـ دـوـلـةـ بـنـيـ الـأـحـمـرـ مـلـوـكـ الـعـرـبـ وـالـمـسـلـمـينـ فـيـ الـأـنـدـلـسـ .

وفي لُوشة ولد ابن الخطيب عام 713 هـ ، في بيت عريق له مكانة الأدبية والاجتماعية ، إذ كان جده سعيد خطيباً بليغاً فتسبَّبَ إليه أسرة المترجم له ، كما كان والده عبد الله كاتباً عند بني الأحمر ، ثم أصبح وزيراً لهم . أما لسان الدين فلقب عرف به صاحب هذه الترجمة جرياً على عادة الألقاب الشائعة في عصره .

نشاطه وحياته :

نشأ ابن الخطيب في مدينة غرناطة منذ حداثته ، يَبْدُأْ أَنَّهَ ظلَّ يَحْنَى مِنْ سُقْطِ رَاسِهِ لُوشة . وكانت غرناطة حينذاك مركزاً عظيماً من مراكز الثقافة العربية الإسلامية ، يلتقي فيها أعلام الفقة والأدب ، والعلم والفلسفة ، مثل أبي عبد الله بن مُرْزُوق فقيه المغرب ، وابن الفخار البري شيخ النها ، وذي الوزارتين أبي الحسن علي بن الجياب إمام الكتاب والشعراء في عصره وأبي عبد الله اللخمي الشاعر الأديب ، والشيخ أبي ذكرياء يحيى بن هذيل الحكيم الطبيب الفيلسوف وغيرهم وقد أخذ ابن الخطيب عن هؤلاء الأعلام ثقافة واسعة جامحة تجلَّت آثارُها في تراثه الأدبي والفكري الضخم المتنوع .

عاش ابن الخطيب حيَّاً حافلاً بالآحداث ، وقد رأينا أن تتبع في الحديث عنها طريقة السرد التاريخي القائم على تحديد السنين كيماً يتَسَنَّى لنا الإسلام بجوانبها الكثيرة ، بأسلوب سهل ميسُرٌ :

ففي عام 741 هـ توفي والد ابن الخطيب ، فتولَّ بعده أمانة سر ديوان الإنشاء لاستاذه الوزير الأديب ابن الجيَّاب ، وَصَدَرَتْ عَنْهُ ، في أثناء ذلك ، رسائل بليةَ هَيَّاهُ لَانْ يَكُونْ خَلْفًا صالحاً لاستاذه الذي هلك بالطاعون عام 749 هـ ، فأصبح ابن الخطيب منذ ذلك الحين رئيساً لديوان الإنشاء ، ثم وزيراً للسلطان أبي الحجاج بن يوسف سلطان غرناطة . فاضطلع بأعباء الوزارة ، وأظهر في تصريف الأمور كفاية نادرة .

وفي عام 755 هـ توفي السلطان أبو الحجاج ، وخلفه في الحكم والده أبو عبد الله الغنِي بالله ، وبقي ابن الخطيب وزيراً للسلطان الجديد ، كما أوفد في هذا العام إلى المغرب في مهمة فحققت أعظم نجاح بفضل مواهبه الأدبية والسياسية ، فعملت منزلته ، وعظم نفوذه .

وفي عام 760 هـ قامت ثورة على السلطان الغنِي بالله انتهت بسقوطه والتجاءه إلى السلطان أبي سالم المريني ملك المغرب ، وعقب هذه الثورة اعتُقل ابن الخطيب ، وصُوِّدِرَتْ قَصْوَرُهُ وَمَلَاكُهُ ، بتحريض أعدائه وحاسديه ، ثم نُفِيَ إِلَى المغرب ، فاستقرَّ خلال منفاه في مدينة ( سَلَّا ) الجميلة الهدائة ، وعاش في طمأنينة وسعادة بسبب الهبات الكثيرة التي أهدفَها عليه السلطان أبي سالم المريني . والتقى ابن الخطيب في منفاه بالفَقِيرِ الْعَظِيمِ ابن خلدون الذي كان السلطان المذكور قد عيَّنه لديوان التوقيع والكتابة ، فتوطدتْ أواصر الصداقة بين الرجلين العظيمين ، وكتب كل منهما عن صاحبه صحائف خالدات تَنَمَّ عن إعجاب شديد ، وحب عميق . وكانت مدة إقامة ابن الخطيب في سَلَّا سنتين كاملتين ، تَعَدُّ من أخصب الفترات في تاريخ حياته الفكرية ، إذ كتب في هذين العامين عشرة كتب وعدها من الرسائل والأشعار .

وفي عام 763 هـ عاد ابن الخطيب إلى الأندلس بعد تردد تلبية لرغبة مليكه الغنِي بالله الذي استطاع أن يسترد ملكه بمساعدة دولة بني مَرِينْ المغربية . وعقب عودة ابن الخطيب إلى الأندلس بلغ نفوذه أقصى مدى ، إذ خلع عليه مليكه لقب ذي الوزارَتَيْنِ ، أي وزارة السُّفُفِ ووزارة القلم ، وهو منصب شبيه بمنصب رئيس الوزارة في أيامنا كما يقول المؤرخ المعاصر محمد عبد الله عِنَان ، وصدرت عنه رسائل بليةَ إلى سلاطين

تونس ومصر نوه بمشاعر الاخوة الدينية التي تربط بين المسلمين في الاندلس ، والمغرب ، وتونس ، ومصر ، وصوار صراع غرناطة مع العدو الاسباني ، وقيامتها بواجب الجهاد القدس ضده . وقد اظهر كفاية عالية في تدبير شؤون مملكة غرناطة ، فكان لتدبيره السيد الموفق آثار واضحة في قوة المملكة ، وحملاتها الظافرة ضد العدو الاسباني كما سترى .

وفي عام 764 هـ قيـم ابن خلدون من المقرب الى الاندلس بعد ان اضطرته الاحداث السياسية الى مغادرة مدينة فاس ، فرحبـ ابن الخطيب بصديقه القديم ابن خلدون ترحيبا يليق به ، واثنا كل منهما في الآخر رسائل حافلة بالثناء والإعجاب : قابن الخطيب الذي كان يكـبرـ ابن خلدون بنحو عشرين عاما يخاطبه بالقـاب البنـةـ كـولـهـ لهـ : ( أخي وـداـ وـاعـتقـادـاـ ، ومـحلـ ولـدىـ شـفـقةـ ) ، ويـصـفـهـ بـأنـهـ جـمـ الفـضـائلـ ، عـالـيـ الـهـمـةـ ، متـقدـمـ فيـ فـنـونـ عـقـلـيـةـ وـنـقـلـيـةـ ، سـيـدـ الـبـحـثـ ، كـثـيرـ الـحـفـظـ ، صـحـيـعـ التـصـوـرـ .. وـابـنـ خـلـدونـ الـذـيـ كـانـ أـصـفـرـ مـنـ صـدـيقـهـ ابنـ الخطـيـبـ يـخـاطـبـهـ بـالـقـابـ الـأـبـوـهـ كـولـهـ لهـ : «ـ وـمـحلـ وـالـدـيـ بـرـّـاـ وـحـنـوـاـ » ، ويـصـفـهـ بـأنـهـ صـاحـبـناـ الـوزـيرـ أبوـ عبدـ اللهـ ابنـ الخطـيـبـ ، إـمامـ النـشـرـ وـالـنـظـمـ فـيـ الـمـلـلـةـ الـإـسـلـامـيـةـ غـيرـ مـدـافـعـ ، وـبـانـهـ آـيـةـ مـنـ آـيـاتـ اللهـ فـيـ النـظـمـ وـالـنـشـرـ ، وـفـيـ الـمـارـكـ وـالـأـدـبـ ..

وفي عام 771 هـ شـعـرـ ابنـ الخطـيـبـ بـضـيقـ نـفـسـ شـدـيدـ مـنـ جـرـاءـ المـكـاـيدـ التيـ نـصـبـهـ لـهـ تـلـمـيـذـهـ وـمـعـاـونـهـ فـيـ الـوـزـارـةـ الـأـدـيـبـ مـحـمـدـ بـنـ يـوسـفـ الـمـرـوـفـ بـابـنـ زـمـرـكـ ، وـرـبـبـ نـعـمـتـهـ الـقـاضـيـ الـتـبـاهـيـ ، فـطـلـبـ ابنـ الخطـيـبـ مـنـ مـلـيـكـهـ الـفـنـيـ بـالـلـهـ أـنـ يـسـمـعـ لـهـ بـأـدـاءـ فـرـيـضـةـ الـحـجـ لـكـنـهـ لـمـ يـجـبـهـ إـلـىـ مـطـلـبـهـ ، وـفـيـ الـعـامـ التـالـيـ ، أـيـ عـامـ 772ـ هـ ، بـلـفـتـ أـحـوالـ ابنـ الخطـيـبـ الـنـفـسـيـ درـجـةـ بـعـيـدةـ فـيـ السـوـءـ ذـلـكـ أـنـهـ شـعـرـ بـتـغـيـرـ السـلـطـانـ الـفـنـيـ بـالـلـهـ عـلـيـهـ ، فـعـزـمـ عـلـىـ الـهـرـبـ مـنـ الـأـنـدـلـسـ إـلـىـ الـمـرـبـ ، وـرـاحـ يـتـرـقـبـ الـفـرـصـةـ الـمـنـاسـبـةـ ، فـوـاتـهـ الـفـرـصـةـ فـيـ شـهـرـ جـمـادـيـ الـآخـرـةـ مـنـ الـعـامـ الـمـذـكـورـ ، فـالـتـجـأـ إـلـىـ السـلـطـانـ عـبدـ الـعـزـيزـ الـرـئـيـسيـ ، بـعـدـ أـنـ تـرـكـ لـأـوـلـادـهـ وـصـيـتـهـ الشـهـوـرـةـ الـتـيـ مـرـتـ بـكـ فـيـ هـذـاـ الـكـتـابـ ، كـمـاـ تـرـكـ رـسـالـةـ اـعـتـدـارـ لـلـسـلـطـانـ ..

وـقـدـ اـسـتـقـرـ ابنـ الخطـيـبـ بـعـدـ هـرـبـهـ مـنـ الـأـنـدـلـسـ فـيـ مـدـيـنـةـ تـلـمـسـانـ فـيـ بـلـاطـ السـلـطـانـ عـبدـ الـعـزـيزـ الـرـئـيـسيـ الـذـيـ اـكـرـمـهـ آـيـماـ إـكـرـامـ ، وـدـامـتـ اـقـامـتـهـ فـيـ هـذـهـ الـمـدـيـنـةـ عـامـاـ وـبـضـعـةـ اـشـهـرـ ، ثـمـ اـنـتـقـلـ فـيـ عـامـ 774ـ هـ مـنـ تـلـمـسـانـ إـلـىـ فـاسـ بـعـدـ وـفـاةـ صـدـيقـهـ السـلـطـانـ عـبدـ الـعـزـيزـ ..

وقد عاش ابن الخطيب في ظل الوزير أبي يكر بن غازي القائم بأمور الدولة عيشة راضية ، بفضل هذا الوزير الذي هيأ له أسباب السعادة وردد الوفد الفرناطي القادم من الأندلس لاستلامه ردًا خائباً كما رده السلطان الراحل من قبل ، فسأله العلاقات بين فاس وغرناطة من أجل ذلك ..

ومن تبع سيرة ابن الخطيب يتبيّن لنا أن السبب الأول الذي دفع غرناطة إلى ملاحقة في المغرب ، بعد هربه من الأندلس ، ليس هو الزندقة كما يزعم خصومه ، وإنما هو السياسة التي تختلف شتى الأعذار إلى أغراضها ، بالحق أو الباطل .. ! فإن ابن الخطيب كان يعرض ملكبني مرين على ملكبني الأحمر ، لاعتقاده أن الأندلس والمغرب بلد إسلامي واحد ، وأنه من الخير لل المسلمين أن تتوحد الممالكان في دولة قوية تستطيع مواجة العدو الإسباني الذي جعل همه القضاء على الإسلام في الأندلس ، وقد كان ابن الخطيب محقاً في رايته ، لأن الأيام اثبتت صحة هذا الرأي مع الأسف .

لقد لجأ ابن الأحمر ، ملك غرناطة ، إلى أسلوب الهدايا ، وإرسال الوفود من أجل استلام ابن الخطيب وإعدامه ، لأنَّه حُصُم سياسي خطير في نظره ، ولما أخفق في ذلك الأسلوب عمد إلى إثارة الفتنة الداخلية في المغرب وقد استطاع ابن الأحمر في أواخر عام 775 هـ أن يوصل الأمير أبي العباس أحمد بن أبي سالم المريني إلى العرش مقابل شروط منها تسليم ابن الخطيب إليه ، فكان ما أراد . وعندما أودع ابن الخطيب السجن بمدينة فاس ، شُفِّرَ بقرب نهايته ، وراح يستصرخ أصدقاءه لإنقاذ حياته ، ومن بين هؤلاء الأصدقاء أبو حمُّو سلطان تلمسان ، وابن خلدون الذي كان في الأندلس آنذاك ، وقد بذلك ابن خلدون اقْصَى جهوده لإقناع ابن الأحمر بالغفو عن ابن الخطيب لكن مساعديه ذهبـت سُدًّي ، وهكذا قتل ابن الخطيب مخنوقاً بسجنه في مدينة فاس عام 776 هـ ودفن فيها ، فطويت بموته حياة المؤرخ الكبير البليغ ، والشاعر المجيد ، والسياسي القدير ، الذي ذهب ضحية الجهل والتقصّب والحسد ، بل ضحية الحقد السياسي الرخيص ، والتي ذلك يشير ابن خلدون قائلاً عن صديقه ابن الخطيب : انه الهاك شهيداً بمعونة أعدائه !

### شخصيته وعوامل نبوغه :

كان ابن الخطيب مَفْخَرَةً من مفاخر الأندلس والمغرب ، بل المغارب والمسلمين في كل مكان ، فقد كان سياسياً قديراً ، ومتفكراً كبيراً ، ومؤرخاً شهيراً ، وكاتباً عظيماً ، وعالماً نحرياً ، وشاعراً مبدعاً ، ومنظماً بارعاً ..

وابن الخطيب ، كما ترى ، عبقرية جامعة لكثير من فنون العلم والمعرفة في ميادين شتى ، وللذا يمكننا القول من غير إسراف : ان صاحب هذه العبقرية هو اعظم رجل أنجبيه الاندلس في القرن الثالث الهجري بلا منازع . . . وفي رأينا ان هناك عوامل عديدة توافرت لابن الخطيب فجعلته نابغة عصره ، ومن اهم هذه العوامل :

1 - **مواهبه الشخصية** : تَدُلُّ آثار ابن الخطيب على أنه أُوتى مواهب ادبية وعلمية اصيلة ، فكان ذكي الفواد ، قوي الذاكرة ، واسع الخيال ، جيد الاستعداد للتبريز في تزوّن السياسة والإدارة ، وفي فنون النظم والنشر .

2 - **نشاته** : نشاته في بيئة غرناطة المزدهرة بالوان الثقافة والعلم ، اتاحت الفرصة لمواهبه النادرة لتفتح عن اجمل الزهر ، واطيب الشمار ، ولو لا تلك البيئة الثقافية الراقية لما بلفت مواهب ابن الخطيب ما بلغته من النضج والاكتمال ، ومن الفنى والتنوع .

3 - **بعد همة وشدة طموحه** : فقد كانت همه بعيدة ، وطموحة الشديد ، وأعماله العريضة في الجاه والتفوز ، وفي الشهرة والخلود . . . كان ذلك كلّه حافزاً قوياً أذكى مواهبه السامية ، وفجّر طاقاته الكامنة ، ورفعه الى بلوغ ما يريد من دهره وما يؤمن . . .

4 - **مكانة أسرته** : وابن الخطيب كما مرّ بِكَ ينحدر من اسرة عربية ، لها قدم راسخة في العلم والأدب ، وفي الفقه والسياسة والرئاسة ، ومن حق كلّ انسان مثله ان تسامي نفسه منذ الصغر الى إحراز مكانة آبائه واجداده ، لكي يكون الفرع امتداداً حقيقياً الأصل ، وهذا ما فعله ابن الخطيب .

5 - **كتاباته** : اضطلاعه بأعباء الوزارة ، وشعوره بسمو مواهبه ، وتكتيفه مختلف المهام السياسية . . . كل ذلك جعله يبذل اقصى ما لديه من كتابات . وهكذا دَوَّتْ شُهُرَتُهُ في ديوان الإنشاء بتلك الرسائل البلاغية التي كتبها ، فاصبح رئيساً لديوان الإنشاء في بلاط السلطان أبي الحجاج بن يوسف ، ثم وزيراً للسلطان المذكور ، وهو شاب لا يتجاوز الثلاثين . وقد امتدت السياسة بفيض من الخبرات والمعرفة بخفايا الأمور لم يكن ليعرفها لو لا مركزه السياسي المرموق .

- 6 - التقاؤه في اثناء اعماله ، بِتُلَّةٍ صالحة من ذَوِي العقول الكبيرة ، مثل استاذه ابن الجِيَاب ، والفقیہ ابن مَرْزُوق ، وصَدِيقِه المُفکِر ابن خلدون .
- 7 - رحلاته الواسعة في بلاد الاندلس والمغرب ، اذ كانت الرحلات وما تزال مَعِيَّنا من الْخِبْرَة لا ينضَب ، يَمْدُ أصحابه بمعرفة وافية ، واطلاع كافٍ على اخلاق الناس وعاداتهم ، وانماط تفكيرهم .
- 8 - وربما كانت النكبات المتالية التي نزلت بابن الخطيب شيئاً مذكورة في نبوغه ، ومضاعفة انتاجه الادبي والفكري ، وقد مر بك من قبل ان ابن الخطيب استطاع ان يكتب خلال عامين قضاهما منفياً بمدينة سلا المغربية عشرة كتب في موضوعات متعددة ، وبعض هذه الكتب يقع في عدة مجلدات . ولا غَرَوْ في ذلك ، فقد كان ابن الخطيب من ذوي النفوس الكبيرة التي لا يزيدها من الحوادث وَعَضُّ التوابِ إِلَّا صلابةً عزيمة ، وقوَّةً مِراس ، ومزيداً من الْمُضِيّ في تحدي العقبات والصعب ..

### جوانب شخصيته :

كان ابن الخطيب ، كما عرفت ، شخصية فذة متعددة الجوانب ، فيها نصيب وافر للسياسة ، والكتابة ، والشعر ، والتاريخ ، والجغرافيا والتصوف ، والطب ، والموسيقى .. وقد ترك في هذه الميادين آثاراً اقيمة بـأوائمه مكانة رفيعة بين الادباء والملفکرين في التاريخ الإسلامي ، اذ بلغت آثاره السنتين في قول ، وتجاوزت هذا العدد في قول آخر ، وستعرف شيئاً عنها من خلال هذه الكلمة الموجزة عن جوانب شخصية ابن الخطيب الواسعة الآفاق :

ا) **ابن الخطيب الوزير السياسي** : كان ابن الخطيب سياسياً من الطراز الاول ، ولذلك لعب منذ بداية حياته السياسية دوراً بارزاً في احداث الاندلس والمغرب ، ففي زيارته الاولى ( 749 - 760 هـ ) كانت الحرب لا تکاد تنقطع بين مملكة غرناطة ، وملكة قشتالة العدو القوي . فكان ابن الخطيب يكتب رسائله البليغة على لسان حاكم غرناطة أبي الحجاج ، وابنه الغني من بعده ، ويطلب من ملوك المغرب تقديم المعونـة العسكرية اللازمة لإخوانهم في الاندلس خشية أن تسقط البقية الباقيـة في أيدي الأسبان ، كما كان يرأس الوفود الاندلسية الذاهبة الى المغرب لطلب النجدة ، فكانت مساعيه تکلـل بالنجاح دائمـاً .

وفي وزارته الثانية ( 763 - 772 هـ ) تجلّت مقدراته وحنكته السياسية في الشؤون الداخلية والخارجية : ففي الميدان الداخلي قامت سياساته على تنظيم الجيش وقويته ، وإقامة المشات الدفاعية على الحدود ، ومدده بما يحتاج إليه من المقاتلين والأسلحة ، كما قامت على تنمية موارد البلاد الاقتصادية وتهيئة الفتن الداخلية ، ومراقبة نشاط المشاغبين ... وفي الميدان الخارجي اهتم ابن الخطيب بإقامة تعاون فعال مع دول المغرب العربي لمواجهة العدو الإسباني المشترك ، ومحاربته عندما توّلت الفرصة ، أو مهادنته حين لا تنفع سياسة المخاشرة وال الحرب .

وقد كان لسياسته الحكيمية نتائج إيجابية بعيدة المدى ، فاستطاعت بلاده أن ترد عنها كيد المعتدي ، بل تجاوزت الدفاع إلى الهجوم ، وتمكنّت أن تسترد كثيراً من المدن التي كان الإسبان قد استولوا عليها من قبل مثل أطيرية ، وجيان ، وأبدة ، والجزيرة الخضراء وغيرها .

وفي الحقيقة كان ابن الخطيب خيراً بتوابيا العدو الإسباني ، متفهماً لأسرار سياسته ، عارفاً بخططه التي يمدها للقضاء على الاندلس ، مدركاً للنهاية المفجعة التي تنتظر بلاده على أيدي الإسبان ، ولذا قضى حياته في العمل على إنقاذ وطنه قبل حلول الكارثة ، موئلاً علاقة غربانة بالدول المغاربية التي كانت تهب إلى نجدة أخوانها المسلمين في الاندلس ، وأقام علاقات طيبة مع الدول الإسلامية البعيدة إيماناً منه بأن المسلمين أخوة مهمناً ببلدانهم ، وبذل قصارى جهده في تبصير أبناء أمته بالصيير المحتوم ، فراح يستثير مكامن النّحو والمعنى في نفوسهم ، بنشر وشعر ، يشيران المثابر ، ويمسان شفاف القلوب ... وترك في هذا الموضوع سيلًا كبيراً من الرسائل ، والخطب ، والقصائد ، والاشعار ... ومن أمثلة نثره السياسي قوله في رسالة وجهها إلى المسلمين من أبناء غربانة ، عندما أغار العدو الإسباني على بعض موقع المسلمين :

« أَيُّهَا النَّاسُ - رَحِمْكُمُ اللَّهُ - إِخْرَأْتُكُمُ الْمُسْلِمُونَ قَدْ دَهَمَ الْمُدُوْ  
سَاحَتُهُمْ ، وَرَامَ الْكُفُرُ أَشْبَاهَتُهُمْ ، وَزَحَفَتْ أَحْزَابُ الطَّوَافِيْتَ عَلَيْهِمْ ،  
وَمَدَ الصَّلَبَ ذَرَاعَةَ إِلَيْهِمْ . وَإِبْدِيكُمْ بِعِزَّةِ اللَّهِ أَعْوَى ، وَإِنْتُمُ الْمُؤْمِنُونَ أَشَلَّ  
الرِّ وَالْتَّفَوَى - وَهُوَ دِيْنُكُمْ فَانْصُورُوهُ ، وَجَوَازُكُمُ الْقَرِيبُ فَلَا تُخْفِرُوهُ ،  
وَسَبِيلُ الرِّشَادِ قَدْ وَضَعَ لَتَبْصِرُوهُ . الْجَهَادُ ! الْجَهَادُ قَدْ تَعَيَّنَ . الْجَهَارُ  
الْجَهَارُ فَقَدْ فَرَرَ الشَّرْعُ حَمَّةَ وَتَبَيَّنَ . اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِسْلَامِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَمَّةٍ  
مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الْمَسَاجِدِ الْمَعْوَرَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي

وَطَنِ الْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَدْ اسْتَغَاثَ بِكُمُ الدِّينُ فَاغْتَسَلُوهُ ، وَقَدْ تَأَكَّدَ عَهْدُ اللَّهِ وَحَشَاكُمْ أَنْ تَتَكَبُّرُوهُ . أَعْيَنُوا إِخْوَانَكُمْ بِمَا أَمْكِنَ مِنَ الإِعَانَةِ أَعَانَكُمُ اللَّهُ عَلَى الشَّدَائِدِ ، جَدَّدُوا عَوَالِدَ الْخَيْرِ يَصِلُّ لَكُمُ اللَّهُ حَمِيلَ الْعَوَالِدِ . اذْرِكُوا رَمَقَ الدِّينِ قَبْلَ أَنْ يَقُولُوا ، بَادِرُوا وَاعْلِلُ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ » .

من هذه الفقرات تستطيع ان تتبين خصائص اسلوب ابن الخطيب التي عرفتها من قبل في وصيته ، وهي الحرص على الترادف والتوازن ، والسبع ، فضلا عن جزالة العبارة ، وصدق العاطفة ، ووضوح الروح الدينية ، وقوتها ..

ولكن والسفاه ! لقد ذهبت جهود ابن الخطيب ادراج الرياح ، اذ أنها لم تخل في نهاية الامر دون وقوع الكارثة ، فسقطت غرنطة آخر معقل من معاوق العروبة والإسلام في الاندلس بيد العدو الاسباني المتربيّ بعد وفاة ابن الخطيب بقرن وربع القرن ، وَعَفَارَسْمُ الْحَقِّ فِي تِلْكَ الرِّبْوَعِ ، وما أشبه الليلة بالبارحة ! فالمأس ضاعت الاندلس والبيوم ضاعت فلسطين ! وذلك باجتماع الاعداء على باطلهم ، وَتَفَرَّقُنَا عَنْ حَقْنَا ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ الا بالله ..

ب) ابن الخطيب المؤرخ : غلبت صفة المؤرخ على مصنفات ابن الخطيب الكثيرة التي بلغت أحد عشر كتابا ، اهمها ( الإحاطة في أخبار غرناطة ) ، وهو كتاب ضخم في عدة مجلدات ، وتميز كتابته التاريخية بسعة الإطلاع على حوادث عصره ، وعنايته بالجانب الاجتماعي والتقديمي منها . وفيما يلي مثل من كتابته التاريخية في مقدمة كتابه الإحاطة . قال ابن الخطيب متحدثا عن التاريخ وفوانذه : « فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْكِتَابَ لِمَوَاجِهِ الْعِلْمِ قَيْدًا .. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَشْفُرْ أَتَ فِي الْخَلْقِ بِذَاهِبِي ، وَلَا اتَّصَلَ شَاهِدًا بِغَائِبِي ، فَمَاتَتِ الْفَضَائِلُ بِعَوْتَ أَهْلَهَا .. فَلَمْ يُرْجِعَ إِلَى حَبْرٍ يُنْقَلُ ، وَلَا دَلِيلٌ يُعْقَلُ .. » والعبارة هنا رصينة جزلة ، يغلب عليها التوازن ، والترادف ، والسبع ..

ح) ابن الخطيب الأديب المترسل : ابن الخطيب كاتب قدير ، استطاع ببراعة اثنائه أن يصل الى مرتبة الوزارة كما وصل غيره من الكتاب ، منذ العصر العباسي ، وقد صدرت عنه رسائل كثيرة في شتى الموضوعات ، وجمعـت في عدة كتب ، اهمها كتاب سمـاه المؤلف ( رـيحـانـة الـكتـاب ) ، ونـجـمـة الـمـنـتـاب ) . كما نقلـ إلينـا بعضـ المؤـلـفين طـائـفة كـبـيرـة من رسـائلـهـ مثلـ المـفـريـ فيـ كتابـهـ "نـفـحـ الطـيـبـ" ، وـالـقـلـشـنـدـيـ فيـ كتابـهـ "صـبـحـ الـأـعـشـىـ" ،

وإليك نموذجاً من رسائله الإخوانية التي بعث بها إلى صديقه عندما كان مقيناً في مدينة يشكرة.

« فَإِنَّا إِنْ بَعْدَ تَحْبِيبِ الْمُطَلُّوَةِ بِعَاءِ الدُّمُوعِ . . . أَسَالَ عَنْ أَخْوَالِكَ سُؤَالَ مَنْ لَيْسَ مُحَالًا فِي مَجَالِ الْخَلُوصِ لَكَ . . . وَقَدْ اتَّصلَ بِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مَا جَزَى بِهِ الْحَالُ مِنْ تَنْوِيعِ الْحَلَلِ لِذَلِكَ ، وَاسْتِقْرَابِكَ بِسَكِّرَةٍ ، تَمَحَّلَ الْفُبْطَةِ بِلَكَ ، وَيَاللّٰهِمَّ إِلَيْكَ الْرِّبَّكَةُ الْكَرِيمَةُ الْأَبِ ، الشَّهِيدُ وَالْفَضْلُ ، الْمَرْوُفُ وَالْمَرْءُ عَلَى الْبَعْدِ ، حَرَسْهَا اللّٰهُ مَلْجَأً لِلْفَضَّلَاءِ وَمَجِيئًا لِرَحْلِ الْعَلَمَاءِ ، وَمَهْبِطًا لِطَيِّبِ النَّاسِ ، يَحْتَلُّهُ وَمَوْرِيهِ » .

وتتجلى في هذه الجمل بعض خصائص اسلوب ابن الخطيب مثل  
الجذالة ، والترادف ، والتوازن ، والسجع ، الا اننا نلاحظ قلة احتفال  
الكاتب بالصنمة بالنسبة الى النصوص الاخرى ، لأن الرسالة نابعة من  
قلب الكاتب وعواطفه قبل ان تكون نابعة من عقوله وصنعته .

**د) ابن الخطيب الشاعر :** اولى ابن الخطيب حظاً عظيماً من النظم والنشر ، فكان ينظم القصائد في مختلف المناسبات والمواضيع ، كما كان يكتب فيها الرسائل والفصول . وقد ترك ديواناً من الشعر سمّاه (الصيّب والجهام والماضي والكمام ) في أغراض عديدة كالملح والمهجاء ، والرثاء ، والتهنئة ، والزهد ، وغير ذلك . وانشأ عدداً من المنشّحات سمّها (جيئش التوثيق) . ومن أجودها موشحة (جادك الفيّث) وإليك نموذجاً من مدحه ، وهو قوله في صاحب المغرب السلطان أبي سالم إبراهيم الريئي عقب لجوئه إلى المغرب .

فَلَمَّا رَأَيْنَا وَجْهَهُ صَدَقَ الزَّجْرُ  
 رَجَا الْخَطْبَ لَمْ يُكْذِبْ لِعَزَمِهِ فَجَرَّ  
 فَلَمَّا رَأَتْهُ صَدَقَ الْخَبْرُ الْحَبْرُ  
 وَلَمْ يَتَعَقَّبْ مَدَّهُ أَبْدًا زَجْرُ  
 وَتَرَفَّلُ فِي أَنْوَابِهِ الْفَتَكَةِ الْبَكْرُ  
 وَهَشَّتْ إِلَى تَأْمِيلِهِ الْأَنْجُمُ الزَّهْرُ

زَجْرُنَا يَا بَرَاهِيمَ بَرَّهُ هُسْوَمَا  
 يَسْتَجِبُ مِنْ آلِرِ يَقْتُوبَ كُلَّمَا  
 تَسَاقَتْ الرَّكْبَانِ مِلْبَ حَوْشِهِ  
 نَدَى لَوْحَوَاهُ الْبَرْهُ لَدَ مَدَاقَهُ  
 وَبَاسُ غَدَا يَرْتَاعُ مِنْ خَوْفِهِ الرَّدَى  
 أَطَاعَهُ حَتَّى الْعَصْمُ فِي دَنَنِ الْرَّبَا

ويعلق المقرى صاحب نفع الطيب على هذه الابيات قائلاً : انها من جيد كلامه ، وغrrr شعره ، على انه كلh غrrr ، اذ جمع فيها المطلوب في ذلك الوقت بابدع لفظ ، وأحسن عبارة في ذلك المحفل العظيم .

ولابن الخطيب مراثٍ جيّدةً ، منها تلك الابيات التي اوردها ابن خلدون في تاريخه المسمى ( كتاب العبر ) ، في معرض حديثه عن نهاية ابن الخطيب ، قال ابن خلدون : « وكان - عَقَالَهُ عَنْهُ - أَيَّامَ امْتِحَانِهِ فِي السُّجُنِ يَتَوَعَّدُ مُصِيبَةَ الْمَوْتِ ، فَتَجَهَّشُ هُوَ إِلَيْهِ بِالشَّفَرِ يَبْكِي نَفْسَهُ » .

وممّا قال في ذلك ، رَحْمَةُ اللهُ تَعَالَى :

بَعْدَنَا وَإِنْ جَاءَرْتَنَا الْيُوتُ  
وِجْنَسَا بِوَعْظِ وَنَحْنُ صُمُوتُ  
كَجَمْرِ الصَّلَةِ تَلَاهُ الْقُنُوتُ  
وَأَنْفَاسَنَا سَكَنَتْ دَفْعَةً  
وَكُنَّا نَقُوتُ ، فَهَا نَحْنُ قُوتُ  
وَكُنَّا عَظَاماً ، فَصِرْنَا عَظَاماً !  
فَقُلْ لِلْعِذَى : ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ  
وَفَاتَ ، وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفْتُوتُ ؟  
فَقُلْ : يَفْرَحُ الْيَوْمَ مَنْ لَا يَمُوتُ  
وَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْهُمْ لَهُ

وهو رثاء عاطفي مؤثر ، صادر عن نفس حساسة ، متالمة ..

هـ) ابن الخطيب العالم الطبيب : كتب ابن الخطيب رسائل ومؤلفات عديدة في الطب والكيمياء ، بلفت المشرفات وأهم مؤلفاته العلمية التي انتهت علينا اثنان : الاول كتاب في علاج السعوم ، والثاني كتاب في الطب ، وعنوانه ( عَمَلُ مَنْ طَبَ لِمَنْ حَبَّ ) وقد وضعه بمدينة فاس تلبية لرغبة الملك المغربي أبي سالم المريني ، وجعله في جزءين : او لمما في وصف اعضاء الجسم ، وشرح الامراض التي تصيب كل واحد منها : وثانيهما في الامراض العامة التي تصيب سائر الجسد مثل الْعُمَيَاتُ والأمراض الْجَلْدِيَّةُ ..

## منزلته الأدبية والفكريّة :

يتمتع ابن الخطيب بمنزلة عالية في دنيا الأدب والفكر ، بسبب انتاجه الأدبي والعلمي الجيد الخصب ، وبما لهاه الإنتاج من اصالة وجدة وقوة وتنوع . ولذا يعتبره بعض الباحثين مدرسة أدبية وفكيرية ظهرت آثارها في أدب الاندلس والمغاربة المعاصرين له ، وقد نوه بمكانته كثير من المؤلفين والباحثين قديماً وحديثاً ، من المسلمين وغيرهم .

فقد يجد المؤلفين المعاصرين لابن الخطيب يشيدون به اشادة عظيمة ، مثل ابن خلدون في كتابه العبر ، والأمير أبي الوليد اسماعيل بن الأحمر في كتابه ( *تشير الجuman في مَنْضَمِي وإِتَاهُ الزَّمَانُ* ) وكذلك اشاد به من المؤلفين المسلمين القدامى كل من ابن حجر صاحب كتاب ( *الدُّرُرُ الْكَامِنَةُ* ) في أعيان المائة الثامنة ) ، وابن تغري بُرْدِي صاحب كتاب ( *الْمَهْلُ الصَّافِ* ) ، والمقرئي مؤلف كتاب ( *نَفْعُ الطِّبِّ* ) . . . وقد مررتُ بكَ من قبل كلمة لابن خلدون في ابن الخطيب فلا حاجة الى اعادتها . واليك كلمة اخرى لعاصره الامير ابن الأحمر السالف الذكر ، قال ابن الأحمر يصف ابن الخطيب : « هو شاعرُ الدُّنْيَا ، وعلم المفرد والثُّنْيَا ، وكانتُ الأرضُ إلى يوم العرض ، لا يُدَافِعُ مَدْحَهُ فِي الْكِتْبِ ، ولا يجتمعُ فيه إلى العَتْبِ . . . نَفِيسُ الْعَدُوتَيْنِ ، ورئيسُ الدُّولَتَيْنِ ، بالاطلاع على العلوم العقلية والامتناع بالفهم التقلية » . . .

اما الأجانب والمستشرقون فانهم يشاركون المؤلفين المسلمين في رايهم في ابن الخطيب ، ويثنون عليه اعظم الثناء ، فالمستشرق الإسباني ( مورينو نيبوتو ) يقول فيه : « لا يوجد في تاريخ غرناطة الأدبي ما يمكن ان يقارن به هذا الكاتب العظيم الخطيب » ، فقد كانت معارفه موسوعة حقاً ، وكانت عبقريته تدعوا إلى الإعجاب . ! وقلما حظي اسلوب كاتب بمثل ما حظي به من البلاغة والرشاقة . وقد برع على الأخص في علم السياسة والتاريخ ، وشهد حوادث سياسية لعب فيها دوراً كبيراً . وإنَّ تاريخ غرناطة حتى عصره ليعرف بالاخص من مؤلفاته بطريقة اتم وأكمل من اي عصر آخر من تاريخ الاندلس ، ويعتبر تاريخه للدولة النصرية ، وكتاب الإحاطة ، دائمًا بين اعجب آثار الأدب الإسلامي ، ومنذ وفاة ابن الخطيب اخذ صرح العلوم يخبو وينهار في الاندلس » .

والمستشرق الالماني ا زيبولد ) يقول عنه في دائرة المعارف الإسلامية : « ان ابن الخطيب هو ذو الوزارتين ، ووزارة السيف ووزارة القلم » .. وقد انكب على مختلف الدراسات بنجاح فائق حتى غدا اعظم كاتب وشاعر وسياسي في غرناطة ، بل في اسبانيا كلها .

وكتب ابن الخطيب نحو ستين كتابا نحتفظ منها بثلثها ، واعظم كتبه واضخمها هو كتاب « الإحاطة » والمستشرق الاسباني ( كونثالث بالنساب ) يقول فيه : « ان تاريخ القرن الرابع عشر الميلادي بلغ الذروة باسمين عظيمين هما ابن الخطيب : المؤرخ الانقي والسياسي الاديب ، وابن خلدون منشئ فلسفة التاريخ » .

ومن هذه الاقوال اليسيرة التي اوردناها تستطيع ان تتبين علو منزلة ابن الخطيب الادبية والعلمية عند العلماء والباحثين ، في القديم والحديث ، وفي الشرق والغرب على حد سواء .

### مجمل القول

ابن الخطيب شخصية فلدة من شخصيات الأدب العربي ، والفكر الإسلامي ، لا في الاندلس والمغرب وحدهما ، بل في العالم العربي والإسلامي كله ، فكان - رحمة الله - صاحب عبقرية جامدة ، شاملة لفنون عصره في السياسة والتاريخ ، وفي الكتابة والشعر ، وفي العلم والطب .. وقد خلف آثارا كثيرة في جميع هذه الفنون ، طبعها بطبعه الخاص الذي يتسم بعمق الثقافة ، وسعة الاطلاع ، وجزالة الأسلوب ، وغزارة المعارف اللغوية والأدبية .. ولذا استحق ابن الخطيب اعجاب الناس قديما وحديثا ، وأصبح حريتاً باحفاده في كل مكان من ارضعروبة والإسلام - ولا سيئاً في الغرب العربي الذي صمم ابن الخطيب العظيم بين جنبيه حياً ومتيناً - أصبح حرياً بهؤلاء الاحفاد ان يتسلّموا بابن الخطيب في علمه وأدبه ، فالتشبيه بالكرام فلاح ، وأن يتعجبوا آثاره ، بالبحث والتحقيق ، والدراسة والتعليق ، لأن ذلك ، في رأينا ، أدنى درجات التقدير لهذا الرجل العظيم ، بكل أدنى الواجبات التي يؤديها البناء البررة نحو الآباء العظام ، وإنهم لفاعلون ، إن شاء الله .

## **الباب السابع**

---

### **البلاغة**

**أولاً : المجاز المرسل — ثانياً : القصر**



## الامثلة :

1. قال الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » . [ سورة الفتح ١ ]
2. وقال تعالى : « وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ دِرْزٍ » . [ سورة العجاشية ١ ]
3. وقال الله تعالى : « وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَا فَتَحْرِيرُ رَقْبَةٍ مُؤْمِنَةٍ » . [ سورة النساء ٣ ]
4. وقال الله تعالى : « يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَتَّىٰ الْمَوْتِ » . [ سورة البرة ١ ]
5. وقال الله تعالى : « إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مَجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا » . [ سورة طه ١ ]
6. وقال الله تعالى : « إِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » . [ سورة الزمر ١ ]
7. وقال الله تعالى : « وَأَسَّلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كَنَّا فِيهَا » . [ سورة يوسف ١ ]
8. وقال الله تعالى : « يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ » . [ سورة الانسان ١ ]

## الايضاح :

مر بـك في العام الماضي أن الكلام قسمان : حقيقة ومجاز ، وأن الحقيقة هي الكلام الذي استعمل فيما وضع له أصلا ، وأن المجاز هو الكلام الذي لم يستعمل فيما وضع له أصلًا ، ومر بـك كذلك أنه لا بد للمجاز من قرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقي ، وأن هذا المجاز يسمى استعارة ، ان كانت العلاقة بين المعنيين الحقيقي والمجازي قائمة على المشابهة .

والآن تأمل الأمثلة السابقة ، وقفـت عند الأول منها تـجدـ أنه قد وردت الكلمة ( يـد ) مرتين ، مرة بـصيـفةـ المـفـردـ ، ومرة بـصـيـفةـ الجـمـعـ ، وـانـهـ قـصـدـ بهذهـ الكلـمةـ معـنيـانـ مـخـتـلـفـانـ : أحـدـهـماـ هوـ معـنىـ الـيدـ الحـقـيقـيةـ ذـلـكـ فيـ عـبـارـةـ

( فوق ايديهم ) اي ايدي المؤمنين ، والثاني هو معنى القدرة ، وذلك في عبارة ( يد الله ) ، لأن العقل لا يقبل أن يكون لله عز وجل يد على الحقيقة ، فما العلاقة بين المعنين : الحقيقي والمجازي ؟ اتقول : أنها المشابهة ؟ لا ، والا فَيُشَبِّهُ تَجَدُه بين ( اليد ) وبين ( القدرة ) ؟ واذن فما العلاقة التي تجمع بينهما ؟ لو فكرت قليلا لعلمت أن اليد هي العضو الذي يكون به المنع والبطش والدفع ، وغير ذلك ، وان اليد سبب في كل هذه الأفعال فالعلاقة هنا هي السببية ، والقرينة عقلية او حالية !

وانظر في كلمة ( رزق ) التي وردت في الآية الثانية ، وفكرة معناها ، افتظن انه اريد بها المعنى الحقيقي الذي هو النبات وما يكون منه من زرع وثمار ؟ وهل الرزق بمعناه الحقيقي ينزل من السماء او ينزل غيره ؟ ان ما تراه العين ، وما يقضى به العقل هو ان الرزق لا ينزل من السماء وانما ينزل منها المطر الذي يكون منه الرزق او ينشأ عنه الرزق فكلمة ( الرزق ) في الآية مجاز علاقته المسببة ، والقرينة عقلية او حالية

والاحظ كلمة ( رقة ) في الآية الثالثة ، وفتش عن معناها ، فهل المقصود بها ذلك الوضع المعروف من جسم الإنسان ، وهو القسم المحصور بين الرأس والجذع ؟ لا ، وذلك ان العقل يحكم بأن التحرير يشمل العبد كله لا رقبته وحدها ، اذن فلم ذُكُرْتْ ( الرقبة ) دون غيرها من سائر أجزاء الجسد ؟ السبب واضح ، وهو أن اغلال العبودية اكثر ما تكون في رقبة العبد ، ورقبة العبد جزء منه ، فالرقبة هنا مجاز ، علاقته الجزئية ، وقرينته عقلية او حالية .

ولو رجعت الى كتب التفسير لعلمت ان الآية الرابعة تتحدث عن حيرة المنافقين ، وشدة الأمر عليهم ، وعدم ادراكم لما يضرهم وينفهم ، وتقول : ان حال هؤلاء المنافقين شبيه بحال قوم نزل عليهم مطر من السماء فيه رعد وبرق وصواعق فوضعوا أصابعهم في آذانهم كيلا يسمعوا أصوات الصواعق خوفا من الموت ، ولكن هل يستطيع أولئك المنافقون او غيرهم ان يدخل أحداً منهم ( أصابعه ) الواحدة كلها في اذنه فضلا عن أصابعه الأخرى ؟ ،المعروف هو ان الانسان لا يستطيع ادخال اصبعه في اذنه ، وانما يستطيع ادخال راس اصبعه الواحد فيها ، فما العلاقة بين المعنين : الحقيقي وهو الاصبع كلها ، والمجازي وهو راس الاصبع ؟ العلاقة هي ان الاصبع كل ، ورأس الاصبع جزء من ذلك الكل ، فالعلاقة هي الكلية ، والقرينة عقلية او حالية .

وابحث الآية الخامسة تعلم ان المقصود بها هو أن من يموت على الكفر ويلقى الله مجرما ، فجزاؤه جهنم ، لا يموت فيها فيستريح من العذاب ، ولا يحيا حياة يتمتع فيها بالسعادة والنعيم ولكن صفة الاجرام التي عليها الكافر يوم يلقى ربه يكون قد اكتسبها في الدنيا قبل لقاء ربه ، اذن ، فكلمة ( مجرما ) الواردة في الآية مجاز ، علاقته اعتبار ما كان ، وقرينته عقلية او حالية

وتأمل الخطاب الموجه في الآية السادسة الى نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - تعلم ان المراد منه هو ان المخاطب سيموت فيما بعد ، وكذلك جميع الناس ، بدليل ان هذه الآية الكريمة مكية نزلت قبل وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - ببضعة عشر عاما ، اذن فكلمة ( ميت ) لم تطلق على شيء وقع من قبل ، او على شيء هو واقع الان ، بل اطلقت على شيء سيقع او سيكون من بعد ، فهذه الكلمة مجاز ، وعلاقته اعتبار ما سيكون ، والقرينة عقلية او حالية .

وانظر معنى الآية السابعة التي حكى الله فيها قول كبير اخوه يوسف لوالده : وسائل القرية التي كنا فيها ، وفكر جيدا في هذا السؤال ، فهل يقبل العقل ان يوجه الى القرية سؤال ، والقرية مجموعة من العجارة والبيوت التي لا تسمع السؤال ولا ترد الجواب ؟ لا شك . اذن ، في ان المقصود بالقرية هنا اهلها وسكنها لا بيوتها وحيطانها ، فما العلاقة بين القرية واهلها ؟ العلاقة واضحة ، وهي ان القرية مكان لسكنى اهلها او محل ، فكلمة ( القرية ) مجاز علاقته المكانية او المحلية ، والقرينة عقلية او حالية .

وتأمل الآية الاخيرة تعلم ان المقصود بكلمة ( رحمته ) هو ( جنته ) ، لأن الرحمة معنى من المعاني الذهنية الجردة لا يدخل فيها الإنسان ، وإنما يدخل في المكان الذي تكون الرحمة حالة فيه ، اذن فاطلاق ( الرحمة ) وارادة ( الجنة ) مجاز علاقته الحالية ، والقرينة عقلية او حالية .

وما تقدم يتبيّن لك ان في كل آية كريمة لفظة استعملت في غير ما وضعت له أصلا ، لعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ، مع وجود قرينة ما تعقمن ارادة المعنى الحقيقي ، وهذه اللحظة مجاز ، ولكن علاقته لم تقم على الشابهة ، وإنما قامت على علاقات أخرى عديدة : كالسيبية ، والمسيبة ، والجزئية ، والكلية ، واعتبار ما كان ، واعتبار ما يكون ، والمكانية ، والحالية . ويسمى هذا النوع من المجاز « مرسلا » أي مطلقا من قيد الشابهة الموجود في الاستعارة .

ولو انك امعنت النظر في الآية الكريمة السابقة لعلمت ان للمجاز المرسل اثراً كبيراً في بلاغة هذه الآيات ، وانه وجه من وجوه الإعجاز فيها : ذلك ان لهذا المجاز مزايا جليلة اهمها :

- ابراز المعنى الذهني في صورة المحسوس كما في الآية الاولى .
- والخفة على اللسان والمدودية في الموسيقى كما في الآية الثالثة .
- والبالغة في تصوير الحالة النفسية كما في الآية الرابعة .
- وتوكيد المعنى كما في الآية السادسة .
- والإيجاز الذي هو عمود البلاغة كما في الآية السابعة .

### **– مجمل القول –**

- 1 - المجاز المرسل لفظ استعمل في غير ما وضع له اصلاً ، العلاقة قائمة على غير المشابهة ، مع قرينة مانعة من اراده المعنى الحقيقي .
- 2 - للمجاز المرسل علاقات كثيرة ، اهمها : السببية ، المسببية ، والجزئية ، والتلکية ، واعتبار ما كان ، واعتبار ما يكون ، والمكانية او المحلية ، والحالية .
- 3 - للمجاز المرسل اثر كبير في اداء المعنى وبلاغة الاسلوب ، ويظهر هذا الاثر في اشكال مختلفة منها : ابراز المعنوي في صورة المحسوس ، والخفة على اللسان ، والبالغة ، والإيجاز .

### **تدريب نموذجي**

- 1 - اشتهرت الجزائر ببنائها وتضحياتها .
- 2 - اجتمع مجلس الوزراء .
- 3 - اكلت فاكهة الموسم .
- 4 - الاستعمار يعتمد على عيون له يباهي في كل مكان .
- 5 - هذا هو النطافس البارع ( بعباراتك الى طالب يدرس الطب )
- 6 - نلبس الصوف في الشتاء ، والقطن في الصيف .

## الإجابة

- 1 - المقصود بالجزائر أبناؤها لا أرضاها ، فالمجاز مرسل ، والعلقة المكانية ، والقرينة حالية .
- 2 - المقصود بالمجلس أعضاؤه لا حقيقته ، فالمجاز مرسل ، والعلقة المكانية ، والقرينة حالية .
- 3 - المقصود بفاكهة الموسم بعضها أو جزء منها ، فالمجاز مرسل ، والعلقة الجزئية ، والقرينة حالية .
- 4 - المقصود بعيون الاستثمار جواديسه ، والعين جزء من الجاسوس ، فالمجاز مرسل ، والعلقة الجزئية ، والقرينة حالية .
- 5 - المقصود بالنطاسي البارع الطالب الذي يصبح طبيبا ، فالمجاز مرسل ، والعلقة اعتبار ما يكون ، والقرينة حالية .
- 6 - المقصود بكلمة الصوف هو الثياب التي تصنع من الصوف ، وكذلك بكلمة القطن ، فالمجاز مرسل ، والعلقة ، اعتبار ما كان لأن الثياب قبل نسجها كانت صوفا وقطنا .

## اللّوين

- (١) عين المجاز المرسل ، وعلاقته وقرينته ، فيما يلي :
  1. قال الله تعالى : «**وَآتُوا الْيَتَامَى أُمُواهُمْ**». [سورة النساء]
  2. وقال الله تعالى : «**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحِيمٍ**». [سورة الانفطار]
  3. وقال الله تعالى : «**فَلَيَدْعُ نَادِيهَ سَنَدْعُو الزَّبَانِيَةَ**». [سورة العلق]
  4. وقال الله تعالى : «**يَقُولُونَ بِأَقْوَاعِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُوَّبِهِمْ**». [سورة آل عمران]
  5. وقال الله تعالى : «**فَبَشِّرْنَاهُ بِغَلَامٍ حَلِيمٍ**». [سورة الصافات]

6. وقال الله تعالى : «**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلِيصُمِّهِ**»

[سورة البقرة 1]

7. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «**عَيْنَانِ لَا تَسْهِمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خُشْبَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَخْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» .

8. وقال عنتري يفتخر :

**فَشَكَكْتَ بِالرَّمْعِ الْأَصَمِّ ثَيَابَهُ لَيْسَ السَّكِيرِمُ عَلَى الْقَنَّا بِحُرْمَ**

(أ) في الأمثلة الآتية مجازات متنوعة ، بعضها علاقته المشابهة ، وبعضها علاقته غير المشابهة .

عين كلا منهما ووضع علاقته وبين قرينته المانعة من ارادة المعنى الحقيقي :

1. قال الله تعالى : «**بَلْ نَقْدِفُ بِالْعَقْ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَعْمَلُهُ**» .

[سورة الأنبياء]

2. وقال الله تعالى : «**وَلَنْ تُذَاقُنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ**» .

[سورة السجدة]

3. وقال الله تعالى : «**فَفَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**» .

[سورة الكهف]

4. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «**أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ الْلَّذَاتِ**» .

5. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «**كُلُّمَا سَمِعُوا صَيْحَةً طَارُوا إِلَيْهَا**» .

6! وقال الإمام علي كرم الله وجهه : «**أَحْبِيَ الْمَرْوُفَ بِإِيمَانِهِ**» .

7. وقال معاوية بن مالك :

**إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِصَابًا**

8. وقال البحترى :

إِذَا عَيْنَ رَاحَتْ وَهِيَ عَيْنُ عَلَى الْجَوَى  
فَلَيْسَ بِسِرِّ مَا تُبَشِّرُ الْأَنْصَالِ بِ

9. وقال بشار :

وَكُنَّا إِذَا دَبَّ الْعَدُوُّ لِسُخْطَنَا  
وَرَاقَبَنَا فِي ظَاهِرٍ لَا نُرَاقِبُهُ

10. وقال أبو تمام :

السَّيفُ أَصْدَقُ ابْنَاءِ مِنَ الْكُتُبِ  
فِي حَدَّهِ الْحَدَّيْنِ الْجَدُّ وَاللَّعِبُ

11. وقال المنبي في مدح سيف الدولة الحمداني :  
لَهُ أَيْمَادٌ عَلَيَّ سَائِفَةٌ  
أَعْدَدَ مِنْهَا وَلَا أَعْدُهَا

(هـ) وقال المنبي يخاطب سيف الدولة الحمداني :

رَأَيْتَكَ مَحْضَ الْحِلْمِ فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ  
وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْعِلْمُ مِنْكَ الْمُهْدَداً  
وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ  
وَمَنْ لَكَ بِالْعِزِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا؟  
وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيفِ بِالْعُلَى  
مُضِرٌّ كَوْضَعِ السَّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

— اشرح الآيات السابقة بعبارات أدبية مناسبة ، وعين ما فيها من  
مجاز ، واذكر علاقته وقرينته ، وبين أثر هذا المجاز في قوة المعنى  
وبلافة الأسلوب .

**الاساليب :**

- 1 - لا يحب الشعب إلا المخلص
- 2 - إننا النجاح للمجتهد
- 3 - فلسطين عربية لا صهيونية .
- 4 - ما فلسطين صهيونية بل عربية
- 5 - ما فلسطين صهيونية لكن عربية
- 6 - على سواعد الشباب، تبني نهضة البلاد .

**الايضاح :**

تأمل الامثلة الستة السابقة تجد كل واحد منها قد تضمن تخصيص شيء باخر : فالمثال الاول يدل على أن محبة الشعب توجه الى المخلص وحده دون غيره من الناس . والمثال الثاني يفيد تخصيص النجاح بالمجتهد من بين سائر التلاميذ .

والامثلة ( 3 و 4 و 5 ) تؤكدعروبة فلسطين ، وتنفي ان يكون للصهيونية المعتدية حق فيها ، وتحصر هذا الحق في عرب فلسطين وحدهم . والمثال السادس يتضمن تخصيص الشباب بنهضة البلاد دون غيرهم من ابناءها . فمن أين نشا هذا التخصيص ؟

لو أخذت المثال ( 1 ) وحدفت منه كلمة ( لا ) وكلمة ( إلا ) لاصبحت الجملة هكذا : يحب الشعب المخلص ، ولو جدت ايضاً أن هذا التخصيص قد زال من الجملة ، وذلك لاحتمال أن محبة الشعب قد توجه الى المخلص

وغيره بدلاً من أن تتجه إليه وحده ، وكلمة ( لا ) تفيد النفي ، وكلمة ( الا ) تفيد الاستثناء ، وأذن فالنفي والاستثناء هما سبب هذا التخصيص في المثال المذكور .

ولو اتبعت الأسلوب السابق ، أي حذف ( إنها ) من المثال الثاني ، وحذف ( لا ) من الثالث ، وحذف ( ما وبل ) و ( ما ولكن ) من الرابع والخامس ، لزال هذا التخصيص الموجود في الأمثلة المذكورة . وكذلك يزول التخصيص لو انك غيرت تركيب الجملة الأخيرة فقلت : « **تبني نهضة البلاد على سواعد الشباب** ».

فأسباب التخصيص في الأمثلة الستة المتقدمة هي **النفي والاستثناء** في الأول ، **والإدابة** « إنها » في المثال الثاني ، **والإدابة** « لا » في المثال الثالث **والأدوات** « ما وبل » و « ما ولكن » في المثالين الرابع والخامس ، **وتقديم الجار** وال مجرور على الفعل ونائب الفاعل في المثال الأخير .

ويسمى التخصيص والحصر المستفاد من الاساليب السابقة « **قصرًا** »  
وتسمى أسباب القصر ، أو أدواته ووسائله « **طرق القصر** » .

واو عدت مرة أخرى الى الأمثلة التي مرت بك لرأيتك ان المثالين الأول والثاني يقتصران المحبة على المخلص ، والنجاح على المجتهد ، ويسمى النجاح « **مقصورةً** » ويسْمى المجتهد « **مقصوراً عليه** » ، وانت تعلم ان الاجتهاد صفة ، وأن المجتهد موصوف في المثال الثاني ، وأن المحبة صفة ، والمخلص موصوف في المثال الأول ، ولذلك يقال عن القصر في المثالين الاولين : انه قصر صفة على موصوف ، اي أن الصفة لا تتجاوز الموصوف الى غيره من يمكن أن يشاركه في تلك الصفة المراد حصرها فيه او قصرها عليه .

وفي المثال الثالث يقصر المتكلم كلمة « **فلسطين** » على العروبة وحدها ، وتسمى فلسطين **مقصورةً** ، وتسمى العروبة **مقصوراً عليها** ، ولما كانت فلسطين موصوفة ، وكانت العروبة صفة لها كان القصر في هذا المثال من النوع الذي يقال فيه : انه قصر موصوف على صفة .. !

ومثل هذا يقال في الأمثلة الثلاثة ، اي في الأمثلة ( 4 و 5 و 6 ) .

## مجمل القول

- القصر تخصيص شيءٍ باخرٍ وفق طريقة معينة .
- للقصر ركناً او طرفاً هما : المقصور ، والمقصود عليه .
- للقصر طرق كثيرة اشهرها الاربع التالية :
  1. النفي والاستثناء : وفيها يكون المقصور عليه بعد آداة الاستثناء .
  2. انما ( وتتضمن معنى النفي والاستثناء معاً ) : وفيها يكون المقصور عليه مؤخراً وجوباً عن المقصور .
  3. الطفب ( لا ) او ( بل ) او ( لكن ) :  
فإن كان العطف بـ ( لا ) كان المقصور عليه مقابلًا لما بعدها .  
وإن كان العطف بـ ( بل ) او ( لكن ) كان المقصور عليه ما بعدهما .
  4. تقديم ما حقه التأخير : وهذا يكون المقصور عليه هو المقدم .
- ينقسم المقصور باعتبار ركينه او طرفيه الى قسمين :
  1. قصر صفة على موصوف .
  2. قصر موصوف على صفة .

## تدريب نموذجي

- بين في الأمثلة الآتية طرق القصر ، وطرفيه ، ونوعيه باعتبار طرفيه :
- (1) لا يظفر بمطلبـه الا المـجد .
  - (2) لم تـنـلـ الجـزـائـرـ استـقـالـلـهـ الاـ بالـكـفـاحـ المـسلحـ .
  - (3) انـماـ الـاسـتـعـمـارـ شـرـ علىـ الشـعـوبـ .
  - (4) المرءـ بـآدـابـهـ لـاـ بـشـيـابـهـ .
  - (5) قالـ بشـارـ :
- عـلـىـ الـمـلـكـ الـجـبـارـ يـقـتـمـ الرـدـيـ  
وـيـصـرـعـهـ فـيـ الـمـأـزـقـ الـتـلـاحـمـ
- (6) ماـ المرـءـ بـشـيـابـهـ لـكـ بـآـدـابـهـ .
  - (7) ماـ المرـءـ بـشـيـابـهـ بـلـ بـآـدـابـهـ .

## الإجابة

نوعه باعتبار طرفيه	طريق القصر	المقصود عليه	المقصود	رقم السؤال
صفة على موصوف	النفي والاستثناء	المجد	الظفر بالطلب	1
صفة على موصوف	النفي والاستثناء	التفاخ المسلح	نييل الجزائر لاستقلالها	2
موصوف على صفة	انما	شر	الاستعمار	3
موصوف على صفة	الطف بلا	آدابه	السره	4
صفة على موصوف	تقديم العبار والمجروف	الملك العبار	التحام الردى	5
موصوف على صفة	الطف ولكن	آدابه	السره	6
موصوف على صفة	الطف بيل	آدابه	السره	7

### تدريبات

— **بَيْنَ** المقصور ، والمقصور عليه ، وطريق القصر ، ونوعه باعتبار طرفيه  
فيما يلي :

1. قال الله تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الظُّلْمَاءُ » !

2. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » !

3. وقال الله تعالى : « لَقَدْ كَفَرَ الدِّينُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنَ الْأَوَّلِ وَآخِدٌ » .

4. وقال تعالى : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » .

5. وقال تعالى : « وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ أَكْثَرُ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقَوْنَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » .

6. وقال امرؤ القيس :

وَلَوْ أَتَتِي أَسْعَى لِأَدْنِي مَعْشَةً كَفَاني - وَلَمْ أَطْلُبْ - قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ  
وَلَكِنَّنِي أَسْعَى لِجَدِيدٍ مُؤْتَلِّ

7. وقال زهير :  
وَهُلْ يَبْتَغِي الْخَطِيْرُ وَتُغْرِسُ إِلَّا فِي مَنَابِهَا النَّخْلُ
8. وقال ابو تمام :  
عَلَى مُثْلِمَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَاعِبِ
9. وقال ابو الطيب المتنبي :  
عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمِ
10. وقال ابو فراس الحمداني :  
سَيْذِكْرُنِي قَوْمٌ إِذَا جَدَّ جِدَّهُمْ
11. وقال المعري :  
تَعْبُ « كُلُّمَا الْحَيَاةُ »، فَمَا أَعْجَبَ
12. وقال شوفي :  
وَإِنَّا الْأَمْمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ

## القصر باعتبار الحقيقة والواقع

الأساليب :

1 - لا اله الا الله

2 - لا يعيش السمك الا في الماء .

3 - ابو تمام والتنبي حكيمان وانما الشاعر البحيري

4 - انما البحيري شاعر

5 - الساجح علي لا خالد

( تقولها لمن يعتقد اشتراك علي وخالد في النجاح )

( او تقولها لمن يعتقد العكس اي نجاح خالد دون علي )

( او تقولها لمن يتعدد بينهما ، ولا يدرك أيهما الناجح دون الآخر )

## الايضاح :

انظر في المثالين الاولين تجد ان القصر فيما من باب قصر الصفة على الموصوف :

فالالوهية في المثال الاول صفة خاصة بالله عز وجل ، لا يشاركه فيها احد سواه .

وحياة السمك في المثال الثاني متوقفة على وجود الماء ، فالصفة اذن في كل من المثالين السابقين حقيقة واقمة لا تفارق الموصوف الى سواه ، وقصر هذه الصفة على الموصوف بدبيبة من بدبيبات العقل والواقع ، يدركها من عنده ادنى حظ من نظر او تأمل ، وكل قصر من هذا النوع يسمى «**حقيقياً**»

وانظر في المثال الثالث تجد القصر فيه من باب قصر الصفة على الموصوف ايضا ، غير انك اذا فكرت فيه جيدا علمت ان صفة الشعر ليست منحصرة في البحترى ولا مقصورة عليه وحده بدليل وجود كثير من الشعراء قبله وبعده ، بل في ايامه ايضا ، ولكن البحترى بالقياس الى بعض الشعراء او بالإضافة الى غيره منهم تقلب عليه صفة الشاعر ، بينما تقلب صفة الحكمة على زميليه أبي تمام والمتنبي مثلا . وكل قصر من هذا النوع يسمى «**قصر اضافياً**» .

وانظر في المثالين الرابع والخامس تعلم ان القصر فيما من النوع الإضافي ايضا . ولو تأملت المثال الاخير - مثلا - لوجدت ان التخصيص يختلف تبعا لاختلاف حالة المخاطب النفسية ، وهي لا تعدو حالات ثلاث : فالمخاطب اما ان يعتقد اشتراك شيئا في صفة من الصفات ، وهنا يتعمّن افراد الموصوف المتصف بتلك الصفة ، واما ان يعتقد عكس الحكم الذي تضمنته الجملة ، وهنا يجب تصحيح اعتقاده وتقلبه من الخطأ الى الصواب ، واما ان يكون متربدا في ذلك الحكم ، وهنا ينبغي ازالة تردداته بتعيين الموصوف المتصف بالصفة التي تضمنتها الجملة .

## مجمل القول

□ ينقسم القصر باعتبار الحقيقة والواقع الى قسمين : حقيقيٌ وإضافيٌ.

1. فالحقيقي هو ان يختص المقصور بالقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع فلا يتجاوزه الى غيره .

2. والإضافي هو ان يختص المقصور بالقصور عليه بحسب الإضافة الى شيء معين ، فهو لا يتجاوزه الى هذا الشيء المعين ، ويمكن ان يتتجاوزه الى غيره .

□ وينقسم القصر الإضافي باعتبار حال المخاطب الى ثلاثة القسم .  
1. قصر إفراد ، اذا اعتقد المخاطب الاشتراك .

2. قصر قلب ، اذا اعتقد المخاطب عكس ما يقوله المتكلم .

3. قصر تعين ، اذا كان المخاطب متربدا في الحكم الذي تتضمنه الجملة

## تدريب نموذجي

بين انواع القصر وطريقه فيما يلي :

1 - لا خالق الا الله

2 - لا جواد الا حاتم .

3 - المرء بأصغريه لا ببرديه .

4 - ما جاء الا زهير .

5 - « الله ما في السماوات وما في الأرض » .

6 - « انما بعثت لاتعم مكارم الاخلاق »

7 - بالعلم تنهض الشعوب .

8 - بالكافح المسلح تحرر فلسطين ( ردًا على من قال تحرر بالمخاوضات والحلول السلمية ) .

## الإجابة

نوعه باعتبار حال المخاطب	نوعه باعتبار المخاطب	نوعه باعتبار طرقه	طرق القسر	التصور عليه	التصور	النفسور	النفسور	القسم
متهم	متهم	متهم	متهم على موصوف	الذى والاشتاء	الله	خالق	1	
الأدلة العبرة	الأدلة العبرة	متهم	متهم على موصوف	الذى والاشتاء	حاتم	جواد	2	
متهم	متهم	متهم	متهم على موصوف	العطف بلا معرفة	أشرفه	المرء	3	
طلب	طلب	متهم	متهم على موصوف	الذى والاشتاء	ذاته	بناء	4	
متهم	متهم	متهم	متهم على موصوف	الافتديم	له	أسفون	5	
الأدلة العبرة	الأدلة العبرة	متهم	متهم على موصوف	أنس	بنته التي	آلام حاد	6	
متهم	متهم	متهم	متهم على موصوف	افتديم	انته	الخلائق	7	
طلب أو تعين	طلب أو تعين	افتديم	افتديم	افتديم	بالطبع	تعيس	تعيس	8
الأدلة العبرة	الأدلة العبرة	افتديم	افتديم	افتديم	افتديم	تسود للسلبي	افتديم السلي	

## تدريبات

( ١ )

بين انواع القصر وطريقه فيما يلي :

- 1 - قال الله تعالى : « إِنَّمَا اللَّهُ أَلَهُ وَاحِدٌ » .
- 2 - وقال الله تعالى : « فَلَذِكْرِ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسْتَبِرٍ » .
- 3 - وقال الله تعالى : « إِنَّمَا يَفْتَرِي الظَّالِمُ الدِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولُوكَهُمُ الْكَاذِبُونَ » .
- 4 - وقال الله تعالى : « وَمَا مُحَمَّدُ الْأَرْسُولُ قُدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرَّسُولُ ، أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ افْتَقَسْتُمُ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقُلْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يَفْتَرِي اللَّهُ شَيْئًا » .
- 5 - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكِ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَافْتَنِي ، أَوْ لَبِسْتَ فَابْلِيَتَ ، أَوْ تَسْدَقْتَ فَابْقِيَتَ » .
- 6 - وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَ مِنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ : إِذَا حَدَثَ كَذِبٌ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُوتِنَّ خَانًا » .
- 7 - وقال الإمام علي كرم الله وجهه : « أُوْصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ فَصَرَبْتُمُ الْيَهَا أَبَاطِيلَ الْبَلِلِ لَكُانَتْ لِلذِكْرِ أَهْلًا : لَا يَرْجُونَ أَحَدًا مِنْكُمُ الْأَرْبَةَ ، وَلَا يَتَخَافَنُ الْأَذْنَهُ ، وَلَا يَسْتَحِنَ أَحَدًا إِذَا سُئَلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولُ : لَا أَعْلَمُ ، وَلَا يَسْتَحِنَ – إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ – أَنْ يَتَعَلَّمَهُ ، وَعَلَيْكُمُ الصَّابِرُ ، فَالصَّابِرُ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأسِ مِنَ الْجَسَدِ ، وَلَا خَيْرٌ فِي جَسَرٍ لَا رَاسَ مَعْهُ ، وَلَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبَرَ مَعَهُ » .
- 8 - وقال الفرزدق : « أَنَا الْذَّائِدُ الْحَامِيُ الذَّمَارِ وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي » .
- 9 - وقال عبد الله بن قيس الرَّقِيَّاتُ : « إِنَّمَا مُصَبَّ شَهَادَةً مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلَمَاءُ مَلَكُهُ مَلَكُ قُوَّةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ وَلَا بِرٌّ كَثِيرٌ سَاءٌ » .

10 - وقال النبي :

وَمِنِ الْبَلِيهِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَرْعُوْيِ عنْ جَهْلِهِ، وَخَطَابٌ مَنْ لَا يَفْهَمُ

11 - وقال ايضاً يخاطب سيف الدولة :

أَجَزَّنِي إِذَا أَنْشَدْتَ شِعْرًا فَإِنَّمَا<sup>١</sup>  
بَشِّيرِي أَنَّكَ الْمَادِحُونَ مُرَدِّدًا  
وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَإِنَّمَا<sup>٢</sup>  
أَنَا الطَّائِرُ الْمُحَكِّمُ وَالآخُ الصَّدِيَّ  
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رَوَاهُ قَصَائِدِي<sup>٣</sup>  
إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدًا

12 - وقال ابو فراس الحمداني يخاطب سيف الدولة من منفاه :

لَسْتُ أَجْفَوْ ، وَانْ جَفَوْتَ وَلَا أَنْتُ رُكْنٌ حَقَّا عَلَيَّ فِي كُلِّ حَالٍ  
إِنَّمَا أَنْتَ وَالدُّمُّ ، وَالْأَبُّ الْقَاتِلُ<sup>٤</sup> سِيْ يُجَازِي بِالصَّبْرِ وَالْاحْتِمَالِ

( ب )

اي الجملتين ابلغ في مدح البحترى ، واذكر السبب ؟

1 - انما الشاعر البحترى

2 - انما البحترى شاعر

( ح )

استخدم كل جملة مما يلي باسلوب من اساليب القصر التي تعلمتها  
واذكر نوع القصر وطريقه :

1 - العلم في الصغر كالنقش في الحجر .

2 - يستعد المجتهد للامتحان قبل موعده .

3 - الشباب رأس مال الأمة .

4 - ترقى الأمم بالعلم والعمل .

5 - الصديق يُعرَفُ عند الصدق .

6 - الفراغ مَفْسَدَةٌ .

7 - الكل مفتاح الفقر .

8 - ادب المرأة خير من ذهب .

( د )

— بالكفاح المسلح تستعيد الشعوب المستعبدة حريتها .  
 متى يكون القصر في هذه الجملة للإفراد ؟ ومتى يكون للقلب ؟  
 ومتى يكون للتعيين ؟

( ه )

— اجعل الجمل الآتية مفيدةً للقصر من غير ان تزيد عليها شيئاً او  
 تنقص فيها :  
 1 - يكرم المرأة او يهان عند الامتحان .  
 2 - احب الشباب الجاد المهدب .

( و )

— رد على من اعتقد ان البترول للشركات الاحتكارية ، بأسلوب به اساليب  
 القصر التي مرت بك ، ثم بين نوع القصر ، وطريقه في الجملة التي  
 تأتي بها .

### أغراض القصر وبلايته

الاساليب :

- 1 - ما باق الا الله .
- 2 - لا يعيش المرجان الا في المياه الملحاء .
- 3 - انما ينفع المجد

( تقولها امام تلميذ كصول رسب في الامتحان )

- 4 - وقال المنبي :  
 وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْرَرِيٌّ هَزَزْتَهُ فَرِئَنَ مَعْرُوضًا ، وَرَاعَ مُسَدَّدًا
- 5 - وقال ليد :  
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالْمِلَالِ وَضَوْئِهِ يُسَوِّفِ نَكَامَ الشَّهْرِ ثُمَّ يَنْهِبُ
- 6 - وقال المنبي :  
 بِرَجَاءِ جُودِكَ يَطْرَدُ الْفَقْرُ وَبِأَنَّ تَعَادِي يَنْفَدُ الْمُمْرِ

## الايضاح :

تأمل جيداً الأمثلة السابقة وفكِّر ملِيئاً في بلاغتها وأثرها في اداء المعانٰي التي تناولتها تَجْدَ أنَّ هذه المعانٰي قد اكتسبت عن طريق القصر قدرًا عظيمًا من البلاغة والقوة لم تكن لتناوله لو لا اسلوب القصر .

المثال الأول وهو قولنا ( ما باق الا الله ) يعادل الجملتين الآتيتين معاً :  
البقاء لله ، وهو الباقي وحده . والقول الاول او جزء واشد اختصاراً والإيجاز ضرب من ضروب البلاغة ، بل ركن عظيم من اركانها ..

والمثال الثاني يتضمن حقيقة علمية ثابتة هي معيشة المرجان في المياه الملحّة ، ولكن اسلوب القصر ساعدنا في تحديد هذه الحقيقة وتوضيحها ، فقولنا ( لا يعيش المرجان الا في المياه الملحّة ) ادق بكثير من قولنا ( يعيش المرجان في المياه الملحّة ) لأن العبارة قد تحتمل وجود المرجان في المياه العذبة ، وهذا شيء غير صحيح علمياً .

والمثال الثالث يمكنك من التعرّيف بالكسول الذي رسب في الامتحان وايلمه بأسلوب أدبي لا يلحق بسيبه أذى ، فقولك لمن اخفق في الامتحان ( انما ينبع المجد ) تأنيب مؤلم ، وتعريف موجع ، وفيه مخلاص لك حين تريده التخلص من ذمه .

والمثال الرابع يكشف لنا عن شخصية المتّبني القوية ، وعن حبه للفخر والادعاء فنفي في هذا البيت عن نفسه كل الصفات الأخرى ، وادعى انه رمح بيد سيف الدولة يزيّن به في السلم ، ويغبّف به اعداءه في الحرب ، ولو لا اسلوب القصر لما تم له هذا الادعاء .

والمثال الخامس يوضع حقيقة الإنسان الذي يولد صغيراً ثم يكبر ثم يبلغ اشده ثم ينتابه الضعف فالمرم فالفناء .. وقد ساعد اسلوب القصر على توضيح هذه الحقيقة وتمكينها في الذهن .. وتقديرها وتوكيدها .

والمثال الأخير يدل على ان المتّبني يبالغ في المدح بالكرم ، وقد استعمل بالقصر في ذلك فقدم الجار والمحروم على الفعل ، والتقديم طريق من طرق القصر كما مرّ بك .

## مجمل القول

للقصر أغراضٌ مُختلفةٌ، وآثارٌ قويةٌ في إدراك المعاني أهمها:

- الإيجاز .
- الفخر والادعاء
- تحديد المعاني تحديداً كاملاً . □ تمكين الكلام في النفس وتقريره في اللعن .
- المبالغة
- التعریض

## تدريب نموذجي

اذكر أغراض القصر وبلايته فيما يلي :

- 1 - ما كتاب كامل الا القرآن الكريم .
- 2 - الأرض متحركة لا ثابتة .
- 3 - إنما يذكر أ ولو الباب .
- 4 - وما الدهر إلا من رواة فصائدي إذا قلت شيئاً أصبح الدهر منشداً
- 5 - قال تعالى : « وَنَخْوَفُهُمْ فَمَا يَزِينُهُمْ إِلَّا طُفْيَانًا كَبِيرًا » .
- 6 - وما المرأة إلا الأصرار : لسانه ومحقولة وحيث خلقه مسؤولة

## الإجابة

- |                      |                        |
|----------------------|------------------------|
| 4 - الفخر والادعاء   | 1 - التوكيد والإيجاز . |
| 5 - التوكيد والتحديد | 2 - التوكيد والتحديد   |
| 6 - المبالغة .       | 3 - التعریض .          |

## تدريبات

اذكر أغراض القصر وبلايته فيما يلي :

- 1 - قال تعالى : « وَنُنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يَنِيدُ الطَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا » .

2 - وقال تعالى : « وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ أَنَتْ قُلْتَ لِلنَّاسِ  
أَنْجُلُونِي وَأَمِّي الْهَيْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قَالَ : سُجْلَاتِكَ ، مَا يَكُونُ لِي أَنْ  
أَقُولَ مَا لِيَسَ لِي بِحَقِّي ... مَا كُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتَنِي بِهِ ، أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ  
رَبِّي وَرَبِّكُمْ » .

3 - وقال تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الدِّينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا  
تُلِيهَا عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » .

4 - وقال تعالى حكاية عن اليهود : « وَإِذَا قُلْلَهُمْ لَهُمْ لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ،  
قَالُوا : إِنَّمَا نَعْنَنُ مُصْلِحُونَ . إِلَّا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ، وَلَكُنْ لَا يَسْتَعْزِزُونَ » .

5 - وقال تعالى حكاية عنهم أيضاً : « وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا : أَمَّنَا ،  
وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا : إِنَا مَعْكُمْ ، إِنَّمَا نَعْنَنُ مُسْتَهْزِئُونَ » .

6 - وقال تعالى : « قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ إِنَّمَا الْهُكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ » .

7 - وقال تعالى : « أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ ، أَوْ تَهْدِي الْعُمَّى ، وَمَنْ كَانَ  
فِي فُسْلَالٍ مُّبِينٍ » .

8 - وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا صَلَةَ إِلَّا بُسُورَةِ الْحَمْدِ » .

9 - وقال الشاعر :  
وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعٌ  
وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعَ

10 - وقال المتنبي :  
فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْقَتْكَةُ الْبِكْرُ  
وَلَا تَخْبَئْنَ الْمَجْدَ زَقَّا وَقِنَّةً

11 - وقال الشاعر :  
إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدُ وَالْأَبُ الْقَاتِلُ  
طَبِعُ أَخْنَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ !

12 - وقال الشاعر سليمان العيسى في نورة الجزائر التحريرية :  
أَهَاتِسَافِ كُلِّ خَاطِرٍ  
فِي عَرُوقِي أَنْسَتِ فِي  
يَادِوَيِ الصَّيْحَةِ الْعَمَرَاءِ  
فِي قَلْبِ الْجَزَائِيرِ ...  
قَصَّةُ الْجَهْدِ حَنَاجِرُ  
نَفَخَاتِ الْخَلْدِ شَاعِرٌ  
بِسُوْمِيْضِ النَّسَارِ يُلْيِسِي

## من مراجع الكتاب

- |   |   |
|---|---|
| <p>20. تاريخ النقد الادبي : محمد زغلول سلام</p> <p>21. نفح الطيب - ح 7 . . . للمقرري</p> <p>22. لسان الدين بن الخطيب : محمد عبد الله عشان .</p> <p>23. مقدمة ابن خلدون .</p> <p>24. ذكرى ابن الطيب في الف عام : عبد الوهاب عزام .</p> <p>25. المcriية - يوهان فك . ترجمة : عبد العليم النجار .</p> <p>26. نزهة الالاء في طبقات الادباء : لابن الباري .</p> <p>27. المفصل في تاريخ الادب العربي : لاحمد الاسكندرى .</p> <p>28. ديوان ابن زيدون .</p> <p>29. المفصل في تاريخ الادب المسرحي .</p> <p>30. الدخيرة في محسن اهل الجزيرة .</p> <p>31. الاهاطة في اخبار غرناطة لابن الخطيب</p> <p>32. تاريخ ابن خلدون - المعروف بكتاب العبر</p> <p>33. نفح الطيب - ح 5 ، 6 ، 7 : للمقرري</p> <p>34. دائرة المعارف الاسلامية : دة ابن الخطيب .</p> <p>35. دائرة معارف فؤاد فرام البستانى : مادة ابن الخطيب .</p> | <p>1. ديوان بشار : محمد الطاهر بن عاشر .</p> <p>2. الاخاني لابي المرج الاصفهاني - ح 4 .</p> <p>3. بشار بن برد . . . . للمازنى</p> <p>4. حديث الأربعاء . ح 2 . . . لطه حسين</p> <p>5. شخصية بشار . . . . للتوبيني</p> <p>6. ديوان ابي نواس .</p> <p>7. الكامل . . . . . للمبرد</p> <p>8. تاريخ الادب المسرحي . . . لبروكلمان</p> <p>9. زهر الادب . . . . للحمرى</p> <p>10. ديوان البختري - تحقيق حسن الصيرفي</p> <p>11. الموازنة بين الطائرين للأمدي . تحقيق : محين الدين عبد العميد .</p> <p>12. من حديث الشعر والنشر . لطه حسين</p> <p>13. الفن ومذاهبه في الشعر العربي : لشوفى صيف .</p> <p>14. ديوان المتنبى . . . شرح : البرقوقي</p> <p>15. مع المتنبى . . . . لطه حسين</p> <p>16. البيان والتبيين - للجاحظ - تحقيق : عبد السلام هرون .</p> <p>17. الجاحظ معلم العقل والادب : لشفيق جبوري .</p> <p>18. العمدة . . . . لابن رشيق</p> <p>19. الوساطة بين المتنبى وخصومه: للجرجاني</p> |
|---|---|

# محتويات الكتاب

## الصفحة

## الموضوع

		مقدمة
		<b>الباب الأول - العصر العباسي</b>
5	.	مقدمة تاريخية عن قيام الدولة العباسية . . . . .
9	.	العصر العباسي - الطور الاول . . . . .
15	.	العصر العباسي - الطور الثاني . . . . .
		<b>الباب الثاني - النصوص الأدبية في العصر العباسي</b>
		<b>اولا - الشعر :</b>
19	.	1. تهديد ونصح : ل بشار بن برد . . . . .
35	.	2. من مجالس الفرس : لأبي نواس . . . . .
45	.	3. فتح عمورية : لأبي تمام . . . . .
59	.	4. ايوان كسرى : للبحترى . . . . .
79	.	5. في وصف وحيد المغنية : لابن الرومي . . . . .
92	.	6. وصف معركة الحدث : للمتنبي . . . . .
105	.	7. وصف شعب بوان : للمتنبي . . . . .
115	.	8. نظرة في الحياة والموت : لأبي العلاء المعري . . . . .
		<b>ثانيا - النثر :</b>
124	.	9. وصف الصديق : لابن المقفع . . . . .
134	.	10. من اعاجيب الحيات : للجاحظ . . . . .
139	.	11. البيان : للجاحظ . . . . .
145	.	12. القدماء والمحدثون : لابن رشيق . . . . .
165	.	13. المقامات البغدادية : للهمذاني . . . . .
175	.	14. من الرسائل الاخوانية : لابن العميد . . . . .
		<b>الباب الثالث - خصائص الأدب في العصر العباسي</b>
		<b>اولا - الشعر في الطور الاول :</b>
186	.	فنون الشعر في هذا الطور . . . . .

# محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
186 . . . . .	الفنون القديمة التي تطورت . . . . .
189 . . . . .	الفنون الجديدة التي ظهرت في هذا العصر . . . . .
190 . . . . .	خصائص الشعر في مصر العباسى الاول . . . . .
	<b>ثانيا - الشعر في الطور الثاني :</b>
194 . . . . .	فنون الشعر في هذا الطور . . . . .
199 . . . . .	خصائص الشعر في هذا الطور . . . . .
	<b>ثالثا - النثر في الطور الأول :</b>
203 . . . . .	الكتابة . . . . .
206 . . . . .	الخطابة . . . . .
	<b>رابعا - النثر في الطور الثاني :</b>
207 . . . . .	الكتابة . . . . .
208 . . . . .	الخطابة . . . . .
	<b>الباب الرابع - الادب الاندلسي</b>
209 . . . . .	لحة تاريخية عن بلاد الاندلس . . . . .
	<b>الباب الخامس - نصوص من الادب الاندلسي</b>
	<b>اولا - الشعر :</b>
215 . . . . .	15. اسطول المعرز : لابن هانى . . . . .
225 . . . . .	16. في الفرزل : لابن زيدون . . . . .
236 . . . . .	17. في وصف الجبل ومناجاته : لابن خفاجة . . . . .
241 . . . . .	18. في وصف بركة قصر المنصور : لابن حمديس الصقلى . . . . .
250 . . . . .	19. من المؤشحات الاندلسية : لابن سهل . . . . .
	<b>ثانيا - النثر :</b>
260 . . . . .	20. وصية للابناء : للسان الدين ابن الخطيب . . . . .
277 . . . . .	21. الخصائص الفنية للادب الاندلسي . . . . .

# محتويات الكتاب

«تابع»

**الصفحة**

**الموضوع**

## أولاً - الشعر :

277	حالة الشعر في الاندلس وعوامل نهضته . . . . .
281	خصائص الشعر الاندلسي . . . . .
282	خاتمة : الشعر بين الاندلسيين والعباسيين . . . . .

## ثانياً - النثر :

283	فنون النثر وخصائصها . . . . .
-----	-------------------------------

## **الباب السادس - الترجمات الأدبية**

289	الجاحظ . . . . .	22
298	أبو الطيب المتنبي . . . . .	23
312	ابن زيدون . . . . .	24
321	لسان الدين ابن الخطيب . . . . .	25

## **الباب السابع - البلاغة المقررة**

335	المجاز المرسل . . . . .	26
342	القصر . . . . .	27
356	من مراجع الكتاب . . . . .	



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



twitter

مكتبة لسان العرب



facebook



instagram

مكتبة لسان العرب



مكتبة لسان العرب





مكتبة لسان العرب

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

لسان العرب

مصلحة الطاعة

للمعهد التربوي الوطني — الجزائر

1987—1986  
502517701

